

جامعة ام درمان الاسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الادبية و النقدية

الفلسفة التصوف وأثرهما على الأدب
في العصر العباسي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب

اعداد الباحث: عبد الشكور حسن احمد حامد
اشراف :الدكتور بابكر الجزولي

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

قال تعالى

وَأَنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)

الإهداء

الروح والدتي

رحمها الله رحمة واسعة

وجعل الجنة مثواها ومسكنها

آمين

الوالدي والاختي

الكل ضباط الشرطة وهم يحملون القلم والبندقية

كلمة الشكر

الحمد و الشكر لله رب العالمين .

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا شكر الا شكر الله من لم يشكر الناس^١

ثم الشكر موصول لأسرة جامعة امدرمان الاسلامية ، لإتاحة الفرصة لنا للورود على معين اللغة العربية و روضة الادب الندية .

و الشكر الجزيل مقرون بالاعتراف بالجميل ، للبروفيسور حسن أحمد حامد الذي له علي يد الأبوة ثم أبي عليه فضله إلا أن يكملها بأيادي التربية و التعليم ، فكان فضله شاملاً للجسد و الروح.

وجزيل شكري و عرفاني لأخواني في قوات الشرطة الساهرة على أمن الوطن في كل أنحاء البلاد.

وشكري لأساتذتي الأجلاء وأختي الأوفياء الذين ساعدوني في هذا البحث الحثيث. وشكري للأخ الصديق/ مجاهد عبد الله سهل لمعاونته لي في طريق العلم والمعرفة.

المقدمة

الحمد لله الذي هذب الانسان ، وجعله متمدناً يعبر ما في نفسه من لطف ورقة انتقاء لاطيب الكلمات واختياراً لانسب العبارات والصلاة والسلام علي افصح من نطق بالضاد واوتي جوامع الكلم وعلي اله وصحبه الذين سادت بينهم العبارات البليغة والكلمات الفصيحة حتي تنزل القران بذلك استجابة لدواعي فهمهم وتلبية لحوائج عقولهم ان اللغة العربية هي افصح اللسان وهي التي يتكلم بها اهل الجنة في الجنة وبها نزل الكتاب ودونت السنة فالمحافظة عليها مراعاة للمدارك السليمة وان من تضيع فيها اوتي فهما ثاقبا وكان علي التلطف مع الناس متوافرا حيث الادب اعني ادب اللغة متسفاد من ادب النفس اذ الادب ادب نفسي وادب درسي فالادب النفسي هو الخلق الكريم والتعريض عنه هو ادب الدرس الذي ترقى به المدارك وان الادب لهو الوسيلة للطف العلاقة ، وجمال التواصل ، وشتان ما بين جاف العبارة والمتلطف فيها . فإن الكلمة الجميلة دواء . وكم من حقوق كثيرة رفضت لسوء العبارة ، وقبلت لثاقب العبارة .

وجمال اللفظ هو في الحقيقة حكمة ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وكنت اسمع للمشايخ خاصة الوالد ليعرفوني الادب ويقولون انه قاعدة فنية يقصد بها تهذيب عادات الامة و إطفاح احساسها ، وتبنيها إلى خيرها لتجتلبه ، و إلى شرها لتجتنبه .

فاذا كان الادب بهذه المثابة ، فإنه يمثل ذروة المدنية ، وباعث على رقي الحضارات ، وارتقاء العمران عند الإنسان ، ولا يعد الأدب ترفاً يعبر عن وصول المجتمع إلى قدر من الحضارة ليتلاعب بالألفاظ ، فإن الأدب هو الجوال الذي يتجول بين العلوم تقريباً لفهمها ، واستخراجاً لمعانيها ، دفعاً بها إلى الأذهان ، لتصل العبارة إليها متجاوزة الآذان .

إن الأدب في حد ذاته تعبير عما تشتمل عليه النفس الإنسانية ، حيث يمس الجوانب المشرقة منه ليعكسها كيما تنتشر بين الأفراد ، وقد لبست الكلمات حلة زاهية ، ويبدو جمالها ، وهو يشير إلى كل زهرة بالتعبير عنها ، إعظاماً لصنع الله ، وإبرازاً لجمال خلق الله .

وكان الأدب حريصاً على اختيار أجمل علومه ، وأقربها إلى النفوس ، ليقوم بنثرها درراً منظومةً ، ولآلى منثورةً ، وحيث كان التصوف هو الصفاء من الأقدار البشرية أ وكان من دأب على الطاعة ، ووجد آثارها الحميدة في حاجة إلى إبدائها ، نشرًا للفضائل ، وتجرداً للمحبة الإنسانية ، فإن الأدب قد تأهب ليكون له عونًا على إيصال هذه الحقائق إلى من هو إليها محتاج ، وكان التعبير عن ذلك بقوالب الشعر والنثر ، فأصبح التصوف وقد دنا من القلوب، وطابت به النفوس .

و لما كانت للتصوف علاقة بالفلسفة إذ طابق النظر ما أفادته التجربة ، و التقت الحكم الدينية ، والحكم الإنسانية ، فشاع التعبير عنها بالجميل من ثياب الأدب الذي صار بنفسه علمًا يمثل أوثق العلاقة بين العلوم ، ويحقق توأمتها ، وعون بعضها لبعض، تجسيدًا للحقيقة ، وتعبيرًا عنها ، ليكون الحق جليًا تتقبله النفوس من غير نفرة ، ويختصر معناها من غير كثرة ، عونًا للهمة على التوفر لذلك ، و ليكون روح النفس بساطاً منشوراً ، تنثر عليه تلك اللآلى .

وكننت حفيا بالادب منذ النشأة ، مغرماً بقصصه ،معجبا بشعره ، وكانت بيئة التصوف إليّ أقرب ، والفلسفة إلى نفسي محببة ، فأحببت أن أقوم بتجلية ما قام به الأدب من خدمة لذينك العلمين أ ليكون الأدب ثالثهما ، وليكون غطائهما الواقى من الانحراف الذهني ، وضياء يكشف الجوانب الغامضة حتى يكون فضل الادب بارزا لدي العلماء وكاشفا فضله لدي الحكماء وليكون الاسلوب الرفيع دعوة يحرض عليها وقيمة يرغب فيها والله من وراء القصد .

أسباب اختيار الموضوع

١/ محاولة الكشف عن دور الأدب في جميع العلوم حتى تظهر فائدة هذا العلم المهم

٢/ اختيار العصر العباسي لأن الأدب قد وصل فيه إلى قمته و بالتالي فالبحث فيه يكون بحثاً في العصر الذهبي للأدب .

٣/ اختيار الفلسفة و التصوف لأن الفلسفة في ذلك العصر كانت تعد وعاءً لجميع العلوم المادية و التصوف وعاء لجميع المعاني الروحية فالبحت في هذين العلمين بحث عن المادة و الروح

منهج البحث

اعتمد هذا البحث الطريقة الوصفية التحليلية الاستقرائية التاريخية و هذا المنهج يقوم على جمع المعلومات من مصادرها الأصلية و تحليلها من خلال جزئياتها وصولاً الى احكام كلية

ضبطت كل الآيات القرآنية بالشكل على ما يوافق رواية حفص (٢) عن عاصم . (٣)

خرجت كل الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية مشيراً إلى اسم الكتاب و الباب و رقم الحديث و الصفحة .

أما الآثار عن الصحابة فإني اكتفيت في غالب الأحيان على الكتب التي أشارت ، إليه سواء أكانت كتب تفسير أو فقه أو حديث أو ادب .

(٢) هو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز الكوفي يكنى ابا عمرو قرأ على عاصم وروايته مشهورة في معظم أرجاء العالم الإسلامي توفي سنة ١٨٠ هـ غاية النهاية ج ١١ ٢٥٤
(٣) هو ابو بكر عاصم بن ابي النجود الأسيدي الحناتي كان مولى لبني خزيمة بن مالك بن النضر هو تابعي روى عن ابي رمثة الصحابي وأبى عبد الرحمن السلمي روى عنه حفص بن سايمان و شعبة وكان افصح الناس بالقراءة و اوثقهم في الرواية وهو شيخ القراء في الكوفة و احد القراء السبعة ملت سنة ١٢٧ هـ غاية النهاية ج ١١ ٣٤٦

ز

ترجمت لمعظم الأعلام الواردة في البحث .

خطة البحث:

الإهداء

كلمة الشكر

المقدمة

الفصل الأول: تاريخ الأدب العربي.

المبحث الأول: مفهوم الأدب.

المطلب الأول: تعريف الأدب.

المطلب الثاني: علوم الأدب.

المطلب الثالث: المؤثرات العامة في الأدب.

المطلب الرابع: الميادين الأدبية.

المبحث الثاني: تاريخ الأدب.

المطلب الأول: الأدب قبل الإسلام.

المطلب الثاني: الأدب في الإسلام.

الفصل الثاني: الفلسفة وأثرها في الأدب.

المبحث الأول: ظهور الفلسفة.

المطلب الأول: تعريف كلمة فلسفة.

المطلب الثاني: تاريخ الفلسفة.

المطلب الثالث: العرب قبل دخول الفلسفة عليهم.

المبحث الثاني: الفلسفة في العصر العباسي.

المطلب الأول: صورة المجتمع العباسي.

المطلب الثاني: تأثير المجتمع العباسي بالمجتمعات الأخرى.

المبحث الثالث: المدارس الفلسفية في العصر العباسي.

المطلب الأول: مدرسة إخوان الصفاء.

المطلب الثاني: المعتزلة.

المطلب الثالث: مدرسة الغزالي في الفلسفة.

المبحث الرابع: أثر الفلسفة على الأدب في العصر العباسي.

المطلب الأول: أثر الفلسفة على الأدب.

المطلب الثاني: أشهر الأدباء الفلاسفة في العصر العباسي.

الفصل الثالث: أثر التصوف على الأدب العربي في العصر العباسي.

المبحث الأول: ظهور التصوف.

المطلب الأول: معنى التصوف.

المطلب الثاني: تاريخ التصوف.

المبحث الثاني: تأثير الفكر الصوفي بالنظريات الفلسفية.

المطلب الأول: أشهر النظريات الفلسفية في الفكر الصوفي.

المطلب الثاني: أشهر المتصوفة الفلاسفة في العصر العباسي.

المبحث الثالث: أثر التصوف على الأدب في العصر العباسي.

المطلب الأول: أثر التصوف على الأدب.

المطلب الثاني: الشعر الصوفي.

المطلب الثالث: أشهر الشعراء المتصوفة في العصر العباسي.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

تاريخ الأدب

المبحث الأول مفهوم الأدب

المبحث الثاني الأدب قبل الإسلام

المبحث الثالث الأدب في صدر الإسلام

المبحث الرابع الأدب العصر العباسي

المبحث الأول

مفهوم الأدب

المطلب الأول : تعريف الأدب

المطلب الثاني : علوم الأدب

المطلب الثالث : المؤثرات العامة في الأدب

المطلب الرابع : الميادين الأدبية

المطلب الأول

تعريف كلمة أدب

دلت مادة الأدب في الغالب علي معنيين مختلفين، ولكنهما مع ذلك متقاربان:

الأول: رياضة النفس بالتعليم ، والتمرين على ما يستحسن من السيرة و الخلق .

الثاني: التأثير بهذه الرياضة والانتفاع بها ، واكتساب الأخلاق الكريمة ، واصطناع السيرة الحميدة^(١). فالأب الذي يأمر ابنه بالخير، و ينهاه عن الشر ، ويحمله على ما يستحسن ، ويرده عما يكره ، مؤدب لابنه ، و الابن متأدب بأدب أبيه.

تقلبت هذه الكلمة في العربية على ثلاثة أدوار لغوية ، تتبع ثلاث حالات من أحوال التاريخ الاجتماعي ، فهي لم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الإسلام إلا بما يؤخذ من معناها النفسي الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع ، و المناسبة بين أجزاء النفس في استوائها علي الجملة ، وكل ما هو من هذا الباب ومنه الحديث الشريف: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)^(٢)، و ذلك كان توسعاً منهم في أصل مدلول الكلمة الطبيعي ، على ما هو معروف من أمرهم على اشتقاق اللغة، و انتزاع بعضها من بعض، فإنهم يقولون : أدب القوم بأدبهم أدباً إذا دعاهم إلى طعام يتخذه^(٣) ، والقوم أهل بادية مقفرة تأكل فيها الشمس حتى ظلها ، وتشرب نسيمها وطلها، فإذا هلك فيها الزاد هلك حامله ، وإذا لم يدفع عن نفسه بأسلحة فمه فالجوع

(١) تاريخ الأدب العربي د/ عمر فروخ ج/٣ / ١١٥

(٢) وقال ابن الاثير في النهاية وقد عرف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب لسانا حتى قال له علي رضي الله عنه وقد سمعه يخاطب وفد بني نمر يا رسول الله نحن بنو اب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره فقال ادبني ربي فأحسن تأديبي فكان عليه الصلاة والسلام يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم بما يفهمونه فكان الله عز وجل قد اعلمه ما لم يكن يعلمه غيره وكان اصحابه يعرفون اكثر ما يقوله وما جهلوه سالوه عنه فيوضحه لهم واستمر آلاف إلى حين وفاته عليه الصلاة والسلام انظر ابجد العلوم ٣٨٧/٢، صديق بن حسن القونجي تحقيق عبد الجبار زكار بيروت دار الكتب العلمية ١٩٧٨م

(٣) انظر كتاب العين - الخليل بن احمد الفراهيدي - دار الهلال بيروت لبنان، ج ١/٦٠

قاتله ، ولذلك اتمدحوا من أقدم ازمنتهم بالقرى ، وعدوه من أعظم مفاخرهم ، لأنه شريعة الطبيعة التي أدبتهم هذا الأدب ، بل هو شعرها في أخلاقهم ، إذ ارتقي بعد ذلك بارتقاء الشعر حتى تخرقوا فيه ، كما تؤثر عن كرمائهم واجوادهم مما استوعبته كتب المحاضرات.

فلما كان هذا الخلق مظهر الخير الصالح فيهم، وحقيقية الأدب الطبيعي منهم وارقى معاني الإنسانية عندهم ، لأنه ليس وراء إمساك الحياة على الحي غاية - توسعوا فيه بمقدار ما بلغوا من رقي الآداب ، وجعلوه تعريفاً نفسياً ، ولا بد أن يكون ذلك بعد أن ارتقوا في اجتماعهم واشتبكت العلائق بينهم ، حتى أخذت الفطرة الطبيعية تمتزج في أكثرهم بما يخالطهم من صنعة الاجتماع، وكان ذلك سبباً في انتباههم إلى هذا الوضع ، لأن الأدب علي اختلاف معانيه إنما هو رد النفس إلى حدود مصطلح عليها اصطلاحاً وراثياً.

ثم لما جاء الإسلام ووضعت أصول الآداب ، واجتمعوا على أن الدين أخلاق يتخلق بها فنشبت الكلمة ، حتى إذا نشأت طبقة المعلمين لعهد الدولة الأموية أطلق على بعض هؤلاء لفظ المؤدبين ، وكان هذا الإطلاق توسعاً ثانياً في مدلول الأدب ، لأنه اكتسب معنى علمياً إذ صار أثراً من آثار التعليم.

ثم استفاضت الكلمة وكانت مادة التعليم الأدبي قائمة بالرواية من الخبر، و النسب، والشعر، واللغة ونحوها، فأطلقت على كل ذلك، ونزلت منزلة الحقائق العرفية بالإصلاح، وهذا الدور الثالث في تاريخها اللغوي، وهو أصل الدلالة التاريخية فيها.

قال ابن خلدون^(١) في حد الأدب: (هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجابة في المنظوم و المنثور ، على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي من الاشيلي من ولد وائل بن حجر فيلسوف علم الاجتماع عند العرب ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ - ١٣٣٢م، تنقل في أماكن عديدة في بلاد الأندلس وشمال أفريقيا ثم انتقل القاهرة ، حيث تولي قضاء المالكية فيها وهناك توفي سنة ٨٠٨هـ - ١٤٠٦م ، اشتهر كتبه (العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ

العرب ما تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجابة،
ومسائل في اللغة و النحو ، مبنوثة أثناء ذلك ، متفرقة يستقرئ منها الناظر في
الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أئمة العرب ليفهم به ما يقع في
أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة ، و الأخبار العامة ، و
المقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب وأساليبهم
ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه . ثم انهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا : الأدب هو
حفظ أشعار العرب و أخبارهم و أخذ من كل علم بطرف (١) .

إن كل ما عدوه من موضوع الأدب إنما هو مادة الرواية ، وعلي ذلك لا يكون
معنى الأدب الاصطلاحي جاهليا .

روى صاحب(٢) العقد الفريد في باب الأدب من كتابه كلمة اسنדהا لعبد الله
بن عباس - رضي الله عنهما - وهي قوله : (كفاك من علم الدين أن تعلم ما
لا يسع جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل) (٣).

مقتضى ذلك أن علم الأدب كان بالغاً من الاتساع في عهد ابن عباس حتى
صار أقل ما لا يسع جهله منه رواية الشاهد و المثل للقرآن و العربية ، ولكن
الصحيح أن الكلمة لمحمد بن علي بن عبد الله ابن عباس^٤ ، كما اسنדהا إليه
الجاحظ في كتاب البيان(٥) ومما يرجح فساد تلك النسبة إلى ابن عباس الحلال

العرب و العجم و البربر) وتعتبر مقدمته أهم أعماله في مجال علم الاجتماع. انظر ترجمته في :
نفع الطيب ٤/٤١٤ ، الضوء اللامع ٤/١٤٥ .

(١) انظر مقدمة ابن خلدون طبع المكتبة العصرية ط/١ ص ٤١٢

(٢) هو : احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، أبو عمر ، الأديب الإمام
صاحب (العقد الفريد) ولد في قرطبة سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م حيث توفي مفلجاً سنة ٣٢٨هـ
وفيات الأعيان ١/٣٢ ، يتيمة الدهر للثعالبي ١/٣٦٠ و ٤٧٢ .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي - دار الكتب العلمية بيروت ط/١ سنة ١٩٨٢م ج ٦ / ٧١

(٤) محمد هذا هو أصل الدولة العباسية ، لأنه أبوالسفاح أول الخلفاء العباسيين

(٥) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ، دار صعب بيروت بدون تاريخ ج ١ / ٢٠

والحرام، و العربية، و الأنساب ، والشعر ولو كان لفظ الأدب معروفاً يومئذ لاكتفى به ، وطوى فيه الثلاث ، فالكلمة إذن من موضوعات القرن الثاني، أي بعد أن بلغت الدولة الأموية مبلغها من المجد العربي.

أما في القرن الأول فقد كانوا يسمون ما يقرب من ذلك بـ (علم العرب) كما ذكره المسعودي^(١) إذ نقل حديثاً تصادر عليه ابن عباس وصعصعه بن صوحان^(٢) وفيه أن ابن عباس بعد أن سأل الرجل عن قومه، وعن الفارس فيهم ونحو ذلك مما يتعلق بالأيام والمقامات قال: أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب والباقر المتبحر في العلم، وما كان الأدب الاصطلاحي بأكثر من هذا العلم.

وبعد أن عرفت حدود الأدب في القرن الثاني، و اشتهرت ، بقيت لفظة الأدباء خاصة بالمؤدبين، لا تطلق علي الكتاب و الشعراء ، و استمرت لقباً على أولئك إلى منتصف القرن الثالث ، ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة (حرفة العرب) واول من قالها الخليل بن أحمد^(٣) ، وذلك قوله كما نقله عنه الثعالبي^(٤): (حرفة العرب)

(١) : أبو الحسن المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبد الله بن مسعود ، مؤرخ رحاله بحائه ، ولد في بغداد ، وأقام في مصر حي توفيه سنة ٣٤٦هـ - ٩٧٥م. من مؤلفاته (مروج الذهب) و (أخبار الزمان و من أدباء الحدثان) و (التتبه و الإشراف) انظر ترجمته في / طبقات الشافعية ٣٠٧/٢ ، النجوم الزاهرة ٣/٣١٥.

(٢) هو صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي : من سادات عبد القيس من أهل الكوفة مولده في داريين (قرب القطيف) كان خطيباً بليغاً عاملاً له شعر. شهد (صفين) مع علي ، وله مع معاوية مواقف . مات في البحرين سنة ٥٦هـ - ٦٧٦م انظر ترجمته في : الاصابة ، ت ٤١٢٥ ، تاريخ الكوفة ٤٦.

(٣) هو الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي من ائمة الادب و اللغة واضع علم العروض اخذ من الموسيقى وهو استاذ سيبويه ولد سنة ١٠٠هـ و كانت وفاته سنة ١٧٠هـ له كتاب اول معجم عربي علي مخارج الحروف. انباه الرواة ٣٤١/١ وفيات الاعيان ١٧٢/١

(٤) هو : ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي : من ائمة اللغة و الادب من اهل نيسابور ولد سنة ٣٥٠هـ - ٩٦١م ، كان يخيظ جلود الثعالب فنسب الي صناعته واشتغل

آفة الأدباء) ، لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ، و لا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة وذلك حقيقة معنى الحرفة على إطلاقها . فلما فشلت أسباب التكسب بين الشعراء في القرن الثالث ، وبطلت العصبية التي كانت تحمل معنى سياسياً فاتخذوه حرفة^(١) يكدحون بها ، وجعلوه مما يتذرع به إلى أسباب العيش ، من جائزة خليفة، أو منادمه أمير ، انتقل إليهم لقب الأدباء ، للمناسبة بين الفئتين في الحرفة ، ولم يلبثوا أن استأثروا به لتوسعهم في تلك الأسباب.

ثم جاء ابن بسام^(٢) فنبت الحرفة نبذاً، وأخرجها عن وضعها اللغوي إلى معنى مجازي غلب على حقيقتها واستبد بها ، فأرسلها مثلاً ، وذلك فيما رثي به عبد الله بن المعتز^(٣) حين قتل ودفن في خربة بازاء داره بعد عزة الملك إذ يقول:

الله درك من ميت بمضيعة ناهيك في العلم و الآداب و الحسب
ما فيه لو لا ليت فتنقصه لكما أدركته (حرفة العرب)

وهذا هو أصل الكلمة التي تناقلها الأدباء ، واعتبرها الشعراء ميراثاً دهرياً إلى اليوم ، وإنما تناولها ابن بسام من لغة العامة ، ثم صارت الآداب من يومئذ تطلق

بالادب والتاريخ توفي سنة ٤٢٩هـ-١٠٣٨ من أشهر مؤلفاته يتيمة الدهر) (فقه

اللغة) (المقصور والمدود) انظر شذرات الذهب ٢٤٦/٣ وفيات الاعيان ٢٩٠/١

(١) يقال : احرف الرجل احرافا ، اذا نما ماله وكثر ، و الاسم الحرفة من هذا المعنى ، قال قطرب : و الحرفة عند الناس : الفقر وقلة الكسب وليست من كلام العرب ، انما تقولها العامة. انظر لسان العرب ج ٩ / ٤٢

(2) هو : علي بن محمد بن نصر بن منصور ابو الحسن ويقال البسامي : شاعر هجاء ، من الكتاب عالم بالادب و الاخبار ولد في بغداد سنة ٢٣٠هـ - ٨٣٣ وفيها توفي سنة ٣٠٢هـ- ٩١٤م من كتبه : (اخبار عمر بن ابي ربيعة) (أخبار الاحوص) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٦٣/١٢ ، وفيات الاعيان ٣٥٢/١

(3) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ، ابو العباس : الشاعر المبدع خليفة يوم ولية ولد في بغداد سنة ٢٤٧هـ - ٨٦١م وقتل سنة ٢٩٦هـ- ٩٠٩م من كتبه : (البديع) (طبقات الشعراء) انظر ترجمته في الاغاني (طبعة دار الكتب) ٣٧٤/١٠ ، تاريخ بغداد ٩٥/١٠

أيضاً على فنون المنادمة وأصولها ، و ذلك جاءها من طريق الغناء ، إذ كانت تطلق عليه في القرن الثالث ، لأنه بلغ الغاية من أحكامه أفردت له الدواوين من مختارات الشعر ، وكانوا يعتبرون معرفة النغم وعلل الأغاني من أرقى فنون الآداب ، وفيها وضع عبد الله بن طاهر (١) من ندماء الخليفة المعتضد بالله (٢) كتابه (الآداب الرفيعة) لذلك قال ابن خلدون (أن الغناء في الصدر الأول كان من جزأ من فن الأدب ، وكان الكتاب و الفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه.

وقد ألف كشاجم (٣) الشاعر الرقيق الذي كان طباطبا سيف الدولة ابن حمدان كتابه النديم أودعه ما لا يستغني عنه شريف ، ولا يجوز أن يخلى به ظريف ، وهو مطبوع مشهور ، وعلى هذه الجهة قال أبو القاسم إسماعيل بن احمد الشجري : من شعراء القرن الرابع أيضاً ، وقد جمع (حرفة الآداب) أن شئت في الآداب منزلتي وانني قد عداني العز و النعم

(1) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين ابن الحسين بن مصعب الامير العادل ابو العباس حاكم خراسان وما وراء النهر وتادب وتفقه وسمع من وكيع وجماعة وروي عنه بن راهويه وجماعة له يدفي النظم والشعر قلده المامون مصر وافريقية وكان ملكا مطاعا سائسا مهيبا جوادا ولما مرض تاب وكسر الملاهي توفي بالخاتون سنة (٢٣٠هـ) وله ثمان واربعون سنة تاريخ الطبري ٦١٣/٩ تاريخ بغداد ٤٨٣/٩ الكامل لابن الاثير ١٤/٧

(2) هو : أحمد بن طلحة بن جعفر بن المتوكل ، ابو العباس المعتضد بالله ، ولد في بغداد سنة ٢٤٢هـ - ٨٥٧م اعان ابيه ايام خلافة المعتمد فاطهر بسأله ودراية في حروبه مع الزنج و الاعراب وهو في شرح الشباب بويح له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩هـ - فقام بامور الخلافة خير قيام وقمع ثورة الزنج واعاد الي الخلافة هيبتها توفي في بغداد سنة ٢٨٩هـ - انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤٠٣/٤ ، الاغاني طبعة دار الكتب ٤١/١٠ .

(3) هو : محمود بن محمد بن الحسين ابن السندي بن شاهك ابو الفتح الرملي فارسي الاصل ولد في الرملة شاعر واديب من كتاب الانشاء عمل في حلب لدي سيف الدولة ، توفي سنة ٣٦٠هـ - ٧٩٠م انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم: ١٣٩ ، شذرات الذهب ٣٧/٢ .

فالطرف والسيف والاهواق^(١) تشهد لي والعود والنزد والشطرنج و القلم
وكل ذلك إنما كان في تاريخ المتمدنين، أما الأعراب فلم يجر عليهم حكم الأدب
، ولم يتناولوا الكلمة اصطلاحاً ، وإنما اتخذ بعضهم لقب الأديب يمتدح به على
جهة تنشأ عنه معانى اللغة الحضرية التي تقابل في طباعهم الجفاء ولوثة الأعراب
كقول بعضهم كما انشده الجاحظ الطويل

واني علي ماكان من عنجهيتي^(٢) ولوثة^(٣) أعرابيتي لأديب

ولم ينتصف القرن الرابع حتى كان لفظ (الأدباء) قد زال عن العلماء جملة ، وانفرد
به بمزيتة الشعراء ، و الكتاب في الشهرة المستقيضة لاستقلال العلوم يومئذ
وتخصص الطبقات بها ، على ما كان من ضعف الرواية ونضوب مادتها حتى قالوا
(ختم تاريخ الأدباء بثعلب)^(٤) و المبرد^(٥) ، وكانت وفاة المبرد سنة ٢٥٨ و ثعلب
سنة ٢٩١ ، فيكون ختام تاريخ الأدباء (أي المعلمين) في أواخر القرن الثالث ،
ومن يومئذ أخذ الأدب يتميز عن علم العربية بعد أن كانوا يعدون الأدباء أصحاب
النحو والشعر، وإن كان ذلك بقي موضوع علم الأدب ، ومن هذا أنه لما وضع
علي بن الحسين المعروف بالباخرزي^(٦) كتابه (دمية القصر) الذي جعله ذليلاً على

(١)الطرف : الكريم من الخيل. هو الاهواق : جمع وهق قال الليث : هو الحبل المعار يرمي في
انشوطته فتؤخذ به الدابة و الانسان .

(٢)العنجهية : الحمق و الجهل.انظر لسان العرب ج ١٢ / ٥١٢ العنجهية : الحمق و
الجهل.انظر لسان العرب ج ١٢ / ٥١٢

(٣)واللوثة: الهيج والحمق ايضا، والمراد بكل ذلك جفاء الاخلاق لسان العرب ج ٢ / ١٨٦ .

(٤)هو احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني الولاء امام الكوفيين في عصره في النحو

واللغة(٢٠٠-٢٩١هـ) ولد في بغداد انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢٠٤/٥ بغية الوعاة ١٧٢

(٥)هو : محمد بن يزيد عبد الاكبر الشمالي الازدي ابو العباس امام البصريين في النحو و
اللغة ، ولد وتوفي بالبصرة (٢١٠ - ٢٧٣هـ) تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠ ، بغية الوعاة ١١٦ .

(٦)هو : علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخري ابو الحسن من اهل باخرز (من
نواحي نيسابور) قام برحلة واسعة في بلاد فارس و العراق قتل في مجلس انس في باخرز سنة
٤٦٧هـ - ١٠٧٥م . وفيات الاعيان ١/ ٣٦٠ ، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٧ .

اليتيمة للثعالبي، عقد فيه رسماً في الأدب قال في أوله: هؤلاء قوم ليس لهم في
دواوين الشعر رسم، ولا في قوانين الشعر اسم، ثم ترجم لطائفة من
علماء اللغة كأبي الحسين بن فارس^(١) صاحب فقه اللغة وابن جني^(٢) النحوي ،
و الجوهري^(٣) صاحب الصحاح ، فدل صنيعة علي أن الشعراء يومئذ كانوا هم
المستبدين بلقب الأدباء ، ولا يزالون على ذلك إلى يوم ما شاء الله لأن معني الأدب
قد استحجر فعاد لغويًا ، كأنه كذلك في أصل الوضع متجهة الدلالة به علي
الشعراء والكتاب^(٤) .

-
- (١) هو : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي : من أئمة اللغة و الادب ولد سنة ٣٢٩ هـ -
٩٤١ م وتوفي في الري سنة ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م من تصانيفه العديدة (مقاييس اللغة) (الصاحبي)
انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٣٥/١ ، يتيمة الدهر للثعالبي ٣/٢١٤ .
- (٢) هو : ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، ائمة الادب و النحو تلميذ ابي علي الفارسي ولد
بالموصل وتوفي في بغداد سنة ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م من كتبه العديدة : (الخصائص) (المحتسب)
انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٣٠٣/١ شذرات الذهب ٣/٤٠١ .
- (٣) هو ابونصر اللغوي اسماعيل بن حماد الجوهري من اهل الفاراب من بلاد الترك اخذ عن
ابي علي الفارسي وغيره وكان اماما في النحو واللغة وخطه يضرب به المثل في الجودة
مات سنة ٣٩٨ هـ ، الاعلام ج ٣١٣/١ اشارة التعيين ص ٥٥ ، انباء الرواة ١٩٤/١ الاعلام
١١٢/١ - بغية الوعاة ١/٤٤٦ - تذكرة النحاة ص ٣١٢
- (٤) وكذلك الف الرزديقي القيرواني توفي سنة ٤٧٩ في تراجم اللغويين و النحاة كتابا سماه (شجرة
الذهب في معرفة ائمة الادب) و كتاب (طبقات الادباء) في التراجم

المطلب الثاني

علوم الأدب

كان الأدب يطلق في البداية على مجموع المؤدبين ، فلما أرادوا تعيين هذه العلوم ، نظروا في غرض الأدب فجعلوا له غرضين :
أحدهما : يقال له الغرض الأدنى. وهو أن يحصل للمتأدب بالنظر في الأدب و التمهـر فيه قوة ، يقدر بها على النظم و النثر .و الثاني : الغرض الأعلى. وهو أن يحصل للمتأدب قوة على فهم كتاب الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، وصحابته ، ويعلم كيف تبني الألفاظ الواردة في القرآن و الحديث بعضها على بعض ، حتى تستنبط منها الأحكام ، وتفرع الفروع ، ، وتقرنت القرائن على ما تقتضيه معاني كلام العرب ومجازاتها.

قال البطليموسي^(١): و الشعر عند العلماء أدنى مراتب الأدب. ثم نظروا في تعيين العلوم التي تقتضي إلى هذه المقاصد، فاختلّفوا فيها، ولكنها في الجملة كانت علوم العربية ، ولم يعينها أحد إلى أواخر القرن الخامس، فلما أنشئت المدرسة النظامية ببغداد التي أنشأها نظام الملك^(٢) اختار لتدريس الأدب فيها أبا زكريا الخطيب التبريزي^(٣) وهو من أئمة اللغة و النحو، ثم بعده علي بن أبي زيد

(١) هو: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ابواسحاق البطليموسي ، الملقب بالاعلم : من اهل بطليوس بالاندلس له شروح علي الايضاح للفارسي والجمال للزجاجي والكامل للمبرد و الامالي للقالبي توفي سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٤٠ م ، تكلمة الصلة : القسم ١ / ٢٠٧ ، بغية الوعاة : ١٨٥ .

(٢) هو: الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، ابو علي الملقب بقوام الدين نظام الملك ، اصله في نواحي طوس ولد سنة ٤٠٨ هـ وزير حازم ، محب للعلم ، أنشأ النظامية في بغداد اغتاله رجل من الديلم سنة ٤٨٥ هـ ، وفيات الاعيان ١ / ١٤٣ ، البداية و النهاية ١٠ / ٧٠ .

(٣) هو : يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي ، ابو زكريا : من أئمة اللغة و الادب اصله من تبريز ولد سنة ٤٢١ هـ - ١١٠٩ م من كتبه (شرح ديوان الحماسة لابي تمام ، تهذيب اصلاح المنطق لابن السكيت): دمية القصر : ٦٨ ، وفيات الاعيان ٢ / ٢٣٣ .

الفصحي^(١) ، وكان نحوياً ثم عزل ، لتهمة التشيع بأبي منصور الجوالقي^(٢) ، وتعاقب هؤلاء المدرسين جعل للأدب موضعاً معيناً لا يزال مقررّاً عند العلماء إلى آخر القرن السادس علي ما ذكره ابن الانباري^(٣) في طبقاته ، فإنه لما ترجم لهشام بن محمد بن السائب الكلبي^(٤) قال : (إنه كان عالماً بالنسب ، وهو أحد علوم الأدب ، فلذلك ذكرناه في جملة الأدباء ، فإن علوم الأدب ثمانية: النحو، و اللغة ، و التصريف ، و العروض ، و القوافي، و صنعة الشعر ، وأخبار العرب وأنسابهم ، ثم قال : ألقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما وهما علم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحو .

إلا أن الزمخشري^(٥) أراد أن يجعل للأدب حداً علمياً من الحدود الجامعية

(١) ابو الحسن علي بن ابي زيد بن محمد بن علي النحوي المعروف بالفصحي الاسترأبادي اخذ النحوعن عبد القاهر صاحب الجبل الصقري تبحر فيه حتي صار اعرف اهل زمانه وقد قدم بغداد واستوطنها درس فيها النحو بالمدرسة النظامية مدة وانتفع به خلق كثير ومن جملة من اخذ عنه ملك النحاة الحسن بن صافي وروي عنه ابو طاهر السلفي توفي يوم الاربعاء ثالث عشر ذي الحجة عام (٦١٦هـ) شذرات الذهب ٧٠/٥

(٢) هو: موهوب بن أحمد بن الخضر بن الحسن ، ابو منصور ابن الجوالقي ، ولد في بغداد سنة ٤٦٦هـ ، وبها توفي سنة ٥٤٠هـ - عالم الادب و اللغة ، من كتبه (المعرب) (شرح ادب الكتاب) ، انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ١٤٢/٢ ، بغية الوعاة : ٤٠١ .

(٣) هو : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانصاري ، ابو البركات ، كمال الدين : ولد سنة ٤١٣هـ ١١١٩م ، توفي في بغداد سنة ٥٧٧هـ - ١١٨١م من علماء اللغة و الادب وتاريخ الرجال . من كتبه : (نزهة الالباء في طبقات الادباء) (الانصاف في مسائل الخلاف) ، انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٢٧٩/١ ، بغية الوعاة : ٣٠١ .

(٤) هو: هشام بن محمد ابي النضر بن السائب بن بشر الكلبي ، ابو المنذر : مؤرخ عالم بالانساب و اخبار العرب و ايامها كأبيه كوفي ، توفي في الكوفة سنة ٢٠٤هـت - ١١٩م ، زادت مؤلفاته علي مائة وخمسين منها (الاصنام) (نسب الخيل) ، انظر : ترجمته في : في الفهرست لابن النديم ٩٥/١ ، تاريخ بغداد ٤٥/١٤

(٥) هو : محمود بن عمر بن محمد بن احمد الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، ابو القاسم ولد في زمخشر سنة ٤٦٧هـ - ١٠٧٥م من قري خوارزم ، سافر الي مكة فجاور هناك ، معتزلي

المانعة على طريقة المتكلمين ، فعرف علوم الأدب بأنها علوم يحترز بها عن الخلل في كلام العرب لفظاً، وكتابةً ، وجعلها اثني عشر ، منها أصول ، لأنها العمدة في ذلك الاحتراز

وهي: اللغة، والصرف ، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان، و البديع، وجعلوه ذيلًا لعلمي المعاني و البيان داخلا تحتها ، و العروض و القوافي.(١)

وهذا التقسيم هو المعروف عند العلماء إلى اليوم.

وقال صاحب نفع الطيب (أن علم الأدب في الأندلس كان مقصوراً على ما يحفظ من التاريخ ، و النظم ، و النثر، ومستظرفات الحكايات ، قال : وهو أنبل علم عندهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل)(٢).

المذهب توفي سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٤م ، من كتبه : (الكشاف ، اساس البلاغة) ، انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٨١/٢ ، معجم الادباء ١٤٧/٧ .

(١) اساس البلاغة - محمود بن عمر الزمخشري - دار الفكر بيروت لبنان بدون تاريخ ص ٦٥

(٢) نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب - احمد بن

محمد المقري التلمساني - دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة ١٩٨٦م ج ١ / ١٦٠

المطلب الثالث

المؤثرات العامة في الأدب

الأدب كله علي اختلاف أنواعه وفنونه مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية ، فهو يخضع لما تخضع له هذه الحياة من المؤثرات المختلفة التي لا تكاد تحصى ، و التي نعرف بعضها ونجهل بعضها الآخر ، على أن منها طائفة يحسن أن نلم بها لأنها تعيننا على فهم الأدب وتذوقه ورده إلي أصوله وتفسيره أحيانا .

فمن أهمها الاستعداد الفطري الذي تصاغ عليه هذه الأمة أو تلك ، فهناك أمة قد جلبت علي دقة الحس ورقة الشعور ، وذكاء القلب ، وصفاء الطبع ، فهي تنتثر بما بها من مظاهر الطبيعة ، وما يللم بها من الأحداث ، وهي تصور تأثرها في الشعر في النثر ، وقد يكون حظها من الشعر أعظم وقد يكون حظها من النثر اعظم وقد يتاح لها النجاح في هذين الفنين .

وهناك أمة لم يتح لها من ذلك كله إلا أقله و أيسره ، فهي قليلة الحظ من الإنتاج الأدبي، وربما لم يكن لها من هذا الإنتاج حظ يذكر، فالأمة العربية قد منحت من هذه المواهب حظا عظيما فكانت أمة شاعرة ممتازة في الشعر ثم أتيح لها الرقي وأخذت بحظها من الحضارة فظهر فيها النثر الفني، واتيح لها منه حظ حسن .

و الأمة اليونانية قد منحت من هذه الواهب حظاً ممتازاً ، فبرعت في الشعر و النثر جميعاً ، و الأمة الرومانية قد منحت من هذه المواهب حظاً وسطاً ، فلم تبرع في الشعر ولا في النثر إلا حين قلدت اليونان ، وتكفلت فنونهم ، وقد أتيحت لها مواهب أخرى هيأتها للنبوغ في الحرب ، و السياسة، و النظام ، و التشريع ، بل قد يختلف حظ الأمة نفسها من هذه المواهب ، فيختلف حظها من الإنتاج الأدبي .

فالبراعة الأدبية في الشعر و النثر لم تتح للعرب جميعاً ، وإنما أتيحت للعدنانيين منهم أكثر مما منحت للقحطانيين من أهل الجنوب ، وهذه البراعة لم تتح لليونان جميعاً ، وإنما أتيحت لليونانيين منهم دون الدوريين ، وهناك أمم يتاح لها

السبق في لون بعينه من ألوان الأدب فتبرع في الشعر وفي النثر دون الشعر أو في هذا الفن من فنون الشعر و النثر دون غيره من الفنون.

ثانياً: ومنها الإقليم الذي يعيش فيه الشعب ، فقد يكون هذا الإقليم صحراويًا وقد يكون جبليًا ، وقد يكون سهلاً ، وقد تجري فيه الأنهار ، وقد يكون قريباً من البحر ، وكل هذه الصفات تؤثر في الحياة المادية و المعنوية للشعوب التي تعيش في هذه الإقليم ، فليس من شك في أنها تؤثر فيما تنتجه هذه الشعوب من الآثار الأدبية شعراً ونثراً ، فشعر الأمة العربية قبل أن تخرج من جزيرة العرب متأثر أشد التأثر بالبيئة الطبيعية الخشنة التي كانت تعيش فيها هذا الأمة ، فأنت ترى فيه وصف الصحراء و السراب و الإبل أكثر مما ترى أدب شيء آخر ، فلما اثبت العرب في الأقاليم المختلفة بعد الفتح الإسلامي تأثرت آدابهم بهذه الأقاليم.

فكان شعر العراق غير شعر جزيرة العرب ، وكان شعر مصر غير شعر العراق وكان شعر الأندلس غير هذا وذلك . و انتج واحد من كل لون من ألوان هذا الشعر^(١). صوراً واضحة للإقليم الذي نشأ فيه ولكنك في الوقت نفسه واجد آثار متصلة لنشأة الشعر العربي الأولى في بيئة الصحراء.

وكذلك الشعر اليوناني نشأ في بلاد اليونان الآسيوية ، وفي جزر أيجاد فتأثر الإقليم ثم انتقل إلي بلاد اليونان الأوروبية فتأثر بإقليمها ، ثم انبث في الشرق بعد فتوح الاسكندر بالإقليم المختلفة التي استقر فيها ، ولكنه احتفظ دائماً ببعض الآثار للإقليم الذي نشأ فيه.

ثالثاً: ومنها الحضارة التي تنقل الشعوب من طور إلى طور تعلمها الاستقرار و النظام وتتيح لها من الترف و السهولة ما لم يكن لها به عهد ، فترك في حياتها المادية و المعنوية آثاراً لا تحتاج إلى أن تدل عليها وآثارها في الشعر و النثر و الإنتاج العقلي بوجه عام واضحة بينة ، فالمعاني التي تخطر للمتحضرين غير المعاني التي تخطر لأهل البادية ، و الأغراض التي يقصد إليها المتحضرون غير

(١) التوجيه الأدبي - طه حسين ص ١٠

الأغراض التي يقصد إليها أهل البادية ، والألفاظ التي يؤدون بها معانيهم وأغراضهم تلائم حياتهم المتحضرة ليئاً ، ورقة ، وعضوبة ، كما تلائمها دقة ووضوحاً ، وحسن استقصاء ، ومن هنا كانت الفروق عظيمة جداً بين شعر العرب بعد أن تحضروا في العراق ، و الشام ، ومصر ، و الأندلس وقبل أن يتحضروا في باديتهم في الحجاز ونجد ، ومن هنا كانت الفروق بين شعرهم عظيمة ، حيث كانت حضارتهم مزدهرة وراقية ، وشعرهم بعد أن انحطت الحضارة الإسلامية العربية حيث تغلب الترك والتتار .

ومن هنا أيضاً عاد إلى أدب العرب شئ من الرونق و الجمال ، ومن الرقي بوجه عام حين أخذت الحضارة تنمو وتزدهر (١).

رابعاً: وهناك لون من ألوان الحضارة خاصة : هو انتشار العلم ، فإن له في حياة الأدب تأثيراً ظاهراً ، لأنه يبسط سلطان العقل ، ويجعل مادته غريزة وتفكيره دقيقاً عميقاً ، فيتغير تصور الأشياء والحكم عليها ، و التأثير بها ويتغير من اجل ذلك تصويرها و التعبير عنها ، ونشأت عن ذلك تنوع في الفنون الأدبية ، فتظهر فنون لم تكن معروفة وتندثر فنون كانت مزدهرة شائعة ، بل قد يختلف تأثير انتشار العلم في الأدب باختلاف ما يكون له من مدى ، فانتشار العلم في العصور القديمة كان نسبياً مقصوراً على طائفة بعينها من أصحاب الثراء ، وأوساط الناس ، فكان الأدب ارسنقراطياً أو كالأسنقراطي ، فأما العصور الحديثة حين أبيع العلم للناس جميعاً ، وحين تأثرت به الطبقات المختلفة في الشعوب فقد أصبح الأدب ديمقراطياً شعبياً ، وأخذ الأدباء يفكرون حين ينشئون في طبقات من الناس لم يكن بفكر فيها أصلاً ، أنها لم تكن مهياًة لتلقي العلم أوالمشاركة فيه.

خامساً: ومنها الدين الذي هو قوام الحياة النفسية للشعوب ، فهو مؤثر في كل ما يصدر عنها من آثار مادية أو معنوية ويكفي أن تنظر إلي الآثار الفنية المادية التي ينتجها التأثير بالدين كالمعابد والمساجد و الكنائس و الصور و التماثل لتعلم أن تأثر

(١) التوجيه الادبي طه حسين ص ١٨

الدين في الحياة الفنية لا يمكن إلا أن يكون قويا عميقا وهناك فنون أدبية قد أنتجها الدين ولولا تأثيره لما وجدت فالأدب التمثيلي مثلا اثر من آثار بعض الديانات اليونانية علي انه ارتقي وتطور حتى اصبح فنا مستقلا يقصد لنفسه و الأدب الصوفي الذي نراه عند اليونان وعند المسلمين وعند كثير من الأمم و المسيحية اثر من آثار الدين ، وفي الأدب اليومي العادي آثار دينية ظاهرة تجدها في شعر الزهد وفي الخطب الدينية التي تلقي في محافل الصلاة العامة.

سادسا : ومنها الحياة السياسية التي تخضع الناس لنظام بعينه يقوم أحيانا علي القوة و البطش فينتج ألوانا من الأدب يظهر فيها التملق و الخضوع كما يظهر فيها التانق و الإسراف في تجميد أصحاب السلطان ويقوم أحيانا علي الحرية فينتج ألوانا من الأدب تظهر فيها حرية الأديب فيما يريد أن يطرق من موضوعات الشعر و النثر وهناك فنون من الأدب تزهر في عصور الاستبداد و البطش كالممدح وفنون أخرى واسرف فيه الشعراء حين كالخطابة ولا سيما الخطابة السياسية ومن هنا اكثر المدح واسرف فيه الشعراء حين استمتوا يشئ من الحرية في صدر الإسلام فلما اشتد بطش الخلفاء وعظمت سطوة الدولة أيام بني العباس انحطت الخطابة و أصبحت من حديث التاريخ.

ومما لا شك فيه أن الاستبداد إذا تجاوز طوره واصبح اضطهادا للرأي كان عظيم الخطر علي الحياة الأدبية فقل الإنتاج وكان الإنتاج القليل نفسه رديئاً ضعيفا غير مصور لشخصية الأديب ، بل يصور مشيئة السلطان وارداته فيصبح إلي النفاق و الرياء المتكلف اقرب منه إلي أي شئ آخر وهذا ما كان في أسبانيا مثلا أيام الاضطهاد الديني

المطلب الثاني الميادين الادبية

أولاً : الشعر

إن مزايا الشعر تنحصر في وجوه ثلاثة :

(الأول) من حيث المعاني، و(الثاني) من حيث الألفاظ ، و(الثالث) من حيث الصيغة والشكل. ولننظر الآن في كل من هذه النواحي الثلاث علي حدة .

المعاني:

أكبر ما تمتاز المعاني في الشعر أنها مصبوبة في قالب خيالي، وبهذا يستطيع الشاعر أن يثير خيال القارئ أو السامع، ومتى استثير الخيال أصبحنا في عالم آخر غير عالم المنطق والحساب، وليس من الضروري أن تكون الصورة الخيالية معناها شئ لا وجود له ، بل إن الشاعر قد يأخذ الأشياء المشاهدة المألوفة التي يراها الناس جميعاً، ثم يمر بها في خياله، فيخرجها في صورة جديدة لم تكن نتوهمها ولا نتخيلها، فكلنا من غير شك قد لاحظ الشمس تسود جلدنا ولا تسود شعرنا، ولكن خيال الشاعر قد أخذ هذه الظاهرة وصورها تصويراً جديداً بأن جمع بينها وبين ما في الحياة من ظلم وقلة انصاف.

و من السهل علينا أن نري اثر الخيال واضحاً قوياً في قول معن بن اوس(١):

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بطلمي عنه و هو ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة و الظلم

(١)معن بن أوس شاعر مجيد فحل من مخزرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ووفد إلى عمر رضي الله تعالى عنه مستعينا به على بعض أمره وخاطبه بقصيدته:

تأوبه طيف بذات الجرائم فنام رفيقاه وليس بنائم

بعد ذلك عاش إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم كان معاوية يفضل مزينة في الشعر ويقال كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن اوس عن عبد الملك بن هشام قال قال عبد الملك بن مروان يوما وعنده عدة من أهل بيته وولده ليقول كل واحد منكم أحسن شعر سمع به فذكروا لامريء القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا فقال عبد الملك أشعرهم والله الذي يقول:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بطلمي عنه وهو ليس له حلم

قالوا ومن قائلها يا أمير المؤمنين قال معن بن أوس المزني الاغاني ٦٩/١٢

فأسعى لكي أبني وبهدم صالحى
يحاول رغمي لا يحاول غيره
فما زلت في لين له وتعطف
لأستل منه الضغن حتى سللته
و في قول أبى تمام

ديمة^(١) سمحة القياد سكوب
لو سمعت بقعة لاعظام أخرى
مستغيث بها الثري المكروب
لسعي نحوها المكان الجديب

ليس الخيال اختراع صور لا وجود لها، بل المهم أن الخيال هو مرآة تنطبع فيها الصورة فيعكسها ،وقد صفاها من كل شائبة، وأخرجها إخراجاً جديداً، واكبر سبب في تأثيرها أن خيال الشاعر قد استبعد منها كل عنصر غريب، فأصبحت الصورة جديدة مبتكرة، ولكن ليس من الضروري أن يؤتي لذلك باستعارات بعيدة. وقد استطاع بعض الشعراء أن يتناولوا حتى الموضوعات العلمية وما يشابهها، فيعرضوها عرضاً شعرياً، كقصيدة ابان بن عبد الحميد^(٢) اللاحقي في أحكام الصوم ، أو كما فعل الشاعر الإنجليزي بوب(Pope)^(٣) في قصيدته عن الإنسان

(١)الديمة المطر الذي ليس فيه رعد و لا برق انظر مختار الصحاح ص ٩١

(٢)ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر مولي بني رقاش نقل الي البرامكة كتاب كليله ودمنة فجعله شعرا ليسهل الحفظ عليهم اوله

هذا كتاب ادب ومحنة وهو الذي يدعي كليل ودمنة

فيه احتيالات وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

وعمل قصيدة ذكر فيها مبدا الخلق وامر الدنيا وشيئا من المنطق وسماها ذات الحلل ومنهم من ينسبها الي ابي العتاهية كان بينه وبين ابي نواس هجاء . الاغاني ٣٦/٢٣

(٣)بوب الاسكندر (١٦٨٨-١٧٤٤) شاعر انجليزي من اشهر الشخصيات في القرن ١٨ وابعدهم تأثيرا في تطوير الشعر بدا دراسة الشعر والنقد الادبي مبكرا بتشجيع من كبار كتاب العصر نشرت قصيدته في النقد سنة ١٧١١ وفيها تحديد الاذواق والمقاييس النقدية ومن اعماله ترجمته للالياذة والوديسا وقصيدته الفلسفية بحث عن الانسان قام عام ١٧٢٥ بنشر

(Essay on Man) ،. ولو أن الموضوعات العلمية بوجه عام ليست من السهل معالجتها بالأسلوب الشعري الخالص، ولا يد أن يكون الشاعر بارعاً براعة فائقة لكي يستطيع أن يتناول تلك الموضوعات، ويكتب فيها شعراً مؤثراً .

ونظراً لأهمية الخيال ، والصور الخيالية في الشعر، فإن الشعراء يلجأون في كثير من الأحيان إلى التشبيه^(١) ، والاستعارة^(٢)، والمجاز^(٣) والغلق في التصوير. وهذا ظاهر بنوع خاص في العهد الذي يتم فيه نضج الشعر، ولقد انتقل الشعراء من التشبيه إلى الاستعارة والمجاز دون أن ينكر الناس عليهم ذلك، وبعد أن كانوا يقولون : رأيت رجلاً كالأسد، صاروا يقولون : "أنت اسد" ، ونظراً لأن الصورة الخيالية هي من أخص مميزات الشعر، لم ينكر أحد على الشعراء هذا، بل قبل منهم، وظهر به تأثر يختلف قوة وضعفاً بحسب ما وهب الشاعر من مقدرة على التصوير .

ومن الأمور التي يلجأ إليها الخيال الشعري تلك الوسيلة التي تسمى التمثيل، وهي تصوير المعنى المجرد بالشيء المجسم، وجعله شخصاً ملموساً، كقول القائل^(٤)

اعمال شكسبير التي انتقدها بشدة لويس ثيوبالد . انظر الموسوعة العربية الميسرة حرف الباء ج/١ ص/٤٢١

(١) التشبيه في اللغة التمثيل و اصطلاحاً عقد مماثلة بين امرين او اكثر قصد اشتراكهما في صفة او اكثر باداة لغرض يقصده المتكلم انظر جواهر البلاغة ص ٢٧٢

(٢) الاستعارة لغة من قولهم استعار المال اذا طلبه عارية و اصطلاحاً هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المنقول عنه و المسنعمل فيه مع قرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلى جوار البلاغة ٣٣١

(٣)المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح المخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الوضعي انظر جواهر البلاغة ٣١٧

(٤)قائلها محمد حافظ بن ابراهيم فهمي المهندس الشهير بحافظ ابراهيم ويلقب بشاعر النيل (١٨٧١-١٩٣٢م) ولد في ذهبية في بالنيل كانت راسية امام ديروط اتي به الي القاهرة ونشا يتيما اشتغل مع بعض المحامين محاميا التحق بالمدرسة الحربية تخرج منها برتبة ملازم ثاني بالمدفعية وسافر مع حملة السودان فاقام مدة في سواكن والخرطوم الف مع بعض

مررت علي المروءة وهي تبكي
فقلت علام تنتحب الفتاة
فقال: كيف لا ابكي و أهلي
جميعاً دون خلق الله ماتوا

أو كقول بشار^(١) :

وللبخيل علي أمواله علل
زرر العيون عليها اوجه سود

وقول ابن الرومي^(٢) في عتاب صديقه ابي القاسم التوزي الشطرنجي :

كشفت منك حاجتي هنوات
غطيت برهة بحسن اللقاء
قلت لما بدت بعيني شنعاً
رب شوهاء في حشا حسناء
ليتني ما هتكت عنكن سترا
فثويتن تحت ذاك الغطاء
قلن لولا انكشافنا ما تجلت
عنك ظلماء شبهة قتماء
قلت: اعجب بكن من كاسفات
كاشفات غواشي الظلماء الخ

الضباط جمعية سرية اكتشفها الانجليز فاحيل الي الاستيداع فجا الي محمد عبده فاعيد الي
خدمة الشرطة ثم احيل الي المعاش فاشتغل محررا في جريدة الاهرام ثم عين رئيسا للقسم
الادبي بدار الكتب المصرية وتوفي بالقاهرة من اثاره ديوان شعر في مجلدين ، ليالي سطيح ،
وعمرية حافظ .مقدمة ديوان حافظ ابراهيم . الموسوعة العربية ٩/١ الشعراء الثلاثة للسندوبي
٣٤٩

(١)انظر ترجمته ص

(٢)شاعر زمانه مع البحتري ابو الحسن علي بن العباس بن جريح مولي آل المنصور له
النظم العجيب والتوليد الغريب وهو القائل

ارؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجي والاخريات رجوم

مولده سنة (٢٢١هـ) ومات لليلتين بقيتا من جمادي الاولي سنة (٢٨٣هـ) يقال ان الوزير
القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجوه فدس السم له في الطعام فلما احس وثب فقال له
الوزير الي اين قال الي موضع بعثتني اليه قال فسلم علي ابي قال فما طريقي علي النار فبقي
ايما فمات تاريخ بغداد ٢٣/١٢ وفيات الاعيان ٣/٣٥٨ شذرات الذهب ٢/١٨٨

فهنا جعل ابن الرومي من الصفات الخلقية كائنات محسوسة يخاطبها ويقارعها الحجة بالحجة وبعائنها ويؤاخذها علي ما جنته .

وهذه الأساليب المختلفة، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والتمثيل، كلها ترمي إلي غرض واحد ، وهو رفع المعاني والسمو بها عن المستوى المألوف، إلى العالم الخيالي، لأن نزعة الشعر دائماً ترمي إلي إجادة التصوير واطهار الشيء المصور واضحاً ملموساً، فإذا كان الشاعر يتناول معنى مجرداً لا يسهل تصويره استعان عليه بالأشياء والكائنات البارزة ، يقرن بينه وبينها، حتى يصبح الاثنان شيئاً واحداً ملموساً قوياً .

فمثلاً الشاعر الذي أراد أن يصف الحقد والضغن فقال :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه

تركنا وقد تمثلنا الضغن وهو ذلك المعني المجرد، حتى نكاد نراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا.

وفي الأطوار الأولى للشعر تكون الاستعانة بهذه الأساليب قليلة ومعتدلة، ولكن في الأطوار التالية، حين تتعقد المعاني، وتتعدد الموضوعات، ويحس الشاعر الحاجة إلي التجديد، وإلى طرق أبواب لم تطرق، فهو مضطر لان يلجا إلى تلك الصيغ، وإلى أن يكثر منها وربما أسرف فيها .

إن المعاني الشعرية تنزع دائماً إلى الصيغة الخيالية ، وإذا لم يلجا الشاعر في تأديتها إلى أية وسائل خاصة، كالتشبيه وغيره، فإنها على كل حال نتيجة لما صاغه خيال الشاعر الذي انتقى الصورة، واستبعد منها كل عنصر غريب، وركز فيها كل شئ يقويها ويوضحها .

لغة الشعر :

إن الأداة التي يستخدمها الشاعر في فنه هي تلك الألفاظ التي يستخدمها جميع الناس، فبينما الموسيقي يستخدم أصواتا خاصة، والمصور يلتمس ألوانا معدة إعدادا خاصاً، فالأديب وليس بين يديه سوي تلك الكلمات التي قد لا تخرج كثيراً عما

يتحدث به الناس ويكتبونه ويتخاطبون به يستطيع بهذه الأداة المألوفة أن يخرج فناً يفوق جميع الفنون، ويسمو عليها سمواً كبيراً .

نظراً لأن الشعر الصحيح ينبعث دائماً عن إحساس قوي يمتاز عما سواه من الاحساسات المألوفة، فقد استطاع أن يتخذ للتعبير عنه لغة خاصة متجانسة مع هذا الإحساس ، فليس المعنى وحده هو الذي يؤثر في النفس، بل إن الألفاظ التي هي منه بمثابة الجسد من الروح، لها تأثيرها الخاص بها .

ليس من السهل حصر الصفات والمميزات التي تجعل لغة الشعر ذات اثر قوي في النفس، ولكن لا بأس من أن نعرض لبعض تلك الصفات والمزايا .

فبغض النظر عن الوزن وعن القافية، فإن لغة الشعر تمتاز بالخصائص الآتية:
أ.تجانس اللفظ والمعنى ، فيكون رقيقاً في مواضع الرقة، قوياً عنيفاً في مواضع القوة والعنف . .

ب.أن يكون اللفظ على قدر المعنى، فلا يكون هنالك حشو ولا زيادة تخل به، وكذلك لا يكون هنالك قصور عن الدلالة على المعنى .

ج.ومن مزايا لغة الشعر أن فيها نوعاً من الموسيقى يوحى إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه الألفاظ .

ولعل هذه المزية هي أخص مزايا لغة الشعر، ولكنها اشدّها خفاءً، ويصعب جداً الدلالة عليها . انظر مثلاً إلي بيت بشار المشهور :

لم يطل ليلي ولكن لم انم ونفى عني الكرى طيف ألم

فتأثير هذا البيت في النفس لا يرجع إلى رقة اللفظ والمعنى فحسب ، بل إن هنالك معنى آخر توحى به الألفاظ، ليس من السهل وصفه، ولكن يلاحظ -مثلاً- تكرار حروف خاصة مثل ، لميم والنون، مما يحدث انسجاماً موسيقياً خارجاً كل الخروج عن الوزن وعن المعنى .

فلألفاظ - من حيث هي أصوات - اثر موسيقي خاص يوحى إلى السمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعنى، وعن مجرد كون اللفظ رقيقاً أو غير رقيق .

د. الشعراء في العادة يبتعدون عن طائفة من الألفاظ التي لا يستطيعون أن يسيغوها، وأدباء العرب لا يرتاحون لأن يروا في الشعر العربي ألفاظاً مثل "أيضاً" و"فقط" وما شاكلها من الألفاظ.

هـ. ومن أهم ما تمتاز به لغة الشعر كثرة استخدام الصيغة الطلبية، كالاستفهام والنداء، والتعجب، والأمر والنهي، وليس معنى هذا أنهم لا يستخدمون الجملة الخبرية، ولكن نسبة الجمل الطلبية في الشعر عالية جداً، وإذا قرنت بلغة النثر، وهذا يتفق مع طبيعة الشعر الذي يرمي إلى التأثير في النفس، لا إلى الإدلاء بالحجة والبرهان، فالجملة الطلبية التي لا تحتل أن يقال لقائلها: صدقت أو كذبت هي أقرب إلى روح الشعر من الجملة الخبرية.

وكذلك فإن الشعر في كل لغة قد ابتدع على مدى الزمن جملاً وعبارات، وتعبيرات خاصة به، بعضها لا تكاد تذكر إلا في الشعر، وبعضها قد يستعار في النثر أيضاً، وإن كان أصله الشعر، وليس من السهل حصر هذه العبارات، ولكن نختار مثلاً من الشعر العربي: وهو مخاطبة الرفيقين كما نرى في الأبيات الآتية:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوي بين الدخول فحومل (١)

هذه النواحي التي ذكرت على أنها المزايا التي تميز لغة الشعر، ليست كل شيء، ولم نذكرها على سبيل الحصر بل على سبيل المثال، ولم نشر فيها إلى المحسنات اللفظية مثل الجناس، ونحوه. والمهم أن ندرك أن للألفاظ التي يستخدمها الشاعر تأثيرها الخاص. وقد اشتهر بين الشعراء العرب من امتاز بجودة اللفظ والبراعة فيه، كما امتاز آخرون بإجادة المعنى وحسن التوليد فيه. والمثل المشهور في هذا أبو عبادة البحتري (٢)، صاحب اللفظ العذب، والعبارة الرصينة المتينة. وأبو

(١) ديوان امرئ القيس ص ٩٢

(٢) البحتري (٢٠٦-٢٨٤هـ) الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شمال بن جابر بن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم الطائي البحتري أبو عبادة أديب وشاعر فصيح بليغ ولد بمنبج من أعمال حلب وبعث نشأ وخرج منها إلى العراق فمدح جعفراً المتوكل علي الله وخلقاً من الأكابر والرؤساء وأقام ببغداد دهراً طويلاً ثم عاد إلى منبج وتوفي بها من آثاره ديوان

تمام حبيب ابن اوس^(١) صاحب المعاني المبتدعة المخترعة. وليس معني هذا أن البحتري لم يكن يجيد المعني مطلقاً، أو أن أبا تمام لم يكن يجيد اللفظ، بل معناه أن الصفة الغالبة علي البحتري هي تجويد اللفظ، والصفة الغالبة علي أبي تمام هي ابتداع المعاني. وفي الغالب أن شعراء المعاني أمثال ابن الرومي، وأبي تمام، قلما تنهض ألفاظهم بقوة معانيهم، لان الذي يبتكر معني جديداً لا بد أن يعانق مشقة في الجمع بين معني ولفظ لم يسبق لهما أن اجتمعا من قبل، أما الذي يأخذ معني مطروقاً فيصوغه في ألفاظ جديدة بديعة، فان هذا ليس بالشيء العسير عليه .

ولقوة تأثير اللفظ كان كثير من الشعر ذا اثر قوي في النفوس دون أن يشتمل علي أي معني ذي خطر. انظر مثلاً إلي قول ابن زيدون^(٢) :

شعر في مجلدين عاش نيفا وسبعين سنة وله حماسة كـ(حماسة) ابي تمام وكتاب معاني الشعر مات بمنبج او حلب سنة (٢٨٤هـ) الاغاني ٣٩/٢١ تاريخ بغداد ٤٧٦/١٣ معجم الادباء ٢٤٨/٩ وفيات الاعيان ٢٣/٢ تاريخ الادب العربي ٣٨١/٣

(٣) شاعر العصر العباسي ابو تمام حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائي من حوران من قرية جاسم اسلم وكان نصرانيا وكان اسمرًا طويلًا ولد في ايام الرشيد وقدمه المعتصم علي الشعراء وكان البحتري يقدمه علي نفسه ومن جميل شعره :

غدت تستجير الدمع خوف نوي الغد وعاد قتادا عندها كل مرقد
هي البدر يغنيها تودد وجهها الي كل من لاقت وان لم تتودد
وطول مقام المرء بالحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رايت الشمس زيدت محبة الي الناس ان ليست عليهم بسرمد
وايضا : لو كانت الارزاق تاتي بالحجي هلكن اذاً من جهلن البهائم

مات في جمادي الاولي سنة (٢٣٢هـ) بسامراء وله كتاب فحول الشعراء والفي في الحماسة وقيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب طبقات الشعراء ٢٨٣ تاريخ الطبري ١٢٤/٩ الاغاني ٣٨٣/١٦ خزنة الادب ١٧٢/١ اشذرات الذهب ٧٢/٢

(١) احمد بن زيدون (٣٩٤ - ٤٦٣ هـ) اسمه احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي ابو الوليد وزير شاعر ولد بقرطبة وانتقل الي اشبيلية في زمن المعتضد بالله فجعله من خواصه وهو حسن النظم اشهر قصائده النونية التي كتب بها الي ولادة بنت المستنكي مطلعها

ودع الصبر محب ودعك
يا أبا البدر سناءً وسنى
ضائع من سره ما استودعك
رحم الله زماناً اطلعك
بت أشكو قصر الليل معك^(١)

فهذه الأبيات العذبة ليس فيها سوي معان مألوفة، والجديد فيها هو تنسيق هذه الألفاظ البديعة الرفيعة والموسيقي الجميلة .

ولا بد لنا في الكلام علي لغة الشعر، من الإشارة إلي القافية، ولم نجعلها من الخصائص الأساسية للغة الشعر، لأنها ليست عامة في جميع اللغات، فهناك لغات عدة لا تعرف القافية مطلقاً، مثل الشعر اللاتيني واليوناني، ولغات أخرى نشتمل علي شعر مقفي وخال من القافية، كمعظم اللغات الأوربية الحديثة .

واللغة العربية من أكثر اللغات، بل لعلها أكثرها عناية بالقافية، والشعر المقفي هو الذي يشترط في قصيدته أن تنتهي بقافية واحدة، أي بلفظ مستوف لشروط خاصة، مثل اتفاق الروي، وغير ذلك .

والقافية أساس في الشعر العربي، حتى كان القدماء يزعمون أن الشعر هو الكلام الموزون المقفي . ولا يكفي الشعر العربي أن تنتهي أبياته بحرف واحد (وهو الروي) بل يجب أن تكون حركته واحدة، وإذا كان قبل الروي ألف ممدودة ، يجب أن يكون هذا في سائر القصيدة، مثل قصيدة المعري :

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك أو ترنم شاد

اضح التتائي بديلا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وتوفي باشبيلية في رجب من اثاره ديوان شعر ورسالة عرفت برسالة بن زيدون . انظر سير النبلاء للذهبي ١٢٠١/١١

(١)نوح الطيب من غصن الندلس الرطيب للمقري التلمساني رسالة بن زيدون لوالدة بنت

المستكفي ص ٣٣٨/٥

وإذا كان قبل الروي واو أو ياء ساكنة كان لابد من اتباع هذا في القصيدة كلها مثل قول الشاعر^(١) :

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
 فطعم الموت في شئ حقير كطعم الموت في شئ عظيم

ومن الجائز تعاقب الواو والياء في مثل هذه الحال^(٢) .

وإذا كانت أبيات القصيدة تنتهي بهاء الغائب أو ما يماثلها وجب أن يسبقها روي ثابت قبلها، مثل قول المعري :

احسن بالواجد من وجده صبر يعيد النار في زنده
 ومن أبى في الرزء غير الأسى كان بكاه منتهي جهده

وإذا كان في القافية ألف تأسيس وجب أن تتبع في القصيدة كلها مثل قوله :

إلا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وأقدام وحزم ونائل
 اعندي وقد مارست كل خفية يصدق واش أو يخيب سائل

فالألف في فاعل ونائل وسائل هي ألف التأسيس : والقصيدة ذات القافية المؤسسة يجب أن ينتهي كل بيت منها بكلمة من هذا الطراز .

ثانياً الخطابة:

قد عرف بعضهم الخطابة بأنه فن الكلام الجيد^(٣) ، ولكن هذا التعريف قاصر ، فقد يحسن الأديب أن يتحدث ، وأن يقص ، وأن يروي خبراً ، ولكنه مع ذلك لا يسمى خطيباً ، ذلك أن جودة الخطابة تعتمد على :

(١) البيهقي لابن الطيب المتنبئ في ديوانه ص

(٢) علم العروض و القوافي - د/ عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية بدون تاريخ س ١٦

(٣) جواهر الادب مرجع سابق ج ١ / ٢٤٥

أولاً : القدرة على إقناع السامعين بالرأي الذي يدعو إليه الخطيب بما يبدي من حجج

ثانياً: استمالة السامعين ، ليعملوا على حسب ما يدعو إليه ، فلا بد للخطيب من العنصرين معاً ، الإقناع والاستمالة ، فالمدرس الذي يشرح نظرية علمية- كالجاذبية أو الضوء - يقنع بها الطلبة لا يسمى خطيباً ، وإن أجاد فن الكلام ، لأنه لم يقم إلا بعنصر واحد من عنصري الخطابة ، وهو الإقناع ، ولم يقم بالعنصر الآخر ، وهو استمالة عواطف السامعين بمبادئ يدعو إليها ، لأنه خاطب عقولهم لا عواطفهم ، وشرح لهم النظرية ولم يستمل عواطفهم إليه .

أما خطيب البرلمان الذي يشرح مسألة ويدعو الأعضاء إلى اتباع رأيه فيها فقد قام بالأمرين معاً ، فهو يشرح رأيه، ليدلل عليه ، وهذا هو الإقناع ، وفي ثنايا ذلك يدعو السامعين إلى الأخذ برأيه ، والانضمام إليه بإمالة عواطفهم المختلفة ، كالغضب علي المخالف ، والتخويف من الأضرار التي تقع إذا لم ياخذوا برأيه ، وترغيبهم في العمل لخير بلادهم ، وهذه هي الاستمالة ، فلما اجتمع العنصران معاً سمي خطيباً ، وسمي ما أتى به خطبة .

والخطيب الماهر هو من يستطيع أن يلعب بهذين العنصرين لعباً فنياً ، فهو يتخذ الوسائل المختلفة لإقناع السامعين ، ويبين لهم في وضوح آراءه ، ويجعلهم يعتقدون أنها الحق ، ثم يحرك عواطف السامعين ، ويلعب بها كما يصنع لاعب البيانو بالأزرار والأعواد ، والأوتار، فهو يستطيع أن يهدي ثورتهم إذا شاء، ويثيرهم إذا اراد ، ويدخل عليهم الغضب أحياناً ، والسرور أحياناً ، والحزن أحياناً يضحكهم ويبيكيهم ، ويهجيهم ويسكنهم ، وعلى الجملة يوجههم كما يريد.

فتعريف الخطابة -إذن- بأنها فن الكلام الجيد قاصر قصوراً كبيراً ، وكذلك من يعرفها بأنها فن الاستماع ، لأنه يهمل جانب الإقناع ، لأن استمالة العواطف إلي رأى من الآراء لا تكون إلا بعد الإقناع به .

وأهم من ذلك لبيان قصور هذا التعريف أن الاستمالة قد تكون بغير الكلام ، كما قد تكون بالكلام ، فالفقير قد يستميل المحسن بمنظره ، والممثل قد يستميل الناظر إلى الضحك بهيئته ولبسته .

والخطبة لا بد ان تكون الاستمالة فيها من طريق الكلام فالتعريف الصحيح للخطابة هو فن مخاطبة الجمهور ، الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة .

فالذي لا يآثر في عواطف السامعين لا يسمى خطيباً ، قد يكون فيلسوفاً ، وقد يكون عالماً كبيراً ، وقد يكون أديباً عظيماً ، ولكنه إذا تكلم لم يترك أثراً في عواطف ساميه فلا يكون خطيباً ، سواء كان منشأ ذلك أنه تكلم بأعلي من مستوى السامعين أو أخط منه ، وقد يحسن الأديب الكتابة ، ولكن لا يحسن الخطابة ، وكذلك العكس ، وقد يحسن الخطيب الخطابة ولا يحسن الكتابة، بل كثير من الخطب إذا قرئت لم تكن لها تلك الروعة ، ولا ذلك الأثر الذي كان عند السامعين ، لأن الخطيب لا يؤثر بكلامه وحده بل أشياء أخرى (١).

(١) جواهر الادب مرجع سابق ج ١ / ٢٤٥

المطلب الأول

الأدب قبل الإسلام

بعد أن انتقل الناس من عهد الفطرة إلى عهود الحضارة، وأخذت مظاهر الحياة تتعدد وتتعدّد، لم يكن بد من أن يظهر هذا في الشعر، وإن ينتقل هو أيضاً من طور إلى طور، و يلاحظ في تطور الشعر الاتجاهات الآتية:

أولاً: بعد أن أخذ الناس يتقدمون في طرق الحضارة، أصبح الشعر فناً مقصوداً متعمداً، وأصبح الذين يمارسونه طائفة من الفنانين ممتازين عن سواهم من الناس، وبالرغم من أنهم كانوا ينطقون بالشعر عن هبة فطرية، وسليقة مغروسة في نفوسهم، فإنهم مع هذا كانوا يتعمدون الإتقان والابتكار، وتنافسون في فهم هذا،

ثانياً: بعد أن أصبح الشعر فناً مستقلاً، له سننه وطرائقه، وله قيوده التي لا ينبغي للشاعر مهما اخترع وابتدع أن ينقضها، ويخرج عليها، نرى أن الشعر لم يكد يحس لنفسه وجوداً مستقلاً حتى انفصل عن الغناء، وأصبح له مكانه الخاص، فان التغني بالأشعار كان معناه الجمع بين فنين مختلفين: الأول فن تأليف الكلام، والثاني فن تأليف الألحان. ولئن جاز في العهود الأولى الجمع بين الصناعتين، كما كان الرجل يجمع بين الحرفتين، فان طبيعة التقدم قضت باقتسام العمل، وانفراد بعض الناس بالتأليف الشعري، والبعض الآخر بالتلحين، وأصبح الشعراء طائفة من الناس، ورجال التأليف الموسيقي طائفة أخرى. ومن الجائز أن نرى في زماننا هذا رجلاً مثل ريتشارد واجنر يجمع بين الفنيين، فقد كان ينظم مسرحياته ثم يضع لها الألحان.

ولكن المؤلف أن نرى الطائفتين مستقلة إحداهما عن الأخرى، واعداد الشاعر يختلف تمام الاختلاف عن إعداد الموسيقي.

ثالثاً: وبعد أن انفصل الشعر انفصلاً عن الغناء أخذ الشعراء يعنون بتأليف أشعارهم عناية خاصة، واهتموا بان تكون للشعر موسيقاه الخاصة، وهي موسيقي قائمة علي حسن وقع الألفاظ في السمع، من غير استعانة بالآلات أو الحان.

وفي العهد الأول كان الكلام الركيك قد يحسنه التلحين البارح، فأما وقد حرم هذا الثوب الجميل، واضطر إلى الانفراد بنفسه، فلم يكن بد من أن يسمو ويجمال بنفسه، لكي يعوض ما فاتته من جمال الألحان.

رابعاً: وكذلك اخذ الشعراء يسلكون بأشعارهم طرقاً جديدة ، فإلى جانب الشعر الذي يصلح للغناء - وهو ما يطلق عليه اليوم اسم الشعر الغنائي - وجدت هنالك أنواع جديدة تتناول موضوعات خاصة من حكمة ، وهزل ، ووصف ، وفلسفة ، وشعر مسرحي ، وغير هذا من الأنواع التي يمكن أن ينعم الإنسان بها لذاتها ، من غير الاستعانة بالحن ونغمات موسيقية .

والخلاصة أن الشعر من حيث هو فن مستقل اخذ يتطور في اتجاهين مختلفين

:

الأول في بنيته ، من حيث الأوزان والقوافي ، والمحسنات اللفظية ، والصيغ الشعرية الخاصة . والاتجاه الآخر هو في الموضوعات وتنوعها بحيث تتناول كل ما اتسع له الأفق الشعري الذي يوشك إلا تكون له حدود^(١) .

أقدم القصائد التي وصلت إلينا - في أدب كثير من الأمم - قصائد تسرد قصص الأبطال واعمالهم المجيدة، وهذا الضرب من الموضوعات كان له شأن خطير في ذلك العهد. وليس من الضروري أن تكون هذه الموضوعات هي أول شئ نظم فيه الشعر. بل من الجائز أن تسبقها أناشيد في موضوعات شتى من حب أو شوق، أو فخر، أو رثاء، أو مظهر من مظاهر الطبيعة، أو أناشيد تعبر عن إحساس ديني. ولكن قصص الأبطال المنظومة اسهل في التداول والرواية، وربما كان هذا من أهم الأسباب في حفظها وعدم اندثارها إلي أن جاء الوقت الذي دونت فيه وكتبت.

ليس لدينا أشعار في آية لغة من اللغات نستطيع أن نقول عنها - بشيء من التأكد - أن هذه أول أشعار قيلت في هذا اللسان أو ذلك،، فإن الأشعار القديمة التي بقيت لنا من أدب آية أمة هي أشياء ناضجة، وقد سبقها من غير شك عهد نمو وتطور، لا نستطيع أن نقطع برأي في الخطوات التي خطاها الشعر فيه، حتى اتخذ صورته الكاملة الناضجة. فالقصيدة العربية مثلاً - بأوزانها وقوافيها وغير هذه من صفاتها ومميزاتها - لم تظهر في الوجود مرة واحدة، بل كانت من غير شك نتيجة تطور طويل، حتى وصلت إلى الصورة الثابتة التي اتخذتها في النهاية، والتي لا تزال باقية عليها إلى يومنا هذا^(١).

الشعر في الاسلام

لقد تعرض كثير من الباحثين المحدثين الي الدين الإسلامي ، وتساءلوا كثيراً عن موقفه من الشعر، بل زعم بعضهم أن الإسلام أضعف الشعر العربي ، وحاربه ، ومن أجل هذا كان لابد لمعرفة الحقيقة في تلك التساؤلات حول الإسلام والشعر والاتهامات التي وجهت له أن ننظر في هذا البحث في مصدرين رئيسين يمثلان الدين الاسلامي تمام التمثيل ليظهر في موقف القران الكريم أولاً من الشعر العربي ثم السنة المطهرة موقف الإسلام الصريح والواضح من الشعر (١)

الشعر في القرآن الكريم :

إن القران الكريم اذا تدبره الباحث وجده في موضع واحد منه يبين موقفه من سورة الشعراء خاصة ،اما بقية الايات التي تحدثت عن الشعر او ذكرت لفظة الشعر وشاعر فهي خمس ايات في الاية الاولى قال تعالى: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ) (٢) وقال تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) (٣) وقال تعالى في الاية الثالثة : (وَيَقُولُونَ أَنبَأْنَا لَتَأْتِنَا لَشَاعِرٌ مَّجْنُونٌ) (٤) في الاية الرابعة قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ) (٥) وقال اتعالي في الاية : (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ) (٦) ولقد جاءت الايات الخمسة لالتبين الموقف الاسلامي من الشعر فحسب بل لتبين عنت المشركين وسفستاتهم وافتراءاتهم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بانه شاعر او كاهن او ساحر وقد رد الله علي جميع افتراءاتهم وتبين وتؤكد ان القران الكريم كلام الله العزيز وحي اوحاه الله الي خاتم انبيائه ورسله.

(١) تاريخ اداب العرب - مصطفى صادق الرافعي - المكتبة العصرية بيروت الطبعة الاولى سنة

٢٠٠٠ م ج ١ / ٥٦

(٢) تاريخ الادب العربي - عمر فروخ ، ج ١ ، ص ١٠٥

(٣) سورة الانبياء الاية (٥).

(٤) سورة يس الاية (٦٩).

(٥) سورة الصافات الاية (٣٦).

(٦) سورة طور الاية (٣٠).

(٧) سورة الحاقة الاية (٤١).

ويبدو ان القران الكريم قد وقف من الشعر والشعراء موقفين متميزين رئيسيين كان احدهما في بداية الدعوة الاسلامية عندما هاجم القران الكريم الشعر والشعراء الذين وقفوا حجر عثرة في سبيل نشر الدين الاسلامي وقد تمثل ذلك الموقف في الايات القرانية التي وردت في موضع واحد من القران الكريم وبخاصة في سورة الشعراء قال الله تبارك تعالی: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) (١) .

وكان ثاني الموقفين يتمثل في فترة الغزوات وفترة اتساع رقعة الدعوة الاسلامية عندما كان القران يشجع المسلمين في سبيل نصره الحق والدين ومؤازرة المسلمين في كفاحهم ضد الوثنية والكفر والشرك.

لقد كان المسلمون بحاجة ماسة الي ان يقاتلوا المشركين باللسان كما كانوا يحاربونهم بالسيف والسنان.(٢) وبعبارة اخري راي المسلمون ان يحاربوا اعداءهم المشركين بالاسلحة نفسها التي كان المشركون يعرفونها عن خصومهم وان يستعملوا اللغة نفسها التي كان المشركون يفهمونها انذاك الا وهي لغة الشعر ولقد ادي الشعر الاسلامي دوره في تلك الفترة من التاريخ وبانتهاء فتح مكة والطائف ودخول الذن كانوا بالامس مشركين واصبحوا بعد الاسلام اخوة للمسلمين حينئذ اصبح دور ذلك اللون من الشعر ذي السلاح الحاد اعني به شعر الهجاء الشخصي.

غير المرغوب فيه واصبح التفكير في اجترار ذلك اللون من الشعر الذي يثير الضغائن وآلام الماضي بعد ان عفا الاسلام عليه بعفوه وتسامحه واصبح اثما من الاثام وهنا ينبغي ان لا نفهم ان دور الشعر قد توقف تماما بانتهاء الغزوات بل قد استمر الشعر الاسلامي الملتزم الهادف يؤدي عمله الي بناء المجتمع الاسلامي السليم وسببقي كذلك ابد الدهر باذن الله ما بقي الاسلام الي ان يرث الله الارض ومن عليها

(١) سورة الشعراء الاية (٢٢٤ - ٢٢٦)

(٢) شعر المخضرمين يحي الجبوري ، ص ٤٠

الشعر في السنة النبوية المطهرة :

إذا ما اخذنا ننظر في السنة النبوية المطهرة في الاحاديث الصحيحة الخاصة وجدنا السنة تتخذ مواقف معينة تؤيد وتؤكد موقف القران الكريم من الشعر وتظهر الاحاديث النبوية مواقف الرسول صلي الله عليه وسلم من الشعر فمن ناحية كان عليه الصلاة والسلام يذم الشعر وهو من ناحية ثانية يعجب بالشعر ويستمتع اليه ويثني علي صاحبه وهو من ناحية ثالثة يقف منه موقف الحذر فيقوم الشعر ويوجهه الوجهة الصحيحة.

الشعر القبيح :

كان من الطبيعي ان يتضح موقف الرسول صلي الله عليه وسلم من نوع معين من الشعر فيذمه وفقا لموقف القران الكريم من ذلك الشعر فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن لون معين منه وعن موضوعات خاصة لا تتعدي هجاءه الذي يعني هجاء الدعوة ومن الطبيعي ان ينصرف عن الشعر العصبية والمنافرات والهجاء الذي يؤذي النفوس ويبعث الضغائن بين المسلمين وعن الشعر الماجن الذي لا يتفق والفضائل النفسية ويعين علي الرزائل فكل الوان من الشعر تخالف المبادئ التي قرر الاسلام ان تكون اسس مجتمعه الجديد^(١)

فلكي يؤكد المصطفى صلي الله عليه وسلم موقف القران الكريم من ذم بعض الشعر و الشعراء وردت احاديث كثيرة عنه .

من ذلك منها ما رواه الامامان البخاري ومسلم^(٢) في صحيحهما عن ابي هريرة وسعد بن ابي وقاص^(٣) رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم (قال لان

(1) دراسات في الادب الاسلامي للدكتور سامي العاني ص ١٥

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ، ٤٥/ ، ودلائل الاعجاز ج ٥ ، ص ١٣

(٣) سعد ابن ابي وقاص واسم ابي وقاص مالك بن اهييب بن عبد مناف بن زهرة بن مرة ابن كعب بن لؤي احد العشرة المبشرين بالجنة واحداً السابقين الاولين واحد من شهد بدر واحد واحد الست اهل الشوري اسلم وهو ابن سبع عشرة سنة ، امير المسلمين في وقعة القادسية مات وهو ابن اثنين وثمانين سنة توفي سنة ثمان وخمسين

يمتلئ جوف احدكم قيحا حتي يريه خير من ان يمتلئ شعرا)(^١) وذكر الامام الحافظ ابن كثير في تفسيره في رواية اخري لهذا الحديث عن ابي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بالعرج اذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلي الله عليه وسلم (خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من يمتلئ شعرا) (^٢) وهذا الحديث وان اختلفت الروايتان فيه الا انه يؤكد موقف الرسول صلي الله عليه وسلم من الشعر المستهجن القبيح شعر الهجاء الشخصي الذي يؤذي النفوس ولا يحض علي الفضائل ويثير الاضغان والاحقاد فذلك الشعر مرفوض رفضه القران الكريم (^٣)

والمجتمع الاسلامي كله الذي يدعو الي الفضائل ويبعث علي الاخوة والوئام وروي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قد استدركت علي ابي هريرة رضي الله عنه وذكرت نص الحديث كاملا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بما يتفق ومنهجه صلي الله عليه وسلم وموقفه الحنيف الحكيم من الشعر المرذول البغيض ذلك الموقف الثابت الذي لم يختلف عن القران من الشعر نفه بل اكده وايده لقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لم يحفظ ابو هريرة الحديث انما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (لان يمتلئ جوف احدكم قيحا ودما خير له من ان يمتلئ شعرا هجيت به) (^٤) ، وقد اجمع المسلمون علي ان الكلمة الواحدة من هجاء النبي موجبة للكفر قالوا بل الصواب ان المراد ان يكون الشعر غلبا عليه مستوليا عليه بحيث يشغل عن القران والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى هذا مذموم من أي شعر كان فاما اذا كان القران والحديث هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا لان جوفه ليس ممتلئا شعرا والله اعلم(^٥).

(١) صحيح البخاري ج٧ ص ٤٥ وصحيح مسلم ١٧٦٩/٤ ، دلائل الاعجاز القراني ١٣/٥

لعبد القاهر الجرجاني ، العمدة لابن رشيح القيرواني ٣١/١

(٢) تفسير القران العظيم للحافظ بن كثير ٣٥٣/٣ دار الفكر

(٣) شعر المخضرمين للجبوري ص ٤٣

(٤) الاجابة لايراد ما استدركته عائشة علي الصحابة : لابي عبد الله الزرطكشي سعيد

الافغاني - دمشق ص ٦٧ صحيح مسلم بشرح النووي ١٥-١٤/١٥

(٥) صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص ١٠٠ - ١١٥

والواقع ان هذا الحديث هو الشاهد الوحيد^(١) الذي وصل الينا من الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في ذم الشعر وتهجينه وكان خاصا بذلك الشعر الذي هجي به عليه الصلاة والسلام وليس بين ايدينا شاهد اخر او حديث اخر كشاهد علي موقف رسول الله صلي الله عليه وسلم من الشعر ولا يعني ذلك ابدا ان موقف الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لم يتضح او لم تكتمل الصورة من الشاهد الاول حتي نخرج بموقف صريح من الرسول صلي الله عليه وسلم تجاه الشعر بل اننا نعتقد اعتقادا جازما ان هذا الحديث وحده يكفي لتوضيح الموقف الاول من الرسول صلي الله عليه وسلم وهوتهجين الشعر وذمه خاصة ذلك الشعر القبيح الذي هجي به عليه الصلاة والسلام وهو موقف لا يدل علي التناقض او تعارض او اختلاف في مواقف الرسول صلي الله عليه وسلم حاشا وكلا^(٢)

ولهذا ترانا لا نقبل ما ورد الينا من اقوال واخبار ذكرت في مصادر الادب وتاريخه نسبت الي رسول صلي الله عليه وسلم استشهد بها بعض مؤرخي الادب ونقاده للدلالة علي كراهية الرسول صلي الله عليه وسلم لشعر امرئ القيس^(٣) ذلك لان الاشعار التي وردت في تلك الاخبار منسوبة الي امرئ القيس ليست صحيحة ابدا^(٤)

(١) هذا الحديث صحيح ولكن اختلاف الروايات في موقف الحديث يتضح انه وجه للشاعر معين ولشعر معين وهو الهجاء وكان يهجو الحبيب المصطفي (ص) تنزه عن مثل هذا الهجاء.

(٢) انظر الرسول والشعر يوسف العظمة مجلة مركز البحث العلمي العدد الثاني ص ١٣٩ ،
الادب الديني للمحاسني ص ٥١

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني اكل المرار شاعر يمني الاصل ولد بنجد او بمخلاف السكاسك باليمن واشتهر بلقبه واختلف النسابون في اسمه وكان ابوه ملك اسد وغطفان وامه اخت المهلهل الشاعر وعنه اخذ الشعر ثم ثار بنو اسد علي ابيه فقتلوه وثار لابييه من بني اسد وقال في ذلك شعرا طلبه الذر ملك العراق بناء علي طلب الفرس فابتعد فاجاره السمؤل واراد ان يستعين بالروم فمطلوه ثم ولي امرة فلسطين فوافاه الاجل بانقرة وقد جمع ما ينسب اليه من الشعر في ديوان صغير شاعر جاهلي صاحب المعلقة التي تقول. قفا

بنكي من ذكري ومنزلي بسقط اللوي بين الدخول فحوملي

تاريخ دمشق ٤٦/٣ الزركلي الاعلام ٣٥١/١ الاغاني ٧٧/٩

(١) انظر ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٤٥٦

ولم ترد في قصائد الديوان الذي بين ايدينا فقد ذكر بن قتيبة^(١) ومحمد بن ابي الخطاب^(٢) وابن منظور المصري^(٣) خبرا بعضهم جعله لجهينة وبعضهم لقوم من اليمن اقبلوا منها يريدون النبي صلي الله عليه وسلم فضلوا الطريق و مكثوا ثلاثا لا يقدرن علي الماء اذ اقبل راكب علي بعير وانشد بعض القوم
لما رات ان الشريعة همها وان البياض من فرائضها دام
تيممت العين التي عند ضارج يفئ عليها الظل عرمضا طام
فقال الراكب: من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس فقال : والله ما كذب هذا ضارج
عندكم و اشار اليه فمشوا علي الركب فاذا ماء غدق واذ عليه العرمض والطل يفئ
عليه فشربوا وحملوا ولولا ذلك لهلكوا^(٤) وتضيف بعض الروايات - وهي رواية
الجمهرة -^(٥) قولاً الي النبي مفاده انه عليه الصلاة والسلام قال لهم (اما اني لو

(٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ابو محمد) (٢١٣هـ - ٢٦٧هـ) عالم مشارك في انواع العلوم كاللغة والنحو و غريب القران ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والشعر والاخبار وايام الناس وغير ذلك سكن بغداد وحدث بها وولي قضاء دينور من تصانيفه الكثيرة غريب القران ادب الكاتب عيون الاخبار طبقات الشعراء المعارف وجامع الفقه (انظر الذهبي سير اعلام النبلاء ٩/ ٦٨ بغية الوعاة للسيوطي ٢٩١ انباه الرواة للقفطي ٢/ ١٣٤-١٤٧ النجوم الزاهرة ابن تغري بردي ص ٤٥٦

(٣) محمد بن ابي الخطاب صاحب كتاب جمهرة انساب العرب

(٤) محمد بن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ) محمد بن مكرم بن علي بن احمد بن ابي القاسم بن حبة بن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي المصري جمال ابو الفضل اديب لغوي ناظم ناثر مشارك في العلوم ولد في اول محرم بمصر وقيل بطرابلس الغرب وروي عن ابن الطفيل ويوسف المحيلي وابن المقير وغيرهم وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس وعاد الي مصر فتوفي فيها في شعبان من اثاره الكثيرة مختار الاغاني في الاخبار و التهاني لسان العرب ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، نثار الازهار في الليل والنهار ومختصر مفردات ابن بيطار) (انظر بن حجر الدرر الكامنة ٤/ ٢٦٢ السيوطي بغية الوعاة ١٠٦ الزركلي الاعلام ٧/ ٣٢٩ فوات الوفيات ٢/ ٢٦٥

(٥) ابن قتيبة الشعراء ١/ ٥٥ ادب الكاتب ص ٢٨ عيون الاخبار ١/ ١٤٣

(٦) جمهرة اشعار العرب طبعة بولاق ص ١٧

ادركته لنفعته وكانى انظر الي صفرتة وبياض ابطيته وحموشة ساقية في يده لواء الشعراء يتدهدي بهم الي النار)(^١)

ويرد علي هذه الرواية بانه لم يثبت لدينا حديث و عن رسول الله صلي الله عليه وسلم هكذا وانما الحديث الذي يروي عن الرسول صلي الله عليه وسلم بشأن امرئ القيس هو ما رواه الامام احمد في مسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه ولفظه (امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء الي النار) هذا وقد تفننت مصادر الادب في ذكر الروايات الخاصة بها في هذه القضية التي لا تستند الي اصل صحيح فرواية بن قتيبة(^٢) الثانية التي ذكرت في الشعر و الشعراء تختلف عن الاولى : وهي على هذا النحو فقال النبي صلي الله عليه وسلم ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها منسي في الاخرة حامل فيها يجئ يوم القيامة معه لواء الشعراء الي النار (^٣) وهي رواية تتفق ورواية بن عساكر(^٤) في التهذيب(^٥) وتختلف عن رواية نشوان الحميري(^٦) في)

(١) مسند الامام أحمد ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ومنتخب كنز العمال ج ٣ ، ص ٣٠٠

(٢) ادب الكاتب - ابن قتيبة - طار الفكر بيروت، ص ٢٨ وعلم الاخبار ص ٢٢٩

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع دار الثقافة بيروت ٦٨/١

(٤) علي بن عساكر (٤٩٩-٥٧١ هـ) علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي المعروف بابن عساكر محدث حافظ فقيه مؤرخ رحل الي عدة مدن سمع فيها عدة من الشيوخ وحدث ببغداد ومكة نيسابور توفي بدمشق ودفن بالبواب الصغير في ١١ رجب من تصانيفه الكثيرة تاريخ دمشق الاشراف علي معرفة الاطراف الموافقات تهذيب المتلمس من عوالي مالك بن انس تبين كذب المفترى في ما نسب الي ابي الحسن الاشعري وله شعر . انظر الاعلام بوفيات الاعلام للذهبي ١/٢١٠ وفيات الاعيان ١/٢٤١ طبقات الشافعية ٤/٢٧٣ معجم الادباء ١٣/٧٣ النجوم الزاهرة ٦/٧٧

(٥) التهذيب لابن عساكر ٣/١٠٥

(٦) نشوان الحميري (... . ٥٧٣ هـ) هو نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحميري ابو سعيد فقيه اصولي شاعر عارف باللغة مشارك في العلوم الاخرى من الامراء من اهل بلدة حوت من بلاد حاشد شمالي اليمن استولي علي عدة قلاع وحصون في جبل صبر المطل علي قلعة تعز من اثاره القصيدة الحميرية والحوار العين شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم وصحيح التاليف والامان من التحريف يف اللغة خلاصة السيرة الجامعة لعجائب الملوك التابعة والتذكرة في احكام الجواهر والاعراض . انظر معجم الادباء ١٩/٢١٧ بغية الوعاة ٣/٤٠٣ الاعلام للزركلي ٨/٣٣٥ كشف الظنون حاجي خليفة ١٠٦١

الحرور العين^(١) التي ورد فيها ان الرسول صلي الله عليه وسلم قال عنه (ذلك سيد الشعراء وحامل لوائهم يوم القيامة بيده يقودهم حتي يتهدي في النار)^(٢).

(واذا كنا قد رفضنا قبول تلك الاخبار والروايات المصنوعة في كتب الادب العربي القديم عن ذم رسول الله صلي الله عليه وسلم شعر امرئ القيس فاننا نتردد كذلك فيما يرويه بعض المؤرخين القدامي والنقاد المحدثين من روايات عن رسول الله في ذم الشعر وتهجينه وبخاصة ما رواه بن جرير الطبري^(٣) ومصطفي صادق الرافعي^(٤) من ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول رادا علي من سأله في حقيقة نبوته ثم انها ولدتي ، فنشأت ، فلما نشأت بغضت الي الاوثان قريش وبغض

(١) الحرور العين لنشوان الحميري ص ١١٧

(٢) معجم البلدان - الياقوت الحموي - ج ٣ ، ص ٤٦٠ ، ط اوربا

(٣) محمد بن جرير الطبري بن يزيد بن كثير الامام العالم المجتهد عالم عصره ابو جعفر الطبري صاحب التصانيف البديعة من اهل طبرستان ولد سنة (٢٢٤هـ) وطلب العلم بعد الاربعين ومئتين واكثر الترحال ولقي نبلاء الرجال وكان من افراد الدهر علما وذكاء وكثرة التصانيف سمع من محمد بن عبد الملك ابي الشوارب واستقر في بغداد في اواخر امره كان من كبار ائمة الاجتهاد وله من الشعر

اذا اعسرت لم يعلم رفيقي واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظ لماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحت بماء وجهي لكنت الي العلي سهل الطريق
وله ايضا خلقان لا ارضي فعالهما بطر الغني ومذل الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطرا واذا افتقرت فته علي الدهر

توفي عشية الاحد ليومين بقيا من شوال سنة (٣١٠هـ) الفهرست لابن النديم ٣٢٦ تاريخ

بغداد ٦٢/٢ طبقات القراء للذهبي ٢١٢/١ تهذيب الاسماء واللغات ٧٨ شذرات الذهب ٢٦٠/٢

(٤) مصطفي صادق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧) الرافي اديب كاتب اصله من طرابلس الشام وولد في هيت من قري مديرية القليوبية ودرس في مدرسة دمنهور الابتدائية ثم في المنصورة ونال الابتدائية وعين كاتبا في محكمة طنطا الاهلية واصيب بصمم وانتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق وتوفي بطنطا من اثاره ديوان شعر ، تاريخ اداب العرب السحاب الاحمر المساكين واعجاز القران . الموسوعة العربية ص ٣٤٨

الي الشعر^(١) وان سبب ترددنا في قبول هذه الرواية التاريخية انه لم يقم من دليل من حديث صحيح عن الرسول صلي الله عليه وسلم يؤيد هذه الرواية او يكون لها سندا قويا لها وكل ما ورد هو حديث مختلف عنها ذكره الامام احمد في مسنده^(٢) وذكره الطيالسي^(٣) في مسنده كذلك ولفظه كان الشعر ابغض الحديث الي النبي صلي الله عليه وسلم^(٤) وأنشد يوما:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

وقد كان عليه السلام ربما أنشد البيت المستقيم في النادر(روي أنه أنشد بيت عبد الله بن رواحة :

بييت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وقال الحسن بن أبي الحسن أنشد النبي عليه السلام:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا

ثم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله إنما قال الشاعر

ودع هريرة إن تجهزت غاديا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال أبو بكر أو عمر أشهد أنك رسول الله يقول الله عز وجل ☺ وما علمناه الشعر وما ينبغي له) .

وعن الخليل بن أحمد كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتأتى له .

وثانياً إصابته الوزن أحيانا لا يوجب أنه يعلم الشعر وكذلك ما

يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله صلي الله عليه وسلم :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري ٥٧٥/١

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل ١٣٤/٦

(٣) مسند الطيالسي حديث ١٤٩٠

(٤) مصطفى صادق الرافعي تاريخ اداب العرب باب نفي الشعر عنه صلي الله عليه سلم ٢٥٦/٢

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعرا ولا في معناه كقوله تعالى (لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقوله (نصر من الله وفتح قريب) وقوله (وجفان كالجواب وقدور راسيات) ذلك من الآيات وقد ذكر ابن العربي منها آيات وتكلم عليها وأخرجها عن الوزن على أن أبا الحسن الأخفش^(١) قال في قوله أنا النبي لا كذب ليس بشعر^(٢)

وعلي اية حال فان الرسول الكريم محمدا صلي الله عليه وسلم وقف موقفا حازما من نوع معين من الشعر المرذول الذي لا يحترم حقوق الفرد المسلم في المجتمع الاسلامي الكبير، وهذا الموقف من رسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا النوع من الشعر هو الحكمة نفسها حتي يكون المجتمع الاسلامي سليما من الامراض الاجتماعية التي يثيرها ويبذر بذورها الشعر المستهجن^(٣)

(١) ابوالحسن الاخفش هو سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش البصري وهو الاخفش الاوسط احدائمة من البصريين اخذ النحو عن سيبويه وكان ثعلب يقول فيه هو اوسع الناس علما وقال المبرد احفظ من اخذ النحو عن سيبويه الاخفش وصنف كتبا كثيرة منها المقاييس في النحو والاشتقاق وغير ذلك مات سنة ٢١٥ هـ مع الهوامع شرح جمع الجوامع ٢ / ١٩ انباه الرواة ٣٦ / ٢، ٤٥، اشارة التعيين ص ١٣١ الاعلام ٢٧٧ / ١ بغية الوعاة ١ / ٥٩٠ تذكرة النحاة ص ٥٢ / ١٥ (٢) تفسير القرطبي

(٣) ذكر محمد بن اسحق ومحمد بن سعد في الطبقات ٤١٤٠ والزيبر بن بكار في كتاب الفكاهاة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها	بميسان يسقي في زجاج و حنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية	ورقاصة تحنو على كل مبسم
فان كنت ندماني فبالأكبر اسقني	و لا تسقني بالأصغر المتئلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه	تتادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أي والله إنه ليسوعني ذلك ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته وكتب إليه عمر: بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير) أما بعد فقد بلغني قولك لعل أمير المؤمنين يسوؤه تتادمنا بالجوسق المتهدم وأيم الله إنه ليسوؤني وقد عزلتك فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملا أبدا وقد قلت

الشعر الجيد :

ان الشعر في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم كلام فحسنة حسن وقبيحة قبيح فالشعر الحسن الذي فيه تهذيب للنفس ودعوة الي نشر الفضائل بين افراد المجتمع المسلم والذي فيه حكمة بالغة تؤدي الي دعم الصرح الاسلامي الخالد كان يثني عليه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ويقف منه موقف ايجابيا ويحث المسلمين

ما قلت فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكنه ذمه عمر رضى الله عنه ولامه على ذلك وعزله به ولهذا جاء في الحديث لأن يمتلئ جوف احدكم قبيحا يريه خير له من أن يمتلئ شعرا والمراد من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) وهكذا قال ههنا (وإنه لنتزيل رب العالمين ثم نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) إلى إن قال (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم لمعزولون إلى أن قال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم واكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون وقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) و عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الدارى قال (لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون قالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم (إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات) قال أنتم (وذكروا الله كثيرا) قال أنتم (وانتصروا من بعد ما ظلموا قال أنتم) رواه ابن ابي حاتم وابن جرير من رواية ابن اسحق وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا إستثناء مما تقدم ولا شك أنه إستثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحا وذكر الله كثيرا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ فان الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الإسلام أهله في مقابلة ما كان يذمه كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم يا رسول الملئك إن لساني ثم راتق ما فتقت إذ أنا بور اذا أجارى الشيطان في سنن الغي ثم ومن مال ميله مثبور وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمه وأكثرهم له هجوا فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجوه ويتولاه بعدما كان قد عاداه. انظر تفسير بن كثيرج ٣/٣٣٥ الفواكه الدواني ٢/٣٥٤

علي اتخاذها وسيلة من الوسائل الكلامية للرد علي اعداء الله اعداء الدين وطالما ان المشركين كانوا يعولون علي سلاح الشعر كوسيلة فتاكة في الحرب الكلامية او ما نسميه بالحروب الباردة بالمصطلح العسكري الحديث فان الرسول محمد صلي الله عليه وسلم اثر استعماله وحرص الشعراء المسلمين المجاهدين علي الاخذ به والاستفادة منه في الدفاع عن حمي الدين الاسلامي الحنيف وعن المقدسات الاسلامية وحرمان المسلمين.

ولقد قرر عليه الصلاة والسلام ان يرد المشركين في حروبهم الكلامية ضد المسلمين وقرر ان يفل من سلاح المشركين الذين ارادوا ان يتخذوا من الشعر سلاحا فتاكا يوجهونه ضد المسلمين في حروبهم معهم ولما لم يكن من المهاجرين ابان الدعوة الاسلامية من يتصدي للرد علي المشركين باسلوبهم الخاص فطلب من الانصار ان يقوموا بهذه المهمة وهم الذين اووه ونصروه وايدوه قائلًا لهم ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلي الله عليه وسلم باسلحتهم ان ينصروه بالسنتهم^(١) فاستجاب حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد اله بن رواحة رضي الله عنهم اجمعين فسر لاستجابتهم لطلبه وانشرح صدره لذلك^(٢). وقد ذكر بن كثير^(٣) رحمه الله تعالى في تفسير الاية الكريمة في سورة الشعراء : (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ^(٤) قال ابن عباس: يريدون أي الشعراء المسلمين علي الكفار الذين كانوا يهجون به

(١) دراسات في الادب العربي للدكتور سامي العاني ص ١٦

(٢) صحيح مسلم (فضائل حسان) ٤٦/١٦ تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار احياء التراث

العربي بيروت ، ج ٣ / ٣٥٥ ، مسند الامام احمد ٤٥٦/٣

(٣) اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري (٧٠٠-٧٧٤هـ) الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير (عماد الدين ابو الفداء) محدث مؤرخ فقيه ولد بجندل من اعمال بصري توفي بها في شعبان ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية من تصانيفه تفسير ابن كثير مختصر علوم الحديث لابن الصلاح والبداية والنهاية والفصول في سيرة الرسول وجامع المسانيد انظر ذيل طبقات الذهبي ١٨/٢ و ١٩/١ النجوم الزاهرة لابن تغري

بردي ١٢٣/١١ شذرات الذهب ٢٣١/٦

(١) سورة الشعراء الاية (٢٢٧)

المؤمنين وكذا قال مجاهد^(١) وقتادة^(٢) وغير واحد وهذا ما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال لحسان بن ثابت اهجهم او قال هاجمهم وجبريل معك). كما روى الامام احمد عن كعب بن مالك^(٣) عن ابيه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل قد انزل في الشعراء ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه

ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل)^(٤)

ويمكننا ان نشير هنا الي الاحاديث الصحيحة الكثيرة التي وردت في الكتب الستة وهي كلها تؤكد ان الرسول صلى الله عليه وسلم اثني علي الشعراء المسلمين وطلب منهم الدفاع عن المسلمين والجهاد في سبيل الله اعلاء لكلمة الحق سبحانه وتعالى والفوز برضوانه جل جلاله من ذلك ما رواه الامام البخاري في صحيحه^(٥) وما رواه الامام مسلم في صحيحه^(٦) وكذلك ومارواه الترمذي^(٧) وابن حنبل^(٨) من ان النبي صلى الله عليه وسلم وجه حسان بن ثابت بالدفاع عن الاسلام والمسلمين ومحاربة

(٢) هو مجاهد بن جبر الحجاج المكي مولى السائب بن ابي السائب المحزومي و لد سنة ٢١

ه روى عن جابر بن عبد الله و غيره مات سنة ١٠٣ تهذيب الكمال ج ٧ / ٧١

(٣) ابن دعامة بن قتادة بن عزيز وقيل قتادة بن دعامة بن عكابة حافظ العصر القدوة المفسرين والمحدثين ابو الخطاب السدوسي البصري الضرير الاكمه روي عن عبد الله بن سرجس وانس بن مالك وجماعة وروي عنه الاوزاعي وجماعة توفي سنة ١١٨ ه انظر طبقات بن سعد ٢٢٩/٧ الجرح والتعديل ١٣٣/٧ تذكرة الحفاظ ١٢٢/١

(٤) ابن ابي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري الخزرجي العبقي الاحدي شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه واحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم شهد العقبة وله عدة احاديث تبلغ التسعين اتفقا علي ثلاثة وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين وروي عنه عبد الله وعبيد وبقية ابائنه وابن عباس وجماعة وكان من اهل الصفة توفي سنة (٥١ ه) اسد الغابة ٤٨٧/٤ شذرات الذهب ٥٦/١ الاصابة ٣٠٤/٨

(٥) صحيح مسلم (فضائل حسان) ٤٦/١٦ تفسير القران العظيم لابن كثير دار احياء التراث العربي بيروت ، ج ٣ / ٣٥٥ ، مسند الامام احمد ٤٥٦/٣

(٦) صحيح البخاري بدء الخلق ٦

(٧) صحيح مسلم فضائل الصحابة ٢٤٤٨/٤

(٨) سنن الترمذي ادب ٩١

(١) مسند الامام احمد بن حنبل ٢٨٦/٤

شعراء المشركين بشعره عن البراء بن عازب^(١) سمعت رسول يقول لحسان اهجهم او هاجمهم وجبريل معك^(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان حسان يارسول الله اذن لي في ابي سفيان قالكيف بقرابتي منه قال والذي بعثك بالحق لاسلنك منها كما تسل الشعر من الحرير فقال حسان

فان سنام المجد من ال هاشم بنوا بنت مخزوم^(٣) والدك العبد

وعن عائشة ان صلي الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليهم من رشق بالنبل فارسل الي بن رواحة فقال اهجهم فهاجهم فلم يرض فارسل الي كعب بن مالك ثم ارسل الي حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد ان لكم ان ترسلوا الي هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تعجل فان ابابكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتي يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لحسان ان روح القدس لا زال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله يقول هجاهم حسان فشفي واشتقي^(٤) قال حسان :

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء^(٥)
وان الاحاديث الصحيحة التي ذكرت في الكتب الستة التي تذكر دعاء الرسول صلي

(٢) البراء بن عازب ابن الحارث ابو عمارة الانصاري الحارثي المدني نزيل الكوفة من اعيان الصحابة استصغر يوم بدر غزي مع رسول الله خمس عشرة غزوة ومسنده ثلاث مئة وخمسة احاديث توفي (٧٢ او ٧١ هـ) عن بضع وثمانين سنة اعلام النبلاء ١٩٤/٣

(٣) صحيح مسلم ١٩٣٣/٤

(٤) هي فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهي ام عبد الله ابي النبي صلي الله عليه وسلم والزبير ابي طالب ابناء عبد المطلب ، ووالدك العبد يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو ابو ابي سفيان المهجو وكانت ام ولد ، انظر صحيح مسلم فضائل حسان ٤٧/١٦

(٥) وروي مسلم في صحيحه كذلك قال حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني ابي عن جدي حدثني خالد بن يزيد حدثني سعيد بن هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة (صحيح مسلم ٢٤٩٠)

(١) صحيح مسلم فضائل الصحابة ٤٨/١٦-٥١

الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه كثيرة جدا فقد قال له عليه الصلاة والسلام (اجب عني ايديك الله بروح القدس فقال اللهم نعم) (١) وقد ذكرها الامامان البخاري (٢) ومسلم (٣) وابو داوود (٤) والترمذي (٥) وابن حنبل (٦) والطيالسي (٧) في مسنده ولقد اوردت مصادر الادب العربي هذا الدعاء وان كانت قد اختلفت روايتها فيه فقد اوردته محمد بن ابي الخطاب (٨) وابن رشيق القيرواني (٩) في مؤلفيهما الشهيرين جمهرة اشعار العرب و العمدة في نقد الشعر وادابه (١٠)

ولقد انفردت المصادر الادب العربي مثل كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني باقوال ينسبون لها والحجة عليهم الي الرسول صلي الله عليه وسلم يستشهدون بها علي توجيه رسول الله صلي الله عليه وسلم للشعراء المسلمين الذين اولعوا بحب الشعر

(٢) ومسلم (٢٤٨٥) في الفضائل واحمد ٥/ ٢٢٢، والنسائي ٤٨/٢ الرخصة في انشاد الشعر الحسن في المسجد والطبراني (٣٥٨٨) و كلهم عن طريق الزهري عن طريق سعيد بن المسيب عن ابي هريرة واخرجه البخاري ١٠/٤٥٣ في الادب باب هجاء المشركين ومسلم (٢٤٨٥) من طريق الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سمع حسان يستشهد ابا هريرة

(٣) صحيح البخاري الكتاب الثامن الباب ٦٨ والكتاب ٥٩ الباب ٦

(٤) صحيح مسلم ك ٤٤، ح ١٥١

(٥) سنن ابي داوود ك ٣٧ ب ٨٧

(٦) سنن الترمذي ك ٤١ ب ٨٠

(٧) مسند الامام احمد بن حنبل ٢/٢٦٩

(٨) مسند الطيالسي حديث ٧٣٠

(٩) محمد بن ابي الخطاب (.. ١٧٠هـ) اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي صاحب كتاب جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ويرجح جورج زيدان انه عاش في اواسط القرن الثالث الهجري وكتابه جمهرة اشعار العرب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨هـ وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القران واقوال الشعراء . راجع المجموعة الكاملة لجورجي زيدان ج/١٣ ص ٦٥٦ هداية العارفين للبغدادي ٨/٢

(١٠) هو علي الحسن بن رشيق ولد بالمسيلة في المغرب العربي سنة ٤٠٦هـ وهو يقول في نفسه

اما ابي فرشيق لست انكره كل ابوك وصوره من الخشب

صاحب كتاب العمدة و قراضة الذهب

(١١) جمهرة اشعار العرب ، ص ١٣ وابن رشيق في العمدة ص ٣١/١

وقويت عندهم الملكة الشعرية في الاستفادة من تلك الملكة التي هي سلاح ذو حدين قد يفيد في اغراض الخير والمساهمة في اصلاح المجتمع وبنائه خير البناء وقد يكون اداة هدامة اذا ما سيئ استخدام تلك الملكة الشعرية يروي بن رشيق في هذا الصدد في باب الرد علي من يكره الشعر قولاً يؤكد به صنيع الرسول صلي الله عليه وسلم في استغلال ملكة الشعر عند الشعراء المسلمين لا تدع العرب الشعر حتي تدع الابل الحنين^(١).

ولقد روت كتب الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم حديثاً يبين وجهة نظره في الشعر ومدى فائدته في المجتمع اذ هو حكمة وقد يكون حكماً فقد روي عنه (انه قال ان من الشعر حكمة وحكماً)^(٢)

وروي بن عباس رضي الله عنهما جاء اعرابي الي النبي فجعل يتكلم بكلام (فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر حكماً)^(٣) وان هذا القول من رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤكد القيمة الفنية الهامة للشعر الحسن ودوره في بناء المجتمع السليم

ولقد ذكرت مصادر الادب واللغة هذا الحديث مشفوعاً بقصة مشهورة وردتها تلك المصادر فقد رووا ان احد اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم جرح في غزوة من الغزوات وكان الدم يسيل من جرحه دون انقطاع ولم ينفع فيه ضمادحتي جاء حسان بن ثابت فقال اتتوني بكافور فوضع الكافور علي الجرح فجف الدم ثم سال النبي صلي الله عليه وسلم حسان بن ثابت من اين اقتبست هذا يا حسان قال من قول الشاعر:

فكرت ليلة وصلها في هجرها فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفقت امسح مقلتي بخدها اذ عادة الكافور امسك الدم
فقال النبي صلي الله عليه وسلم (ان من الشعر لحكمة)^(٤)

(١)العمدة ٣٠/١

(٢)صحيح البخاري ٤٨٧/٨ وسنن ابي داوود ك ٤١ ب ٦٩ وسنن ابن ماجه ك ٣٣ب ٤١

وسنن الدارمي ك ١٩ ب ٧٠

(٣)سنن ابي داوود ٢٧٧/٥

(١) جمهرة اشعار العرب ص ١٣ و العمدة ص ٥٥ ، و الزهر ، ج ٢ ، ص ٢٩١

وذكر الماوردي^(١) كذلك في كتابه ادب الدنيا الدين رواية لهذه الكلمة ففيه
ان النبي انشده عنده قول الاعرابي

وحي ذوي الاضغان تسب قلوبهم تحينك الحسنى فقد يرقع النعل
فان الذي يؤذيك منه سماعه وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلي الله عليه وسلم (ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا) (٢)
والحقيقة التي لا مرأ فيها ولا جدال ابدا ان الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم كان
يقدر الشعر في مجالس السلم والحرب ويعتقد اعتقادا يقينا ان مهمة الشعر والشاعر
المسلم في المجتمع الاسلامي مهمة شاقة وانه يلعب دورا هاما اصلاحيا في خدمة
الدين وبث الفضائل بين المسلمين وان الشاعر المسلم داعية مجاهد يجاهد بسيفه
ولسانه ولا يستغني عنه مجتمعه ابدا لاداء مهمته ولهذا اثر عن الرسول صلي الله
عليه وسلم انه قال ان من هذا الشعر سجع من كلام العرب به يعطي السائل وبه
يكظم الغيظ وبه يؤتي القوم في ناديمهم^(٣) فكان عليه الصلاة والسلام يعرف مهمة
الشعري الحياة العربية وانه ديوان العرب وسجل مفاخرها فحاول ان يوجه هذه الاداة
التي يحسن العرب استعمالها ولا يستطعون الاستغناء عنها الي حيث يخدم الفكرة
وينصر الدين ويبعث الفضائل الكامنة في النفوس العرب^(٤)

وان القاعدة التي يمكن ان نستنتج من موقف الرسول صلي الله عليه وسلم وما رواه
الامام مسلم في صحيحه كذلك ومارواه الترمذي وابن حنبل من ان النبي وجه حسان
بن ثابت بالدفاع عن الاسلام والمسلمين ومحاربة شعراء المشركين بشعره عن البراء
بن عازب^(٥) سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم (يقول لحسان اهزمهم او

(٢) ادب الدنيا و الدين - الامام الماوردي ، ص ١١٢

(٣) سنن ابي داوود ٢٧٧/٥

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ١٣٤/١

(٥) في الادب الاسلامي د. العاني شرح التبريزي للحماسة ٣/١

(١) البراء بن عازب ابن الحارث ابو عمارة الانصاري الحارثي المدني نزيل الكوفة من اعيان
الصحابة استصغر يوم بدر غزي مع رسول الله خمس عشرة غزوة ومسنده ثلاث مئة وخمسة
احاديث توفي (٧٢ او ٧١ هـ) عن بضع وثمانين سنة اعلام النبلاء ٣/١٩٤ شذرات الذهب

هاجمهم وجبريل معك) (١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان حسان يارسول الله صلي الله عليه وسلم اذن لي في ابي سفيان قال كيف بقرابتي منه قال والذي بعثك بالحق لاسلنك منها كما تسل الشعرة من الحرير فقال حسان :

فان سنام المجد من ال هاشم بنوا بنت مخزون والدك العبد (٢)
وروي مسلم في صحيحه كذلك قال حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني ابي عن جدي حدثني خالد بن يزيد حدثني سعيد بن هلال عن عمارة بن غزية عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليهم من رشق بالنبل) فارسل الي بن رواحة فقال اهجم فهاجم فلم يرض فارسل الي كعب بن مالك ثم ارسل الي حسان بن ثابت (٣) فلما دخل عليه قال حسان قد ان لكم ان ترسلوا الي هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تعجل فان ابابكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتي يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله يقول لحسان ان روح القدس لا زال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشتفي واشتقي قال حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء (٤)

وعلي اية حال فان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يقف موقف موقفين من الشعر الصادر عن الشعراء المسلمين خاصة وكلاهما مبني علي اساس اصلاح حال المسلمين في المجتمع الاسلامي الكبير

(٢) صحيح مسلم ١٩٣٣/٤

(٣) صحيح مسلم فضائل حسان ٤٧/١٦

(٤) حسان بن ثابت (... ٥٤هـ) بن المنذر الخزرجي الانصاري الصحابي المخضرم ادرك الجاهلية والاسلام وكان يقطن المدينة ومدح الغسانيين وملوك الحيرة قبلالاسلام ثم كان شاعر النبي صلي الله عليه وسلم في الاسلام وكان شديد الهجاء وتوفي بالمدينة من اثاره ديوان شعر. انظر الاعلام للزركلي ١٨٨/٢ الاغاني ١٣٤/٤

(١) صحيح مسلم ١٦ فضائل الصحابة ٤٨. ادب الدنيا و الدين - الامام الماوردي ، ص ١١٢

والموقف الاول :

كان يحرص فيه الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم علي ارشاد الشعراء المسلمين وتوجيههم الوجهة الاسلامية الصحيحة في انشاء الشعر فيوقفهم علي قيمة الاسلام ومبادئه والشعور بالمسئولية في تبليغ هذه المثل والقيم الاسلامية الي المسلمين وهي تحض علي التمسك بمبادئ الدين الاسلامي ونبذ العصبية والمثل الجاهلية البالية والابتعاد عن الامراض الاجتماعية التي تتفشي في المجتمعات غير الاسلامية من عبث وخلاعة ومجون وفساد اخلاق ما لا يقبله الدين الاسلامي الحنيف بل يحاربه وينهي عنه ويحرمه وكانما كان الرسول صلي الله عليه وسلم يتمني في الشاعر المسلم ان ياخذ نصيبه الاوفي من مسئولية الاعية المسلم المجاهد في الجهادين الاصغروالاكبر.

اما موقف الثاني :

لرسول الله صلي الله عليه وسلم من الشعر الصادر عن الشعراء المسلمين فيبدو واضحا جليا فيما كان يفعله مع شعراء الدعوة الاسلامية اذا ما بدر مهم او لوحظ عليهم خروج عن النهج الاسلامي في تقصيد القصيد كان عليه لصلاة والسلام يوجه ويحذر وينبه شعراء المسلمين بما يجب عليهم تركه اذا ما احسوا في شعرهم بعض الخروج عن القاعدة الاسلامية في انشاء الشعر.

فنحن نجد ان رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم شجع وقدّر بعض الشعراء فمنهم النابغة الجعدي^(١) الذي هذب الاسلام نفسيته وقال امام سيد الخلق محمد (ص)

لا خير في حلم اذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه ان يكذرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حلیم اذا ما ورد الامر اصدرا

(2) ابوليلي الشاعر له صحبة ووفادة ورواية قيل انه عاش مئة وعشرين سنة وكان يتنقل في البلاد ويمتدح الامراء واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة وله في ابن الزبير حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان وال فاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس في الحق فاستتوا فعاد صباحا حالك اللليل المظلم
فامر له بسبع قلائص وتمر وبر. طبقات فحول الشعراء ١٢٣/١ الاصابة ٥٤٠/٣

فقال الرسول الكريم (ص) (لا يفضض الله فاك)^(١) هذا كان الرسول (ص) يشجع ويقدر الشعر و الشعراء حتي استقام امر الدعوة وتهذب هذا الشعر فكان مدخل لكل الشعر العربي. فوصل الشعر الي العصر العباسي وهو يحمل في طياته ادبا مهذباً واحتك مع ادب الامم وكون لنا ادبا مكتملا من حيث اللفظ و المضمون. وكان لهذا الاثر تاثير بالغ في شعر الزهد و الفلسفة ، وقد جعلنا هذا من المداخل الاساسية التي ساعدت علي احياء هذا الادب وجعل له شكلاً مكتملاً من حيث الفكر و المبدأ ومن حيث اللفظ و التركيب و المعاني .

ومن تشجيع الرسول الكريم (ص) للشعر وجد هذا الشعر بلونه الجميل ومعناه الاصيل لان الشعر في نظر الاسلام مثل الكلام جيده جيد وقبيحه قبيح. وماقصة النصر بن الحارث^(٢) يعيد عن الازهان حيث قتل بوادي الصفراء عندما جز عنقه فقالت قتيلة بنت الحارث^(٣)أخته:
يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة و انت موفق

(١) الشعر والشعراء ٢٠٨/١ جمهرة اشعار العرب ١٤٨ مجالس ثعلب ٥٩٥/٢ العقد الفريد ٢٧٦/٥ التوقيف علي مهمات التعاريف ١١٠/١

(٢) النصر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف من بني عبد الدار، صاحب لولاء المشركين بيدر. كان من شجعان قريش ووجهها، له إطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في " الحيرة ". وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس. وهو ابن خالة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما ظهر الاسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيراً. وكان إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس بعده فحدث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ويقول: أنا أحسن منه حديثاً! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين!. شهد وقعة "بدر" مع مشركي قريش، فأسره المسلمين، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الواقعة. انظرالأعلام م / ٨، ص ٣٣. انظر: الكامل في التاريخ ٧٣ / ٢.

(٣)شاعرة من شواعر العرب المحسنات ذات حزم وراي وجمال قالت ترثي اخاها وذلك لما اقبل النبي صلي الله عليه وسلم حتي اذا كان بالصفراء فامر عليا عليه السلام ان يضرب عنق اخيها النصر بن الحارث بن كلدة فضربه فعرضت قتيلة النبي صلي الله عليه وسلم وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتي انكشف منكبه وقالت: ياراكبا ان

وفي الاصابة لابن حجر انها قتيلة بنت النصر بن الحارث وقيل اسمها ليلي انظر اعلام النساء في عالم العرب والاسلام، عمر رضا كحالة ص ١٨٧ مؤسسة الرسالة بيروت ط. عام ١٩٨٤ م

ابلع بها ميتا بأن تحية
مني عليك عبرة مسفوحة
فليسمع النضر إن ناديته
ظلت سيوف بني ابيه تتوشه
امحمد يا خير ابن كريمة
ما كان ضرك لو مننت به
والنضر اقرب من اصبت قرابة
و احقهم ان كان عتق يعتق

فقال صلي الله عليه وسلم : (والله لو سمعتها ما قتلتها) (١)

فهذا يعني ان للشعر تأثيراً عظيماً علي الشعور و الاحساس هو هكذا يضمن من رسولنا الكريم بلاغة الكلمة و تأثيرها.

ان الامثلة كثيرة جدا التي توضح الموقف الاول لرسول الله صلي الله عليه وسلم من الشعرا الاسلامي الحسن فكثير من اولئك الشعراء المسلمين نالوا حظهما الوافر من تشجيع الرسول الكريم محمد علي شعرهم الحسن واثني عليهم ثناء عطرا منه وربما كان حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعر النبي اسعد الشعراء المسلمين واوفاهم حظا من شجيع الرسول الكريم والثناء عليه وذلك التشجيع والثناء الذان تمثلا في الاحاديث التي روتها كتب الحديث الشهيرة بل لقد بلغ حسان رسول الله لشاعره حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه انه كان يضع له منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر او ينافح عن رسول فيما ترويه السيدة عائشة عنه وكان يقول ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر او ينافح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم (٢)

ولقد روت كتب الحديث الصحيحة احاديث كثيرة تؤكد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد سمح لحسان بن ثابت رضي الله عنه ان ينشد الشعر في المسجد بل كان يدعو له كذلك ومن تلك الاحاديث ثلاثة رواها الامام مسلم في صحيحه عن عمرو الناقد واسحق بن ابراهيم وابن ابي عمر كلهم عن سفيان بن عمر حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد عن ابي هريرة (ان عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر

(١) راجع سيرة بن هشام ج ١/٢٤٧

(٢) المستدرک علي الصحيحين للحاكم النيسابوري) ٣/٥٥٣ سير اعلام النبلاء ٢/٥١٢

في المسجد فلحظ اليه فقال كنت انشد وفيه من هو خير من ثم التفت الي ابي هريرة فقال انشدك الله اسمعت رسول الله يقول اجب عني ايده بروح القدس قال اللهم نعم وتروي مصادر الادب العربي روايات مختلفة عما روته كتب الحديث عن صور تشجيع الرسول الله لشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه ودعائه له من ذلك ما رواه ابو فرج الاصفهاني في كتابه الاغاني^(١) (ان النبي سال ليلة وهو في سفر ابن حسان بن ثابت فقال حسان لبيك يا رسول الله وسعديك قال احد فجعل ينشد والنبي يصغي اليه فما زال يستمع اليه وهو اليه وهو سائق راحلته حتي كان راس الراحلة يمس الورك حتي فرغ من نشيده فقال النبي لهذا اشد عليهم من وقع النبل)^(٢) ومن ذلك التشجيع النبوي الكريم لحسان رضي الله عنه ما رواه ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة في نقد الشعر وادابه وقد ذكر ابن رشيق (ان الرسول قضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره)^(٣) يقول ابن رشيق في باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه وانشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه ابا سفيان الحارث بقوله

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء

فقال له : جزاؤك عند الله الجنة يا حسان . فلما قال :

فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال له : وذاك الله حر النار . فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره .

ولقد كان هذا هو صنيع رسول مع كل شاعر اسلامي ملتزم بمبادئ الاسلام ومثله العليا وكان يقدر الشعر الخالي من شوائب الجاهلية ويقف منه موقف المشجع ويكافئ صاحبه بالدعاء الكريم منه مثلما كان يفعل مع حسان بن ثابت رضي الله عنه فمن ذلك ما فعله بشعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فيما يرويه النسابة ابن

(١) الشعر في خدمة العقيدة الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٤٧/٤

(٢) السنن الكبرى للنسائي ح ٣٨٧٦ ج ٢/٣٨٨ سنن النسائي المجتبي ح ٢٨٩٣ ج ٥/٢١١

(٣) وابن رشيق في العمدة ص ٥٣/١

عبد البر^(١) رحمه الله (ان النبي دعا يوما عبد الله بن رواحة وقال له قل شعرا تقتضيه الساعة وانا انظر اليك فانبعث عبد الله بن رواحة يقول :

اني تفرست فيك الخير اعرفه والله يعلم ان ما خانني البصر
انت النبي ومن يحرم شفاعته يوم الحساب فقد ازري به القدر
فثبتت الله ما اتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصرورا

فدعا له رسول الله بقوله: وانت فثبتك الله يا بن رواحة^(٢) .

وحقا فان بن رواحة المجاهد الشهيد والصحابي الجليل رضي الله عنه شجعه رسول الله كثيرا ونال من الدعاء والاستحسان لشعره والاحسان له ما ناله حسان بن ثابت رضي الله عنه فمن تشجيعه له كذلك لشعر عبد الله بن رواحة الحسن الهادف البناء ما رواه بن هشام في السيرة النبوية^(٣) قال بن اسحق وحدثني عبد الله بن ابي بكر (ان رسول الله دخل مكة في تلك العمرة عمرة القضاء او عمرة القصاص في ذي القعدة سنة سبع . دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول خلو بني الكفار

عن سبيله فكل الخير في رسوله

يارب اني مؤمن بقبيله اعرف حق الله في قبوله^(٤)

(١) يوسف بن عبد البر (٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري الاندلسي القرطبي المالكي ابو عمر محدث حافظ مؤرخ عارف بالرجال والانساب مقرئ فقيه نحوي ولد بقرطبة في رجب وروي عن خلف بن القاسم وغيرهم وجال في غرب الاندلس وسكن دانية وبلنسية وشاطبة وتولي قضاء الاشبون وشنترين وتوفي في شاطبة ف شرقي الاستيعاب في معرفة الاصحاب تجريد النتمهيد لما في الموطا من المعاني والاسانيد جامع بيان العلم وفضله القصد والامم في التعريف باصول العرب والعجم والاكتفاء في قراءة نافع وابي عمرو . انظر وفيات الاعيان ٤٥٨/٢ ، سير اعلام النبلاء للذهبي ١٨١/١١ الصلة لابن بشكوال ٦١٦

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٩٠٠/٣

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام - ج ٤ / ٧ لابي عيد الملك بن هشام المعافري تحقيق وتخریج جمال ثابت ، محمد محمود ، سيد ابراهيم ، دار الحديث القاهرة ط. ١٩٨٨م

(٤) السيرة النبوية - ابن هشام - ج ٢ / ٣٧١

ويكفي ابن رواحة تشجيعا ومحبة من رسول الله انه قال عنه فيما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان اخاكم لا يقول الرفث (١) يعني بذلك عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وقد قال قصيدة يرد فيها علي قيس بن الخطيم (٢) :

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق نور من الفجر ساطع
ارانا الهدي بعد العمي فقلوبنا به موقنات ان ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استنقلت بالمشركين المضاجع
واعلم علما ليس بالظن انني الي الله محشور هناك وراجع
وكان ممن ناله التشجيع والتقدير من رسول الله نابغة بني جعدة الذي هذب الاسلام
نفسيته وقد قال بيتين امام رسول الله هما :

لا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدر
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حلیم اذا ما اورد الامر اصدرا

(٢) صحيح البخاري ٤٦/٢

(٣) قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر ويكنى قيس أبا يزيد وكان أبوه الخطيم قتل وهو صغير قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونسبت لذلك حروب بين قومه وبين الخزرج وكان سببها خداش بن زهير يساعد قيس بن الخطيم على الأخذ بالثأر قيس يومئذ صغير وكان عدي أبو الخطيم أيضا قتل قبله قتله رجل من عبد القيس فلما بلغ قيس بن الخطيم وعرف أخبار قومه وموضع ثأره ولم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله وظفر بقاتل جده بذئ المجاز عن أنس بن مالك قال جلس رسول الله في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم يعني قوله

أتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمره وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها فلما بلغ إلى قوله

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فالتفت إليهم رسول الله فقال هل كان كما ذكر فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورسة فجالدنا كما ذكر وأما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة مقتل ابن الخطيم على أيدي الخزرج عن ابن الأعرابي عن المفضل أن حرب الأوس والخزرج لما هدأت تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم فتوامروا وتواعدوا فقتلوه الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٣/٣-١٢

ويروي الرواة في مصادر الادب ان النبي كافاه بدعائه الكريم له بعد ذلك : لا يفضض الله فاك (١) ويروي الرواة كذلك ان النابغة الجعدي عمر طويلا لم تنفض له ثنية ففضت له دعوة النبي بالصحة والسلامة وسبب ذلك شعره .

ويبدو ان النابغة الجعدي ربما استفاد من ثقافته الاسلامية اذ المعني الذي تناوله الجعدي في بيته انما هو تضمين لقول الله تبارك وتعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (٢) وهو كذلك تضمين قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (٣) وربما استفاد كذلك الجعدي من الاحاديث التي تحض علي الحلم وتتهى عن الغضب ، من ذلك ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه و سلم قال : (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) وقال الامام احمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله : (ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال: لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب) (٤).

ومن الهام جداً أن نلاحظ أن تشجيع رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن مقصوراً على فئة من الشعراء المسلمين دون غيرهم ، بل امتد تشجيعه عليه الصلاة والسلام الي كل شاعر مسلم احسن في شعره والتزم بالمنهج الاسلامي في ركب الدعوة الاسلامية .

ولقد كانت عادته فيما يرويها اصحاب السيرة أنه إذا كان في مسيرة ما طلب من الشعراء ان ينشدوا شعرا ليطمئن عليهم وليعرف حقيقة شعرهم وهذا ما فعله عليه الصلاة والسلام في مسيره الي خيبر سنة سبع . وقد روي بن هشام في سيرته خبر ا يؤكد به صنيع رسول الله هذا قال بن اسحق فحدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن ابي الهيثم بن نصر بن دهر الاسلامي ان اباه حدثه : انه سمع رسول الله

(١) الشعر والشعراء ٢٠٨/١ جمهرة اشعار العرب ١٤٨ العقد الفريد ٢٧٦/٥

(٢) سورة الاعراف الاية (١٩٩)

(٣) سورة ال عمران الاية (١٣٤)

(٤) اخرجه البخاري بمعناه كتاب الادب باب الحذر من الغضب رقم ٥٦٤٩ ج/٣ ص ٢٣٩

(يقول في مسيره الي خيبر لعامر بن الاكوع^(١) وهو عم سلمة بن عمرو بن الاكوع^(٢)) وكان اسم الاكوع سنان انزل يا بن الاكوع فخذ لنا من هنالك قال فنزل يرتجز برسول الله فقال :

والله لولا الله ما هتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
انا اذا قوم بغوا علينا ان ارادوا فتنة ابينا
فانزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لقينا

فقال رسول الله يرحمك الله^(٣) فقال عمر بن الخطاب وجبت والله يارسول الله لو امتعتنا به فقتل يوم خيبر شهيدا .

ومن الشعراء الاسلاميين الذين اثني عليهم رسول الله علي شعرهم لبيد بن ربيعة العامري^(٤) فقد روي ابو هريرة رضي الله عن^(٥) (ان رسول الله قال اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة^(٥) لبيد: الا كل شئ ما خلا الله باطل) وكاد امية بن ابي الصلت^(٦) ان يسلم^(٢)

(١) عامر بن سنان بن بشير الاسلامي المعروف بابن الاكوع عم سلمة بن الاكوع قال سلمة خرج عمي الي خيبر يرتجز فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا قالوا عامر قال غفر الله له لو متعتنا به قال سلمة فبارز عمي مرحبا اليهودي فوقع سيف مرحب في ترس عامر ورجع سيف عامر علي ساقه الحديث وفيه قال النبي صلي الله عليه وسلم له اجره مرتين . الاصابة في تمييز الصحابة ٢٥٠/٢

(٢) سلمة بن الاكوع هو سلمة بن عمرو بن الاكوع واسم الاكوع سنان بن عبد الله ابو عامر وابو مسلم ويقال ابو اياس الاسلامي الحجازي المدني ، قيل شهد مؤتة وهو من اهل بيعة الرضوان روي عدة احاديث من صالح اصحاب رسول الله خرج الي الريدة وتزوج بها قال الواقدي وجماع توفي سنة اربع وسبعين ، قلت وكان من ابناء التسعين وحديثه من عوالي صحيح البخاري (اعلام النبلاء ٣/٣٣٦-٣٣٠ ابن عساكر ٧/٢٥٠ البخاري في الفتن ١٣٤/٣٥)

(٣) السيرة النبوية ٢/٣٢٨

(٤) هوبن ربيعة العامري الصحابي توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مائة واربعين سنة وقيل في اول خلافة معاوية عن مائة وسبعة وخمسين سنة والحديث روي عن ابي هريرة رضي الله عنه من طريق البخاري ومسلم رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال (اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل -

الاعلام ٥/٢٤٠ شرح شواهد المغني ١/١٥٢

(١) روي هذا الحديث الامام البخاري في مسنده ٨/٤٣

كذلك كعب بن زهير من الذين نالوا تقدير رسول الله وتشجيعه . ذلك ان كعبا عدل عن النهج الجاهلي واسلم واعلن عن تويته امام رسول الله تلك التوبة التي نال كعبا عليها بشعره بردة المصطفي وقد مدح رسول الله بما فيه معلنا خروجه عن النهج

(٢) ابو الصلت عبد الله بن ابي ربيعة بن وهو من ثقيف شاعر من شعراء الجاهلية قديم وكان قد قرأ كتاب الله عز وجل الاول فكان يأتي في اشعاره باشياء لا تعرفه العرب ولبس المسوح وحرم الخمر وطمع في النبوة لانه قرا ان نبيا يبعث من العرب فطمع ان يكون هو فلما بعث النبي صلي الله عليه وسلم قيل له هذا الذي هذا الذي كنت تستريث وتقول فيه فحسده وقال انما كنت ارجوان اكونه فانزل الله عز وجل فيه (وائل عليه نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها ورثي من قتل ببدر فمن ذلك قوله :

ماذا ببدر والعنقل من مرزبة ججاج

وقيل ان النبي صلي الله عليه وسلم نهي عن روايتها كان ينشد له النبي صلي الله عليه وسلم

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا

فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان كاد امية ليسلم وله اشعار حكم في موته ومات ولم يسلم

الاجاني لابي الفرج الاصفهاني ١٢٩/٤

(٣) قوله (وكاد أمية بن أبي الصلت ان يسلم اسم أبي الصلت ربيعة بن عوف بن عقدة بن غيره بكسر المعجمة وفتح التحتانية بن عوف بن ثقيف الثقفي وقيل في ذلك أبو عثمان كان ممن طلب الدين ونظر في الكتب ويقال انه ممن دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة وزعم الكلاباذي انه كان يهوديا وروى الطبراني من حديث معاوية بن أبي سفيان عن أبيه انه سافر مع أمية فذكر قصته وانه سأله عن عتبة بن ربيعة وعن سنه ورياسته فأعلمه انه متصف بذلك فقال ازري به ذلك فغضب أبو سفيان فأخبره أمية انه نظر في الكتب ان نبيا يبعث من العرب اظل زمانه قال فرجوتان اكونه قال ثم نظرت فإذا هو من بني عبد مناف فنظرت فيهم فلم ار مثل عتبة فلما قلت لي انه رئيس وانه جاوز الأربعين عرفت انه ليس هو قال أبو سفيان فما مضت الأيام حتى ظهر محمد صلي الله عليه وسلم فقلت لأمية قال نعم انه لهو قلت أفلا نتبعه قال استحي من نسيات ثقيف اني كنت أقول لهن انني انا هو ثم اصير تابعا لغلام من بني عبد مناف ية اتت النبي صلي الله عليه وسلم فأنشدته من شعره فقال آمن شعره وكفر قلبه وروى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردفني النبي صلي الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر أمية قلت نعم فأنشدته مائة بيت فقال لقد كاد ان يسلم في شعره وروى بن مردويه بإسناد قوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال في قوله تعالى وائل عليهم نبا الذي اتيناه فانسلخ منها قال نزلت في أمية بن أبي الصلت . انظر فتح الباري ١٥٣/٧ صحيح بن حبان

الجاهلي في المديح فاذا مديحه له صبغة اسلامية صرفة يقول فيها بعد تغزله وذكر
شدة خوفه ووجله

انبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مامول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القران فيه مواعظ وتفصيل
لا تاخذني باقوال الوشاة فلم اذنب ولو كثرت في الاقاويل^(١)

ويعلق بن رشيق بقوله (فلم ينكر عليه النبي قوله وما كان ليوعده علي باطل بل
تجاوز عنه ووهب له برده فاشتراها منه معاوية بثلاثين الف درهم وقال العتبي^(٢)
بعشرين الف درهم وهي التي توارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والاعياد تبركا بها
وذكر جماعة منهم عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي الشاعر انه اعطاه مع البردة
مائة من الابل^(٣))

التوجيه و الترغيب :

كان الرسول يقف من الشعراء موقف الموجه المرغب في الاخذ بالكلمة الطيبة
والمحافظة علي المنهج والسلوك الاسلامي حتي في انشاء الشعر كان يفعل ذلك اذا
ما لاحظ علي الشعراء المسلمين شيئاً من الخروج عن السنن الاسلامية لاحظ بعض
الرواسب من الافكار الجاهلية الوثنية تلك الافكار التي كانت تثير الضغائن والاحقاد
كالتفاخر بالانساب والاحساب والجاه والمال وغير ذلك
والامثلة كثيرة علي موقف الرسول من شعراء المسلمين هذا الموقف الحكيم البناء
ومن ذلك ملاحظته ما اندنس في شعر النابغة الجعدي من بعض الافكار التي تبدو
غريبة عن المنهج الاسلامي، ولا تليق بشاعر من شعراء الدعوة الاسلامية . ويرى
بن رشيق القيرواني في كتابه العمدة في باب من قضى له شعر ومن قضى عليه :
انشد النابغة الجعدي بين يدي الرسول يقول فيها :

(١) انظر شرح ابن الانباري لقصيدة البردة تحقيق الدكتور محمود حسن زيني ص ١١٠
(٢) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية ابن عتبة بن ابي سفيان الاموي البصري
المعروف لاعتبي ابو عبد الرحمن اخباري اديب شاعر قدم بغداد وحدث بها له من الكتب
الخيال ، الاعاريب ، اشعار النساء اللاتي ثم ابغضن ، الاخلاق ، وكتاب الذبيح . انظر الفهرست
لابن النديم ١٢١/١ وفيات الاعيان ١/٦٦٦ النجوم الزاهرة ٢/٢٥٣
(٣) العمدة ١ لابن رشيق القيرواني / ٢٣ - ٢٤

علونا السماء عفة وتكرما وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي صلي الله عليه سلم وقال : (اين المظهر يا ابا ليلى ؟ فقال : الجنة بك يا رسول الله فقال له النبي صلي الله عليه سلم اجل إن شاء الله ففضت له دعوة النبي له بالجنة وسبب ذلك شعره) (١) ،

والذي يظهرنا جلياً من هذا النص هو أن النبي قد لاحظ علي النابغة شيئاً بتقليد للجاهليين في فخرهم فسأله في الحال اين المظهر يا ابا ليلى ؟ وفي رواية اخري (٢) الي اين يا ابا ليلى فاجابه الجعدي الشاعر المسلم باجابة سليمة عرف فيها كيف يستدرك علي نفسه بعد ان كاد يقع في شباك الفخر الجاهلي .

ومما يبين موقف الاصلاح التوجيه كذلك للشعر والشعراء المسلمين ما فعله ببعض شعر كعب بن مالك رضي الله عنه . فقد روي ابن اسحق (٣) في السيرة النبوية ان كعب بن مالك في قصيدة طويلة يجيب هبيرة بن ابي وهب مطلعها .

الا هل اتي عسانا ودونهم من الارض خرق سيره متنعن

قال ابن هشام (٤) وكان كعب بن مالك

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة مدربة فيها القوانس تلمع

فقال الرسول (ايصلح ان تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب نعم فقال الرسول (فهو احسن) :

فقال كعب :

مجالدنا عن ديننا (٥)

(١) مرجع سابق ٥٣/١

(٢) رواية الجماهرة ص ١٤ الي اين يا ابا ليلى ؟ فقال الي الجنة بك يا رسول الله قال نعم ان شاء الله

(٣) هو محمد بن سيار بن خيار و يقال ابن كوثن المدني القرشي مولى قيس بن مخزومة بن المطلب ادرك بعض الصحابة و كبار التابعين وه صاحب المغازي و السير مات سنة ١٥١ هـ انظر شذرات الذهب ج ١/٢٢٥

(٤) هو ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري مؤرخ لغوي سمع من زياد بن عبد الله البكائي و ابي عبيدة معمر بن المثنى وهو صاحب السيرة المشهورة بسيرة ابن هشام مات سنة ٢١٣ هـ انظر شذرات الذهب ج ٢/٣٠

(٥) السيرة النبوية ١٣٦/٢

لهذا فان بن هشام في السيرة النبوية لم يثبت في قصيدة كعب لفظة (جذمنا) التي تعني (الاصل والجنس والنوع بل نشر القصيدة بتعديل الرسول فاصبح البيت فيها هكذا :

مجالدنا عن ديننا كل فخمة مدربة فيها القوانس تلمع

ولقد استفاد كعب بن مالك رضي الله عنه بما اداه اليه الرسول من توجيه ونصح نبوي كريم ولهذا يروي الرواة انه قال (ما اعان الرسول احدا في شعره غيره) ومن الامثلة علي موقف الرسول من الشعر الذي ينزلق فيه صاحبه فيعثر بعض الشيء وييري الرسول ضرورة توجيه صاحبه الوجهة الاسلامية الصحيحة الي قول الشعر الحسن ما نجده مرويا في بعض مصادر الادب مثل كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام^(١) من ان الرسول صلي الله عليه وسلم كره من عبد الله بن رواحة ان يجعل قريشا قوم الرسول (اثمان العباء) وييري بن سلام الخبر بكامله عن عمر بن ابي زائدة قال سمعت مدرك بن عمار بن عقبة بن ابي معيط^(٢) يقول قال عبد الله بن رواحة مررت بمسجد الرسول وهو في نفر من اصحابه فنادى القوم: يا عبد الله بن رواحة ! يا عبد الله بن رواحة! فعرفت ان الرسول دعاني فانطلقت اليهم مسرعا فسلمت فقال ههنا فجلست بين يديه فقال كانه تعجب من شعري كيف تقول الشعر اذا قلته ؟ قلت انظر في ذلك ثم اقول قال: فعليك بالمشركين قال فلم اكن اعددت شيئا فانشدته فلما قلت

فخبروني اثمان العباء متي كنتم بطاريق اودانت لكم مضر؟

قال فكانني عرفت في وجه الرسول الكراهة اذ جعلت قومه اثمان العباء فقلت

نجالد الناس عن عرض فناسرهم فينا النبي و فينا تنزل السور

(٢) محمد بن سلام (. . . ٢٣١هـ) بن عبيد الله بن سالم البصري الجمحي ابو عبد الله اديب لغوي اخباري راوية حافظ توفي وهو من ابناء التسعين من اثاره طبقات الشعراء الجاهلين طبقات الشعراء الاسلاميين بيوتات العرب غريب القران والجلاب واجر الخيل. انظر تاريخ بغداد ٣٢٧/٥ سير اعلام النبلاء الذهبي ٢٨٣/٧ عيون التواريخ ١١٢ نزهة الالباء ٢١٦
(٣) مدرك بن عمار بن عقبة بن ابي معيط القرشي روي عن ابيه وعن ابي اوفي وروي عنه يونس بن ابي اسحق وليث بن ابي سليم وفراس بن ابي مطر وهو ثقة من اهل الحديث .
انظر الجرح والتعديل ٣٢٧/٨

وقد علمتم بان ليس غالبنا حيا من الناس ان عزوا وان كثروا
يا هاشم الخير ان الله فضلكم علي البرية فضل ما له غير
اني تفرست فيك الخير اعرفه فراسة خالفتم في الذي نظروا
ولو سالت او استتصرت بعضهم في جل امرك وما اووا وما نصرروا
فثبت الله ما اذك من حسن تثبيت موسي ونصرا كالذي نصرروا

فاقبل علي بوجهه مبتسما ثم قال واياك فثبت الله (١)

والمثال الاخير الذي يمكننا ان نذكره هنا من امثلة توجيه الرسول الكريم للشعراء الي النظره الاسلاميه الصحيحه للشعر ما فعله بوفد تميم من حسن توجيه ولفت نظر لشاعرهم الذي بالغ في فخره مبالغه جعلته فخرا جاهليا صرفا برزت فيه معالم العصبية القبليه التي نهى عنها الاسلام وحاربها وغيرها بتعاليمه الاسلاميه ولقد ضرب وفد تميم فيما يرويه بن اسحق الي الرسول في مكة سنة تسع سنة الوفود بعدما افتتح الرسول مكة فقدمت علي الرسول وفود العرب فقدم عليهم عطارد (٢) بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي في اشراف بني تميم منهم الاقرع بن حابس (٣) والزيرقان بن

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر ٢٢٥/١)
(٢) عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن زيد بن عبد الله بن مالك بن حنظلة بن زيد بن مناة التميمي وفد علي رسول الله صلي الله عليه سلم في طائفة من وجوه تميم منهم الاقرع بن حابس والزيرقان بن بدر وقيس بن عاصم فاسلموا وذلك سنة (٩٩هـ) وقيل سنة عشر والاول الاصح وكان سيدا في قومه وهو الذي اهدي للنبي صلي الله عليه وسلم ثوب ديباج كان كساه اياه كسري فعجب منه الصحابة فقال النبي صلي الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا ثم قال اذهبوا بهذه الي ابي جهم بن حذيفة وقل له ليبيعت الي بالخميصه ولما ادعت سجاح التميمية النبوة كان عطاء ممن تبعها وهو القائل:

امست نبيتنا انثي نطيف بها واصبحت انبياء الناس ذكرا

ثم اسلم فحسن اسلامه . اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ٤١١/٣

(١) الاقرع بن حابس بن عقاب بن محمد بن سفيان التميمي وفد علي النبي صلي الله عليه وسلم غي بني تميم فاسلم و كان من المؤلفة قلوبهم و حسن اسلامه بعد ذلك و شهد فتح مكة و حنيننا

بدر التميمي^(١) وعمرو بن الاهتم^(٢) والحتحات بن زيد^(٣) فلما دخل وفد تميم المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته ان اخرج الينا يا محمد فاذا ذلك رسول الله بصياحهم فخرج اليهم فقالوا: يا محمد

جنناك نفاخرك فاذن الي لشاعرنا وخطيبنا قال قد اذنت لخطيبكم فليقل فقام عطار بن حاجب (فخطب خطبة لم تختلف عن خطب الجاهلية) فقال رسول الله لثابت^(٤) بن قيس بن الشماس اخي بن الحارث بن الخزرج قم فاجب الرجل

و الطائف و شهد مع خالد بن الوليد اليمامة و حرب العراق وفتح الانبار و كان شريفا في الجاهلية و الاسلام و مات شهيدا هو و عشرة من بنيه في اليرموك انظر الاصابة ج ١ / ٥٩
(٢) الزيرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمي لقب بالزيرقان لحسن وجهه و لاه النبي صلى الله عليه و سلم على صدقات قومه ثم و لاه ابو بكر ثم عمر و وفي في الردة لم يرتد و عاش الى زمان معاوية نظر الاصابة ج ١ / ٥٤٤

(٣) عمرو بن الاهتم واسم الاهتم سنان بن سمي بن سنان بن خالد التميمي قدم اوفدا الي النبي في وجوه قومه من بني سنة تسع و فيهم الزيرقان بن بدر فتشاما هو و الزيرقان ب بدر اما رسول الله صلى الله عليه وسلم و تكلم عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قيل ان عمرا كان غلاما فلما اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال قيس بن عاصم لم يبق منا الا غلام حدث فازري به فاعطاه النبي مثل ما اعطاهم فبلغ عمرا قول قيس فقال فيه: ظللت مقترشا العلياء تشتمني عند النبي فلم تصدق ولم تصب
وكان عمرو ممن اتبع سجاح لما ادعت النبوة ثم اسلم فحسن اسلامه و كان خطيبا ادبيا . انظر اسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ٨٩ لابن الاثير .

(٤) الحتحات بن زيد بن علقمة بن جري بن سفيان بن مجاشع التميمي اسلم مع وفد بني تميم و اخى النبي صلى الله عليه و سلم بينه و بين معاوية بن ابي سفيان و كان معه في كل حروبه فوفد عليه في خلافته فخرجت جوائزه ثم مات الحتحات فورثه معاوية فخرج اليه الفرزد فانشده : ابوك و عمي يا معاوي اورثا ترثا فحاز التراث اقاربه

فما بال ميراث الحتحات اكلته و ميراث حرب جا مدلك دائنه

فدفع اليه ميراث الحتحات انظر الاصابة ج ١ / ٣١١

(٥) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الاغر بن ثعلب بن ثعلب بن الحارث بن الخزرج خطيب الانتصار كان من نجباء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يشهدا بدر و شهد احدا وبيعة الرضوان و امه هند الطائية و اخوته لاه عبد الله بن رواحة اخي ابني صلى الله عليه وسلم بينه و بين عمار و روي عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله

فيخطبته فقام ثابت. فرد عليه بخطبة تفيض بمعاني الاسلامية فقال الزبيرقان:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تتصب البيع

ومنها قوله : فلا ترانا الي حي نفاخرهم الا استقادوا فكانوا الراس يفتطعوا

فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه فيرجع القوم و الاخبار تستعر

انا ابينا ولا يابي لنا احد انا كذلك عند الفخر نرتفع

فلما فرغ الزبيرقان قال الرسول لحسان بن ثابت قم يا حسان فاجب الرجل فينا قال
فقام حسان فقال

ان الذوائب من فخر و اخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الاله و كل الخير يصطع

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم او حالوا النفع في اشياهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة ان الخلائق فاهم شرها البدع

ان كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لادنى سبقهم تبع

فلما فرغ حسان من شعره قال الاقرع بن حابس و الله ان هذا الرجل لمؤتى له

لخطيبه اخطب من خطيبنا و لشاعره اشعر من شاعرنا (١)

اغراض الشعر في عصر صدر الاسلام

١/ نشر عقائد الدين و حكمه و وصياه و الحث على اتباعه:

و خاصة في زمن النبي صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين

٢/ التحريض على القتال ووصفه و الترغيب في نيل الشهادة و رفعه لكلمة الله

و ذلك في ازمان غزوات النبي صلى الله عليه وسلم و حصار المدن و فتحها

٣/ المدح :و كان في صدر الاسلام مدحا في النبي صلى الله عليه من حيث

الاهتداء بهديه و نشرالحق على يده و كان خلفاؤه لا يرضون بمدحهم تواضعا ثم

استرسل الشعراء فيه و قبله منهم الخلفاء فصار المدح من اهم الدعائم لتوطيد دعائم

الدولة و تفخيم مقام الخلفاء و الولاة و الاشادة بعظمتهم

عليه وسلم نعم الرجل ثابت بن قيس استشهد في معركة اليمامة . انظر سير اعلام النبلاء

٣١١/١ للذهبي

(١)السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ / ١٩٣ اسد الغاية في معرفة الصحابة ٤ / ٨٩ لابن الاثير.

٤/ الهجاء و كان اولاً في سبيل الدفاع عن الاسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة بما يرضي النبي صلى الله عليه وسلم عن حسان شاعره في قريش على أن المسلمين كانوا يتحرجون منه و لو بالتعريض في زمن النبي صلى الله عليه و سلم لذلك عاقب عمر رضي الله عنه الحطيئة وهدده بقطع لسانه انيله من بعض المسلمين ثم صار يتساهل فيه حتى لو كان الهجاء غاية يراها الشاعر ولو لم يصل الى فيه الاقذاع والفحش الى الحد اليه في العصر الاتي

ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير (١) والفرزدق (٢) والاخلط (٣)

٥/ النسيب و الغزل و كان الشعراء يفتتحون قصائدهم به و ان كان الغرض غير ذلك مثل قول حسان يوم بدر في هجاء الحارث بن هشام (٤)

تبلت فؤادك بالمنام خريدة تسقي الضجيع ببارد بسام
كالمسك تخلطه بماء سحابة او عائق كدم الذبيح مدام

(١) (٦٤٠هـ) ابو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري ولد ومات باليمامة مدح يزيد بن معاوية وخلفاء بني امية اتصل بولاية العراق وصار شاعرالحجاج الذي وصله بالخليفة عبدالملك اتسم جرير بالهجاء لما يعمد اليه من سخريه مضحكة والقاب غريبة واقذاع وبالغزل والثناء لرقة الفاظه وصدق مشاعره ديوانه ونقائضه مع الفرزدق ومع الاخلط مطبوعة .انظر طبقات بن سلام ٣٧٤/١ خزانة الادب ٣٦/١ النجوم الزاهرة ٢٦٩/١.

(٢) الفرزدق (..... ١١٠هـ) همام بن غالب بن صعصعة المعروف بالفرزدق ابو فراس شاعر من اهل البصرة عظيم الاثر في اللغة والاخبار كان لا ينشد بين يدي الخلفاء والامراء الا قاعدا واراد سليمان بن عبد الملك ان يقيمه فثارت طائفة من بني تميم فاذن له بالجلوس وتوفي في البصرة وقد قارب المئة من اثاره ديوان شعر .انظر طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧٥ الاغاني ٣٢٤/٩ وفيات الاعيان ٢٥٩/٢ الاعلام لزركلي ٩٦/٩

(٣) الاخلط (١٩-٩٠هـ) غياث بن غوث بن الصلت التغلبي نشا علي المسيحية في اطراف الحيرة بالعراق اقام في دمشق حيناً وحيناً بالجزيرة حيث قيم بنو تغلب واكثرمدح املوك وامراء بني امية ودعا اليهم وهجا خصومهم وتهاجي مع جرير والفرزدق وتناقل الرواة شعره من اثاره ديوان شعر . انظر تاريخ دمشق ٧٣/١٤ الموشح ١٣٢ طبقات الشعراء ١٠٧

(٤) الحارث بن هشام اخو ابو جهل فاسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وكان خيرا شريفا كبير القدر وهو الذي ام هانئ فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت له رواية في سنن ابن ماجه اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مئة من الابل استشهد بالشام طبقات بن سعد ٤٤٤/٥ الجرح والتعديل ٩٢/١ اسد الغابة ١/٤٢٠ الاصابة ١٥٠٤

تفج الحقيبة بوصها متتضد بلهاء غير وشيكة الاقسام
 بنيت على قطن اجم كانه فضلا اذا قعدت مداك رخام(١)
 اقسام انساها و اترك ذكرها حتى تغيب في الضريح عظامي
 ثم بعد هذه الابيات في الغزل ياتي الى مقصوده في هجاء الحارث ابن هشام
 ان كنت كاذبة الذي حدثني فنجوت منجا الحارث بن هشام
 ترك الاحبة ان يقاتل دونهم و نجا برأس طمرة ولجام
 وكذلك فعل كعب بن زهير في قصيده المشهورة في الاعتذار الى النبي صلى الله
 عليه و سلم على ان النسيب يصل الى قمته إلا بعد ان صار الناس في مدينة
 الاسلام ففي الدولة الاموية نشهد ظهور شعر النسيب و الغزل في ابهى صوره
 خاصة بعد ظهور الشعراء العشاق كمجنون بني عامر(٢) و كثير عزة(٣) و
 جميل(٤) و عمر بن ابي ربيعة(٥) علان اسلوب النسيب و الغزل في هذه الفترة

-
- (١)ديوان حسان بن ثابت الانصاري دار بيروت للطباعة و النشر بدون تاريخ ص ٢١٤
 (٢)اختلف في اسمه و اسم ابيه اختلافا كثيرا فقييل البحريري بن الجعد و قيل اسمه معاذ و قيل
 مهدي و الصحيح انه عامر بن الملوح بن مزاحم العامري اصابه الجنون من عشق ليلي بنت
 مهدي بن سعد حتى ضرب به المثل في العشق و له شعر غذب رقيق يظهر من خلاله احساسه
 المرهف و عواطفه الجياشة انظر ترجمته في تزيين الاسواق باخبارالعشاق ج ١ / ١٢٥
 (٣)ابو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي احد عشاق العرب المشهورين وهو صاحب عزة
 بنت جميل بن حفص بن اياس بن عبد العزي وله معها حكايات و نوادر و من جميل شعره فيها
 : قضي كل ذي دين فوفي وعزة ممطول معني غريمها
 وكان يدخل علي عبد الملك وينشده وكان رافضيا شديد التعصب لال ابي طالب و توفي كثير
 عزة في سنة ١٠٥ . الاغاني ٤/٩ ، ١٢ ، ٤٤٤/١٥ ، ٤٠١/٣ الشعر والشعراء ٤١٠
 (٤)هو جميل بن معمر بن الحارث بن ظبيان شاعر فصيح مقدم جامع للشعر و الرواية و كان
 صادقاً في العشق و الصباية و اشتهر بشعر الغزل و النسيب و له في ذلك شعر غذب فياض
 انظر ترجمته في الاغاني ج ٨ / ١٥٥
 (٥)عمر بن ابي ربيعة هو عمر بن عبد الله بن ابي ويكنى عمر بن ابي ربيعة أبا الخطاب
 وقال عمر بن شبة أم عمر بن ابي ربيعة أم ولد سوداء من حبش يقال لهم فرسان وهذا غلط من
 ابي زيد تلك أم أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له القباع وكانت نصرانية وعن عوانة بن
 الحكم قال أراه عن الحسن قال ولد عمر بن ابي ربيعة ليلة قتل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه

كان اجمل لما يظهر فيه من صدق قائله ولين التمدن الذي ظهرعلى شعراء تلك الفترة.

و بالجملة فان الشعراء في هذه الفترة لم يخرجوا في تخيلهم و تصورهم عما الفوه في الجاهلية و ان فاقوهم في ترتيب الافكار و تقريب المعنى الى الالذهان و الوجدان لما هذبت نفسوهم ورقت طباعهم من خلال دراستهم لكتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم لما ذاقوه من جميل صفات المدنية التي نقلهم اليها الاسلام ولذلك فقد اثاروا جزالة اللفظ و فخامته وجودة الاسلوب وروعة المعنى (١)

اشهر الشعراء في تلك الفترة

كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن ابي سلمي احد فحول الشعراء المخضرمين ، ومادح الرسول صلى الله عليه .

لما ظهر الاسلام ذهب اخوه بجير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فغضب كعب لاسلامه ، وهجاه ، وهجا رسول الله واصحابه فتوعد النبي صلى الله عليه وسلم واهدر دمه فحذره اخوه العاقبة الا ان يجئ الي النبي صلى الله عليه و سلم مسلما تائبا فهام كعب يترامي علي القبائل ان تجيره فلم يجره احد فلما ضاقت الارض في وجهه جاء ابا بكر رضي الله عنه بالمدينة وتوسل به الي الرسول فاقبل عليه وامن وانشده القصيدة المشهورة

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

فخلع عليه النبي برده ، فبقيت في اهل بيته حتي باعوها لمعاوية بعشرين الف درهم ثم بيعت الي المنصور العباسي باربعين الف درهم

فأى حق رفع وأي باطل وضع قال عوانة ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها عن عطاء قال كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنه ولد في أول الإسلام. الاغانى ج ١/٧٠

كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر وكان خلف الاحمر احد علماء الشعر يقول لولا قصائد لزهير^١ ما فضلته علي ابيه كعب وكفاه فضلا ان الحطيئة مع ذائع شهرته رجاه ان ينوه في شعره فقال

فمن للقوافي شانها من يحوكها اذا ما مضي كعب وفوز جرول
من شعره قوله في قصيدته بانث سعاد

وقال كل خليل كنت امله لا الهينك اني اليوم عنك مشغول
فقلت خلو سبيلي لا ابا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثي وان طالت سلامته يوما علي الة حدبا محمول
نبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مامول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القران فيها مواعيز و تفصيل
لا تاخذني باقوال الوشاة ولم اذنب وقد كثرت في الاقاويل^(٢)

(٢) الخنساء

هي السيدة تماضرالخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية ارقى شواعر العرب واحزن من بكى وندب ، ابوها عمرو واخواها معاوية وصخر وكانت هي من اجما نساء زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم فرغبت عنه واثرت التزوج في قومها فتزوجت منهم وكانت تقول المقطعات من الشعر فلمكا قتل شقيقها معاوية ثم اخوها لابيها صخر جزعتي عليهما جعا شديدا ويكتهم بكاء مرا وكان اشد وجدها علي صخر لانه شاطرها هي وزوجها اموالها مرارا ولما جاء الاسلام وفدت مع قومها الي النبي صلي الله عليه وسلم واسلمت وكان يعجبه شعرها ويستتشدها ويقول هيه يا خناس ويومئ بيده وما فتئت تبكي صخرا قبل الاسلام وبعده حتي عميت وبقيت الي ان شهدت حرب القادسية مع اولادها الاربعة فاوصتهم

(١) هو زهير بن ابي سلمى ربيعة بن رباح بن قرة لن الحارث المزني المضري شاعر جاهلي ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجز من ديار نجد من اثاره ديوان شعر توفي نحو ١٣ ق .هـ انظر الاغاني ٢٨٨/١٠ الاعلام الزركلي ٨٦/٣ مقدمة ديوان زهير بن ابي سلمى المرصفي

(٢) الاغاني - ابو الفرج الاصفهاني ج ١٧ / ٢٧

وصيتها المشهورة وحضتهم علي الصبر عند الزحف فقتلوا جميعا فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ولم تحزن عليهم حزنها علي اخويها شعرها اغلب علماء الشعر علي انه لم تكن المرأة قبل الخنساء ولا بعدها اشعر منها ومن فضل ليلي الاخيلية عليها لم ينكر انها ارثي النساء وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا الا ظهر الضعف فيه فقل له كذلك الخنساء فقال تلك التي غلبت الفحول ولم يكن شأنها عند الشعراء الجاهلية اقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابغة الذبياني(١) يقول لها وقد انشدته بسوق عكاظ قصيدتها المشهورة التي مطلعها : قذي بعينك ام بالعين عوار ام ذرفت اذ خلت من اهلها الدار لولا ان ابا بصير يعني الاعشي انشدني قبلك لقلت انك اشعر من بالسوق وتوفيت سنة ٢٤هـ

الخطيئة

هو ابو مليكة جرول الخطيئة العبسي نشا كما قال الاصمعي جشعا سوّلا ملحفا دنئ النفس كثير الشر قليل الخير بخبلا قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين وعاش الخطيئة مدة في الجاهلية وجاء الاسلام فاسلم ولم يكن له صحبة مع النبي صلي الله عليه وسلم ثم عاش متنقلا في القبائل يمد هذا تارة ويذم تلك اخري وينتسب الي عبس طورا وطورا الي ذهل ويهجو اليوم من يمدحه بالامس وكل قبيلة تخطب وده وتتقي شر لسانه حتي ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب حبس الخطيئة فما زال يستشفع اليه بالناس وقول الشعر حتي اطلقه وهدده بقطع لسانه

(١) النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري توفي نحو ١٨ ق.هـ شاعر جاهلي من اهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد احمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه اشعارها وكان خطيبا عند النعمان بن المنذر حتي شبيب في قصيدة بالمتجرده زوجة النعمان فغضب العمان ففر النابغة وغاب زمنا ثم رضي عنه النعمان فعاد اليه له شعر كثير جمعه بعضه في ديوان صغير . ابن عساكر تاريخ دمشق ٦/٢٥٨ الاعلام

ان هجا احدا واشتري منه اعراض المسلمين بثلاثة الاف درهم ولكنه نكت
اوغل في الهجاء بعد موت عمر وبقي كذلك حتي مات اوائل خلافة معاوية (١)
لولا ما وصم الحطيئة من خسة النفس ودناءة الخلق وجهالة النسب لكان
باجادته في كل ضروب من ضروب الشعر شاعر المخضرمين علي الاطلاق الا
انه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفا لله ولا للشرف وقلما يوجد في كلام الحطيئة
مظنة ضعف او مغمز لغامز من ركافة لفظ او غضاضة معني او اضطراب
قافية ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار قوله

يسوسون احلاما بعيدا اناتها وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
ومن ابياته التي استعطف بها امير المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله
ماذا تقول لافراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامين الذي من بعد صاحبه القى اليك مقاليد النهي البشر
لم يؤثروك بها اذا قدموك لها لكن لانفسهم كانت بك الأثر (٢)

تأثير الاسلام في الخطابة

لقد كان حظ النثر من ناحية تأثير الاسلام فيه كثيرا ولا عجب في ذلك فقد كان
النثر الكثير الذي اثر عن ادب الدعوة ه المدافع الاقوي عن مبادئ هذه الدعوة
القادمة بل ان النثر الاسلامي استطاع ان يسبق الشعر (٣) في هذا المجال اذ
هو اخصب الميادين فدحض حجج المشركين في مكة وصرع افكارهم ونازلهم في كل
موقف من المواقف التي وقفوا فيها ضد الدعوة الاسلامية.

ولقد كان تأثير الاسلام في النثر قويا كذلك اذ قد احتضنت الدعوة الاسلامية النثر
احتضاناً قويا فغدا النثر الاسلامي في مكانة ارقى واعظم في ركب الدعوة الاسلامية
ولقد كانت خطب رسول الله صلي الله عليه وسلم منذ اللحظة الاولى في تاريخ

(١) الاغاني ج ٢ / ١٢٠

(٢) جواهر الادب ج ١ / ٢٩١

(٣) دراسات في الادب الاسلامي سامي مكي العانمي ص ١٩

الدعوة الإسلامية مثالا اعلي للفصاحة والبلاغة مما يؤكد ان ادب الدعوة الإسلامية نشأ منذ بدايته قويا يدرج علي قدميه وينتقل في مدارج الرقي والازدهار (١).

ولقد كانت خطب رسول الله صلي الله عليه وسلم المثال الاعلي والانموذج الإسلامي السليم المحتذي لما كانت تتضمنه من الفصاحة العظمي والبيان الرفيع والحكمة والموعظة الحسنة ومجامع الكلم وبدائع الحكم

ولقد سار رسول الله صلي الله عليه وسلم في جميع خطبه علي النهج القراني في نشر الدعوة الإسلامية وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اسطع الخطباء وكان في الفترة المكية يعرض عليهم الدين الإسلامي الحنيف والحكمة والموعظة الحسنة والقران الكريم مستشهدا باياته البيئات صنعا جوامع كلمه علي هدي القران الكريم ولقد كان هذا ديدنه في كل لحظة من لحظات الدعوة الإسلامية وانبأثها من مكة المكرمة بل لقد كان هذا منذ اللحظة الاولي التي تلقي فيها امر الله تعالى بتبليغ الدعوة لعشيرته الاقربين لقوله تعالى (اوانذر عشيرتك الاقربين) (٢) فصدع رسول الله صلي الله عليه وسلم بهذا الامر وارثي جبل الصفا وخطب في الناس (يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني مالك ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل يريد ان تغير عليكم او كنتم مصدقي قالوا نعم ما جرينا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٣) مشيرا الي قوله الله تعالى (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) (٤) وحين اوحى الله الي نبيه بان يصدع بالدعوة الإسلامية بقوله تعالى (فاصدع بما تأمر واعرض عن المشركين) (٥) خطب اول خطبة في جموع الناس في مكة فقال من جوامع كلمه وبدائع حكمه ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والي الناس كافة والله لتموتن كما تتامون ولتبعثن كما

(١) ادب الدعوة الإسلامية دكتور مصطفى محمود يونس ص ١٤

(٢) سورة الشعراء الاية ٢١٤

(٣) اخرجه احمد والشيخان كما في البداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٨ حياة الصحابة للكاتب الهلوي

٧٣/١

(٤) سبأ الاية ٤٦

(٥) الحجر الاية ٩٤

تستغيظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة ابد او نار ابد (١).

ولقد تآثر اسلوب الخطابة بالظاهرة البلاغية التي اشرفت في ديباجة القران الكريم مرتفعة بالاسلوب الفني بالادب الاسلامي الي درجة عالية ولقد كان اثرالقران الكريم قويا في نفوس وعقول المسلمين وبعث فيهم حثا جماليا لم ينوفر لمن بقه من الجاهلين

ولقد تآثر الخطباء في العصر الاسلامي بالاسلوب القران واتخذوه نبراسا يهتدون ببهديه في اسلوبهم حتي اصبحت الخطب عندهم اثرا من الاثار الفنية قبل ان تكون وسيلة للاقناع والتاثير ولهذا لم يعد الخطيب المسلم كسابقه من الجاهلين الذين كانوا يعمدون الي الكثار من الحك المبعثرة المجزاة فقد اصبح الخطيب المسلم يظفي علي خطبه مسحا بلاغيا اكتسبه من تلاوةالقران الكريم

فضل اخر ترجع اسبابه الي القران الكريم في الخطابة الاسلامية وهو ارتفاع ثقافة الخطيب المسلم اللغوية وبالتالي اتساع تاثيره في السامعين وذلك ان القران الكريم قد نزل بلغة قريش وهم افصح العرب فكانت الفاظ الخطبة مقروءة وتعايرها واضحة وليس ادل علي ذلك من خطبة رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع فهي تسير علي هذا المنوال (ياايها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال اخيه الا عن طيب نفس منه الا هل بلغت اللهم فاشهد الخ

وتآثر الخطباء المسلمون بخطبهم كذلك باحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وخطبه ويتضح فضل هذه الخطب والاحاديث في انه اصبحت الغذاء الروحي لهم فمنه يغترفون روح التعاليم الاسلامية واخذ المسلمون يتداولون خطب رسول الله في حياتهم ويتخذونها انموذجا يحتذونها دائما وابدا في خطبهم بل لقد اخذوا يحفظونها عن ظهر قلب ويقتبسون منها في خطبهم حتي يكون لها وقع وتاير في نفوس سامعيهم

(١)السيرة الحلبية ٢٧٢/١ ، الكامل لابن الاثير ٢٧/٢ جمهرة خطب العرب لاحمد زكي ١٤٧/١

الفصل الثاني

الفلسفة و أثرها في الادب العربي

المبحث الاول: ظهور الفلسفة

المطلب الاول تعريف كلمة فلسفة

المطلب الثاني تاريخ الفلسفة

المطلب الثالث العرب قبل دخول الفلسفة عليهم

المبحث الثاني: الفلسفة في العصر العباسي

المطلب الاول صورة المجتمع العباسي

المطلب الثاني تاثر المجتمع العباسي بالمجتمعات الاخرى

المبحث الثالث: المدارس الفلسفية في العصر العباسي

المطلب الاول مدرسة اخوان الصفاء

المطلب الثاني المعتزلة

المطلب الثالث مدرسة الغزالي في الفلسفة

المبحث الرابع: اشهر الادباء الفلاسفة في العصر العباسي

المطلب الاول ابن المقفع

المطلب الثاني ابو العلاء المعري

المطلب الثالث ابن سينا

المطلب الرابع المتنبئ

المبحث الاول ظهور الفلسفة

المطلب الاول: تعريف كلمة فلسفة

المطلب الثاني: تاريخ الفلسفة

المطلب الثالث: العرب قبل دخول الفلسفة عليهم

المطلب الأول

تعريف كلمة فلسفة

كلمة الفلسفة من الكلمات الغامضة التي يصعب تحديد معناها ، وقد استعملت في معان مختلفة فأول ما استعملت عند اليونان في معناها الذي يدل عليه اشتقاق الكلمة ، فمعنى فيلسوف محب الحكمة ، ومعنى فلسفة حب الحكمة ، فاستعملت الكلمة أول ما استعملت في البحث عن الحقائق كائنة ما كانت ، لهذا شملت كل المعارف و العلوم.

ثم استعملها أفلاطون^(١) فميزها عن غيرها ، بأنها البحث عن الحقائق الثابتة لهذا الكون دون الظواهر المتغيرة ، فالحرارة ، و البرودة ، و الشكل ، و اللون ، و القابلية للإحتراق و ، عدمها أشياء متغيرة ، وظواهر فقط ، فهذه لا تهتم بها الفلسفة كثيراً ، إنما تهتم الفلسفة بحقائق هذا الكون وعناصره الثابتة غير المتغيرة.

وقد شملت الفلسفة أول الأمر البحث في كل أنواع العلم، من طبيعة، وعقلية وغيرها ، ثم لما كثرت العلوم أخذ بعضها ينفصل عن الفلسفة ، و أخيراً اقتصرت على المنطق، و الأخلاق، و علم الجمال ، و علم الاجتماع، و فلسفة القانون، و فلسفة التاريخ، و الدين ، ثم أخذت هذه العلوم نفسها تستقل شيئاً فشيئاً عن الفلسفة ، وكاد الأمر عند بعض الباحثين يقتصر في الفلسفة على ما وراء المادة.

وعلى الجملة فهناك فرق كبير بين العلم ، فكل علم قد قصر نفسه على مسائل بحث فيها ، ولم يتجاوزها ، فعلم الطبيعة اقتصر على بعض الظواهر ، و علم الكيمياء على الظواهر المتغيرة ، و علم النبات على ما يتعلق بالنبات ، و علم الحيوان على ما يتعلق بالحيوان ، أما الفلسفة فتريد أن تجعل العالم كله كتلة واحدة .، ثم هي تحاول أن تفسره من أعماقه ، بقطع النظر عن هذه الظواهر المختلفة ، والأجزاء المتعددة.

(١) أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) فيلسوف يوناني تتلمذ على يد سقراط وفي عام ٣٨٨ ذهب ليعيش في بلاط طاغية سرقسطة ولما عاد الي اثينا اسس الاكاديمية حيث علم الرياضة والفلسفة حتي اخر حياته باستثناء رحلتين الي سرقطة حيث حال تطبيق جمهوريته ومنهاج الدراسة عنده يشبه مما كان سائدا في عصره وقد اهتم كثيرا بالرياضيات الا انه اهمل العلوم الطبيعية والتاريخ ظلت نظريته التربوية تشغل الافكار حتي العصر الحاضر الموسوعة العربية ١/١٨١

فإذا نظر العلم إلي جانب واحد من جوانب هذا العالم وجزء من أجزائه ، وبعض قضايا من قضاياها ، فالفلسفة تنظر إلى العالم من حيث هو كتلة واحدة ، ثم تحاول أن تفسره كله ، وتضيء جوانبه كلها .

وقد امتازت الفلسفة بوصفين ظاهرين :

الأول: الدقة في البحث ، فهي لا تريد أن تنتقل من خطوة إلى أخرى إلا بعد التثبيت من الخطوة الأولى، والتأكد من صحتها ، ومن أجل هذا وضعت علم المنطق ، وقصدت به إلى ضبط الفكر ، وامتحان القضايا ، وامتحان الأدلة والبراهين ، لتعريف صحيحها من فاسدها .

الأمر الثاني : الشك قبل اليقين ، فليست تصدق شيئاً لأن بعض الناس صدق به ، ولا تتكر شيئاً لأن بعض الناس أنكروه ، إنما تريد ألا تحكم حكماً إلا إذا أيدته الدليل ، وقام عليه البرهان .

وقد يشاركها العلم في هذين الوصفين ، ولكن العلم في كثير من الأحيان يفرض الشيء الذي يبحث فيه موجوداً ، ولا تبحث فيه وتتبنى عليه نظرياتها والعلوم الطبيعية تؤمن بالمادة وتتبنى عليها أحكامها .

ومن الصفات الأساسية للبحث الفلسفي. العمق ، والدقة ، والشك قبل اليقين .(١)

(١) معالم الفلسفة الإسلامية - محمد جواد مغنية - دار مكتبة الهلال بيروت ص ١٥

المطلب الثاني

تاريخ الفلسفة

أخذ اليونان معارف من قبلهم ، كالحكمة التي عرف بها الكهنة المصريين ،
والمرياضة ، والهيئة، والطب التي اشتهر بها الهنود والمصريون ، واستفادوا منها ،
وأسسوا من ذلك كله، ومما منحوا من نظرة عامة شاملة عميقة ما سمي فلسفة .

فاسم الفلسفة وكونها على هذا النمط المعروف ، كان من عمل اليونان ، واشهر
فلاسفة اليونان : سقراط^(١) ، وأفلاطون ، وارسطو^(٢) .

و كانت بلاد اليونان موطن الاعتدال والانفتاح تمتد في قلب البحر المتوسط أجمل
البحار وأبهاها، ما بين أوروبا، وآسيا، وأفريقيا ، وتتجه في امتدائها نحو الشرق،وقد
نشأ الشعب اليوناني وفيه بهجة واتزان وميل إلى الجمال والفن ، وتوق لا ينازع إلى
المعرفة ، فترعرع العقل اليوناني بعيد الأفاق عميق الأغوار .

فلما سكنت حركة الغزوات في القرن الثاني عشر قبل المسيح اتسعت شواطئ
آسيا الصغرى لتبادل العلاقات بين شعوب آسيا العريقة في القدم والأخائيين اي
اليونان الذين انبثوا في تلك الأصقاع ، وفي بلاد أيوليا من آسيا الصغرى ، أخذت
تنشأ ما بين القرن الثاني عشر والثامن ق.م ثقافة هي مزيج من عناصر أخائية
وآسيوية،وكانت العناصر الأخائية مزيجًا من عناصر كثيرة، حافلة بالأثر

(١)سقراط (٤٤٦-٣٣٩ ق.م) فيلسوف يوناني من اثينا ابو نحات وامه قابلة لم يترك اثا
مكتوبا لكن سجل حياته تلميذه فلاطون في محاوراته واكسانوفون في مذكراته اتهم بافساد عقائد
الشباب فحوك وحكم عليه بالموت وفي محاوره افلاطون وصف لمحاكمته ومحور فلسفة سقراط
ان هنالك حقائق عقلية ثابتة مكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة الموسوعة العربية
الميسرة ٩٨٦/١

(٢)ارسطو فليسوف يوناني (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) تتلمذ علي افلاطون وعلم الاسكندر الاكبر
واسس اللوقيون حيث كان يحاضر ماشيا فسمي بالمشائين الف الارغانون في المنطق الذي
ينقسم الي ثلاثة كتاب المقولات ومبحثه التصورات وكتاب العبارات ومبحثه الاقوال المؤلفة من
التصورات وكتاب التحليلات ومبحثه الاستدلال واهم ما في المنطق هو القياس الذي نستنبط
من به نتيجة يقينية من مقدمات دعا ارسطو الي التدرج في التعليم تبعا لمراحل تطور الانسان
الطبيعية ويطابل بالتعليم الحدسي وينتقد الافراط في الرياضيات ويهتم خاصة بالموسيقى
والرسم الموسوعة العربية ١١٧/١

المصري، وكانت العناصر الآسيوية مزيجاً من عناصر بابلية ، وفارسية ، وفينيقية ، وما إليها من مخلفات الحضارات الشرقية القديمة.

وهكذا تغذى العقل اليوناني من عصارة عقول الشعوب القديمة وحضاراتها وثقافتها ، ومما لا شك فيه أن الثقافة القديمة التي تمثلها اليونان مؤلفة من عناصر دينية وعلمية، وفنية تختلط فيها الخرافات والأساطير بالحقائق التاريخية ولا تتميز فيها انشاءات الخيال الوهمية عن معطيات العقل والملاحظة والاختبار فأول مفكري اليونان محصوا واختاروا ، وكان لهم الفضل الأكبر في ما نفوا أكثر مما كان فيما أبقوا عليه وابتكروه

تناولوا العناصر المختلفة فأعملوا فيها الفكر، وهم شعب قد اهتم للشكل الفني في كل عمل، وللمعرفة اليقينية في كل علم، وقابلوا بين مخلفات الشعوب محكمين العقل في أجزائها حتى يخلصوا إلى طريق توصلهم إلى الصواب وتبعدهم عن الخطأ. فكان لهم علم المنطق الذي كان هو أصل الفلسفة وفي أصل الطرق العلمية في البحث والتنقيب ، فجعلوه علماً ذا أركان وأصول ،

وقد قامت معهم هذه الفلسفة الجديدة ، وهذه الطريقة العقلية مقام العلوم اللاهوتية وسائر العلوم الاختبارية القديمة ، وجعلوا العقل المقام الأول في العلم والعمل ، وقد كان أسلوبهم العقلي الجديد وطريقة الشرقيين الصوفية القطبين اللذين نمت بينهما وتطورت الحضارة اليونانية في اوجهها في القرن الخامس قبل الميلاد^(١)

لقد جرى جدول من أثينا، وصب في بلاد الشرق يحمل الفلسفة اليونانية ، والأفكار ، وكان القائمون بهذا العمل طائفة من السريان جدوا في ترجمة الكتب اليونانية إلى السريانية ومنها إلى العربية، ونشأت مدارس لهذا الغرض كان من أشهرها مدرسة إلزامة ، ومدرسة نصيبين^(٢)، وقد بدا السريان في ترجمة الكتب اليونانية إلى السريانية

(١) المرشد السليم في المنطق الحديث و القديم - عوض الله جاد حجازي - دار الطباعة المحمدية القاهرة سنة ١٩٦٤ م ص ٦

(٢) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك فاستعصت علي فكان يملأ القارورة من العقارب ويضعها في العرادة وهي على هيئة المنجنيق فتقع القارورة وتتكسر وتخرج تلك العقارب ومازال يرميهم بالعقارب حتى ضج أهلها وفتحوا له البلد معجم البلدان ٢٨٨/٥

من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الثامن، فترجموا كتب الطب والفلسفة الطب
والفلسفة والرياضيات والطبيعات والأخلاق والحكم.

فلما نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي أخذوا يترجمون هذه الكتب السريانية
المتجمة عن اليونانية إلى اللغة العربية من القرن الثامن إلى العاشر الميلادي، وكان
اشهر ممن اشتغلوا بهذه الترجمة السريانية إلى العربية حنين بن اسحق^(١) وابنه اسحق
وظل النقلة يوالون النقل إلى نهاية القرن العاشر الميلادي أو الرابع الهجري، وممن اشتهر فيه
بالترجمة متي بن يونس^(٢) ويحي بن عدي^(٣)

(١) العبادي النصراني (٨١٠-٨٧٦م) طبيب ومترجم ينسب الي العباد وهم قوم من النصاري
انفردوا عن الناس في قصور ابتوتها لانفسهم بظاهر الحيرة وتسموا بالعباديين نسبة الي عباد الله
نصراني نسطوري تتلمذ علي يد ويحنا بن ماسوية وترجم عن اليونانية الي السريانية والعربية
اتصل بالخليفة المتوكل وخدمه بالطب الذي الف فيه كتبا ومقالات كثيرة رحل الي بلاد كثيرة
كبلاد الروم وفارس ليحصل علي العلم والحكمة تكونت منه ومن ابنه اسحق بن حنين وابن اخته
حبيش الاعسم مدرسة للترجمة عين له المتوكل كتابا عالمين بالترجمة يترجمون ويراجع هو
ترجماتهم منهم اصطف بن بسيل وموسي بن خالد الترجماني وحريح بن هارون لخص حنين
كتب بقراط وجالينوس ووضح معانيها الف في الطب كتبا كثيرة وترجم في الفلسفة كتاب
تيموس والقوانين لافلوطن والمقولات والطبيعات والاخلاق الكبرى والمعادن ترجم شروحي
تاسطيوس علي الكتاب الثلاثين من (ما بعد الطبع لارسطو كما ترجم الانجيل الي العربية و
كتاب اقليدس وله تصانيف عدة مات سنة (٢٦٠هـ) الفهرست ٣٥٢ طبقات الاطباء ٨٤/١ وفيات
الاعيان ٢١٧/٢ العبر ٢٠/٢

(٢) متي بن يونس ت (٩٤٠م) مترجم نصراني ممن نقلوا الفلسفة اليونانية من السريانية الي
العربية عاش في بغداد وقرأ المنطق علي ابي اسحق ابراهيم قويري المنطقي واليه انتهت
رياس اهل المنطق في عصره له مع ابي سعيد السيراني مناظرة مشهورة حول المنطق والنحو
اوردها ابو حيان التوحيدي في كتابيه المقاييس والامتناع والمؤانسة تخرج علي يديه حي بن
عدي الفيلسوف المنطقي الذي اتهمت اليه رئاسة المنطق في زمانه . له شرح علي كتاب (ايساغوجي)
لفرفريوس وهو الكتاب الذي يقال ابن المقفع قد ترجمه وان يحي النحوي وابي
الفرج بن الطيب قد شرحه . الموسوعة العربية ١٦٤٥/٢

(٣) يحيي بن عدي ابو زكريا (ت ٩٧٤م) فيلسوف ومنطقي نصراني يعقوبي ممن نقلوا الفلسفة
اليونانية السريانية الي العربية عاش في بغداد وتوفي بها تخرج علي يد ابي بشر متي بن يونس
وابي نصر الفارابي وغيرهما واليه انتهت رئاسة المنطق في زمانه له مصنفات عدة في كثير من
العلوم والفنون ذكرها القفطي في كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء ومنها كتاب تبين الفضل

المطلب الثالث

العرب قبل دخول الفلسفة عليهم

١. علومهم

إن علوم العرب في الجاهلية كانت علي ثلاثة انواع :
أحدهما: علم الأنساب ، والتواريخ ، والأديان، ويعدونه نوعاً شريفاً، خصوصاً معرفة
أنساب أجداد النبي - عليه الصلاة والسلام - ، والاطلاع على ذلك النور الوارد من
صلب إبراهيم إلى إسماعيل -عليهما السلام - ، وتواصله في نريته إلى أن ظهر
أكمل الظهور .

أما النوع الثاني من العلوم فهو علم الرؤيا، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - ممن
يعبر الرؤيا في الجاهلية ، ويصيب، فيرجعون إليه ويستخبرون عنه .
وأما النوع الثالث فهو علم الأنوا ، وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم، وعن هذا
قال النبي عليه الصلاة والسلام : "من قال مطرنا بنو كذا فقد كفر بما انزل علي
محمد".

٢. معتقداتهم

ومن العرب من كان يؤمن بالله والآخره، وينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع.
فمن كان يعرف النور الظاهر، والنسب الطاهر، ويعتقد الدين الحنيف ، وينتظر
المقدم النبوي: زيد بن عمرو بن نفيل^(١) وكان احد من اعتزل الوثان وامتنع من اكل
ذبائحهم كان يقول يا معشر قريش ايرسل القطر وينبت البقل الارض ويخلق
السائمة فترعي فيه وتذبحوها لغيره.

بين صناعتي المنطق الفلسفي والنحو العربي وكتاب فضل صناعة المنطق وكتاب نقض حجج
القائلين بان الافعال خلق الله وليست اكتسابا للعبد ومن شروحه تفسير طوييفا لارسطو طاليس
وتفسير الالف الصغري من كتب ارسطو في ما بعد الطبيعة وشرح مقالة الاسكندر في الفرق
بين المادة والجسم انظر الموسوعة العربية ١٩٧٩/٢

(١) هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي وامه جيداء بنت خالد وكانت الجيداء عند نفيل
فولدت له الخطاب ابا عمر بن الخطاب ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا
زكان هذا نكاحا ينكحه اهل الجاهلية وقيل ان زيد بن عمرو كان بالشام فلما بلغه خبر النبي
صلي الله عليه وسلم اقبل يريدده فقتله اهل مبيعة قرية من ارض البلقاء من الشام وقال عنه
النبي صلي الله عليه وسلم انه ياتي يوم القيامة امة وحده الاغاني لابي فرج الاصفهاني ١١٧/٣

وكان يقول : والله لا اعلم على ظهر الارض احداً علي دين ابراهيم غيري.
فنفاه الخطاب من مكة عندما فارق الاوثان .

وكان زيد اذا خلص الي البيت استقبله، وقال : لبيك حقاً حقاً تعبدًا ورقًا البر
ارجو لا الخال ، وهل مهجر كمن قال ثم يقول :

عدت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم

يقول انني لك عان راغم مهما تجشمني فاني جاشم

وعن اسماء بنت ابي بكر قالت كان زيد يقول

عزلت الجن والجنان عني كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزي ادين ولا ابنتها ولا صنمي بني غنم ازور

ولا هبلا ادين وكان ريا لنا في الدهر اذ حلمي صغير

اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور

الم تعلم بان الله افني رجالا كان شانهم الفجور

وابق اخرين ببر قوم فيربو منهم الطفل الصغير

وبنا المرء يعثر ثاب يوما كما يتروح الغصن النضير

فقال له ورقة بن نوفل

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما تجنبت تتورا من النار حاميا

بدينك ريا ليس رب كمثلته وتركك جنان الجبال كما هيا

الي ان قال :اقول اذا صليت في كل بيعة تباركت قد اكرت باسمك داعيا

وكان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول: أيها الناس هلموا إلي فإنه لم يبق على دين
ابراهيم أحد غيري.

وسمع أمية بن ابي الصلت يوماً ينشد :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

فقال له : صدقت. وقال زيد ايضاً:

فلن تكون لنفس منك واقية يوم الحساب إذا ما يجمع البشر

وممن كان يعتقد التوحيد، ويؤمن بيوم الحساب قس بن ساعدة الأيادي^١، قال في مواعظه. كلا ورب الكعبة: ليعودون ما باد، ولئن ذهب ليعودن يوماً. وقال أيضاً:

كلا بل هو الله إله واحد ليس بمولود ولا والد

وانشد في معني الاعادة :

يا باكي الموت والأموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم خلق مضي ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق
ومنهم عامر بن الظرب^(٢) العدواني، وكان من شعراء العرب وخطبائهم، وله وصية طويلة يقول في آخرها : إني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً، ولا جائياً إلا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء لآحياءهم الدواء .ثم قال :إني أرى أموراً شتى وحتى ، قيل له: وما حتى؟ قال: حتى يرجع الميت حياً، ويعود لا شئ شيئاً، ولذلك خلقت السموات والأرض. فتولوا عنه ذاهبين، وقال : " ويل إنها نصيحة، لو كان من يقبلها .

(١)قس بن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن واصلة الايادي وقيل قيس بن ساعدة بن جذامة بن زفر بن اياد بن نزار الايادي خطيب العرب وشاعرها وحليمتها وحكيمةها اول من علا علي شرف وخطب عليه واول من قال في كلامه اما بعد وقيل لما قدم وفد ايدا علي النبي صلي الله عليه وسلم قال ما فعل قيس بن ساعدة قالوا مات يارسول الله قال كاني انظر اليه بسوق عكاظ علي جمل له اورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما اجدني احفظه فقال رجل من القوم انا احفظه يارسول قال كيف سمعته قال يوقول ايها الناس اسمعوا واعوا من عاش مات فذكر انه انشد

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر

لما رايت مواردا

فقال النبي صلي الله عليه وسلم يرحم الله قيسا اني لارجو ان يبعث يوم القيام امة وحده الاغاني لابي فرج الاصفهاني ١٩٢/١٥

(٢)عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدواني كانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة في قضاء الا اسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضي به السيرة النبوية

وكان عامر قد حرم الخمر علي نفسه وقال فيها:

إن أشرب الخمر أشربها للذاتها وإن أدعها فإني ماقلت قال
لولا اللذذة والقينات لم أرها ولا رأنتي إلا من مدي عالي
سألة للفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال
تورث القوم أضغاناً بلا إحن زرية بالفتى ذي النجدة الحالي
أقسمت بالله أسقيها واشربها حتي يفرق ترب الارض اوصالي

وكان قصي بن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الأصنام، وهو القائل :

أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل البصير
فلا العزى آدين و لا ابنتيها ولا صنمي بني غم أزور

وقيل هي لزيد بن عمرو بن نفيل، فلقى في ذلك من قريش شراً حتى اخرجوه عن الحرم فكان لا يدخله إلا ليلاً . وقال القلمي بن امية الكناني (١) يخطب للعرب بفناء مكة: أطيعوني ترشدوا. قالوا : وما ذاك؟ قال: إنكم قد تفرقتم باللهة شتى، وإني لا أعلم ما الله راض به، وإن الله رب هذه الإلهة، وإنه ليحب أن يعبد وحده. فتفرقت عنه العرب ، وتجنيت عنه طائفة أخرى، وزعمت أنه علي دين بني تميم.
وممن كان قد حرم الخمر في الجاهلية: قيس بن عاصم (٢) التميمي، وصفوان بن

(١) لم اعثر علي ترجمته

(2) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس وهو الحارث بن عمرو بن كعب التميمي وقيس هذا شاعر فارس شجاع حلِيم كثير الغارات مظفر فس غزواته ادرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما وهو احد من واد بناته في الجاهلية واسلم وحسن اسلامه واتي النبي صلي الله عليه وسلم وصحبه في حياته وعمر بعده زمانا وروي عدة احاديث وعند وفوده الي النبي صلي الله عليه وسلم قال النبي هذا سيد اهل الوبر وقيل ان سبب تحريم قيس الخمر علي نفسه قبل الاسلام انه شرب يوماً لا الخمر فوخذ ابنته او اخته فهربت منه فلما صحا منها قيل او ما تدري ما فعلت البارحة قال لا فاخبروه بما فعل فحرمها علي نفسه وقال :
وجدت الخمر جامحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله لا اشربها حياتي ولا ادعو لها ابدا نديما

امية ابن محرث الكناني، وقيل ان اول من حرم الخمر في الجاهلية عباس بن مرداس (١) وقيل بل عفيف بن معدي كرب الكندي، وقالوا فيها اشعاراً، وقال الاسلوم اليالي وقد حرم الخمر والزنا علي نفسه:

سألمت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الأمور وأعرف
وتركت شرب الراح وهي أثيرة والمومسات، وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكراً وكذلك يفعل ذو الحجى المتعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالى، ويخلق آدم عليه السلام: عبد لطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة، وقال فيه:

وأدعوك يا ربي لما أنت أهله دعا غريق قد تشبث بالعصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت الذي لم يحيه الدهر ثانياً ولم ير عبد منك في صالح وجم
وأنت القديم الأول الماجد الذي تبدات خلق الناس في أكثم العدم
وأنت الذي أحللتني غيب ظلمة إلى ظلمة من صلب آدم في ظلم

ومن هؤلاء: النابغة الذبياني، آمن بيوم الحساب فقال:

فعلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب
وأراد بذلك الجزا بالأعمال .

ولا اعطي بها ثمنا حياتي و لا اشفي بها ابدا سقيما
فان الخمر تفضح شاربها و تجشمهم بها ابدا عظيما
اذا دارت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحلما

وقيل انه اول عربي حرم الخمر علي نفسه الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٦٦/١٤

(١)عباس بن مرداس السلمي اسلم قبل فتح مكة ببسير وكان من المؤلفه قلوبهم وممن حسن

اسلامه منهم وقيل ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يردد شيئاً من شعره غير موزون :

(اتجعل نهبي و نهب العبيد بين الاقرع وعيينة ... بدلا من عيينة الاقرع) وكانتشاعرا

محسنا قال عنه عبد الملك بن مروان اشجع الناس في الشعر عباس بن مرداس حين يقول

اقاتل في الكتيبة لا ابالي احتقي كان فيها ام سواها

الاستيعاب لابن عبد البر ١٠١/٣-١٠٤

ومن هؤلاء: زهير بن ابي سلمي المزني، وكان يمر بالعضاه^(١) وقد أوقرت بعد
يبس فيقول: لولا تسبني العرب لأمنت أن الذي احياك بعد يبس سيحي العظام وهي
ريميم، ثم آمن بعد ذلك، وقال في قصيدته التي أولها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم الخ

وهي من السبعيات :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب، او يعجل فينتقم

ومنهم: علاف بن شهاب التيمي، وكان يؤمن بالله تعالى ويوم الحساب، وفيه قال:
ولقد شهدت الخصم يوم رفاة فأخذت منه خطة المقتال
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الأعمال
وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده : آدفنوا راحلتي حتى أحشر
عليها، فإن لم تفعلوا حشرت على رجلي. قال دريبة بن الأشيم الأسدي في الجاهلية
وقد حضره الموت يوصي ابنه سعداً :

يا سعد أما أهلكن فإنني	إوصيك إن إixa الوصاة الأقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلاً	في الحشر يصرع لليدين و ينكب
وأحمل أباك على بعير صالح	وابغ المطية أنه هو أصوب
ولعل لي مما تركت مطية	في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا

وقال عمرو بن زيد بن المتمني يوصي ابنه عند موته :

أبني زودني إذا فارقتني	في القبر راحلةً برحل قاتر ^(٢)
للبعث أركبها إذا قيل اظعنوا	متساوقين معاً لحشرالحاشر ^(٣)
من لا يوافيه على عشرائه	فالخلق بين مدغع أو عاثر ^(٤)

وكانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس إلى مؤخوتها مما يلي ظهرها، أو يلي كلكلها
وبطنها، ويأخذون ولية فيشدون وسطها ، ويقلدونها عنق الناقة ، ويتركونها حتى

(١)العضاه: كل شجر يعظم وله شوك . الواحدة، عضاهة وعضة .

(٢)القاتر: الجيد .

(٣)اظعنوا: ارحلوا .

(٤)العشرا : الناقة التي مضى لحملها عشرة اشهر او ثمانية .

تموت عند القبر، ويسمون الناقة بلية، والخيط تشد به ولية. وقال بعضهم في بلية: " كالبلايا في أعناقها الولايا" (١).

٣. تقاليد العرب ، وبعض عاداتهم :

قال محمد بن السائب الكلبى (٢): كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها. و كانوا لا ينكحون الأمهات، ولا البنات، ولا الخالات، ولا العمات. وكان أقبح ما يصنعون أن يجمع الرجل بين الأختين ، أو يختلف على امرأة أبيه. وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن (٣). قال أوس بن حجر التميمي يعيرقوماً من بني قيس بن ثعلبة تناوبوا علي امرأة أبيهم ثلاثة؛ واحداً بعد الآخر :

والفارسية فيكم غير منكرة
وكلكم لأبيه ضيزن يلف

وكان أول من جمع بين الأختين من قريش أبو أحيحة سعد بن العاص، جمع بين هند وصفية ابنتي بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

وكانوا يطلقون ثلاثاً علي التفرقة. قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما - : أول من طلق ثلاثاً على التفرقة إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- . وكان العرب يفعلون ذلك، فيطلقها واحدة، وهو أحق الناس بها، حتى إذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ، ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس (٤) حين تزوج امرأة فرغب قومها عنه، فأتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها :

(١) انظر السيرة النبوية - ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري - دار الحديث القاهرة الطبعة

الثانية سنة ١٩٩٨ م ج ١ / ٨٦

(٢) محمد بن السائب الكلبى اخباري ولد ومات بالكوفة ثار علي الامويين مع ابن الاشعث وشهد وقعة دير الجماجم ثم عكف علي الدراسات القرآنية والاخبارية فصار اماما في التفسير والانساب واخبار العرب استدعاه والي البصرة سليمان بن علي العباسي ففسر القرآن في البصرة والى تفسيره رضي به المفسرون ولكن المحدثين ضعفوه شأنهم شان الاخباريين قيل كان من اتباع عبد الله بن سبا القائل بان علي بن ابي طالب لم يمت وانه سيعود ويملا الدنيا عدلا الموسوعة العربية الميسرة حرف الكاف ج/٢ ص ١٤٧١

(٣) الضيزن: ضزنه يضزنه ضزنأ: يستولي علي ما في يده جبراً، والضيزن هنا بمعنى من يزاحم اباه في امراته .

(٤) الاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحبيل ابن عوف بن سعد المعروف باعشى قيس ويقال له اعشى بكر بن وائل والاعشى الكبير ابو بصير لقب بالاعشى لضعف بصره من شعراء

أيا جارتني بيني فإنك طالقة
كذاك أمور غاد وطارقة^(١)
قالوا : ثنه، فقال :

وبيني فان البين خير من العصا
وان لا تري لي فوق راسك بارقة
قالوا : ثلاث، فقال :

وبيني حسان الفرج غير ذميمة وموقوتة قد كنت فينا ووامقة^(٢)
وكان أمر الجاهلية في نكاح النساء علي أربع : رجل يخطب فيتزوج، وامرأة
يكون لها خليل يختلف إليها، فإن ولدت قالت : هو لفلان فيتزوجها بعد هذا، وامرأة
يختلف إليها النفر، وكلهم يواقعها في ظهر واحد، فإذا ولدت ألزمت الولد أحدهم،
وهذه تدعي المقسمة. وامرأة ذات راية يختلف إليها الكثير، وكلهم يواقعها، فإذا
ولدت جمعوا لها القافة فيلحقون الولد لشبيهه . وكانوا يحجون البيت ويعتمرون
ويحرمون. قال زهير :

وكم بالقيان من محل ومحرم

ويطوفون بالبيت سبعاً، ويمسحون بالحجر، ويسعون بين الصفا والمروة، قال أبو
طالب :

وأشواط بين المروتين الي الصفا وما فيهما من صورة وتخايل
وكانوا يلبنون، الا ان بعضهم كان يشرك في تلبيته في قوله :

الإ شريك هو لك
تملكه وما ملك
ويقفون المواقف كلها، قال العدوي:

فأقسم بالذي حجت قریش وموقف ذي الحجيج على اللالي
وكانوا يهدون الهدايا، ويرمون الجمار، ويحرمون الأشهر الحرم، فلا يغزون ولا

الجاهلية واحد اصحاب المعلقات ولد في قرية منفوخة باليمامة قرب مدنة الرياض الحالية
ووفد علي كثير من الملوك ولا سيما ملوك فارس ولذلك كثرت الالفاظ الفارسية في شعره
وعاش عمرا طويلا وادرك الاسلام ولم يسلم وعمي في اواخر عمره وتوفي في منفوخة من اثاره
ديوان شعر . انظر الاغاني ١٠٨/٩ معجم الشعراء للمرزباني ٤٠١/١٢ الاعلام ٣٠٠/٨

(١) بيني : فارق .

(٢) موموقة : محبوبة . والوامق: المحب .

يفاتلون فيها إلا طي، وخنعم، وبعض بني الحارث بن كعب، فإنهم كانوا لا يحجون، ولا يعتمرون، ولا يحرمون الأشهر الحرم، ولا البلد الحرام .
وانما سمت قريش الحرب التي كانت بينها وبين غيرها " حرب الفجار " لأنها كانت في الأشهر الحرم، حيث لا تقاتل ، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا، فلذلك سموها: حرب الفجار (١).

وكان يكرهون الظلم في الحرم. وقالت امرأة منهم تنهي ابنها عن الظلم :
أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
أبني من يظلم بمكة يلحق أطراف الشرور
أبني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور (٢)
أبني أمن طيرها والوحش تأمن في ثبير

ومنهم من كان ينسى الشهور، وكانوا يكبسون في كل عامين شهراً، وفي كل ثلاثة أعوام شهراً، وكانوا إذا حجوا في شهر من السنة لم يخطئوا إن يجعلوا يوم التروية ويوم عرفة، ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذي الحجة، حتى يكون يوم النحر اليوم العاشر من ذلك الشهر، ويقبمون بمنى، فلا يبيعون في يوم عرفة، ولا في أيام منى، وفيهم انزلت : (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ (٣) .

وكانوا إذا ذبحوا للأصنام لطحوها بدماء الهديا، يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم. وكانوا يغتسلون من الجنابة ، ويغسلون موتاهم. قال الأفوه الأودي:
ألا عللاني واعلمنا أنني غرر فما قلت ينجيني الشفاق ولا الحذر (٤)
وما قلت يجديني ثيابي إذا بدت مفاصل أوصالي وقد شخص البصر
وجاءوا بما بارد يغسلونني فليبيك من غسل سيتبعه كبر

(١) السيرة النبوية لابن هشام مرجع سابق ج ١ / ١٦٣

(٢) يبور: يهلك .

(٣) التوبة آية ٣٧ .

(٤) غرر : هالك .

وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم، وكانت صلاتهم إذا مات الرجل حمل علي سريره، ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها، ويثني عليه ثم يدفن، ثم يقول: عليك رحمة الله وبركاته .

قال رجل من كلب في الجاهلية لابن عم له :

اعمرُوا أن هلكت وكنت حياً فأني مكثرت لك في صلاتي
واجعل نصف مالي لابن سام حياتي إن حييت وفي مماتي
وكانوا يقطعون يد السارق اليمني إذا سرق.

وكانت ملوك اليمن، وملوك الحيرة يصلبون الرجل إذا قطع الطريق.

وكانوا يوفون بالعهود، ويكرمون الجار، ويكرمون الضيف. قال حاتم الطائي (١) :

اللهم ربي، وربّي اللّهم فاقسمت لا ارسو ولا اتعذر (٢)
وقال أيضاً :

لقد كان في البرايا للناس أسوء كأن لم يسق جحش بعير ولا حمر (٣)
وكانوا موقنين بربهم بكل مكان فيهم عابد بكر (٤)

(١) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ابو عدي فارس شاعر جاهلي ولد ومات بنجد بين المدينة والشام ودفن بجبل عوارض كانت امه كريمة فشب فارسا جوادا كريم الاخلاق كان مظفرا اذا قاتل غلب واذا اسر طلق واذا غنم اعطي واذا سئل وهب قدم الشام وتزوج ماري بنت حجر الغسانية ضرب المثل والفت عنه القصص في الاداب العربية والفارسية والتركية والهندوستانية له ديوان شعر يدور حول الجود والكرم . توفي نحو ٤٥ق.هـ انظر الاعلام للزركلي ١٥١/٢ ،مقدمة ديوان حاتم لكرم البستاني طبع بيروت مناهل الادب العربي عدد ٥٢ الموسوعة العربية الميسرة حرف الحاء ج/١ ص ٦٨٤

(٢) ارسو: اتوقف . اتعذر : اتلمس الاعذار .

(٣) عير، بفتح اوله: جبل بمكة . والحمر، بضم الاول وسكون الثاني : كرائم الانعام او النعم .

(٤) بكر : لا مثيل له .

المبحث الثاني: الفلسفة في العصر العباسي

المطلب الاول: صورة المجتمع العباسي

المطلب الثاني: تاثر المجتمع العباسي بالمجتمعات الاخرى

المطلب الأول

صورة المجتمع العباسي

إن المملكة الإسلامية في هذا العصر كانت مكونة من أمم مختلفة ، وقد كان من أجزائها المغرب حيناً ومصر ، والشام ، وجزيرة العرب ، والعراق ، وفارس ، وما وراء النهر ، وكانت هذه الأمم تختلف في بينها كل الاختلافات ، وكلها خضعت للحكم الإسلامي ، وتكون منها جميعاً مملكة واحدة.

وكان لكل أمة من هذه الأمم مزايا وصفات عرفت بها ، وشهر العرب - مثلاً - بالقدرة علي الشعر حتي قال أحمد بن داوود : (ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر طبعاً ركب فيه قل أو كثر (١) .

واشتهر أهل السند بالصيرفة والعلم بالعقاقير يقول الجاحظ (٢) : (وقل صيدلاني عندنا إلا وله غلام سندي ، فبلغوا أيضاً في الخبرة والمعرفة بالعقاقير ، وفي صحة المعاملة واجتلاب الحرفة مبلغاً حسناً.

واشتهر أهل مرو وخراسان بالبخل حتى قال في العقد الفريد: أجمع الناس علي بخل أهل مرو ، ثم أهل خراسان قال ثمامة بن اشرس مارايت الديك قط في بلدة الا وهو يدعو الدجاج ويثير الحب اليها ويلطف بها الا في مرو فاني رايت في مرو طفلا صغيرا في يده بيضة فقلت له: أعطني البيضة فقال ليس تسع يدك فعلمت ان اللؤم والمنع في طبعهم مركب والجبلة مفطورة (٣). كما اشتهر اليمانيون بالعشق والحجازيون بالذل (٤) كما اشتهر العراقيون بالظرف قال بن اسحق الموصللي

إن قلبي بالتل عزار مع ظبي من الظباء الجوازي

شادن لم ير العراق وفيه مع ظرف العراق دل الحجاز

كذلك كانوا يختلفون في الأهواء والميول السياسية يوضح ذلك ما رواه بن قتيبة

(١) الأغاني ج ٢٠ ، ٥١

(٢) البيان و التبيين ص ١١٠ .

(٣) العقد الفريد ٣/٣٦١

(٤) زهر الاداب ١/٢٢٣

قال : (محمد بن علي بن عبد الله بن عباس^(١)) لرجال الدعوة حين اختارهم للدعوة و اراد توجيههم أما الكوفة وسوادها فشيعة علي بن ابي طالب واما البصرة فعثمانية تدين بالكف و تقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل واما الجزيرية فحرورية مارقة و أعراب كاعلاج و مسلمون في اخلاق النصاري واما اهل الشام فليس يعرفون الا ال ابي سفيان و طاعة بني مروان عداوة راسخة و جهلا متراكما، واما اهل مكة و المدينة فقد غلب عليهما ابوبكر و عمر ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير و الجلد الظاهر، و صدورا سليمة و قلوبا فارغة لم تتنفس الا هواء، و لم تتوزعها النحل، و لم تشغلها ديانة، و لم يتقدم فيها فساد و ليست لهم اليوم همم العرب و لا فيهم كتحازب الاتباع بالسادات و كتحالف القبائل و عصبية العشائر و لم يزالوا يمتنون و يظلمون و يكظمون و يؤملون، و هم جند لهم اجساد و ابدان و مناكب و كواهل و هامات الرجال و لحي و شوارب و اصوات هائلة و لغات فخمة تخرج من افواه منكرة^(٢).

كذلك كان في كل امة من هذه الامم طوائف مختلفة لها شعائر و عادات خاصة فمنهم يهود حافظوا علي تقاليدهم و حرمو التزاوج الا منهم و نصاري تمسكوا بشعائرهم و عاداتهم و مجوس يقيمون هياكلهم و يوقدون نيرانهم^(٣).

كما نجد خلاقات في الاداب ففرس لهم ادب هو نتيجة تاريخهم و حياتهم الاجتماعية و عراقيون لهم اداب قديمة ترثوها مما اعتورهم من الدول و مصريون لهم ادب كذلك و ادب هندي و ادب شامي و ادب يوناني و روماني. فكل هذه الاختلافات كونت المملكة الإسلامية في العصر العباسي الاول و كانت ساحتها و عاء تصهر فيه هذه المواد المختلفة و تتفاعل فيه كما تتفاعل الأجسام المختلفة كيمائيا و قد كانت عوامل

(١) هو والد ابراهيم الامام و ابي العباس السفاح و ابي جعفر المنصور هو مبدا الدعوة العباسية و هو الذي بدأت الادعوة علي يديه و كان ذلك في حياة ابيه و لكن لم يكن البية ذكر في هذه الدعوة تاريخ الامم الإسلامية خضري بك ص ٨

(٢) عيون الاخبار ١/ ٢٠٤

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز طبع دار المعارف ص ٢٠٩ في وصف محمد الامين.

قوية ساعدت علي هذا الامتزاج ولا بد ان نوضح كلمة عن شئ كان ظاهرا لاثر في هذا العصر

وهو عملية التوليد^(١). ونعني بالتوليد ان يتزوج الرجل من امة وامرأة اخري فينشأ بينهما نسل يجري في عروقه دم الامتين وقد امتاز العصر العباسي الاول بكثرة هذا الجيل من الناس وكان التوليد ظاهرة قوية نتجت عن اختلاط الاجناس ومن نظام الرق والولاء الذي طبق عقب الفتح الاسلامي فقد اصبح البيت الاسلامي وخصوصا بيوت الخلفاء والامراء والاعنياء عصابة امم ينتج من نسل ما يحمل الخصائص الامم المختلفة خذ مثلا بيت ابي جعفر المنصور فقد كان في بيته اروي بنت المنصور الحميري اولدها المهدي وجعفر الاكبر وامة كردية كان المنصور اشتراها فتسراها فولد له جعفرا الاصغر وامة رومية يقال لها قالي اولدها صالحا المسكين وامر امن بني امية اولدها بنت تسمى العالية^(٢) وهذا مع ان ابا جعفر المنصور لم يسرف في التسري اسراف من اتي بعده وكان للرشيذ زهاء التي جارية من المغنيات والخدمة في الشراب في احسن زي من كل نوع من انواع الثياب والجوهر ويقال ان المتوكل اربعة الاف سرية^(٣). وكانت الجواري المختلفة الانواع توزع علي الفاتحين وتناح للنخاسين وتهدي كا تهدي الطرف اللطيفة وتمنح كما يمنح المال وكانت الحرائر من الامم المختلفة تتزوج من غير جنسها وكان هؤلاء وهؤلاء ينسلن نسلا عديدا وكان نسلهن اكثر من نسل العربيات الخالصات لقللة عدد العربيات اذا نسب لغيرهن بل كان ولوع الناس بالاختلاط بغير العرب اقوي واشد وميلهم الي الاماء اكثر منه الي الحرائر.

من هذا الاختلاط الذي ابنا طرفا منه نشا جيل جديد يحمل ميزات خاصة حتي بعض الخلفاء انفسهم كانوا من هذا الصنف فالخيزران^(٤) سبية هي منخرشنة ولدت موسي الهادي وهارون الرشيد بن محمد المهدي وشاهسفرم بنت فيروز

(١) فجر الاسلام ١٠٠/١

(٢) العقد الفريد ٢٩٨/٣

(٣) الاغانى ٨٨/٩

(٤) الخيزران زوجة المهدي العباسي وام الهادي وهارون الرشيد ملكة متفقهة حازمة كانت من الجواري فاعتقها المهدي وتزوجها ولما مات وولي ابنها الهادي انفردت بتصريف الامور الهامة

بن يزيدجرد بن شهرياربن كسروي ابرويز^(١) ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص ابراهيم بن الوليد المخلوع^(٢) ،ومروان بن محمد بن امة كردية^(٣) وابو جعفر المنصور امه بربرية اسمها سلامة ، والمامون امه امة تسمي مراجل والمعتصم امه امة تسمي ماردة والواثق امه امة تسمي قراطيس والمتوكل امه امة تسمي شجاع^(٤) ومثل ذلك في العلماء والشعراء قال الاصمعي^(٥) كان اكثر اهل المدينة يكرهون الاماء حتي نشا منه العلي بن الحسين^(٦) والقاسم بن محمد^(٧) وسالم بن عبد الله^(٨)

واخذ الناس يقفون علي بابها فحاول الهادي منعها وسعي في عزل اخيه فقيل انها سعت في خنقه وهو مريض ولما ولي ابنها الرشيد حجت وانفقت كثيرا في البر والصدقات وماتت ببغداد فحزن عليها الرشيد كثيرا . الموسوعة العربية الميسرة ج/١ ص ٧٧٠

(١) في كتاب معجم البلدان لابن الفقيه جاء هذا الاسم شاهفرنه ولعله اصح

(٢) زهر الاداب هامش العقد الفريد ٢٢٢/١

(٣) الطبري ٣١٨/٩

(٤) كتاب المعارف لابن قتيبة ١٢٨

(٥) الامام العلامة الحافظ ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصمع البصري النحوي اللغوي الاخباري احد الاعلام حدث عن ابن عون وجماعة وحدث عنه ابو عبيد ويحي بن معين وجماعة وقد اثني عليه الامام احمد بن حنبل والامام الشافعي كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة مات سنة ٢١٥ هـ عاش ثمانية وثمانين سنة . انظر التاريخ الكبير ٤٢٨/٥ مراتب النحويين ٤٦ العبر / ١١٣٧٠

(٦) ابن الامام علي زين العابدين الهاشمي يكني ابا الحسين وامه ام ولد اسمها سلامة سلافة بنت ملك الفرس يزيدجرد ولد سنة (٦٨ هـ) حدث عن ابيه الشهيد وكان معه في كربلاء وعمره ٢٣ عاما وكان يومئذ موعوكا ولم يقاتل فاحضروه الي دمشق فاكرمه يزيد ورد مع اله الي المدينة حدث عنه اولاده وقيل ان نسل الحسين كله من ابنه علي وقال فيه الفرزدق قصيدته : هذا الذي تعرف البطحاء وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم

توفي سنة (٩٢ هـ) عاش ثمانيا وخمسين سنة طبقات ين سعد ٢١١/٥ الحلية ١٣٣/٣ تاريخ بن عساكر ١٥/١٢ تهذيب الاسماء واللغات ٣٤٣/١ وفيات الاعيان ٢٦٦/٣ غاية النهاية ٢٢٠٦ تهذيب التهذيب ٣٠٤/٧

(٧) القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق القدوة الحافظ الحجة عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة ولد في خلافة الامام علي روي عن بن مسعود وجماع من الصحابة وروي عنه ابنه عبد الرحمن وجماعة قال بن المدني له مئتا حديث وقال بن سعد امه ام ولد يقال لها سودة وكان ثقة

ففاقوا اهل المدينة فقهاا وعلما وورعا فرغب الناس في السراري(٢). خضع هذا الصنف من المولدين لقانونين (الوراثة) وكسب من ابائه وامهاته صفات خاصة كانت صنفا ممتازا والعرب من قديم امنوا بالزواج من الاباعد خير من الزواج بالاقارب وروي في الخبر اغتربوا ولا تزوجوا(٣) وقال الشاعر

فتي لم تلده بنت عمه قريبة فيضوي وقد يضيوي رديد القرائب(٤)
 وروا (ان عمر نظرالي قوم من قريش صغار الاجسام فقال مالكم صغرتم قالوا قرب امهاتنا من ابائنا قال صدقتم اغتربوا فتزوجوا في البعداء فانجبوا والواقع ايد هذه النظرية فالمولودون في العصر العباسي كانوا من اظهر العناصر ولهم ميزات مختلفة في اجسامهم وعقولهم وصناعاتهم وذلك باختلاف اماتهم يقول احد القواد: (ما في الدنيا احد اشجع من ابناء خراسان المولودون ولافتك منهم)(٥)

كما كان هناك (توليد) بين الاجسام كان هناك توليد عقلي، فعقول الناس من الامم لمختلفة كان يتناوبها اللقاح الفارسي يحمل عقلا فارسيا ثم يعتنق الاسلام ويتعلم العربية فينشأ مزيج من العقلين تتولد منه افكار جديدة ومعان جديدة واليوناني والنصراني او الرومي النصراني او العراقي اليهودي يخالط العربي المسلم ويبادلان الراي والقصص والفكرة فينشأ من ذلك فكر جديد وهكذا ومن ثم كان الادب العربي بمعناه الواسع الذي يشمل كل ثقافة ليس في الحقيقة ادبا عربيا وانما هو مزيج بالطابع العربي الاسلامي فسمي ادبا عربيا ولنذكر مثلا يوضح هذا : ذلك ان العرب

واماما فقيها ورعا طيقات بن سعد ١٨٧/٥ الجرح والتعديل ١١٨/٧ حلية الاولياء ١٨٣/٢ شذرات الذهب ١٣٥/١

(١) سالم بن عبد الله بن امير المؤمنين الامام الزاهد الثقة الحافظ مفتي المدينة ابو عمر وابو عبد الله القرشي العدوي المدني وامه ام ولد مولده في خلافة عثمان قال بن ابي الزناد كان اهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتي نشأ فيهم السادة مات سنة ١٠٦ هـ .انظر ابن سعد ١٠٥/٥ تاريخ البخاري ١١٥/٤ ابن عساكر ١٢/٧

(٢) العقد الفريد ٢٩٦/٣

(٣) الحديث في البخاري ؟؟؟؟ معناه تزوجو البعاد مجمع الامثال ٣٤٣/٣ المستصفي في امثال العرب ١/ ٣٥٣ البيت قاله الشاعر الطويل

(٤) المرجع السابق ص ٥٠ - ٥١

(٥) تاريخ بغداد ١٤٣

في جاهليتها ادبها ادب عربي بالمعني الصحيح. وهو ان اقتبس شيئاً مما حوله فقد كان اقتباسه قليلاً خفيفاً اما الروح الغالبة هي الروح العربية فهو يمثل الحياة العربية احسن تمثيل ويصور حياتهم الاجتماعية اتمتصوير فيه خيالهم وفيه طريقة صيدهم وفيه وصف حروبهم ولهوهم وجدهم وبدائوتهم فاذا نحن طفرنا الي العصر العباسي وجدنا الناس وخاصة الفرس الذين دخلوا الاسلام وكانت لهم غلبة علي مراكز الدولة لم يعودوا يتذوقون بذوقهم الفارسي الشعر العربي الجاهلي وانما يتذوقونها الفوا ومن التغني في شعرهم بالحب والخمر فظهر العباس بن الاحنف^(١) الخراساني وابو نواس الفارسي^(٢) الام يشبعان ذوقهما الاول في عشقه والثاني في خمرياته قد كانت للعربي الجاهلي شعر في الحب وشعر في الخمر ولكل شتان بين خمريات طرفه وخمريات ابي نواس وشتان بين شوق امرئ القيس وشوق العباس ويعجبني في ذلك قول الجاحظ (كم بين قول امرئ القيس تقول وقد مال الغبيط بنا معا وبين قول علي بن الجهم^(٣))

سقي الله ليلا ضمنا بعد هجعة وادني فؤادا من فؤاد معذب^(٤)
فبتنا جميعا ولو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب

لم تكن الحضارة وحدها هي التي أنتجت هذا الفرق ولكن كان من اكبر العوامل فيه :
تزاوج الأجناس وتزاوج الأفكار كالذي كان في الشعر فقد اخذ الفرس الوزن العربي

(١) العباس بن الاحنف ابن اسود بن طلحة الحنفي اليمامي من فحول الشعراء وله غزل فائق وهو
خال ابراهيم بن العباس الصولي توفي بغداد سنة ٢٩٢هـ وكان من ابناء سنتين سنة (تاريخ بغداد
١٢٧/١٢ وفيات الاعيان ٢٠/٣ البداية والنهاية ١٠/٢٠٩)

(٢) راجع ترجمة ابي نواس ص

(٣) علي بن الجهم (١٨٨-٢٤٩هـ) علي بن الجهم بن بدر بن سعود القرشي الشامي او
الحسن شاعر ولد سنة ١٨٨هـ او قبلها ببسبر نشا ببغداد وكان يختلف الي احمد بن حنبل
ويساله مسائل في الفقه والصفات وما مائل ذلك ورحل الي خراسان والثغور والجبال ومصر
والشام واختص بالمتوكل وخرج من حلب متوجها الي الغزو فخرجت عليه خيل من كلب فقاتلهم
وقتل من اثاره ديوان شعر . انظر تاريخ بغداد ١١/٣٦٧ طبقات الشعراء ١٥١ الأغاني ج ٥ ،

ص ٢٦ - ٢٨

(٤) محاضرات الادباء ٢/٦٨ .

والقافية العربية والاسلوب العربي ولكن اخذوا بجانب ذلك الخيال الفارسي والذوق الفارسي انظر إلى القصيدة التي يقولها الخريمي يذكر بغداد وما انتابها من الفتن أيام الخلاف بين الأمين والمأمون والتي مطلعها.

قالوا ولم يلعب الزمان بغداد وتعبر بها عبورها^(١)

تحس بنفس قصصي ممتع طويل لا عهد للعرب من قبل

و هناك انواع الحكم الهندية الفارسية العربية التي تجدها في اقوال ابن المقفع مثل القصص التي في كليلة ودمنة وانظر انواع المقامات التي تجلت في علم البديع والحريري كل هذا وامثاله انواع لا يعرفها العرب الخالص وانما كانت من غير شك نتيجة عملية التوليد التي أشرنا اليه وما كانت تكون لو شا العرب وحدهم او الفرس وحدهم ومثل ذلك يقال فيما ظهر من أنواع العلوم المختلفة التي سنوضحها في فصول تالية والخلاصة ان لقاح العقول انتج مخلوقات جديدة لها ميزاتها الخاصة كما كان الشأن في توليد الجسام ومع هذه الاختلافات المتنوعة كانت هناك روح واحدة ترفرف علي العالم الإسلامي هي الروح الشرقية توحد بين أفرادها مهما اختلفت أجناسهم و انواعهم هذه الروح هي التي أخضعت الفلسفة اليونانية لما دخلت في بلادهم فأصبغت عليها ثوبا من روحانيتها وإلهاماتها وهي التي جعلت علماء التاريخ والاجتماع يدركون خصائص مشتركة بين الشرق تخالف تلك التي للغرب روح ورثها الشرقي من أجيال و ساعد علي تكوينها بيئاتهم الطبيعية والاجتماعية وجعلتهم يتذوقون غير ما يتذوقه الغربي ويدركون الأشياء علي غير النمط الغربي كما جعلت لهم مدنيات تخالف من وجوه كثيرة المدنيات الغربية جاءت الأديان المختلفة من بوذية ويهودية ونصرانية فصبغت هذه الروح صبغة خاصة لا مادية تؤمن بالله فوق هذا العالم ورجو جنة وتخاف نارا وتري ان رواء هذه السعادة الدنيوية والشهوات الجسمية سعادة اخري روحية فلما جاء الإسلام نشر سلطانه علي الممالك الشرقية زاد هذه الروح وقواها وعمل في توحيدها فقد كانت هذه الأمم المختلفة تخضع لقانون ولنظام في الحكم واحد وتتكلم بلغة واحدة ويدين اغلبها بدين واحد ورحلات العلماء في منتهي القوة علي صعوبة المواصلات والرحالون يتبادلون الآراء والمعتقدات ويدعون دعوات دينية وسياسية والحكام يرسلون من مركز الخلافة مزودين بتعاليم واحدة في جوهرها

(١) القصيدة في تاريخ الطبري ١٧٦/١٠

كل هذا : وحد بين الأمم المختلفة وكون منها ما يصح ان يسمى امة واحدة لها ادب واحد وثقافة واحدة وعلم مشترك

المطلب الثاني

تأثيره المجتمعات الاخرى

الصراع بين العرب والموالي

يظهر أن العرب في الجاهلية لم يكن لهم شعور قوي بأنهم أمة واحدة ، إنما كان الشعور عندهم شعور الفرد بقبيلته، ويتغني بانتصارها ، ويعدد محاسنها ، ويهجو القبيلة الأخرى من أجل قبيلتها ، ولكن قل أن تجد شعراً يتغني فيه العربي بأنه عربي، ويفخر فيه علي غيره من الأمم ، والسبب في ذلك هو إن العرب في الجاهلية لم يكونوا أمة بالمعنى الصحيحاً ولم يتحدوا ، وليس لهم آمال وطنية واحدة ، ولا ما هو شرط أولى في الأمة، وهو وجود شخص أو هيئة مكونة من عدة أشخاص لها قوة تنفيذ أوامرها علي كافة أفرادها ، وحملهم علي طاعتها.

وطبيعة المعيشة القبلية التي كانت تعيشها تأبى ذلك أضف إلى ذلك انه لم يكن هناك ما يشجع العرب علي هذه الفكرة لانهم إذ نظروا هذه النظرة لم يشعروهم ذلك بعظمة ولا فخر فحولهم الفرس من ناحية والرومان من ناحية وعلاقة العرب بهم ليست علاقة تشعر بالقوة وهم يتعاملون معهم تجارية ولكن ليس علاقة الند بالند بالعلاقة الفقير بالغني والضعيف بالقوي ومن تاجر منهم وانتقل إلى فارس والروم وراء عظمتهم استضعف نفسه نعم وردت بعض القصص قد تنقض ما نقول كالذي ورواه القطامي عن الكلبي (من وفد العرب علي كسري^(١)) وافتخار النعمان^(٢) بالعرب وفضلهم علي جميع الأمم لا يستثني فارس ولا غيرهم وان امة لو قورنت بالعرب لفضلتها العرب بعزها ومنعتها وحسن وجوها وباسها وسخائها وحكمة أسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها الخ)^(٣)

(١)العقد الفريد ١/١٢٤

(٢)النعمان الاول توفي حوالي عام ٤١٨ م احد ملوك الحيرة المعروفين باللخمينيين او الناذرة يلقب بالاعور ينسب اليه بناء قصرين شهيرين في التاريخ الادب العربي هما (الخورنق والسدير) ويزعم انه زهد بعد بنائه القصرين في حطام الدنيا وقضى بقية عمره في البادية يطوف فيها ويتنقل الموسوعة العربية ٧/١٤٨

(٣)ضحى الإسلام (الطبعة الأولى) ج ١ ، ص ١١٥ ، .

فلما جاء الإسلام تكون العرب أمة وكانت فيها خصائص الأمة التي أشرنا إليها من اتحاد لغة ودين وميول ومن وجود حكومة علي رأسها و أعقب ذلك الانتصار علي اضخم أمتين في عصرها وهما فارس والروم لكن مع هذا لم تتمحي الروح القبلية ووجدت النزعتان معا النزعة العربية بقبليته ثم بطنه ثم فخذة ونزعته في دم العربي والأمة العربية وكانت النزعتان جنبا إلى جنب في صدر الإسلام

والنزعة الثانية : هي نزعة العرب ضد الموالي فقد اعتنق العرب الإسلام و أمنوا بأنهم حماة الإسلام وحملة الدين القويم فبعدها ظفروا بفارس ودكوا عروش الروم واصبحوا جميعا تحت حكم العرب فنظروا إلى غيرهم نظرة السيد إلى المسود وكان الحكم علي الأموي مؤسسا علي ذلك وهم في هذا لم يطيعوا تعاليم الإسلام حيث لا فضل لعربي علي عجمي إلا بالتقوى والإيمان ، ولم نعني بهم جميع العرب حيث كانت هنالك طائفة كبيرة من خيارهم تدين بتعاليم الإسلام ولكن سواد العرب وحكام بني امة وولاتهم كانت لديهم هذه العصبية

كان يقابل هذه العصبية العربية عصبية أخرى من الموالي وخاصة الفرس. فقد تملكهم العجب. فكيف غلبهم العرب ! وعبر بعضهم عن هذا المعنى: بأن حكم العرب لهم ضرب من سخرية القدر كانوا يخفرون على العرب بمجدهم القديم ، وعزهم التالد ، وأنهم أهل الحضارة العظيمة ، ومن عرفوا كيف يسوسون المالك ، ويدبرون الحكم وأنهم لما حكموا لم يكن لهم إلى العرب حاجة ، ولما حكم العرب لم يستطيعوا أن يحكموا إلا بمعونتهم لم تكن عند الفرس نزعة قبلية ، ولم يكونوا يعنون بالأنساب عناية العرب بها(١) وإنما كانوا يتعصبون أحيانا للبلدان فقد كان أهل خراسان مثلا من أشد الناس عصبية بعضهم لبعض وكانت العصبية القوية عندهم العصبية للأمة. وذلك طبيعي لأنهم قطعوا - من عهد بعيد طور البداوة ، وتحضروا وكانوا بكل معناها الصحيح ، وبدعوا يخفرون على العرب في العقد الأموي - كالذي رأيت من شعر إسماعيل بن يسار(٢) فقد كان يتغنى دائما بمجد الفرس ودخل على هشام بن عبد الملك في خلافته فاستشده فأنشده بقصيدته

(١) مقدمة بن خلدون ص ١٢١

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي مولي بني تيم بن مر تيم قريش وكان منقطعا الي ال الزبير فلما افضت الخلافة الي عبد الملك بن مروان وفد مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده

إنني وجدك ما عودي بذوي خور
 أصلي كريم ومجدي لا يقاس به
 أحمي به مجد أقوام ذوي حسب
 من مثل كسري و سابور الجنود
 أسد الكتائب يوم الروع إن زحفوا
 يمشون في حلق الماذى سابعة
 هناك إن تسالى تعبي بأن لنا
 عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم
 ولي لسان كحد السيف مسموم
 من كل قرم بتاج الملك معوموم
 و الهرمزان لخفر أو لتعظيم
 وهم أدلوا ملوك الترك ، والروم
 مشى الضراغمة الأسد اللهاميم
 جرومة قهرت عز الجرائم

فغضب هشام وقال أعني تتفخر وأمامي تتشد قصيدة تمدح بها نفسك وعلوج قومك؟
 غطوه في الماء فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم أمر بإخراجه وهو يشتر
 ونفاه من وقته إلى الحجاز^(١)

ولكن هذه النزعة صدها الأمويون صدا عنيفا ، وعاقبوا عليها في قوة وجبروت
 فتحولت من فخر ظاهر إلى دعوة سرية ، وكانت الدعوة العباسية.

وهو أن هذه النزعة لم تكن نزعة الفرس عامة فمنهم من دخل الإسلام إلى أعماق
 نفوسهم كمن سميناهم من التابعين ولم ينسوا أن للعرب عليهم نعمة لا تقدر وهي:
 أنهم هدوهم إلى الإسلام ، واستنقذوهم من ضلال المجوسية إلى هداية الوجدانية ففي
 الأوساط العلمية ، والدينية كان الفرس لا يؤمنون بعربية ، وفارسية إنما يؤمنون
 بإسلام سوى بين الناس أجمعين ولكن كثيرا من سواد الناس من أشرف الفرس كانوا
 يكرهون العرب ، خاصة الحكام ، والبيت الأموي روى صاحب الأغاني: (إن

بعده وعاش طويلا الي ان ادرك اخر سلطان بني امية ولم يدرك الدولة العباسية وكان طيبا
 مليحا مندرا وسمي بالنسائي لانه كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس وما قاله مخافرا علي
 العرب بالعجم

رب خال متوج لي وعم ماجد محتدي كريم النصاب
 انما سمي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الانساب
 فاتركي الفخر امام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
 واسالي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الاحقاب
 اذ نربي بناتنا و تدسو ن سفاها بناتكم في التراب

الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٤٠٩/٤

(١)الأغاني ج ٤ ، ص ١٢٠

إسماعيل بن يسار أستاذن على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما فحجبه ساعة ، ثم أذن له فدخل على مروانيتي ومروانية أبي أحجب ويك إسماعيل أي مروانية كانت لك أو لايك ؟ قال تغضنا أيهم ، إمراته طالق إن لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له: قل لا إله إلا الله فقال: لعن الله مروان ، تقربا بذلك إلى الله تعالى وأبدالا له من التوحيد ، وإقامة له مقامه(١).

كره الموالي الحكم الأموي كراهة عميقة فسعوا في إسقاطه وقد كانت وجهة نظرهم: أن الأمويين لم يعدلوا في حكمهم لنا ، وترقبنا انتقال الأمر من خليفة إلى خليفة فكان أمر الظلم على السواء - اللهم إلا إذا استثنينا عمر بن عبد العزيز وهو فذ ، وليس في الإمكان أن نحول الأمر من العرب إلى الفرس فيكنوا هم الحاكمين لأن السلطة الكبرى لا تزال في يد العرب ولأنه إذا أثرت هذه الدعوة تجمع العرب وغير الفرس من الموالي علينا فلندع إذا إلى نقل الخلافة من يد الأمويين إلى يد الهاشميين فنجد القلوب مستعدة لقبول الدعوة لأن الهاشميين عرب ولأنهم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمويين هذا يسرع في قبول الدعوة ويصبغها صبغة دينية. أخيرا فنن إذا عضدنا الهاشميين ، رأوا أنهم وصلوا إلى الحكم بمعونتنا ، ونجحوا بتدبيرنا فيكون ظاهر الحكم لهم وباطنه لنا ، نتولى المناصب العالية ، وندير شئون الدولة ونترك لهم أبهة الخلافة ، ومظهرها الخارجي فلهم الشكل ولنا الجوهر لعل هذا كان أهم ما يدور في خلد المؤسسين من الفرس للدعوة العباسية " قال نصر بن سيار(٢) يخاطب النزارية واليمانية ويحزهم ها العدو الداخل عليهم بقوله:

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتهم فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب

(١) الاغاني ١٢٥/٤

(٢) صاحب خراسان الامير ابو الليث المروزي نائب مروان بن محمد حدث عن عكرمة وابي الزبير وعنه ابن المبارك ومحمد بن الفضل بن عطية خرج عليه ابو مسلم صاحب الدعوة وحاربه فعجز عنه نصر واستصرخ بمروان غير مرة فبعد عن نجدته واشتغل باختلال امر انريجان والجزيرة فتقهقر نصر وجاءه الموت علي حاجة فتوفي بساوة في سنة احدي وثلاثين ومئة وقد ولي امر خراسان عشر سنين وكان من رجال الدهر سؤددا وكفاءة .تاريخ خليفة ٣٨٣

٣٨٨ ابن الاثير ١٤٨/٥ خزنة الادب ٣٢٦/١

ولينصبو الحرب إن القوم قد
 ما بالكم تلقحون الحرب بينكم
 نصبوا حربا في حافاتها الحطب
 كان أهل الحجا عن رأيكم عزب
 وتتركون عدوا قد أظلمكو
 مما تأشب لا دين ولا حسب
 قدما يدينون ديننا ما سمعت به
 عن الرسول ولم تنزل به الكتب
 فمن يكن سائلا عن أصل دينهمو فإن دينهمو أن تقتل العرب
 وكتب إبراهيم الإمام (١) لأبي الخراساني (٢): إن استطعت الا تدع بخراسان أحدا يتكلم
 بالعربية إلا قتلته فأفعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فأقتله وعليك مضرفانهم
 العدو القريب الدار فأبد خضراءهم ولا تدع على الأرض منهم ديار (٣).
 كانت خراسان مهد الدعوة العباسية ، وكانت قطرا عظيما يبلغ نحو ضعف ما يطلق
 الاسم عليه الآن وقد تولاها أمراء من العرب بين مضري ويماني فكانوا يحكمون حكما
 عربيا ، بل فأجج ذلك نار الحقد بين العرب والفرس أولا وبين اليمانيين والمضريين
 ثانيا الأزديون يمثلون اليمانيين ، وتميم وقيس يمثلون المضريين وكل يعمل للزعامة

(١) هو السيد ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن علي حبر الامة عبد الله العباس الهاشمي كان
 بالحميمة من اللقاء عهد اليه ابوه بالامر وعلم به مروان الحمار فقتله روي عن جده وعن عبد
 الله بن محمد بن الحنفية قال ابن سعد توفي في السجن سنة احدي وثلاثين ومئة عن ثمان
 واربعون سنة) (ابن الاثير ٤٢٢/٥ تهذيب التهذيب ١٤٢/١ البداية ٣٩/١٠
 (2) عبد الرحمن بن مسلم ويقال عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني الامير صاحب
 الدعوة وهزم جيوش الدولة الاموية والقائم باشاء الدولة العباسية قيل مولده سنة مئة واول ظهوره
 كان بمرو في سنة تسع وعشرين ومئة وروي انه قال ارتديت الصبر واثرت الكتمان وحالفت
 الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتي ادركت بغيتي ثم انشد

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
 ما زلت اضربهم بالسيف فانتبهوا من رقدة لم ينمها قبلهم احد
 طفقت اسعي عليهم في ديارهم والقوم في ملكهم بالشام اذ رقدوا
 ومن رعي غنما في ارض مسغبة ونام عنها تولي رعيها الاسد

قتله ابو جعفر في المدائن في شعبان سنة (١٣٧هـ) وعمره سبع وثلاثون سنة (تاريخ خليفة بن
 الخياط ص ٤١٦ تاريخ بغداد ٢٠٧/١٠ الكامل لابن الاثير ٣٦٦/٥/٥ و٤٦٨ وفيات الاعيان

١٤٥/٣ شذرات الذهب ١٧٦/١

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٢١

والغلبة فإذا تولها يمانى واسى اليمانين وحدهم وحقر من شأن غيرهم والعكس والفرس بين هؤلاء وهؤلاء ضائعون.

تولى خراسان المهلب بن أبي صفرة^(١) وآله عهدا طويلا وهم أزديون - أي يمانون - فكانت السلطة بيدهم وحكموا حكما عربيا قريبا ، وكانوا في منتهى الثروة ، والعبي فكانوا يمدون اليمانين أولا بمالهم وبجاههم قال المدائني: " باع وكيل يزيد بن المهلب^(٢) بطيخا من مغل بعض أملاكه بأربعين ألف درهم فبلغ ذلك يزيد فقال له يزيد تركتنا بقالين أما كان في عجائز الأزد من تقسمه فيهن^(٣) ؟ وكان (عمر بن عبد العزيز) يبغض يزيد وأهل بيته ويقول : هؤلاء جابرة ولا أحب مثلهم وتولى قتيبة بن مسلم^(٤) وكان باهليا أي (مضريا) فتكرت له أمراء القبائل لإذلاله آياهم واستهانته بهم واستطالته عليهم وأخيرا تولى خراسان نصر بن سيار، وكان مضريا

(١) الامير البطل قائد الكتائب المهلب بن ابي صفرة ظالم ابن سراق بن صبح كندي بن عمرو الازدي العتكي البصري ولد عام الفتح قيل بل ذاك ابوه غزا الهند سنة اربع واربعين وولي الجزيرة لابن الزبير وحارب الخوارج ثم ولي خراسان قيل توفي غازيا بمرور الروذ في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين. وقيل في سنة ثلاث وولي خراسان بعده ابنه يزيد طبقات ابن سعد ١٠١/٧-١٠٢ تاريخ خليفة ٢٠٦-٢٦٢ ابن عساكر ٢٢٦/١٧-٢٧

(٢) ابن ابي صفرة الامير ابو خالد الازدي ولي المشرق بعد ابيه ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن اطاة وطلبه عمر وسجنه مولد زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين عزله الحجاج وعذبه فساله ان يخفف عنه الضرب علي ان يعطيه كل يوم مئة الف درهم فقصدته الاخطل فمدحه فاعطاه مائة الف درهم فععجب الحجاج من جوده وعفا عنه ثم اعتقله ثم هرب من حبسه غزا الاصبهذ ثم صالحهم علي مئة الف ثم نكس اهل جرجان فحاصروهم مدة وافتتحها عنوة ثم ان يزيد بن المهلب لما استخلف يزيد بن عبد الملك غلب علي البصرة وتسمي بالقحطاني فسار لحره سليمان بن عبد الملك فالتقوا فقتل يزيد في صفر سنة اثنتين ومئة وقيل قتل عن تسع واربعين سنة) (تاريخ الطبري ٥٢٣١٦ تاريخ ابن الاثير ٢٣/٥ شذرات الذهب ١٢٤/١ خزنة الادب ١٠٥/١.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ، ص ١١٥

(٤) ابن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي الامير ابو حفص احد الابطال الشجعان من ذوي الحزم والدهاء والراي والغناء فتح خوارزم وبخاري وسمرقند ثم افتتح فرغانة وبلاد الترك في سن خمس وتسعين وولي خراسان عشر سنين وله رواية عن عمران الحصين وابي سعيد الخدري لما بلغه موت الوليد نزع الطاعة اختلف عليه جيشه وقام عليه رئيس تميم وكيع بن حسان

كذلك فمكث أربع سنين لا يستعمل في خراسان إلا مضرباً، لهذا و أمثاله: ساءت العلاقة بين اليمانيين والمضريين.

فلما شعروا باجتماع الفرس عليهم فكروا أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم فقد رأينا نصر بن سيار ينبه العرب إلى أن الفرس تريد أن تهلك العرب فأولى أن يتحد العرب ، كما اتحد الفرس بل نرى أن الأمر قد وصل إلى أكثر من ذلك " فقد توادعت قبائل العرب من ربيعة ومضر واليمن على وضع الحرب والاجتماع على قتال ابي مسلم الخراساني ولكن أبا مسلم وقومه بدعائهم ، أبحوا نار الفتنة بين قبائل العرب من جديد. " فجعل أبو مسلم يكتب إلى شيبان الخارجي^(١) يذم اليمانية تارة ومضر أخرى ويوصى الرسول بكتاب مضر أن يتعرض لليمانية لقرعوا ذم مضر والرسول بكتاب اليمانية أن يتعرض لمضر ليقرعوا دم اليمانية ويرسل أبو مسلم لعلى بن الكرماني - أحد زعماء اليمانيين - من يقول له: أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار^(٢) ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ؟ ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه ! وأخيراً بعد حوادث ودسائس نجح أبو مسلم " وتقدم نصر بن سيار إلى أبي مسلم بمثل ذلك فتراسلوا بذلك أياما ففعلوا وقدم الوقدان وسمع أبو مسلم وشيعته الخطب في ذلك ثم أعلن أبو مسلم اختياره فقال: قد اخترنا على بين الكراماني وأصحابه من قحطان وربيعة .فنهض وفد مضر عليهم الذلة والكآبة^(٣).

اجتمع على الدولة الأموية اليمانية والربيعة والعجم وكان في النقباء وهم القادة

والب عليه ثم شد عليه في عشرة من بني تميم فقتلوه في ذي الحجة سنة ست وتسعين وعاش ثمانيا واربعين سنة البيان والتبيين ١٣٢/٢ الكامل للمبرد ١٣/٣ تاريخ الطبري ٥٠٦/٦ تاريخ بن الاثير ١٢/٥ وفيات الاعيان ٨٦/٤

(١) شيبان الخارجي اسمه شيبان بن عبد العزيز ابو دلف اليشكري تولى قيادة الخوارج عام ١٢٨ هـ بعد مقتل الخيبري في نصيبين ضد مروان فواصل مقاومة مروان فانهمز ولحق بفاس ثم الي جزيرة ابن كاوان ثم الي عمان فقتله جلندي بن مسعود بن جيفري بن جلندي الازدي سنة (١٣٤هـ) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٥٠/٥ ، ٣٥٥

(٢) انظر ترجمته ص

(٣) تاريخ الطبري ج ٦ ، ص ٥٣٧

والزعماء الذين حاربوا الدولة الأموية - كثير من العرب منهم ، قحطبة الطائي^(١) وكان من أعظم العرب نفوذا في قومه وقد خطب في أهل خراسان يحقر العرب ويعظم الفرس في لهجة غريبة فكان فارسيا أكثر من الفرس أنفسهم إذ يقول يا أهل خراسان هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين ، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم حتى بدلوا فسخط الله عز وجل عليهم فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أدل أمة كانت في الأرض عندهم فغلبوهم على بلادهم ، واسترقوا أولادهم فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ، ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم ثم بدلوا وغيروا وجاروا في الحكم وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله عليه وسلم فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم ليكونوا أشد عقوبة لأنكم طلبتموهم بالثار وبعد أن أدى العرب عملهم نكل أبو مسلم بهم وقبل زعمائهم^(٢).

سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية ونال الفرس بعض أمنيتهم لا أمنيتهم كاملة أن تقوم دولة فارسية بملوكها ، وعمالها ولكن ما نالوه ليس قليل الخطر فالخلفاء العباسيون مقتنعون أن دولتهم قامت على أكتاف الفرس ، وكذلك العلماء والمؤرخون فداود بن علي^(٣) يخطب فيقول: يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين ، مقهورين على حقنا حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيابهم حقنا وأفلح بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم الخلفة من هاشم ، وبيض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشام^(٤) إلخ وأبو جعفر المنصور يقول: " يا أهل خراسان أنتم شيعتنا ، وأنصارنا وأهل دعوتنا وأهل دعوتنا يقول الجاحظ: "دولة بني العباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان عربية أعرابية"

(١) قحطبة بن شبيب الطائي الامير المروزي احد دعاة بني العباس قتل في وقعة المسناة سنة

٢٣٢هـ وتامر علي الجيش في الحال ولده شذرات الذهب ١٩٠/١

(٢) تاريخ الامم الاسلامية الدولة العباسية. محمد الخضري المكتبة التجارية بيروت ص ١٩٦

(٣) داود بن علي ابن خلف الامام ،عالم الوقت ابو سليمان البغدادي مولي امير المؤمنين المهدي رئيس اهل الظاهر ولد سنة (٢٠٠هـ) سمع سليمان بن حرب وارتحل الي اسحق بن راهويه صنف كتبا وكان اما ناسكا من الذين قالوا ان القران محدث فقام عليه خلق من ائمة الحديث من كتبه الايضح والافصاح والاصول والدعاوي مات في رمضان سنة (٢٧٠هـ) انظر

تاريخ بغداد ٣٦٩/٨ وفيات الاعيان ٢٥٥/٢ البداية والنهاية ٤٧/١١

(٤) موسوعة النظم و الحضارة الاسلامية - د/ احمد شلبي ص ٢١

وكانوا يسمون باب خراسان في بغداد باب الدولة لإقبال الدولة العباسية من خراسان وأوصى المنصور أبنه قبل وفاته فقال: " وأوصيك بأهل خراسان أخيرا فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودمائهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من ما منهم في أهله وولده.

(استتبع هذا غلبة الفرس ، ونفوذهم حتى عد المؤرخون من أهم خصائص هذا العصر النفوذ الفارسي ، وضعف النفوذ العربي).ولكن إلى أي حد غلب العرب ؟ وهل كان نفوذ الفرس في الدولة العباسية كنفوذ العرب في الدولة الأموية ؟ وهل بذلك الصراع بين العرب والموالي ؟ الحق أنه لم يكن كل ذلك فالخلفاء العباسيون عرب هاشميون - ولو من قبل الأب - وهم يفخرون بذلك ويعدونه من أكبر مناقبهم وهم إن حفظوا للفرس معوتهم فلن ينسوا عربيتهم ويوم يشعرون بأن الفرس زاحموهم يسلطانهم ، نكلوا بهم كما نكل المنصور بأبي مسلم والرشيد بالمرامكة والمأمون بالفضل بن سهل^(١)

فالفرس في العصر العباسي الأول كان لهم نفوذ كبير ولكن ليس معنى هذا انعدام نفوذ العرب كانت أعظم المناصب كالوزارة في يد الفرس ولكن كان الخليفة عربيا هاشميا وكان له قواد من العرب كما له قواد من الفرس وكان له ولاة من العرب وولاية من الفرس فجند المنصور كانوا أقساما أربعة: يمنية ، ومضرية ، وربيعية ، وخراسانية وفي اليوم الذي ولى فيه المأمون طاهرا الشرطة ولى جماعة من الهاشميين كور الشام

وقد ولى المنصور محمد بن خالد بن عبد الله القسري^(٢) الحرمين وولاية الرشيد

(١)الفضل بن سهل الوزير السرخسي واخو الوزير الحسن بن سهل اسلم ابوهما علي يد المهدي واسلم الفضل سنة ١٩٠هـ يدعلي المامون وكان يلقب ذا الرئاستين لانه تقلد الوزارة والحرب كان شيعيا منجما يقال ان حكم علي نفسه ان يعيش ثمانيا واربعين سنة ثم يقتل بين ماء ونار فكان ان قتله خال المامون غالب الاسود في حمام سرخس سنة اثنين ومئتين مروج الذهب ٤/٥ النجوم الزاهرة ١٧٢/٢ العبر ١٣٣٨ شذرات الذهب ٤/٢

(١) بعد خروج محمد بن عبد الله واخيه ابراهيم علي المنصور حاول المنصور جاهدا واحتال للوصول اليهما فعزل المنصور ابن زياد عام ١٤٠هـ عندما ما لم ير منه صدقا في القبض

للأمصار كان كثير منهم عربا وأشتهر في هذا العصر من أمراء العرب وقوادهم سعيد بن سلم الباهلي^(١) ومعن بن زائدة^(٢) الشيباني الذي تجلت شجاعته يوم الراوندية^(٣) وأبو دلف العجلي^(٤) وروح بن حاتم بن قبيصة^(٥) والمهلب بن أبي صفرة^(٦) وثمامة بن أشرس^(٧) ، إلى كثير من أمثال هؤلاء^(٨).

عليهما فولى بدله محمد بن خالد القسري وبسط يده في النفقة في سبيل ذلك وفشل محمد بن خالد في القبض عليهما فولى صلوكا من صعاليك العرب هو رباح بن عثمان المري عام ١٤٤ هـ الذي استهان بمحمد بن خالد وقام بتعذيبه .محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، الدولة العباسية خضري بك ص ٦١

(٢) الامير سعيد بن مسلم بن قتيبة حفيد الامير قتيبة بن مسلم احد قادة العباسيين وقد ولي سعيد ارمينية والموصل والسند وسجستان وكان فارسا جوادا له اخبار ومناقب مات زمن المامون سنة (٢١٧هـ) سير اعلام النبلاء للذهبي ٤١١/٤

(٣) امير العرب ابو الوليد الشيباني احد ابطال الاسلام كان من امراء متولي العراقيين فلما تملك ال عباس اختفي وقا تل يوم الريوندية قتالا شديدا عند خروجهم علي المنصور فكان النصر علي يد معن وهو مقنع في الحديد فكشف المنصور لثامه فسر به وولاه اليمن وله اخبار في السخاء وفي الباس والشجاعة ولي سجستان وثب عليه الخوارج فقتلوه وهو يحتجم فقتلهم ابن اخيه يزيد ابن مزيد الامير في سنة (١٥٢هـ) وقيل (١٥٨هـ) تاريخ الطبري ٤٠/٨ تاريخ بغداد ٢٣٥/١٣ عبر الذهبي ٢١٧/١ البداية والنهاية ١٠٩/١٠

(٤) الراوندية قوم من فارس كانوا علي ابي مسلم الخراساني يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون ان روح ادم في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو ابو جعفر المنصور وان الهيثم بن معاوية جبريل وكان خروجهم سنة (١٤١هـ) تاريخ الطبري ٥٠٥/٧

(٥) ابو دلف صاحب الكرج واميرها القاسم بن عيسي العجلي كان فارسا شجاعا مهيبا جوادا له اخبار في حرب بابك وولي امارة دمشق وولاه الرشيد امارة الجبل وكان موته ببغداد سنة (١٢٥هـ) وفي ذريته امراء وعلماء مروج الذهب ٥/٤ الكامل لابن الاثير ٧٣/٦

(٦) روح ابن حاتم ابن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الامير ابو حاتم احد الاجواد والابطال ولي ولايات جليلة للسفاح والمنصور وغيرهما ولي السند ثم البصرة وكان اخوي زيد بن حاتم امير المغرب فمات فبعث الرشيد روحا علي المغرب فقدمها سنة احدي وسبعين فوليها ثلاث سنين ومات في رمضان سنة اربع فدفن مع اخيه بالقيروان تاريخ الطبري ٢٣٥/٨ وفيات الاعيان ٣٠٥/٢ عبر الذهبي ٢٦٦/١

(١) راجع ترجمته ص

(٢) راجع ترجمته ص

كان هذا يجعلنا نقول: إن الانقلاب العباسي جعل كفة الفرس راجحة ولكنه لم يعدم الكفة العربية وهذا ما جعل الصراع يستمر في هذا العصر فلنتبعه في إيجاز: نرى في هذا العصر أن الناس لا يزالون ينزعون إلى الفخرة بالنسب العربي ، والولاء العربي حتى لنرى أبا مسلم الخراساني يصطنع لنفسه نسبا عربيا فيزعم أنه من نسل سليط بن عبد الله بن عباس^(٢)

وكتاب الأغاني يحدثنا: أن اسحق الموصلي^(٣) وهو ما هو من القرب من الرشيد - تتاظر مع ابن جامع^(٤) لحضرة الرشيد فتغالطا فسبه ابن جامع فمضى اسحق إلى خازم بن خزيمة^(٥) وهو عربي فتولاه وانتمى إليه فقبل ذلك منه فقال اسحق:

(٣) تاريخ الأمم الإسلامية الحضري ، ص ١٢٥

(٤) قيل انه عبد الله بن عباس وطئ جارية له كان لا يثق بها وكانت تدخل وتخرج فجاءت بولد ذكرسماه سليطا فكان في حياته يدعوه لأمه فلما تقي ادعت ام سليط انه من عبد الله فخاصمته علي بن عبد الله الي الوليد بن عبد الملك فتعصب عليه الوليد فاراد ان يحكم لسليط وكره علي بن عبد الله ان يدخل في نسبه من ليس منه فارسل الي سليط لا حاجة لك في حكم عبد الملك فانتني فاني اقربك واشهد لك فزعم الناس ان سليطا قتل ثم سكرت له ساقية في بستان كان في منزل علي بن عبد الله ثم دفن فاجري عليه الماء فساله الوليد فانكر فارسل الي منزله ففتش واخذ بعض غلمانة فاقروا واوروهم الساقية فنبشوها فاخرجوه وحملوه الي الوليد فامر بعلي بن عبد الله فاقم في الشمس فاجتنبه من كان بحضرته من بين هاشم فجاء اليه عبد الله بن عبد الله الحارثي الي منزله وعالجه و اخرجته الوليد الي الحميمة وقال لا تجاورني بدمشق فاضطغن علي ما فعل به . انساب الاشراف ٣/٣١٩

(٥) الامام العلامة الحافظ ذو الفنون ابو محمد اسحق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي الاخباري صاحب الموسيقى والشعر الرائق والتصانيف الادبية مع الفقه واللغة وايام الناس والبصر بالحديث وعلو المرتبة ولد سنة بضع وخمسين ومئة سمع من مالك بن انس اخرون وسمع منه ولده حماد الراوية وشيخه الاصمعي ولم يكثر عنه الحفاظ لاشتغاله بالدولة وكان يكره ان ينسب الي الغناء مات سنة (٢٣٥هـ) نزهة الالباء ٢٢٧ معجم الابداء ٥/٦ انباه الرواة ١/٢١٥ وفيات الاعيان ١/٢٠٢ النجوم الزاهرة ٢/٢٦٠

(٦) هو اسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن ابي وداعة (الذي اسر كافرا يوم بدر ففداه ابنه المطلب) من بني كعب بن لؤي ويكني ابا القاسم كان من احفظ خلق الله لكتاب الله ويروي عنه لولا القمار وحب الكلاب لتركت المغنين لا ياكلون خبز الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٦س ٢٧٣

إذا كانت الأحرار أصلي، ومنصبي ودافع صيمي حازم ، وابن حازم
عطست بأنف^(٢) شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا : غير قائم

فهذه القصة: تدلنا دلالة واضحة على حاجة الأعاجم في هذا العصر - حتى
الأشراف منهم - إلى الانتماء إلى العرب بالولاء ليحتمي به ويدافع عنه ويحكي
الأغاني أيضا أنه كان لعلي بن الخليل^(٣) صديق فارسي ، فغاب مدة وقد أصاب
مالا ورفعة ثم عاد إلى الكوفة وأدعى أنه من تميم فقال يهجو:

يروح بنسبه المولى ويصبح يدعي العربا
فهذا لا هذا ك يدركه إذا طلبا

إلى أن يقول: يشم الشيخ والقيصوم كي يستوجب النسبا

فصار تشبها بالقوم جافا ، جافيا جشبا
إذ ذكر البريد بكى وأبدي الشوق والطربا
وليس ضميره في القوم إلا التبين والعنبا^(٤)

ويحكي في موضع آخر: أن والبة بن الحباب كان يدعي النسب إلى العرب فقال فيه
أبو العتاهية:

أوالب أنت في العرب كمثل الشيص في الرطب
هلم إلى الموالى الصيد في سعة وفي رحب
فأنت بنا لعمر الله أشبه منك بالعرب إلخ^(٥)

(١) احد القادة الذين استعان بهم الرشيد للقتال في خراسان هو واباه .الكامل في التاريخ لابن

الاثير ٤٤٢/٦

(٢) يقصد به الخمر.

(٣) علي بن الخليل رجل من اهل الكوفة مولي لمعن بن زائدة الشيباني ويكني ابا الحسن وكان
يعاشر صالح بن عبد القدوس ولا يفارقه فاتهم بالزندقة واخذ مع صالح ثم اطلقه الرشيد لما

انكشف امره وقتل صالح بن عبد القدوس الاغاني لابي فرج الاصفهاني ١٦٨/١٤

(٤) للاغاني ج ١٤ ، ص ١٧١.

(١) الأغاني ج ٤ ، ص ١١٥.

وأدعى رجل النسبة إلى العرب فقال فيه بشار:

أرفق بعمرو إذا حركت نسبته فإنه عربي من قوارير
ويقول فيه: إن عمرا فاعرفوه عربي من زجاج
مظلم النسبة لا يعرف إلا بالسراج

وقال الموصلي^(١):

انت عندي عربي ليس في ذلك كلام

عربي ، عربي عربي ، والسلام^(٢)

أفلو كان العرب قد ذلوا في هذا العصر ، وحقر شأنهم على الوصف الذي يصفه
بعض المؤرخين كان هذه الحركة - أعنى حركة الانتساب إلى العرب والاعتزاز بهم
- تبلغ هذا المبلغ؟

أن الحركة العربية دوفعت بحركة أخرى فارسية ، وأن الصوت الخافت الذي كنا
نسمعه من مثل: إسماعيل بن يسار في العهد الأموي فيعاقب عله أصبح الآن شديد
وقويا حرا ونرى بشارا زعيم هذه الحركة يفخر مرة بخراسان^(٣) ويقول:

وهجاني معشر كلهمو حمق ، دام لم ذاك الحمق

ليس من جرم ولكن غاظهم شرفي العارض قد سد الأفق

من خراسان وبيتي في الذري ولدي المسعاة فرعي قد سقم

ويفخر مرة بالعجم فيقول:

ونبتت قوما بهم جنة يقولون من ذا؟ وكنت العلم

ألا أيها السائل جاهداً ليعرفني ، أنا أنف الكرم

(٢) راجع ترجمته ص

(٣) بشار بن برد سمي زعيم هذه الـ لانه قال :

قيصر خالي اذا عددت يوماً نسبي

الارض مظلمة و النار مشرقة : التي مصورة منذ كانت النار وبه قصيدة طويلة يقول فيها :

لعبة دار فاكنا الدار تلوح

وما كلمتي دارها اذ سالتها وفي كبدي كالنقط

(٤) الاغاني ج ٣ ، ص ١٥٥ .

نمت في الكرام بني عامر فروعي ، وأصلي: قريش العجم (١)
 ويقول ذلك أمام المهدي فلا يعاقبه كما فعل هشام باين يسار ، بل يسأله أي العجم
 أنت ؟ فيقول: من أكثرها في الفرسان ، وأشدّها على الأقران ، أهل طخارستان:
 بل كان يتبرا من الولاء ويقول :

أصبحت مولى ذوي الجلال ، مولي العريب فخذ بفضلك فأفخر
 وبعضهم أهل الفعال ومن قريش المشعر
 مولاك أكرم من تميم كلها سبحان مولاك الأجل الأكبر (٢) !
 فأرجع إلى مولاك غير مدافع

بل كان يدعو إلى الموالي نبذ ولأئهم للعرب فيروي الأغاني: أن رجلا من بني زيد
 شريف ، قال لبشار: " يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم إلى الانتفاء منها
 وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء وأنت غير زاكي الفرع ، ولا معروف
 الأصل فقال له بشار: والله لأصلي أكرم من الذهب ، ولفرعي أزكي من عمل الأبرار
 ، وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه
 وقال له عربي: ما للموالي والشعر ؟ فقال يهجو العرب:

أحين كسيت - بعد العري خزا ونادمت الكرام على العقار ؟
 تفاخر يا ابن راعية وراع بي الأحرار ، حسبك من خسار
 تريغ بخطبة كسر الموالي وينسيك المكارم صيد فار
 وكنت إذا ظمئت إلى قراح شركت الكلب ولغ الإطار
 وتغدو للقنافذ تدريها ولم تعقل بدراج الديار
 وتنتشح الشمال للابسبها وترعي الضان بالبلد القفار (٣)

(١) الاغاني ج ٣ ، ص ٢٣٨

(٢) المختار في شعر بشار ، ص ٨٢

(٣) الاغاني ج ١٩ ، ص ٤٨

ولبشار كثير من هذا الضرب ، يدلنا على ما نقول من أنه كان زعيم الحركة العدائية للعرب كما يرينا ما كان له ولأمثاله من حرية في هجاء العرب لم يكونوا يعهدونها في العصر الأموي.

وكثر ادعاء الناس للانتساب إلى كسري كذلك حتى قال جحظة:

وأهل القرى كلهم ينتمون لكسري ادعاء فأين النبيط ؟

مما شك فيه: أن نفوذ الفرس قد قوي في عهد العباسيين الأولين وكان هذا النفوذ يزداد قوة يوماً فيوماً

قد كان استخدام الموالي في العصر الأموي نادراً وكان يقابل بامتعاض قد استخدموا - مثلاً - رجاء بن حيوة^(١) وكان مولي كندة واستخدم عمر بن عبد العزيز مولي وجعله والياً على وادي القرى فعوتب على ذلك ولكن ما كان شاذاً في العصر الأموي صار هو المؤلف في العصر العباسي ابتداءً المنصور يكثر من استخدام الموالي يقول السيوطي^(٢): " أن المنصور أول من استعمل موالية على الأعمال وقدمهم على العرب وكثر ذلك بعده حتى زالت رياسة العرب وقيادتها وليس معنى هذه العبارة أن أحداً قبله من خلفاء بني أمية لم يستعمل مولي قط وإنما المعنى: أن المنصور اتخذ استعمال الموالي مبدأً له وقاعدة ورأسهم على العرب وهو بهذا المعنى : أول من فعل

(١) ابن جرول وقيل بن جزل وقيل بن جنبل الامام القدوة الوزير العادل ابو نصر الكندي الازدي ويقال الفلسطيني الفقيه من جلة التابعين ولجده جرول بن الاحنف صحبة فيما قل وري عن معاذ وعبد الله بن عمر ومعاوية وابي سعيد الخدري وجابر وابي امامة الباهلي وحدث عنه مكحول والزهري وقتادة واخرون قال ابو عبيدة وخليفة بن خياط مات سنة (١١٢هـ) (ابن عساكر ١٢٠/٦ الطبقات لخليفة بن الخياط ٧٩٣/٢ وتاريخه ٣٤٣

(٢) عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) عبد الرحمن بن ابي بكر بن عثمان بن محمد الخضيرى الاصل الطولوني المصري الشافعي جلال الدين ابو الفضل عامل مشارك في انواع من العلوم ولد في رجب ونشا بالقاهرة يتيماً وقرأ علي جماعة من العلماء ولما بلغ الاربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس علي النيل فالف اكثر كتبه وتوفي في ١٩/جمادي الاولى بمنزله في روضة المقياس ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة من مؤلفاته الكثير الدر المنثور في التفسير الماثور المزهر في اللغة الجامع الصغير في الحديث حسن المحاضر واتمام الدراية) (انظر شذرات الذهب ٥٥/٨ البدر الطالع ٣٢٨/١ الضوء اللامع للسخاوي ٦٥/٤

ذلك والجهشياري في كتابه تاريخ الوزراء يروي لنا ما يفهم منه أن كثير من تولي الأعمال للمنصور موالي ويقول المسعودي^(١) في المنصور: أنه أول خليفة استعمل مواليه وغلماؤه ، وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده - ومن ولده - سنة فسقطت وبادت العرب وزال باسها وذهبت مراتبها ويروي الطبري: " أنه كان للمنصور خادم أصفر إلى الأدمة ، ماهر لا باس به فقال المنصور يوما: ما جنسك ؟ قال: عربي يا أمير المؤمنين قال ومن أي العرب أنت ؟ قال من خولان سبيت من اليمن فأخذني عدو لنا فجبني فاسترقتت فصرت إلى بعض بني أمية ثم صرت إليك قال: أما إنك نعم الغلام ولكن لا يدخل قصري عربي يخدم حرمي اخرج عافاك الله فأذهب حيث شئت ويروي الأغاني: أن أبا نخيلة^(٢) وقف على باب أبي جعفر وأستاذن فلم يصل وجعلت الخراسانية تدخل ، وتخرج فتهزأ به فيرون شيخا أعرابيا جلفا فيعبثون به فقال له رجل عرفه: كيف أنت يا أبا نخيلة ؟ فأنشأ يقول:

أصبحت لا يملك بعضى بعضا تشكو العروق الآبضات أيضا
كما تشكي الأزجي الفرضا كأنما كان شبابي قرضا

(١) صاحب مروج الذهب وغيره من التواريخ ابو الحسن علي بن الحسين علي من ذرية ابن مسعود عداده في البغادة ونزل مصر مدة وكان اخباريا صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون وكان معتزليا اخذ عن ابي خليفة ونفطويه وعدة مات في جمادي الاخرة سنة (٣٤٥هـ) الفهرست لابن النديم ٢١٩ معجم الادباء ٩٠/١٣ طبقات الشافعية ٤٥٦/٣ النجوم الزاهرة ٣١٥/٣ شذرات الذهب ٣٧١/٢

(٢) ابو نخيلة اسمه لا كنيته ويكنى ابا الجنيد ذكر الاصمعي ذلك وابو عمرو الشيباني وابن حبسيب لا يعرف له اسم غيره وكان له كنياتان ابو الجنيد والعرماس وهون ابن حزن بن زائدة بن ليقط بن هرم بن يثري او اثري م بني تميم كان عاقا لابييه فنفاه ابوه عن نفسه فخرج الي الشام الي ان مات ابوه ثم عاد وبقي مشكوكا في نسبه اتصل بمسلم ابن عبد الملك ثم انقطع الي بني العباس وسمي نفسه بشاعر بني هاشم كان طاكعا قال في المنصور ارجوزة يغيره فيها بخلع عيسي بن موسي وبعقد العهد لابنه فوصله ابو جعفر وامره ان ينشدها في حضرة عيسي بن موسي ففعل فطلبه عيسي فهرب منه وبعث في طلبه مولى له اسمه قطري فادركه في طريق خراسان فذبحه وسلخ جلده الاغاني لابي فرج الاصفهاني ٣٦١/٢٠

فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة ؟ فقال^(١) :

أكثر خلق الله من لا يدري من أي خلق الله حين يلقي
وحلة تتشر ثم تطوي وطيلسان يشترى فيغلي
لعبد عبد أو المولي مولي يا ويح بيت المال ماذا يلقي

لكن مع هذا كله استخدم المنصور بعض العرب فقد ولي قتيبة بن مسلم^(٢) الباهلي البصرة كما ولي مولي كور البصرة والآبلة على أن جند أبي جعفر كانوا عربا وعجما^(٣).

فلما جاء الرشيد زاد نفوذ الفرس بفضل البرامكة^(٤) وقد كانوا المصرفين للدولة وشؤونها فاستتبع نفوذهم نفوذ جنسهم واتخذوا لذلك سياسة محكمة منها: ما يرويه لنا الطبري: أن الفضل بن يحيى^(٥) (البرمكي) اتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم "العباسية" وجعل ولاتهم لهم (للعباسيين) وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل وأنه قدم نهم بغداد عشرون ألف رل فسوا بغداد "الكرنبية" وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم.

(١) الأغاني ج ٦ ، ص ١٠٣

(٢) قتيبة بن مسلم ابن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي الأمير أبو حفص أحد الأبطال والشجعان ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي والغناء وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند وكانوا قد نقضوا وارتدوا ثم إنه افتتح فرغانة وبلاد الترك في سنة خمس وتسعين ولي خراسان عشر سنين وله رواية عن عمران بن حصين وأبي سعيد الخدري ولما بلغه موت الوليد نزع الطاعة فاختلف عليه جيشه وقام عليه رئيس تميم وكيع بن حسان وألب عليه ثم شد عليه في عشرة من فرسان تميم فقتلوه في ذي الحجة سنة ست وتسعين وعاش ثمانيا وأربعين سنة وقد قتل أبوه الأمير أبو صالح مع مصعب سير اعلام النبلاء ٤/٤١٠

(٣) تاريخ الوزراء الهيثاري

(٤) البرامكة وزراء الدولة العباسية في الفترة الاولى حيث ملكو ناحية الكتابة و الأدب و الاقتصاد ولكن دارت به الدوائر في عهد الرشيد فكل بهم.

(٥) الفضل بن يحيى كان اميرا علي خراسان وعمل الوزارة وقيل انه اسخي من جعفر وكان هرون من الرضاة وكان غرقا في الملذات وكان شجاعا مات في السجن سنة (١٩٢هـ)

الطبري ٨/٣٤١ شذرات الذهب ١/٣٣٠ الكامل لابن الاثير ٦/٢١٠

وزاد نفوذهم كذلك في عهد المأمون فقد انتصر الفرس نصره ثانية كالتى كانت بين العباسيين والأمويين لأن أغلب الفرس تعصب للمأمون وأكثر العرب تعصبوا للأمين فعدت غلبة المأمون نصره فارسية فطيفور^(١) يذكر لنا في تاريخه: " أن العرب كانوا يركبون ومعهم القسي والنشاب ، بين يدي المأمون^(٢) ويروي الطبري: " أن رجلا تعرض للمأمون بالشام مرارا فقال له: يا أمير المؤمنين أنظر لعرب الشام كما نظرت لعجم أهل خراسان فقال "المأمون" أكثرت يا أبا أهل الشام والله ما أنزلت قيسا عن ظهور الخيل ألا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد وأما اليمن فو الله ما أحببتها ولا أحببتي قط وأما قضاة فسادتها تنتظر السفياي وخروجه فتكون من أشياعه وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ولم يخرج أثنان إلا خرج بالفرس والعرب جميعا إنشاء الله. لم يستسلم العرب لقوة الموالي ونفوذهم بل قاوموا وكان بين الجانبين صراع عنيفا حيناً وهادي حيناً واتخذ هذا الصراع أشكالاً مختلفة مثلاً يعتمد الصراع على الدس عند الخليفة فيكيد العرب للموال ويكيد الموالي للعرب ومن أجل هذا كان تتكيل الخلفاء بالوزراء من حين إلى حين حتى قال قائلهم:

إن الوزير وزير آل محمد أودي فمن يشناك كان وزيراً

وكان تاريخ الوزراء سلسلة نكبات ولسنا نستبعد أن كثيراً منها كان سببه ما يشعر به الخلفاء تحت تأثير الدسائس - من نفوذ الفرس وقوة سلطانهم واستبدادهم بالأمر دنهم يقول ابن خلدون: (وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من اليسير من المال فلا يصل إليه فغلبوه على أمره وشاركوه وبعد صيتهم وعمرؤا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم " يقول: (أن البرامكة مدحوا بما لم يمدح به خليفتهم وأسئوا لعفاتهم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضياح حتى آسفوا البطانة وأحقدوا الخاصة

(١) احمد بن ابي طاهر طيفور المروزي الاصل (٢٠٤-٢٨٠هـ) احد البلغاء الشعراء الرواة ولد وتوفي في بغداد من كتبه المصنفة المنثور والمنظوم في ١٤ جزء سرقات الشعراء كتاب بغداد في اخبار الخلفاء وياهمم الجواهر وكتاب المؤلفين الفهرست لابن النديم ١٤٦/١ معجم الادباء

٨٧/٣ مروج الذهب ٢٠٩/٨

(٢) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - ص ٤٢

فكشفت بهم وجوه المنافسة والحسد ودبت إلى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم).

ويتناقش نعيم بن حازم العربي مع الفضل بن سهل الفارسي بين يدي المأمون فيحسن الفضل نقل الخلافة إلى العلويين فيقول نعيم للفضل: إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم ثم تصير الملك كسرويا (١)

وكثير ممن تولى المناصب الكبيرة من الفرس ، كان ينكل بمن استطاع من العرب كالذي كان بين الأفشين (٢) أبي دلف العجلي وأبو دلف العجلي عربي من نزار وكان يعيش عيشة عربية كريما شجاعا ممدحا وبابه مفتوح للشعراء والأدباء والسؤال وماله مقسم عليهم وكان أحد قواد المعتصم أيضا " وكان سيد أهله ، ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا مغنيا

فيحدثنا التتوخي في كتابه " الفرج بعد الشدة" (أن الأفشين هم بقتل أبي دلف وصفده بالحديد ، وأجلسه على نطع (٣) بين يديه يقرعه ويخاطبه بأشد غضب ويهم بقتله فيعلم أحمد بن أبي داود (٤) " وهو عربي وقاضي المأمون والمعتصم " فيسرع إلى الأفشين يدخل عليه من غير استئذان خيفة أن يجعل عليه ويقول له " أن أبا دلف فارس العرب وسريفها فاستبقه وأنعم عليه فإن لم تره لهذا أهلا فهبه للعرب كلها وأنت تعمل أن ملوك العجم لم تزل تفضل فإن لم تراه لهذا أهلا فهبه للعرب كلها ، وأنت تعلم أن ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ومن ذلك كان من كسري إلى النعمان حتى ملكه وأنت اليوم بقية العجم فأنعم على شريف من العرب بالعفو عنه فيأبى ذلك الأفشين ثم يشعر ابن أبي دواد بمكانته عند المعتصم حتى ليستطيع أن

(١) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - ص ٤٢

(٢) فقد كان الأفشين فارسيا من " أشروسنه" بآسيا الصغرى وكان قائد جيوش المعتصم وكان يكره العرب من أعماق نفسه وكان يقول " إذا ظفرت بالعرب شذخت رعوس عظمائهم بالدبوس.

الفرج بعد الشدة التتوخي ص ٢٥ مطبعة بيروت غير مدرج الطبعة

(٣). المرجع السابق

(٤) احمد بن داوود القاضي الكبير ابو عبد الله احمد بن فرج بن حريز البصري ثم البغدادي والجهمي عدو احمد بن حنبل كان داعية الي خلق القران له كرم وسخاء وادب وافر ومكارم ولد سنة ١٦٠هـ بالبصرة كان شاعرا مجيدا فصحا مات في المحرم سنة ٢٤٠هـ تاريخ الطبري

١٩٧/٩ تاريخ بغداد ١٤١/٤ العبر ٤٣١/١ النجوم الزاهرة ٣٠٢/٢

يتكلم على لسانه. فيقول للأفشين: أني رسول أمير المؤمنين إليك وهو بقول: لا تحدث في القاسم بين عيسى حدثا فإنك إن قتلته قتلت به " وذهب إلى المعتصم فأخبره الخبر فأقره عليه وبذلك نجا أبو دلف سيد العرب من سيد العجم وكان أحمد بن أبي داود من ناحية أخرى يستخدم منصبه فيقضي حوائج العرب " فيقول للمعتصم " فلان الهاشمي ، وفلان القرشي ، وفلان الأنصاري وفلان العربي " ولا يزال يتلطف حتى تقضي مطالبه.

وشكل آخر من شكل الصراع - وهو الصراع الأدبي الذي كان معروفا في العصر الأموي - وهو الافتخار بالأنساب من طريق الأدب كالذي كان بين عبد الله بن طاهر (الفارسي) يفتخر بنسبه في الفرس فيرد عليه محمد بن يزيد (العربي) يفتخر بالعرب فقد قال عبد الله بن طاهر قصيدة يفخر بما ثر أبيه وأهله ويفخر بقتلهم الأمن يقول فيها:

أقصري عما لهجت به	ففراغي عنك مشغول
أنا من قد تعرفي نسبي	سلفي الغر البهاليل
ومنها: وأبي من لا كفاء له	من يساوي مجده ؟ قولوا
ومنها: أنظر المخلوع كلكله	و حواليه المقاويل
فثوى والتراب مضجعة	غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو نائلة	ضاق عنه عرض وطول
من خراسان مصمصهم	كليوث ضمها غيل
وهو الله أنفسهم	لا معازيل ولا ميل

ويقول محمد بن يزيد: لما بلغنتي هذه القصيدة امتعضت العرب وأنفت أن يفخر عليها رجل من العجم لأنه قبل ملكا من ملوكهم بسيف أخيه لا بسيفه فيفخر عليها هذا الفخر منها هذا الوضع فرددت عليه قصيدته ، ومطلعها:

لا يرعك القال والقيـل	كل ما بلغت تضليل
يا ابن بيت النار موقدها	ما لحاذيه سراويل
من حسين من أبوك ومن	مصعب فالتكمو غول
نسب في الفخر مؤتشب	وأبوات أرانيـل
قاتل المخلوع مقتول	ودم المقتول مطلول

ومنها: ما جرى في عود أثلتكم
قـدحت فيه أسافله
ماء مجد فهو مدخول د
فأعاليه مهازيل

ويقول قائل من الفرس:

بهايل غر من نؤابة فارس
هموا راضة الدنيا وسادة أهلها
إذا انتسبوا لا من عرينة أو عكل
إذا افتخروا لا راضة الشاء ولإبل

فيقول آخر عربي:

لا تغرر أنك من فارس
لو حدثت كسري بذا نفسه
في معدن الملك وديوانه
صفعته في جوف إيوانه

وهناك شكل ثالث من أشكال الصراع ، هو الصراع العلمي . كانت نتيجة هذا الصراع هزيمة العرب ، وغلبة الموالي ولكن يجب أن نقرر أن هزيمتهم التامة كانت من الناحية السياسية والإدارية فأما دينيا ولغويا فقد انتصر العرب فلم تستطع المجوسية أن تساير الإسلام ولم تستطع لغات الموالي أن تضع من شأن لغة العرب بل خدمتها وعملت على ترقيتها من نواح مختلفة وظل الموالي الذين يخدمون أغراضهم السياسية وينجحون فيها يخدمون في الوقت نفسه الدين واللغة - يضعون قواعدهما ويضبطون شواردهما - وحركات الزندقة التي كانوا ينفثونها من حين لآخر أخمدت في قوة وإن كانت قد تركت أثرا ضئيلا - كما أن سعي سميعة وظلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية وهي لغة الدين ولغة العلم وأقبل الموالي على تعلمها واجادتها إجابة تقرب من إجابة أهلها وحسبك دليلا أن أبا مسلم الخراساني كان يجيد العربية ويفهم أراجيز رؤية وأن أكثر الكتاب المجيدين في العربية في هذا العصر كانوا فرسا وأن الأصمعي يحكي عن عصره أن مما يخل بالمروءة التكلم في مصر عربي بالفارسية الشعبية فاختلف الأمم و الاعراق و الشعوب و اضافة الي الادب كبيرا رغم أنه اضعف الدولة ولكن ضعف الدول لا يكون من الاختلاف ورغم ذكره البعض في كتبهم فضعف الدولة ليكون السياسات معينة وما يهمننا هو ان الادب في عصر اتساع رقعة قد تطور واخذ من كل شعب فكرة ومن كل عرق لون حتي وصل الينا ادب متكامل قوي يحمل لنا مبدأ وفكرة قمة في التطور واطاف رصيد للرصيد السابق في اختلاف

المشارب في الزهد و التصوف و الفلسفية فانتساع رقعة زاد في تداخل العلوم وتقدمها وهكذا وصل الادب الينا ادب رقي وتقدم كما كانت الدولة متقدمة فنري ان الادب تطور رغم اختلاف المشارب لان اللسان كان واحد فاللغة السائدة هي اللغة العربية رغم اختلاف الافكار و الالوان و الذي يجيد اللغة العربية ويتقنها هو صاحب القدر المعلمي بغض النظر عن لونه ونسبه لذلك اخذ كل يتسابق في فن فنون الادب حتي وصل الينا مكتمل الجوانب من جميع المناحي و الاغراض فكان ادباً بمعني كلمة الادب.

بعد ظهور الاسلام لم تكن هنالك نزعة قومية لدي العرب لان الاسلام جعل الناس سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربي وعجمي حتي لو كان سيد العرب او زنجي ورأسه راس زبيبة ولكن عند ظهور القومية صار العرب اضعف العناصر وكان لا بد من ان يتحدوا وظهرت العرقيات العربية بمفهومها القديم حيث الانتماء للعرق وليس اللسان ولكن هذب الاسلام طبع العرب فكان التحزيب لجنس العربي ضعيف جداً لأنهم امتزجوا في بلاد الإسلام الواسعة ، وكان لديه غيره شديدة (الدين فلم يلتفتوا الي هذه الدعوة الا قليل فكانت مجرد دعوة سياسية فأثرها في الأدب قليل لذلك كان الفخر منذ القدم للقبيلة أو المنطقة فلم تكن لجنس العرب فقط.

ومن خلال هذا البحث نجد أن صورة المجتمع العباسي من عرب وغيرهم - كانوا صورة لارقي الأمم رغم اختلاف مشاربهم ومذاهبهم فقدموا مجتمعين أدباً راقية وكان الرقي من اختلاف الأفكار و المفاهيم واختلاف البيئات فأخذ الأدب من ك ارض فكرة ومن كل مدينة لوحة حتى وصل قمة الجمال و الإبداع في المعني و اللفظ فالمعني كانت عالمية لان الدولة اختلفت ورق الشعر و الأدب لان البلاد صارت رقيقة مثل أهلها فقد الأدب القديم خشونته ولانت غرائم الإعراب بمجاورة الشعوب المتحضرة بامتداح للأدب بالأفكار الجديدة في الأدب كأنه بعث من جديد وكتبت له حياة افضل فوصل إلينا الأدب يحمل بسن طياته الفلسفة و الحكمة و الزهد بأفكار قوية ومعاني رائعة وفلسفة إذا قلنا عنها أنها الفلسفية الأصلية فاقت اليونان وغيرهم لرقعة المعاني التي تحمل الفكر فكان تفكير أدباء الدولة العباسية تفكيراً فلما نجد مثله وإذا جاز لنا التعبير فل نقل انهم فكروا بالمعاني فصاغوها ألفاظاً مبتكرة وأفكاراً ناطقاً شعراً وحكمة.

تأثر المجتمع العباسي بالثقافة اليونانية والرومانية

كانت فتوح الإسكندر المقدوني^(١) لكثير من بلاد آسيا وأفريقية سبباً كبيراً من أسباب انتشار الثقافة اليونانية في الشرق ، فقد كانت مملكته بلاد اليونان ومقدونية في أوروبا ، ومصر ، وليبيا في أفريقية، وسوريا ، وفلسطين ، والعراق وما إليه ، وبلاد الفرس ، وتركستان وأفغانستان، وبلوخستان وقسمًا من بلاد الهند في آسيا

وكان من سياسته التقريب بين هذه البلاد المفتوحة وبلاد الإغريق ، ومزج الجنس الإغريقي بأجناس آسيا وأفريقية في الحضارة ، والعمارة ، ونظم الحكم، والثقافة، ولهذا كان يحث اليونانيين على سكنى هذه البلاد ، ومخالطة أهلها، وينظم مدنها تنظيمًا يونانيًا، ويشجع الأدباء، والكتاب ، والعلماء على نشر أدبهم وعلمهم، فكان من ذلك ومن الولاة اليونانيين الذين ورثوا الحكم من الإسكندر في الممالك الشرقية ، أن انتشرت الحضارة اليونانية ، والثقافة اليونانية من عهد الإسكندر .

وكانت البلاد التي بين دجلة والفرات تغلب عليها الثقافة الإغريقية حتى ليروون أنه لما وصل موت " كراسوس " Crassus إلى أورويس Oroues الملك البرثي كان يطالع ما ساء من روايات يوريبيدس Euripides ، وظلت هذه الثقافة تنمو وتؤتي ثمرها حتى بعد أن انسحب الجيش اليوناني من هذه الأقطار ، واشتهرت في الشرق قبل الإسلام إلى ما بعده مدن كثيرة كانت منبعًا للثقافة اليونانية من أشهرها جند يسابور وحران والإسكندرية.

فجنديسابور: مدينة في خوزستان أسسها سابور الأول وإليه تنسب واتخذها موطنًا لأسرى الروم وكان هذا من الأسباب التي جعلتها فيما بعد منبعًا للثقافة اليونانية، وأسس فيها كسرى أنوشروان مدرسة الطب المشهورة ، وكانت تعلم فيها

(١) الإسكندر الأكبر (اسكندر الثالث (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) ملك مقدونيا ابن فيليب الثاني من اوليمبياس تتلمذ علي ارسطو واخضع الثورات التي قامت بعد موت ابيه في المدن الاغريقية وفي عام ٣٣٤ غزا الفرس وانتصر عليهم وفي عام ٣٣٢ استولي علي مصر اسس مدين الاسكندرية توغل حتي الهند وفي عام ٣٢٣ اصيب بالحمي فمات وعمره ٣٣ من اعظم القواد وابرز الشخصيات في التاريخ له فضل نشر الحضارة الاغريقية الموسوع العربية ١/١٥٢

العلوم اليونانية باللغة الآرامية ، وقد فتحها المسلمون فيما فتحوا من بلاد الفرس ، وظلت المدرسة قائمة إلى العصر العباسي .

كان كسري أنشأ في جنديسابور ممارستنا تعالج فيه المرضى ، ويدرس فيه الطب وما إليه.

يحكي القفطي^(١): أن المدينة بنيت على شكل القسطنطينية، وأن أول من علم الطب بها أطباء من الروم ، ولما أقاموا بها بدءوا يعلمون أحداثاً من أهلها ، ولم يزل أمرهم يقوى في العلم ، ويتزايدون فيه، ويرتبون قوانين العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا في الفضائل".

كان أطباء جنديسابور يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ، ولا يخرجونه عنهم، وعن أولادهم وجنسهم ، وقد رووا أن الحارث بن كلدة^(٢) الثقفي طبيب العرب تعلم قبيل الإسلام في مدرسة جنديسابور ، وعالج بفارس ، وطب بعض أجلاء الفرس ، فأعطاه مالا وجارية سماها الحارث سمية ، وهي أم زياد بن أبيه^(٣) ، ومات الحارث في أول الإسلام، ولم يصح إسلامه.

(١) علي بن يوسف الشيباني القفطي (١١٦٧-١٢٤٨م) يب ومؤرخ ولد فقط بمحافظة قنا ومات بحلب ودرس بالقاهرة والاسكندرية وانتقل الي القدس ثم حلب فالحق بديوان الرسائل ١٢١٣ ووزر

للملكين العزيز والناصر كان مولعا بجمع الكتب شغوفا بالاطلاع في العلوم المختلفة نظم شعرا غلب علي التكلف والصنعة وعمد في رسائله الي السجع والاكثر من الجناس والتورية الف عدد من الكتب في اخبار العلماء باخبار الحكماء واخبار المصنفين وانباه الرواة واخبار المتيمن وفي التاريخ السياسي اخبار مصر وفي التراجم المفردة الاتيق في اخبار بن رشيق وفي اللغة وفي الحديث أه . الموسوعة العربية الميسرة ١٣٩١/٢

(٢) الحارث بن كلدة الثَّقفي ت(٦٧٠م) طبيب العرب في عصره واحد الحكماء المعرفين من اهل الطائف رحل الي فارس رحلتين واخذ الطب عن اهلها تعلم الضرب علي العود بفارس واليمن ولدو قبل الاسلام وبقي الي ايم معاوية واختلف في اسلامه وكان النبي صلي الله عليه وسلم يامر من به علة ان يتطبب به له كلام في الحكمة وكتاب محاوره في الطب بينه وبين كسري انوشروان . الموسوعة العربية الميسرة ٦٨٥/١

(١) هو زياد بن عبيد الثَّقفي وهو زياد بن سمية وهي امه وهو زياد بن ابي سفيان الذي استلحقه معاوية بانه اخوه وكانت امه مولاة للحارث بن كلدة الثَّقفي طبيب العرب ولزياد ادراك

وظلت مدرسة جنديسابور تؤدي عملها في الإسلام، كما كان في عهد الفرس، وازداد اتصالها بالمسلمين في العهد العباسي، فإن أبا جعفر المنصور عندما بنى بغداد أصيب بمرض في معدته، لم يستطع أطباؤه معالجته، فدلوه على جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور، ومن ذلك الحين اتصلت قصور الخلفاء بمدرسة جنديسابور، حتى إن الرشيد أمر جبريل بن بختيشوع أن يعمل بغداد بمارستانا على نمط بمارستان جنديسابور و، تقلد رياسته أطباء جنديسابور.

وقد اشتهر من مدرسة جنديسابور في العصر العباسي جورجيس بن بختيشوع^(١) طبيب المأمون الخ وكانوا كلهم نصارى نساطرة.

وأما حران فمدينة في الجزيرة شمالي العراق تقع بين الرها (أودسا) ورأس العين، وهي مدينة قديمة عاصرت اليونان، والرومان، والنصرانية، والإسلام، وفي عهد الإسكندر سكن كثير من المقدونيين هذا الجزء الشمالي للعراق، وكان من أثر ذلك في حران أن الآلهة المعبودة عند الحرانيين اتخذت أسماء يونانية، وفي أول عهد النصرانيين كان شمالي العراق ومنه حران يسكنه أهله الأصليون، وهم السريان وكثير من المقدونيين، والإغريقين، والأرمن، والعرب، ولما قويت النصرانية وأصبحت دين الرومانيين الرسمي حاولوا أن يضغطوا على الحرانيين ليتنصروا، فلم ينجحوا، ومن أجل ذلك كان رجال الكنيسة يطلقون على حران مدينة الوثنيين) "هيلينوبوليس" Hellenopolis وظلت حران (مدينة الوثنيين) يهرب إليها الذين لم يشاءوا أن يدخلوا في النصرانية، من اليونانيين وغيرهم، ويظهر أن دينهم كان مزيجاً من الديانة البابلية واليونانية القديمة والأفلاطونية الحديثة، حتى كان

ولد عام الهجرة واسلم زمن الصديق وهو مراهق وهو اخو بكرة الثقفي الصحابي لامه ثم كان كاتباً لابي موسى الاشعري زمن امرته البصرة وكان كاتباً بليغاً وكان خطيباً وفاتكاً لمن يخالف هواه اصيب بالطاعون في سنة ثلاث وخمسين . طبقات بن سعد ٩٩/٧ تاريخ بن عساكر ٢٤٢/٦ الكامل ٤٩٣/٣ العبر ٥٨/١

(٢) جبرائيل بن بختيشوع (.....-٢٠٥هـ) بن جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري طبيب خدم الارشيد والمأمون وغيرهما من اثاره رسال الي المأمون في المطعم والمشر بالمدخل الي صناعة المنطق كتاب في الباه رسالة مختصرة في الطب وكتاب في صنعة البخور انظر عيون الانباء لابي اصبيعة ١٢٧/١ تاريخ الحكماء للقفطي ١٢٣-١٤٦

شأنهم كذلك في العصر الإسلامي إلى عهد المأمون فتسموا - إذ ذاك - بالصابئة احتفاء بما يفهم من القرآن الكريم من عد الصابئين من أهل الكتاب، ولم يكن ذلك الاسم يطلق عليهم من قبل، و إنما كان يطلق على قوم لهم ديانة مزيج من اليهودية والنصرانية ، كانوا يسكنون " البطيحة" كما ذكر القفطي (وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة)

روى ابن النديم^(١) أن المأمون اجتاز في آخر أيامه ديار مصر يريد بلاد الروم للغزو، فتلقاه الناس يدعون له، وفيهم جماعة من الحرانيين (الحرانيين)، وكان زيهم إذ ذاك لبس الأقبية، وشعورهم طويلة بوفرات (الحرانية) فقال : أنصاري أتم ؟ قالوا: لا قال : فيهود أتم ؟ قالوا : لا قال : فمجوس أتم ؟ قالوا: لا، قال لهم: أفلكم كتاب أم نبي؟ فجمعوا في القول، فقال لهم : فأنتم إذا الزنادقة، عبدة الأوثان وأصحاب الرأس في أيام الرشيد ، والدي، وأنتم حلال دماؤكم، لا ذمة لكم، فقالوا: نحن نوّدي الجزية فقال لهم: إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه، ولهم كتاب ، فاختراروا أحد أمرين: إما أن تنتحلوا دين الإسلام أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه

وإلا قتلتمكم عن آخركم ، فإني قد أنظرتكم إلى أن أرجع من سفرتي هذه.

ورحل المأمون يريد بلد الروم فغيروا زيهم ، وحلقوا شعورهم ، وتركوا لبس الأقبية، وتتنصر كثير منهم، ولبسوا زنانير، وأسلم منهم طائفة، وبقي منهم شردمة بحالهم ، وجعلوا يحتالون، ويضطربون حتى انتدب لهم شيخ من أهل حران فقيه فقال لهم: وجدت شيئاً تتجون به ، وتسلمون من القتل ، فحملوا إليه مالا عظيماً... فقال لهم: إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له: نحن الصابئون، فهذا اسم دين قد ذكره الله جل اسمه في القرآن فانتحلواه فأنتم تتجون به، وقضى أن المأمون توفي في سفرتة ، وانتحلوا ذلك الاسم من ذلك الوقت، لأنه لم يكن بحران ونواحيها يسمون بالصابئة ، فلما صل إليهم وفاة المأمون رجع كثر من كان تنصر منهم ، وطولوا شعورهم ، واطلق عليهم الصابئة منذ ذلك الحين.^(٢)

(١) ترجمته ص ١٣٨

(١) الفهرست - محمد بن اسحاق النديم - مكتبة المعرفة بيروت سنة ١٩٧٨ م ج ١ / ٣٠

كان هؤلاء الحرانيون منبعًا كبيرًا من منابع الثقافة اليونانية في العهد الإسلامي، وقد اتصلت مدرستهم بالخلفاء العباسيين بعد اتصال مدرسة جنديسابور^(١)، فأول من اتصل منهم ثابت بن قررة^(٢) أوصله بالمعتضد ابن موسى^(٣) وابن شاذان^(٤) الذين رباهم المأمون أو من ذلك الحين قرب الحرانيون من الخلفاء، ثم من بني بويه. فاشتهر منهم ثابت بن قررة الفلكي، وابن سنان^(٥) الطبيب العالم بالظواهر الجوية وقد أسلم وحفيده إبراهيم بن سنان^(٦)، كما اشتهر منهم أسرة هلال، ومنهم هلال^(٧) بن

(٢) راجع مدينة جنديسابور ص معجم البلدان ١٧٠/٢

(٣) ثابت بن قررة الصابي الحراني (٢٢١ - ٢٨٨ هـ) فيلسوف عصره كان صيرفيا صحب ابن شاذان فبرع في علم الاوائل وصار منجما للمعتضد وتصانيفه فائقة ومن تلامذته عيسى بن اسيد النصراني المشهور وكان ابنه ابراهيم راس الاطباء وكذلك حفيده ثابت بن سنان الطبيب صاحب التاريخ المشهور مات سنة (٢٨٨هـ) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢٩٥ (ط. بيروت ١٩٦٥ م، تحقيق د. نزار رضا) وفيات الاعيان ٣١٣/١ البداية والنهاية ٨٥/١١ شذرات الذهب ١٩٦/٢

(٤) احمد بن موسى بن شاذان كان حيا قبل عام ٢٥٩ هـ عالم في العلوم القديمة وغلب عليه من العلوم الهندسة والحيل والحركات والنجوم والموسيقى من مؤلفاته كتاب الحيل بين فيه بطريق تعليمي ومذهبي هنجسي انه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة. الفهرست لابن النديم ١٧١/١ تاريخ الحكماء ٣١٥

(٥) موسى بن شاذان فلكي كان في شبابه من قطاع الطرق تاب فدحل في خدمة المأمون العباسي وتعل التجيم وهيئة الافلاك ينسب اليه كتاب الدرجات في طبائع الكوكب السبعة توفي نحو سنة ٢٠٠ هـ الزركلي الاعلام ٢٧٣/٨

(٦) ثابت بن سنان الصابي (.... - ٣٦٣ هـ) بن ثابت بن قررة الحراني ابو الحسن طبيب مؤرخ اديب صاب النحلة خدم بصناعة الطب للمتقي بن المقندر بالله والمستكفي بالله والمطيع بالله وتولي ادارة اليمارسستان ببغداد من اثاره كتاب التاريخ كتاب في اخبار الشام ومصر عيون الانباء لابن ابي اصبيعة ٢٢٤/١ معجم الادباء لياقوت ١٤٢/٧ النجوم الزاهر ابن تغري بردي ١١/٤ شذرات الذهب ٤٤/٣

(١) ابراهيم الصابي (٢٩١-٣٣٥ هـ) ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قررة الصابي الحراني ابو اسحق عالم بانواع الحكمة والغالب عليه علم الهندسة وله مصنفات في ذلك من تصانيفه في علم النجوم ثلاثة كتب اولها الات الاظلال والثاني اذي بين فيه امر الزخامات كلها الثالث

إبراهيم ، وكان طبيبا وابنه الأديب المشهور إبراهيم أبو إسحاق الصابي^(٢) صاحب الرسائل، وكان بليغاً ، وله اليد الطولي في الرياضة ، والهندسة، والهيئة، كما كان من الحرانيين " البتاني"^(٣) أحد المشهورين برصد الكواكب ، والمتقدمين في علم الهندسة وصاحب الزيج المنسوب إليه ، ومنهم أبو جعفر الخازن^(٤) الرياضي، وابن وحشية^(٥) المنسوب إليه الفلاحة النبطية .

في الظل ومنه تفسير المقالة الاولى من المخروطات واغراض كتاب المجسطي (ابن النديم
الفهرست ٢٧٢/١ تاريخ الحكماء ٥٨ الزركلي الاعلام ٣٦/١

(٢) هلال بن ابراهيم بن زهرون الحراني كان طبيبا ماهرا عمل في خدمة توزون وقد توفي عام
٣٢٤ هـ . دائرة المعارف الاسلامية حرف الصاد مادة صابئ ٨٣/١٤

(٣) ابراهيم الصابئ (٣١٣ . ٣٨٤ هـ) ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون الصابئ الحراني
ابو اسحق الاديب عالم غلبت عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر وله يد طولي في الرياضة
وخصوصا الهندسة والهيئة ولد بحران لخمس خلون من رمضان وتوفي في بغداد في ١٢
شوال من مؤلفاته مصنف في المثلثات ديوان شعر ديوان رسائل التاجي في اخبار الدولة
الدلمية اختيار شعر المهلبى وكتاب في اخبار اهله (انظر الفهرست لابن النديم ١٤٣/
وفيات الاعيان لابن خلكان ١٤/١ الزركلي الاعلام ٧٣/١

(٤) محمد البتاني (..... ٣١٧ هـ) محمد بن جابر بن سنان الحراني الاصل البتاني ابو عبد الله
حاسب منجم ولد في بتان من ضواحي حران بعد سنة ٢٣٥ هـ وتوفي بقصر الحضر بقرب تكريت
من اثاره معرفة مطالع البروج رسالة في تحقيق اقدار الاتصالات الزيج شرح المقالات الاربع
لبطليموس واصلاح المجسطي ابن خلكان وفيات الاعيان ١٠٥/٢ تاريخ الحكماء للقفطي ٢٨٠
شذرات الذهب ٢/٢٧٦

(٥) محمد الخزن (.... ٤٠٠ هـ) محمد بن الحسين الخراساني ابو جعفر عالم بالرياضيات
والهندسة فلكي خدم بارصاده ابا الفضل بن العميد وزير ركن الدولة البويهى من تصانيفه زيج
الصفائح المسائل العددية وشرح كتاب اقليدس انظر الزركلي الاعلام ٣٢٩/٦

(٦) احمد بن وحشية (.. ٢٩٦ هـ) احمد بن علي بن امختار بن عبد الكريم بن جلاثيا
الكسداني الكلداني من قسين ويعرف بان وحشية ابو بكر عالم بالفلاحة والكيمياء والسحر
والسموم وغير ذلك له من الكتب السر والطلسمات كتاب السحر الكبير نزهة الاحداق في
ترتيب الاوفاق شوق المستهام في معرفة رموز الاقلام وكتاب الفلاحة . انظر الفهرست لابن
النديم ٣١١/١ ايضاح المكنون ٥٩/٢ كشف الظنون حاجي خليفة ١٢٨٩ ، ١٤٣٩ .

وإذا كانت مدرسة جنديسابور لها الأثر الكبير في نشر الثقافة اليونانية في الطب وما إليه من فلسفة ، فمدرسة حران كان أثرها الأكبر في الرياضيات ، وخاصة الهيئة ولعل ما في ديانتهم من تعظيم الكواكب وإقامة الهياكل لما كان باعنا على نبوغهم في العلوم الرياضية والفلكية.

وأما الإسكندرية : فعاصمة مصر اليونانية ، وبها ولد مذهب من أكبر المذاهب الفلسفية هو مذهب الإسكندرانيين أو الأفلاطونية الحديثة. مؤسسة مصري هو " أفلوطين" (١) وهذا المذهب مدين بأهم أفكاره لفلاسفة اليونان ، فعناصره الأولى مستمدة من آراء أفلاطون ، وأرسطو والرواقيين ، وقد امتاز بروحانيته ، ونقده للمذهب المادي ، حتى حكى أفلوطين أنه وصل في روحانيته إلى الأستغراق في الواحدية ، أو على التعبير الصوفي " الفناء في الألوهية" بضع مرات في حياته ، و وصل إلى ذلك تلميذه فورفوريوس (٢) مرة واحدة ، وقد ظل مذهبه هو المذهب الفلسفي السائد في المملكة الرومانية نحو قرنين ونصف قرن بعد وفاة مؤسسه حتى أتى الإمبراطور جوستينيان (٣) فأمر سنة ٥٢٩م بإغلاق مدارس أثينا الفلسفية ، وصادر أملاك الفلاسفة ، وغل عقولهم ، وقيد ألسنتهم.

(١) افلوطين (٢٠٥-٢٧٠) مؤسس الافلاطونية الجديدة ولد باسيوط وتلمذ علي امونيوس سكاس والم بفلسفة الهند وفارس تائرت فلسفته بالافلاطونية لكنها تميزت بنظرية الغيض التي تفسر الخلق بان الواحد (الله) فاضتت عنه المخلوقات وان كمال الانسان يتحقق بتجرده من الجسد واندماجه مع الواحد ومعرفته بالشهود المباشر وقد شرح فلسفته ونشر مؤلفاته التاسعات تلميذه فورفوريوس الموسوعة العربية الميسرة ١/١٨٢

(٢) فورفوريوس (٢٣٣-٣٠٤) احد الفلاسفة الافلاطونية الجديدة تتلمذ علي افلوطين وشرح فلسفته ونشر التاسوعات اهم اثاره كتاب ايساغوجي الذي اشتهر عند المسلمين وورد به مقولات ارسطو العشر الي محمولات خمس الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام . الموسوعة العربية الميسرة ج/٢ ص ١٣٣٢

(٣) جوستينيان الاول (٤٨٣-٥٦٥م) امبراطور بيزنطي تولي الحكم في الفترة ما بين (٥٢٧-٥٦٥م) تولي العرش خلفا للامبراطور يوستينيوس الاول بلغت المبراطورية البيزنطية في عهده اقصي اتساعها اعاد تنظيم الحكومة وقضي علي كثير من المظالم الف عام ٥٢٩ م لجنة عهد اليها في جمع الشرائع الروماني وتدوينها فانجزت المهمة عام ٥٦٥م وكان يعرف بالكبير . موسوعة المورد منير بعلبكي ٦/٢٧

بجانب هذه الحركة الفلسفية كانت حركة واسعة في الأدب والعلم والفن وأطلق على هذه الحركات كلها مدرسة الإسكندرية وقد عاشت من سنة ٣٠٦ ق.م - ٦٤٢ م. وكان يغذي هذه الحركة متحق الإسكندرية ومكتبتها المشهورة.

ويقسم مؤرخو هذه المدرسة تاريخها إلى عصرين:

العصر الأول من قيام دولة البطالسة إلى غلبة الرومان (من سنة ٣٠٦ ق.م إلى سنة ٣٠ م) وقد عدت الإسكندرية في هذا العصر في مقدمة بلاد العالم في الأدب. العصر الثاني: من سنة ٣٠ م إلى سنة ٦٤٢ م وهي سنة فتح العرب للإسكندرية ، وتمتاز في هذا العصر بالمذهب الفلسفي الذي أشرنا إليه، آ وكانت المدرسة في عصرها متصلة بالعالم حولها .

نتشرت الديانة النصرانية في الإسكندرية في العهد الرماني، كما انتشرت في غيرها ، وقامت النصرانية فيها بجانب الفلسفة اليونانية ، واختلفت النصارى فيما بينهم طوائف وشيخاً ، وتجادلوا في طبيعة المسيح ، وناسوته ولاهوته، وعلاقة المسيح بالله، فلجأوا إلى الفلسفة، يستعينون بما لها من منطق ، وترتيب في الجدل ، وبما لها من أبحاث وراء المادة ، ومن ثم اتصلت النصرانية بالفلسفة اليونانية.

وكانت أول حركة للاتصال في الإسكندرية كما اتصلت اليهودية بالفلسفة في الإسكندرية أيضا من قبل على يد فيلون^(١)، وكان أوائل النصارى في ذلك " كليمان الإسكندري" ^(٢) Clement فمزج النصرانية بالأفلاطونية، ثم من بعده أوريجين "Origen"^(٣) (٨٥ - ٢٥٤م) تلميذ أفلوطين، وأضطهد أوريجين ففر من

(١) فيلون (١٥ - ٤٥ق.م) فيلسوف ولاهوتي يهودي من مواليد الاسكندرية تاجر بافلاطون في المقام الاول ثم ارسطو من الرواقين فسر التوراة تفسيراً مجازياً يثبت انها تشتمل على اراء فلاسفة اليونان . انظر موسوعة المورد لمنير البعلبكي حرف الفاء ٢٤/٨

(٢) تيبوس فلافيوس كلنس ح(١٥٠ - ٢١٢م) لاهوتي يوناني يحتمل انه ولد في اثينا من ابوين وثنيين اعتنق المسيحية قام باسفار كثيرة بحثاً وراء المعرفة لدي اساتذة المسيحية واخيراً تنلمذ على بانتاينوس رئيس مدرسة التعليم الديني بالاسكندرية ح (٢٠٢) فرارا من اضطهادات التي شنها سبتموس سفروس على المسيحية الف كثيرا لكن اغلب مؤلفاته فقدت ويوجد ما تبقى مقتطفات كثيرة تشهد بالممامه الواسع بالاداب الاغريقية الموسعة العربية الميسرة ١٤٧٦/٢

(١) اوريجين (١٨٥ - ٢٥٤ م) فيلسوف مسيحي ولد بمصر وعلم بالاسكندرية نشر الانجيل بست صور مختلفة عبرية ويونانية لمقابلة بعضها ببعض ومن اشهر كتبه المبادئ الاولى

الإسكندرية وأنشأ مدرسة على النمط الإسكندري في قيصرية في فلسطين ثم أسست بعد مدرسة على هذا النمط في نصيبين، وأغلقت مدرسة نصيبين فانتقلت إلى الرها، وهكذا انتشر النمط الإسكندري في مزج النصرانية بالفلسفة في انحاء الشرق، وأصبح كثير من رجال الكنيسة يعلمون النصرانية مفلسفة أ، و الفلسفة منصرة، وجدوا في التوفيق بين ما يتعارض بينهما فمثلا: (قالت النصارى إن المسيح ابن الله) والأبوة مقدمة على البنوة تقدم السبب على المسبب، وإذن كان الله قبل المسيح، وترى الفلسفة أن العلة الأولى أو بعبارة أخرى "الله" لا يلحقه تغير فكيف يكون أباً، وكان قبل غير أب فيجب أن يفسر الأبئ تفسيراً يتفق والفلسفة وهكذا.

وكان أغلب القائمين بهذه الحركة النصارى النساطرة، فبنوا مدارسهم وتعاليمهم في الشرق ، وكانوا يعلمون باللغة السريانية ، وينقلون الكتب اليونانية إلى السريانية.

الثقافة الفارسية:

انتشرت الثقافة الفارسية - في العصر العباسي الأول انتشاراً عظيماً ، وساعد على ذلك أمران : الأول : إنشاء منصب الوزارة ، واسناده غالباً إلى الفرس. اما الثاني: انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد او من الشام إلى العراق.

لم تكن كلمة وزير بدءاً في العصر العباسي، إنما المبتدع هو إنشاء هذا المنصب ، وإعطاء صاحبه السلطة الرسمية ، وتلقيه بهذا الاسم ، وهذا المنصب فارسي ، ولم يكن معروفاً قبل العباسيين ، وهذا المنصب فارسي ، ولم يكن معروفاً قبل العباسيين.

قال ابن خلكان (١) في ترجمة أبي سلمة الخلال (٢): إن أبا اسلمة أول من وقع عليه اسم الوزير ، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ، ولم يكن قبله من يعرف بهذا الاسم ، لا في دولة أمية ، ولا في غيرها من الدول. (١)

باللاتينية ومعارضة (سلسوس) حاول ان يؤيد العقيدة المسيحية ببيان اتفاهقا مع الفلسفة اليونانية فكان بذلك واضع الاساس لفلسفة العصور الوسطي . الموسوعة العربية الميسرة ٢٦١/١

(١) راجع وفيات الاعبيان لابن خلكان ج ص

(٢) الوزير القائم باعباء الدولة السفاحية ابو سلمة حفص بن سليمان الهمداني مولا هم الكوفي رجل شهم ، سانس ، شجاع كان صيرفا انفقاً اموالاً كثيرة في اقامة الدولة وذهب الي خراسان وكان ابومسلم تابعا له في الدعوة ثم توهم منه ميل الي ال علي عندما قتل مروان ابراهيم

ويقول الفخري^(٢): الوزارة لم تتمهد قواعدها، وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية، فإذا حدث أمر استشار ذوي الحجي والآراء الصائبة، فكل منهم يجري مجرى وزير، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة، وسمي الوزير وزيراً.

وقد كان الوزراء الظاهرون في هذا العصر موالى فرساً، فأبو سلمة الخلال - أول وزير عباسي - مولي فارسي، وأبو أيوب المورياني^(٣) وزير المنصور فارسي من "موريان" قرية من قرى الأهواز، واستوزر المأمون بني سهل، وكانوا من أولاد ملوك الفرس، ومن صنائع البرامكة، واستوزر المأمون الفضل بن سهل، ثم الحسن بن سهل^(٤) ولما دالت دولة بني سهل استوزر المأمون أحمد بن يوسف^(١)، وهو مولي لبني العجل، ثم استوزر ثابت بن يحيى بن يسار الرازي^(٢) وهكذا^(٣).

الامام فلما قام السفاح وزر له وفي النفس شئ ثم كتب ابو مسلم الي السفاح يحسن له قتله فابي ففس عليه ابو مسلم من سافر اليه وقتله غيلة بالانبار وذلك بعد قيام السفاح باربعة اشهر في رجب سنة (١٣٢هـ) وفيات الاعيان ١٩٥/٢ البداية والنهاية ٥٥/١٠ شذرات الذهب ١٩١/١ (٣) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢٢٩/١

(٤) هو علي بن محمد بن عبد الله عاش في القرن التاسع الهجري متكلم من تصانيفه تلخيص تليان في ذكر فرق اهل الاديان انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٢١٢/٧ (٥) ابو ايوب المورياني سليمان بن ابي سليمان الخوزي كان كاتباً للامير سليمان بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة تمكن من المنصور تمكنا لا مزيد عليه وكان المنصور ينوب عن هذا الامير في بعض كور فارس فصادره وضربه ولما صارت الخلافة اليه قتله فيما نقله ابن خلكان وكان المورياني قد دافع عند سليمان كثيرا عن المنصور فاستوزره ثم غضب عليه وعذبه واستأصله مات سنة (١٥٤هـ) وكان من دهاء العالم وله مشاركة قوية في الادب والفلسفة والحساب والكيمياء والسحر والنجوم. انظر تاريخ الطبري ٤٢/٨ الوزراء والكتاب ٩٧-١٤٠ الكامل لابن الاثير ٦١٢/٥ تاريخ الاسلام ١٨٨/٦

(١) الوزير الكامل ابو محمد حمو المامون واخو الوزير ذي الرئاستين الفضل بن سهل تزوج المامون ببنته بوران سنة عشر ومئتين وكان جوادا مات بسرخص في ذي القعدة سنة ست وثلاثين ومئتين تاريخ الطبري ١٨٤/٩ تاريخ بغداد ٣١٩/٧ البداية والنهاية ٣١٥/١٠ النجوم الزاهرة ٢٨٧/٢ شذرات الذهب ٨٦/٢

فيظهر من هذا أن أكثر الوزراء في هذا العصر كانوا فرسًا، وكان الوزير قائمًا مقام الخليفة في كل الشؤون، فينظر في الشؤون الحربية، وفي الشؤون المالية، ويكتب الرسائل إلى الجهات المختلفة، ويوقع على ما يرفع إليه من أوراق، ولم يتعدد الوزراء في الدولة العباسية بتعدد الأعمال، فيجعل من نظام الأندلسيين، فقد قسموا خطة الوزارة أصنافًا، وأفردوا لكل صنف وزيرًا، فجعلوا للمال وزيرًا، وللتربس وزيرًا، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيرًا، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيرًا، وعلى العكس من ذلك العباسيون، فقد جمعوا له بين خطي السيف والقلم. من شروط الوزير أن يكون عالمًا مطلعًا، كاتبًا بليغًا، وكذلك كان أكثر الوزراء في العصر العباسي.

حكى أن المأمون كتب في اختيار وزير: إني ألتمس لأموري رجالًا جامعًا لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، إن أوتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللحمة، وله صولة الأمراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه شكر، وأن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلاصة لسانه، وحسن بيانه.

على أن أكثر من اختير للوزارة لوحظ في اختيارهم الكفاية العلمية والبلاغة، فأبو سلمة الخلال كان فصيحًا، عالما بالأخبار، والأشعار، والسير، والجدل، والبرامكة كانوا ذوي مشاركة في كثير من العلوم والآداب، والفضل بن سهل كان

(٢) احمد الكاتب (.. ٢١٣هـ) احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالوالء المعروف بالكاتب وزير من كبار الكتاب من اهل الكوفة ولي ديوان الرسائل للمامون واستوزره وتوفي ببغداد من اثاره رسائل مدونة . انظر الاعلام للزركلي ١/٢٥٧، ٢٥٨ الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٥/٢١٢٦ معجم الادباء ٢/١٦٠ تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية محمد خضري بك ١٨٦

(٣) ثابت بن يحيى بن يسار الرازي ابو عباد الكاتب وزير المامون احد الكفاة البارعين في الحساب والتصرف والمعرفة وبذلك ساد وتقدم كان جوادا سما سرايا عاش خمسة وستين سنة توفي في المحرم من عام ٢٢٠هـ . تاريخ الطبري ٨/٦٦٠ معجم البلدان ٢/٥٤٠

(٤) النجوم الزاهرة ٢/٢٠٦

يسمى ذا الرياستين، لجمعه بين رياضة السيف ورياسة القلم .

وهذه القدرة الكتابية التي كان يشترطها الخلفاء في الوزير كانت من أكبر الأسباب في قصر الوزارة على الفرس غالباً، فالعرب كانوا أهل فصاحة لسانية أكثر منهم أهل بلاغة كتابية، ولعل هذا هو السبب في أنهم وضعوا للفصاحة كلمة مشتقة من اللسان فقالوا: رجل لسن إذا كان ذا بيان وفصاحة، ولم يشترطوا مثل ذلك من الكتابة.

إن القدرة الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب، وحتى في الدولة الأموية كان أظهر الكتاب الفنيين من الفرس، أمثال عبد الحميد الكاتب^(١)، وسالم مولي هشام، وكان العربي يفخر بالسيف واللسان، لا بالقلم قال يزيد بن معاوية يعدد فضل بيته على زياد بن أبيه: لقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى عز قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان ومن القلم إلى المنابر

هؤلاء الوزراء كان لهم أعوان يسمون الكتاب، فقد كان لكل وزير كاتب، بل كتاب يعنونه، ولولاة الأقاليم ورجال الدولة كتاب، فكان حماد عجرد^(٢) مثلاً: كاتباً ليحيى بن محمد بالموصل، وكان ابن المقفع يكتب لداود ابن عمر بن هبيرة^(٣) والى

(١) ابن يحيى بن سعد الانباري العلامة البليغ ابو يحيى الكاتب تلميذ سالم مولي هشام بن عبد الملك سكن الرقة وكتب الترسل لمروان الحمار ويقال افتتح الترسل بعبد العميد وختم بن العميد سار منهزماً في خدمة مروان فلما قتل مروان ببوصير اسر فقيلاً حموا له طستا ثم وضعوه علي دماغه فتلف قتل اخر سنة (١٣٢هـ) البيان والتبيين ٩/٣ صبح الاعشي ١٠/١٩٥
الفهرست لابن النديم ١٣١ مروج الذهب ٢٦٣/٣

(١) الشاعر المفلق ابو عمرو حماد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي مولاهم الواسطي او الكوفي نادم الوليد بن يزيد ثم قدم بغداد زمن المهدي مكان قليل الدين اتهم بالزندقة كان بينه وبين مزاح هجاء فاحش وهو القائل .

فاقسمت لو اصبحت في قبضة الهوي لاقصرت عن لومي واطنبت في عذري

ولكن بلاتي منك انك ناصح و انك لا تدري بانك لا تدري

مات سنة (٢٦١ هـ) قتله محمد بن سلمان امير البصرة علي الزندقة . انظر الشعر والشعراء

٧٧٩ تاريخ الطبري ٨٦/٨ تاريخ بغداد ٨/١٤٨ معجم الادباء ١٠/٢٤٩

(٢) راجع ابن خلكان ج٦/٣١٣

كرمان، وكان عمرو بن مسعدة^(١) يكتب للمأمون، وكان الحسن بن عيسى يكتب لعمرو بن مسعدة وكان يكتب ليحي بن خالد البرمكي عبد الله بن سوار بن ميمون وهكذا.

وكانت هذه الطائفة - طائفة الكتاب - تؤلفه وحدة على رأسها الوزير بل تتدرج في الرقي إلى الوزارة، معتمدة على كفايتها وبلاغتها، فقد وقع عمرو بن مسعدة على ورقة رفعت إلى جعفر بن يحي البرمكي فأعجب جعفر بتوقيع عمرو، فضرب يحي بيده على ظهر عمرو وقال: أي وزير في جلدك .

كان أكثر هؤلاء الكتاب فرساً كالوزراء، يحتنون حذو أجدادهم من الفرس، حتى في مظاهرهم الخارجية يروي الجهشيارى: أن الفضل بن سهل بن زادا نفروخ - ذا الرياستين - كان يجلس على كرسي مجنح، ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه، فإذا وقعت وضع الكرسي، ونزل عنه، فمشى وحمل الكرسي، حتى يوضع بين يدي المأمون ثم يسلم ذو الرياستين، ويعود فيقعد عليه، وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك إلى مذهب الأكاسرة، فإن وزيراً من وزرائها كان يحمل في مثل ذلك الكرسي ويقعد بين أيديها عليه، ويتولى حمله اثنا عشر رجلاً من أولاد الملوك.

بل أن تكون الكتاب كطبقة، ليس إلا تقليداً للنظام الفارسي، فالجهشيارى^(٢) يقول: " كان من رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن في خدمتهم لبسة لا أحد ممن في غير تلك الطبقة، فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف بلبسته صناعته، والطبقة التي هو فيها، فكان الكتاب في الحضر يلبسون لبستهم المعهودة.

كان لهؤلاء الكتاب أثر كبير في نشر نوع من الثقافة خاص، ذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم، وكانت معارفهم ودائرة إطلاعهم واسعة شاملة، لأنهم - بحكم مناصبهم - مضطرون أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم، وأن

(٣) عمرو بن مسعدة ابن سعد ابن صول العلامة البليغ ابو الفضل ابن عم ابراهيم بن العباس الصولي الشاعر وكان موقعا بين يحي جعفر البرمكي وكان فصيحاً قوي المواد في الانشاء يقال توفي سنة (٢١٧هـ) عمل وزارة المامون وله نظم جيد الوزراء والكتاب ٢١٦ معجم الادباء

١٢٧/١٦ امراء البيان ١٩١

(1) الوزراء والكتاب ٣٤٣

يعرفوا من اللغة، والأدب ، وعلوم الدين، والفلسفة، والجغرافيا، والتاريخ طرفاً، لأن كثيراً من مواقفهم يحتاج إلى ذلك، وقد تعرض للخليفة أو الوالي مسائل من هذا القبيل ، يضطر الكاتب إزاءها أن يكون ملماً بجميع ذلك ، إذ هم الذين كانوا يعرضون على الخلفاء ما يرد عليهم، ويحررون ما يصدر منهم

السبب الثاني :في نشر الثقافة الفارسية انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى العراق ،وكان من أكبر بواعث العباسيين على هذا الانتقال أن دمشق كانت عاصمة الأمويين، وكانت ضلع الشام مع بني أمية من عهد الخلف بين علي ومعاوية و،كان الشاميون هم الجند المخلص لبني أمية ،وهم مثال الطاعة لدولهم، فمن حزم العباسيين إلا تكون عاصمة الدولة الجديدة بين الشاميين، وتحت رحمتهم ، وفوق ذلك فدمشق بعيدة عن خراسان منبع الثورة، ومصدر الدعوة وذخيرة العباسيين .

وسبب آخر وهو: أن دمشق منتحية ناحية الغرب ، وليست في الوسط ، ولا قريبة من وسط المملكة التي تمتد من البحر الأبيض إلى الهند، والعراق يحقق هذه الأغراض، فبغداد قريبة من خراسان قريبة من الشرق بعيدة عن الروم، كثيرة الخيرات، صالحة لأن تكون نقطة اتصال بين الفرس والأمم السامية ، وقد كره العباسيون أن يتخذوا البصرة أو الكوفة مقراً لهم ، لأن تاريخها وخصوصاً البصرة سلسلة ثورات متصلة ، ولأن فيها عدداً كبيراً ممن ينتشع لعلي وأولاده عليهم السلام ، وهذا التشيع جرم يؤاخذ عليه العباسيون ، كما كان يؤاخذ عليه الأمويون، لذلك اتخذ السفاح مدينة الهاشمية قرب الأنبار، فلما جاء أبو جعفر المنصور اختار موقع بغداد، وقد وفق في اختياره، فبجانبيها الأراضي الخصبة بين دجلة والفرات ، وهي كما قال بعض النصارى للمنصور: " يا أمير المؤمنين تكون على الصراة بين دجلة مع الفرات، فإذا حاربك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك ثم أن الميرة تأتيك في دجلة من ديار بكر تارة ، ومن البحر والهند والصين والبصرة وفي الفرات من الرقة وتجيئك الميرة أيضا من خراسان بلاد العجم في نهر تامرا، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهارك لا يصل عدوك إليك، إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر وأخرجت القنطرة لم يصل إليك عدوك ، وأنت متوسط للبصرة ، والكوفة ، وواسط ، والموصل والسواد ، وأنت قريب من البر،والبحر، والجبل .

إن بغداد كانت في العراق حيث عواصم الممالك القديمة لهذا كله ، أصبحت بغداد - بعد قليل أهم مركز للحضارة والثقافة في المملكة الإسلامية ، بل في العالم كله - و ظلت في رقي واتساع وعظمة إلى نهاية القرن الخامس الهجري^(١).

كان لهذا الانتقال من الشام إلى العراق أثر كبير من الناحية العقلية ، فقد كان يسكن العراق أمم مختلفة، وتداولت عليه دول خلفت فيه مدينتها وثقافتها، وكان يسكنه قبيل الفتح الإسلامي بقايا من الأمم القديمة، مثل الكلدان^(٢)، والسريان ، وهم الذين يلقبون بالآراميين^(٣)، وكان يسكنه العرب من آياد وربيعة، وكان يقيم به المناذرة الذن أسسوا ملك الحيرة، وكانت مدينة الفرس غالبية عليه، لأن آخر من حكمه قبل الإسلام هم الساسانيون من الفرس، وظل في أيديهم زمناً طويلاً إلى أن استولى عليه المسلمون في أيام عمر - رضي الله عنه - وكانت فيه " المدائن " عاصمة الساسانيين^(٤).

كل هذا جعل العراق أكثر ما يكون اصطبغاً بالفارسية، فلما كان العباسيون وكان الفرس هم الذين أعانواهم كان من هذا وذاك نفوذ للفرس عظيم في المناصب وفي الثقافة.

النواحي التي كان فيها للثقافة الفارسية أثر في الثقافة الإسلامية.

فأول ذلك الألفاظ اللغوية : ذلك أن العرب لما تحضروا بعد البداوة ، وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس في ألفاظهم ما يدل عليها، وكان ذلك في جميع مرافق الحياة، من أدوات الزينة ، وأنواع المأكّل، والملبس ، والآلات للغناء، والدواوين، ونظامها

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٥

(٢) الكلدان اوكلدانيا اسم كان يطلق قديماً في الاغلب علي القسم الجنوبي الاقصي من وادي دجلة والفرات وكان يتسع احيانا فيشمل بابل وبهذا يضم كل جنوبيارض الرافدين واشتق الاسم من الشعب الذي غزا المنطقة وكانت تسمى مملكة بابل احيانا بالامبراطورية الكلدانية ،تقدموا في فن التتجيم حتي اصبح الاسم يعني التتجيم الموسوعة العربيةالميسرة ١٤٧٢

(٣) الاراميون قبل ان يعرفوا بهذا الاسم كانوا قبائل رحالة في بادية الجزيرة العربية سكنت في وادي الفرات الاوسط في منتصف القرن الثاني ق.م واصلهم مدينة حران وهي احدي مراكزهم

فيما بين النهرين قبل احتلالهم دمشق المصدر السابق ص ١٠٩

(١) نفس المرجع ص ٥٦٢

ونحو ذلك ، فسلكوا خيرا طريق يسلك لذلك ، وهو : أن يتوسعوا في مدلولات الكلمات العربية أحيانا ، ويأخذوا الكلمات الأجنبية كما هي أحيانا ، ومصقولة بما يتفق ولسانهم أحيانا .

وكانت اللغة الفارسية منبعاً كبيراً من المنابع التي تستمد منه اللغة العربية وتوسع به مادتها .

حكى الصولي قال: " حدثنا علي بن الصباح قال : سمعت الحسن بن رجاء يقول: ناظر فارسي عربياً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي(١) ، فقال الفارسي: ما احتجنا إليكم قط في عمل ، ولا تسمية ، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ، ولا لغتكم ، حتى طبخكم ، وأشربتمكم ، ودواوينكم ، وما فيها على ما سمينا ما غيرتموه كالإسفيداج والسكباج والدوغباج وأمثاله كثيرة ، وكالسكنجين والخلنجين والجلاب وأمثاله كثيرة كالروزنامج والاسكدار والفراونك وإن كان روميا - ومثله كثير - فسكت عنه العربي فقال له يحيى بن خالد قل له: : أصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها ، لا نحتاج إليكم ، ولا إلى شي كان لكم

يقول الجاحظ : " ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخريز " ، وكذا أهل الكوفة فإنهم يسون المسحاة " بال " ، و " بال " بالفارسية ، وأهل البصرة إذا التقت أربعة طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة " بالجهارسو " ، والجهارسو فارسية ويسمون السوق أو السويقة " وازرا " ، الازار فارسية ، ويسمون القثاء خياراً والخيار فارسية إلخ .

ومن قديم تسربت ألفاظ فارسية إلى اللغة العربية ، وكان ذلك بطريق التجارة أو الاختلاط ، ولكنها تعد قليلة إذا قيست بالألفاظ التي دخلت في العصر العباسي لسبب وهو أن العرب كانوا أكثر شعوراً بأسباب الحضارة في العصر العباسي

(٢) يحيى بن خالد البرمكي الوزير الكبير ابو علي الفارسي من ارجال الدهر حزما وسياسة وعقلا ضمه المهدي الي ابنه الرشيد ليربيه ويتفقه ويعرفه الامور فلما استخلف رفع قدره ورد اليه مقاليد الوزارة وصير اولاده ملوكا سجن ومات في سجن الرقة سنة ١٩٠ هـ وله سبعون سنة تاريخ بغداد ١٢٨/١٤ معجم الادباء ٥/٢٠ وفيات ٢١٩/٦ العبر ٣٠٦/١

فكانوا أشد احتياجًا للاقتباس من الفرس، ولأن اللغة العربية لم تعد ملكًا للعرب وحدهم بل كانت ملكًا للعالم الإسلامي جميعه، والعالم الإسلامي لا يتعصب للغة العربية تعصب العرب، فهو يفسح صدره للغات الأخرى، ما دعا داع إليها..

ثانياً: قد كان للفرس من قديم علم وأدب بتناسبان مع ضخامة ملكهم، وعظم سلطانهم، فلما جاءت الدولة العباسية، وكثير من رعيثها فرس لهم نزعة وطنية وميول قومية أخذ المثقفون ينقلون إلى العربية تراث آبائهم، وما حفظته العصور إلى عهدهم. كانت لهم كتب في التنجيم، والهندسة، والجغرافية، وكانت تتوالى عليهم نكبات تذهب بكثير من كتبهم، ولكن كانت مدينتهم في حياة وعظمة، فكانت تسترد مجدها بتأليف كتب جديدة، تساير عظمتهم وأكبر نكبة عرتهم كانت بفتح الاسكندر الأكبر لبلادهم، وقد تلف في هذه الحرب كثير من خزائن كتبهم، فلما جاءت الساسانية (٢٢٦ - ٦١٥) استعادوا أدبهم وعلمهم، وأظهر ملوكهم في الليل إلى العمل وتشجيع الترجمة والتأليف، مثل أردشير بابك (٢٢٦ - ٢٤١) فقد بعث في طلب الكتب من الهند، والروم، والصين، وكذلك كان الشأن في عهد ابنه سابور (١) وعهد كسري (٢) أنوشروان.

وقد دامت الدولة الساسانية نحو أربعة قرون خلفت فيها علماء كثيرًا، وأدبًا وفيرًا، وأكثر ما نقل إلينا في العصر العباسي من الأدب، والعلم، والأساطير، والتاريخ إنما يرجع إلى هذه الأسرة.

(١) سابور الاول او شابور او شهبور ت(٢٧٢) ابن اردشير وخلفه من الاسرة الساساني هزمه الامبراطور الروماني جورديان ٢٤٢ ولكن خليفته فيليب عقد معه صلحا يضمن لسابور نفوذه في ارمينيا وبلاد ما بين النهرين وفي سنة ٢٦٠ هزم الامبراطور فاربان عند اديسا وهزم اذينة امير تدمر سابور وحاصر المدائن ومع ذلك فقد امن سابور نفوذ الفرس من جهة الغرب وبناء فارس اقتصاديا الموسوعة العربية الميسرة ١٠٦٠/٢

(٢) كسري الاول انوشروان (٥٣١-٥٧٩م) بسط حكمه علي بلخ وشبه الجزيرة العربية واجزاء من ارمينيا والقوقاز حارب الاباطرة البيزنطيين اعيد في عهده تنظيم الادارة الي اربع مرزبيات وفرضت الضرائب عمل علي تحسين وسائل الري والمواصلات وروج التجارة وبني المدن وشجع التعليم . الموسوعة العربية الميسرة ١٤٦٣/٢

قال حمزة الأصفهاني : " فأما تواريخ من كان قبل الساسانية من ملوك الأشغانية فلم أشتغل بها للآفات المعترضة فيها ، فقد كانت في أزمنة أولئك الملوك ، وذلك أن الاسكندر لما استولى على أرض بابل وقهر أهلها حرق من كتبهم ما نالته يده ثم قصد إلى قتل الموابذة والهرابذة والعلماء والحكماء ، ومن كان يحفظ عليهم في أثناء علومهم تواريخهم ، حتى أتى على عامتهم ، هذا بعد أن نقل ما احتاج إليه من علومهم إلى لسان اليونانيين .

فلما نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي أخذ طائفة ممن يجيدون اللسانين - الفارسي والعربي - ينقلون الكتب من الفارسية إلى العربية ، وقد عقد ابن النديم (١) في كتابه الفهرست فصلاً لأسماء النقلة من الفارسي إلى العربي ، ذكر منهم : (١) عبد الله بن المقفع (٢) وال بن نوبخت (٣) ، (٣) موسى ويوسف ابني خالد ، (٤) أبا الحسن علي بن زياد التميمي ، (٥) الحسن بن سهل ، (٦) البلاذري (٣) ، (٧) جبلة بن سالم ، (٨) اسحق بن يزيد ، (٩) محمد بن الجهم البرمكي ، (١٠) هشام بن القاسم ، (١١) موسى بن عيسى الكردي (١٢) زادوية بن شاهوية الاصفهاني ،

(٣) محمد بن اسحاق بن محمد النديم الوراق (.... . ٣٤٨هـ) البغدادي ابو الفرج عالم اديب

مشارك في انواع من العلوم من تصانيفه الفهرست والتشبيهات ياقوت كعجم الادباء ١٧/١٨
الزركلي الاعلام ٢٥٣/٦

(١) ابو الحسن علي بن احمد بن نوبخت الشاعر كان شاعرا مجيدا الا انه كان قليل الحظ من الدنيا لم يزل رقيق الحال ضعيف المقدرة وتوفي بمصر في شعبان (٤١٦هـ) وهو علي حاله من الضرورة وشدة الفاقة وكفنه ولي الدولة ابو محمد احمد بن علي المعروف بن خيران الكاتب .
وفيات الاعيان لابن خلكان ٣٨٢/٣

(٢) احمد بن يحيى بن جابر بن داوود البغدادي البلاذري (.. . ٢٧٩هـ) اديب شاعر مؤرخ من اهل بغداد سمع بانطاكية وكان النقلة من الفارسية الي العربية له من الكتب كتاب البلدان الصغير والبلدان الكبير لم يتم التاريخ في انساب الاشراف وفتوح البلدان الاستقصاء لافي الانساب والاخبار مات ولم يكمله وله شعر بخمسين ورقة .انظر سير النبلاء للذهبي ٣٦/٩
تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣٥/٢

(١٣) محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني (١٤)، بهرام ابن مردان شاه، (١٥) عمر بن الفرخان (١).

وقد ترجم عبد الله بن المقفع " كتاب خداينامه، " وهو كتاب في تاريخ الفرس من أول نشأتهم إلى آخر أيامهم، وقد سماه ابن المقفع " تاريخ ملوك الفرس " ، والظاهر أن الطبري اعتمد عليه في كتابه تاريخ الأمم والملوك عند كلامه على " الساسانيين " ، وترجم كذلك كتاب " آيين نامه " و، معنى الآيين النظم والعادات والعرف والشرائع، فالكتاب وصف لنظم الفرس وتقاليدهم وعرفهم، وقد ذكر

المسعودي أنه كتاب كبير يقع في آلاف من الصفحات. (٢)

كذلك ترجم ابن المقفع عن الفارسية " كليلة ودمنة " وكتاب " مزدك " وهو يتضمن سيرة مزدك الزعيم الديني الفارسي المشهور وكتاب " التاج " في سيرة أنوشروان وكتاب " الأدب الكبير " و " الأدب الصغير " وكتاب " اليتيمة " وقد ذكر المسعودي : أن ابن المقفع ترجم كتاباً اسمه كتاب " الكيكيين " من الفارسية الأولى إلى العربية، وهكذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمنه من خبر أسلافهم، وسير ملوكهم.

وقد عنى المترجمون فترجموا كتباً عديدة من تاريخ الفرس ، يقول حمزة الأصبهاني: " اتفق لي ثمان نسخ من تاريخ الفرس ، وهي كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكي، وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الأصفهاني ، وكتاب تاريخ ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهاني، وكتاب تاريخ ملوك بني ساسان من نقل أو جمع هشام بن قسام الأصبهاني، وكتاب تاريخ ملوك بني ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه موبذ " كورة شابور " من بلاد الفرس، فلما اجتمعت لي هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب.

(٣) عمر بن الفرخان الطبري (.... ٥٢٠هـ) ابو حفص فلقي حكيم من اثاره كتاب القرافات

وتحويل السنين كتاب المسائل كتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم في خطوط الكواكب كتاب المحاسن وتفسير الاربع مقالات لبطليموس من نقل يحيى بن البطريق . انظر الفهرست لابن

النديم ٢٧٣/١ تاريخ الحكماء للقطبي ٢٤١

(٤) مروج الذهب ج ١ / ٢٣٢

وقال المسعودي: ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم ، وأخبار ملوكهم ، وأبنياتهم وسياستهم لم أجد لها في شي من كتب الفرس كخداينامه وأينامه وكهنامه وغيرها مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً ، منهم خمسة وعشرون رجلاً وأمراتان ، وترجم جبلة بن سالم " كتاب رستم واسفنديار " وكتاب بهرام شوش " وهما في السير

وقد ترجم من الكتب الدينية كتاب زرادشت المسمى أستا وما عليه من شروح وينقل عنه حمزة الأصفهاني ويقول المسعودي: كانوا يقولون: إن رجلاً بسجستان بعد الثلاثمائة مسيطر بحفظ هذا الكتاب على الكمال.

وفي الأدب ترجموا عن الفرس أشياء كثيرة منها، كليلة ودمنة، واليتيمة، والأدب الكبير، والصغير، ومنها كتاب " هزارأفسانه " ومعناه ألف خرافة ، وهو أصل من أصول " ألف ليلة وليلة " وكثير غيره من كتب القصص ككتاب بوسفاس ، وكتاب خرافة، ونزهة ، وكتاب الدب والثعلب وكتاب روزبة اليتيم وكتاب نمرود إلخ.

كما ترجموا في الأدب عهد أردشير ، وهو محفوظ بالعربية ، وكتاب موبذ موبذان ، وكتاب أردشير في التدبير ، وتوقيعات كسرى ، وكتاب أدب الحرب . هذه كانت ترجمة ونقلًا من اللسان الفارسي إلى العربي ، على أنه كان هناك قوم اتقنوا اللغة الفارسية والعربية معًا ، فعكفوا على قراءة الكتب الفارسية ينتقون علماء ، وليس ما يخرجونه نقلًا تامًا لكلام فارسي ، ولكنه منبعث عنه ومتولد منه ، كالعربي اليوم ينتقف ثقافة فرنسية ، أو إنجليزية ، أو ألمانية ثم هو بعد ذلك يخرج أدبًا جديدًا بلغته العربية ، لا يسمى أدبًا أوروبيًا ، ولكنه نتاجه ومتأثر به وسائر على أثره.

كان كثير من الفرس على هذا النحو قد حذفوا الفارسية والعربية ، وتثقفوا الثقافتين ، وانتجوا في الأدب العربي نتاجًا جديدًا ، كالفضل بن سهل وسهل بن هارون وابن المقفع ويقول الجاحظ عن موسى بن سيار الأسواري (١) - أحد القصاص

(١) موسى بن سيار (. ٣٥٠هـ) هو موسى بن يوسف بن سيار ابو ماهر طبيب وشاعر من اثاره مقالة في الفصد وديوان شعر . انظر ابن ابي اصبيعة عيون الانباء ٢٣٦/١ البغدادي هداية العارفين ٤٧٨/٢

- كان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدري بأي لسان هو أبين ، واللغتان إذا التقتا في اللسان واحد أدخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتهما إلا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الأسواري .

إن قوما من العرب تعلموا بالفارسية ، ووجدوا فيها ما لم يجدوه في العربية ، فعكفوا على كتبها يتدارسونها ، ويمعنون في دراستها ، ثم يخرجون بعد أدباً عربياً ، فيه معاني الفرس ، وبلاغة العرب ، فمثلا العتابي الشاعر العباسي المشهور ، وهو عربي من تغلب اسمه كثوم ابن عمرو بن أيوب تتقف بالثقافة الفارسية ، وأعجب بها يحكي طيفور فيقول: قال يحيى بن الحسن : إني بالرقعة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة إذ دعوت بسلام له ، فكلمته بالفارسية فدخل العتابي - وكان حاضرا في كلامنا - فتكلم له ، فكلمته بالفارسية فقلت له : أبا عمرو مالك هذه الرطانة ؟ قال : فقال : لي قدمت بلدتكم هذه ثلاث قدمات ، وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمر ، وكانت الكتب سقطت إلى ما هناك مع يزدجرد فهي قائمة إلى الساعة فقال: كتبت منها حاجتي ، ثم قدمت نيسابور وجزنها بعشر فراسخ إلى قرية يقال لها زودر فذكرت كتاباً لم أقض حاجتي منه ، فرجعت إلى مرو ، فأقمت أشهراً قال : قلت: أبا عمرو لم كتبت كتب العجم ؟ فقال لي : وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة : اللغة لنا والمعاني لهم ثم كان يذاكرني ويحدثني بالفارسية كثيراً.

كان العتابي إذا مثقفاً ثقافة فارسية على أنه كان أدبياً ممتازاً ، غزير المعاني ذا نثر غزرت معانيها ودق أسلوبها ، شعر مطبوع في فنون مختلفة من فنون الشعر فمن شعره :

فلو كان للشكر شخص يبين
إذا ما تأمله الناظر
لمثله لك حتى تراه
لتعمل أني أمرؤ شاكر

فيفتن به الناس ويتغنون به زمناً طويلاً
، وهو الذي يقول:

ما جف للعينين بعدك يا قرير العين مجرى
 إن الصبابة لم تدع مني سوى عظم مبرى
 ومدامع عبري على كبد عليك الدهر حرى

وله حكم تشبه حكم ابن المقفع كان يقول: الأقلام مطايا الفطن .
 قريبك من قرب منك خير، وابن عمك من عمك نفعه، وعشيرك من أحسن عشرتك،
 وأهدي الناس إلى مودتك من أهدى بره إليك.

وكتب يوصي بشخص فقال: " موصل كتابي إليك أنا فكن له أنا".

وعلى الجملة فالعتابي شخصية نادرة لم تقدر قدرها اللائق بها، قليل اللفظ غزير
 المعنى، يدل نثره وشعره على ثقافة واسعة، قد اجتمع له من الإجادة في النظم
 والنثر ما ندر أن يجتمع لغيره، هـ وقد كان سبب ذلك ثقافته.

هؤلاء الفرس الذين تعربوا، وهؤلاء العرب الذين أخذوا بحظ من الثقافة
 الفارسية، ملأوا الدنيا في هذا العصر العباسي علمًا، وحكمة، وشعرًا، ونثرًا فيها
 العنصر الفارسي واضح جلي، ومن حظ العربية وقتذاك أنها سادت اللغة الفارسية،
 وغلبتها على أمرها، فكان نتاج العقول الفارسية الراجحة إنما هو باللغة العربية، لا
 الفارسية، شعر الشاعر منهم عربي كبشار، وأدب الأديب منهم كابن المقفع وتأليف
 المؤلف منهم عربي كابن قتيبة والطبري .

اثر الثقافة الهندية علي المسلمين

قديمًا عرف العرب " الهند" في جاهليتهم، واتصلوا بها تجاريًا، وأولعوا بالعود
 الطيب الذي يجلب من الهند فقال عدي بن الرقاع:

رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا

قالوا: إنما عنى بالهندي العود الطيب الذي من بلاد الهند، كما أولعوا بالسيوف
 الهندية، وسموا السيف المطبوع من حديد الهند المهند، وقالوا: سيف مهند، وهندي
 ، وهندواني إذا عمل ببلاد الهند، وأحكم عمله، واشتقوا منه فقالوا: هند السيف إذا
 شحذه وقال قائلهم: " كان حسام محكم التهنيدي" قال الأزهري: والأصل في التهنيدي
 عمل الهند، وسموا كثيرًا من نسائهم " هنداً" .

ولما فتح المسلمون فارس والعراق، فكروا في الهند قال البلاذري: إنه لما ولى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - الخلافة ولى عبد الله بن عامر بن كريز (١) العراق فكتب إليه بأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه، وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي (٢)، فلما رجع أوفده إلى عثمان، فسأله عن حال البلاد؟ فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها، وتحررتها قال: فصفها لي قال: ماؤها وشل، وثمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا. فقال له عثمان: أخابر أم ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يغزها أحد، وتتابع المسلمون يغزونها، ويصيبون منها المغانم حتى وجه الحجاج محمد بن القاسم الثقفي (٣) إلى الهند في أيام الوليد (٤)، ففتح جزءاً عظيماً منها، وهو المسمى بالسند

(١) ابن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأمير ابو عبد الرحمن القرشي العبشمي الذي افتتح اقليم خراسان وقتل كسري في ولايته واحرم من نيسابور شاكر الله راي النبي صلي الله عليه وسلم وهو ابن خال عثمان وابوه عامر هو وابوه عامر ابن عمه النبي صلي الله عليه وسلم البضاء بنت عبد المطلب ولي البصرة لعثمان ثم وفد علي معاوية فزوجه بابنته هند كان من كبار ملوك العرب وشجعانهم واجوادهم توفي قبل معاوية سنة (٥٩هـ) فقال معاوية بمن نفاخر وبمن نباهي بعده طبقات بن سعد ٤٤/٥ فتوح البلدان ص ٣٩٦ تاريخ الطبري ١٧٠/٥ المستدرك ٦٣٩/٣ الاصابة في تمييز الصحابة ت. ٦١٨١

(٢) الامير احد اشرف الابطال كان ذا دين امره عثمان علي السند مدة ثم نزل البصرة وكان من ثار في فتنة عثمان قطعت رجله في موقعة الجمل فضرب من قطعها بها فقتله ثم شد عليه سحيم الحداني الاغاني ١٥٧/١٥ البداية والنهاية ٦٣/٨ شذرات الذهب ٢٧/١ خزنة الادب ٢٤١/٢

(١) ابو القاسم (٦٩١-٧١٣م) قائد عربي ابن عم الحجاج الثقفي ولاء قيادة الحملة لفتح السند وكان عمره انذاك ١٧ عاما نظم جيشه في شيراز وجه الحملة الي الديبل ثغر السند وكان من قادة جيشه جهم بن زحر ومحمد بن مصعب وزائدة بن عمير وغيرهم فتح مكران وقنزور ثم وصل الي الديبل حيث وافته السفن فاتم حصار الثغرة واستولي عليها انتصر علي داهر ملك السند في المعركة بيرهمنباد ثم فتح عدة مدن هندية ولما تولي سليمان بن عبد الملك الخلافة عزله عن القيادة والولاية وارسل يزيد بن ابي كبشة السكسكي واليا علي السند وامره ان يقبض علي ابن القاسم ويحمله علي العراق حيث قتل الموسوعة العربية ٢٤/١

(٢) الخليفة ابو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي بويع بعهد من ابيه انشأ مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وزخرفه ففتح بوابة الاندلس وبلاد لالترك وغزا الروم

سنة ٩١ هـ ففتح ديبيل Daibut و " نيرانكوت" المسماة الآن " بحيدر آباد" ، وسار إلى " راور" وأخيراً فتح " ملتان"، وكان محمد بن القاسم قائد الجيوش، وفتح هذه الفتوح فتى شاباً لم يتجاوز العشرين قال فيه القائل:

إن المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سودداً من مولد

وقال فيه :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال
وقد غنموا مغنم كثيرة، وسبوا سبياً كثيراً انتشر كشأن السبايا في المملكة الإسلامية ،
وأصبح الجيل السندي عنصراً من العناصر المكونة للأمة الإسلامية .

تبعث السند للعباسيين ، وولي المنصور هشام بن عمرو التغلبي عليها سنة ١٤٢
فتوسع في الفتح شمالاً ، ففتح " كابل"، و"كشمير" ، وأصاب سبياً ورقيقاً كثيراً.
واتصلت العلاقات التجارية بين السند والمملكة الإسلامية، فكان يأتي منها العود
والسكر والعاج الهندي.

وما تم الفتح حتى جاءت الحركة العلمية تتبع، هـ فكان بعض الفاتحين أنفسهم من
العلماء ، فالربيع بن صبيح^(١) البصري أشهر المحدثين، وأولهم تدويناً للحديث،
كان في الجيش الذي سيره المهدي سنة ١٥٩ لغزو الهند وبهامات وقد ترجم
الذهبي^(٢) لبعض المحدثين في السند في كتابه تذكرة الحفاظ ، وهكذا لم يكن الجيش
الإسلامي فاتحاً فقط بل كان - أيضاً - ناشراً للدعوة ومعلمًا.

مرات وافتتح الهند مات في جمادي الاولى الاخرة سنة ست وتسعين وله احدي وخمسون
وكان في الخلافة عشر سنين سوي اربعة اشهر وقبره بباب الصغير ابن عساكر ١٧/٤٢٣
طبقات بن سعد ٥/٦٧ تهذيب التهذيب ٣/٢٠٥

(١) الربيع بن صبيح البصري العابد مولي بني سعد من اعيان مشايخ البصرة حدث عن الحسن
وابن سيرين وحدث عنه وكيع وابوداود الطيالسي واخرون وكان اسودا توفي غازيا بالسند سنة
ستين ومئة وقال الرامهرمزي اول من صنف وبوب بالبصرة طبقات بن سعد ٧/٢٧٧ حلية
الاولياء ٦/٣٠٤ شذرات الذهب ١/٢٤٧ تاريخ الطبري ٨/١٢٨

(٢) محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار بن عبد الله التركماني الاصل الفارقي ثم الدمشقي
الذهبي الشافعي ابو عبد الله شمس الدين محدث مؤرخ ولد بدمشق في ربيع الاول وسمع بها
وبحلب وبنابلس وبمكة من جماعة وسمع منه خلق كثير وتوفي بدمشق في ٣/ذي القعدة

ومن ناحية أخرى فسرعان ظهر الموالي الذين جلبوا من الهند ، وغنموا في الحرب ، ووزعوا على الجند ينبغ منهم ومن أولادهم الشعراء ، وعلماء اللغة والمحدثون فمن الشعراء .

كان أبو عطاء السندي^(١) ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين - الأموية والعباسية - وكان أبوه سندياً ، لا يفصح ، ونشأ ابنه في المسلمين شاعراً كبيراً ، وإن كان في لسانه لكنة شديدة ولثغة كان يقول في مرحبا " : مرهبا" وفي حياكم الله : " هياكم الله" وفي الزج " الزز" وفي جرادة " ززادة" وفي الشيطان " سيطان" وفي أظن " أزن" حتى اضطر أن يتخذ له غلاماً ينشد شعره تحاشياً من أن ينشده بلسانه ، وهو القائل:

أعوزتني الرواة يا ابن سليم	وأبي أن يقيم شعري لساني
وغلا بالذي أجمجم صدري	وجفاني لعجمتي سلطاني
وأزدرتني العيون إذ كان لوني	حالكا مجتوى من الألوان
فضربت الأمور ظهرا لبطن	كيف احتال حيلة للساني
وتمنيت أنني كنت بالشعر	فصيحا وبان بعض بناني

ولما أمر أبو جعفر المنصور الناس بلبس السواد قال:

كسيت ولم أكفر عن الله نعمة	سوادا إلى لوني ودنا ملهوجا
وبايعت كرها بيعة بعد بيعة	مبهرجة أن كان أمرا مبهرجا

وقد كره العباسيين ، لأنه قال: كثيرا في مدح الأمويين ، فلما تحولت الدولة أراد أن يتحول ، فلم يقبلوا منه، فكان يذمهم، ومن ذلك قوله هذا وقوله :

(٧٤٨هـ) ودفن بمقبرة الباب الصغير من تصانيفه الكثيرة تاريخ الاسلام الاعتدال في نقد الرجال طبقات الحفاظ تجريد الاصول في احاديث الرسول والمشتبه في اسماء الرجال .انظر الاسنوي طبقات الشافعية ١/٩٨ السبكي طبقات الشافعية ٥/٢١٦ البدر الطالع ٢/١١٠

(٣) ابو عطاء السندي اسمه افلح بن يسار مولي بني عمرو بن سماك بن حصين الاسدي منشاه الكوفة وهو من مخضرمي الدولتين مدح بين امية وبني هاشم وكان ابوه يسار سنديا اعجميا لا يفصح وكان في لسان ابيه لكنة شديدة ولغثة وكان له غلام فصيح سماه عطاء وتكني به وقال قد جعلتك ابني وسميتك بكنيتي فكان يروييه الشعر وكان من مداح بني امية وادرك دولة بني العباس فهجاجهم وفي اخر ايام المنصور مات الاغاني لابي فرج الاصفهاني ١٧/٣٤٥

فليت جور بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العباس في النار
ولم يصل إلينا من شعره تى نتبين إن كان فيه معان جديدة كسبها من أصله الهندي.

وأشتهر من اللغويين ممن أصله هندي ابن الأعرابي^(١) ، كان أبوه زياد
عبدًا سنديا، وكان ابن الأعرابي علمًا من أعلام اللغة ، والأدب، والشعر، أملي
على الناس ما يحمل على أجمال، وألف تأليف كثيرة ، وتتلذذ له كثيرون ، من
أشهرهم ثعلب وابن السكيت^(٢) .

ومن المحدثين الهنديين أبو معشر نجيح السندي صاحب المغازي ، سمع
نافعًا ونفراً من التابعين، وكان أكنأ .

هذا نوع يمثل اندماج الهنود في المسلمين، واعتناقهم الإسلام، وتعلمهم
علمًا إسلاميًا عربيًا، ونبوغ بعضهم فيه

(١) ابن الأعرابي امام اللغة ابو عبد الله محمد بن زياد بن الاعرابي الهاشمي مولا هم الاحول
النسابة ولد بالكوفة سنة ١٥٠هـ يروي عن ابي معاوية الضرير وابي الحسن الكسائي وروي
عنه ابراهيم الحربي ثعلب وجماعة ولم يكن في الكوفيين اشبه برواية البصريين منه وكان يزعم
ان ابا عبيدة والاصمعي لا يعرفان شيئاً له مصنفاً ادبية كثيرة وتاريخ القبائل وكان صاحب
سنة واتباع وابوه عبد سندي مات بسامرا سنة ٢٣١هـ . مراتب النحويين ١٤٩ تاريخ بغداد
٢٨٢/٥ النجوم الزاهرة ٢/٢٦٤ البداية والنهاية ١٠/٣٠٧ معجم الادباء ١٨/١٨٩

(١) شيخ العربية ابو يوسف يعوب بن اسحق بن السكيت البغدادي النحوي المؤدب مؤلف كتاب
اصلاح المنطق اخذ عن ابي عمرو الشيباني وطائفة وروي عنه ابو عكرمة الضبي وله من
التصانيف نحو من عشرين كتابا وله شعر جيد فمه

إذا اشتملت علي الياس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

واوطنت المكاره واستقرت وارست في اماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجهها ولا اغني بحيلته الاريب

اتاك علي قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات اذا تناهت فموصول بها فرج قريب

مات سنة (٢٤٤هـ) وفيات الاعيان ٦/٣٦٦ الفهرست ٧٩ تاريخ بغداد ١٤/٢٧٣ معجم الادباء

٢٠/٥٠ البداية والنهاية ١/٣٤٦

أثر الهنود في الثقافة الإسلامية من ناحيتين - ناحية مباشرة - وذلك باتصال المسلمين أنفسهم بالهند ، من طريق التجارة ، ومن طريق الفتح العربي ، فإن هذا الفتح صير ما فتح من بلاد السند جزءاً من المملكة الإسلامية ، تخضع لنظامها ، وتجري عليها أحكامها ، وينتقل المسلمون إليها ، وينتقل الهنود إلي انحاء العالم الإسلامي المختلفة ، وكل من هؤلاء وهؤلاء يحملون ثقافتهم ، ويتبادلونها بعضهم مع بعض تبادل السلع.

وناحية غير مباشرة : وذلك نقل ثقافتهم بواسطة الفرس ، فإن الفرس اتصلوا كثيراً من الثقافة وثيقاً قبل الفتح الإسلامي ، وأثروا فيهم وتأثروا بهم ، وأخذوا كثيراً من الثقافة الهندسية ، وأدمجوها في ثقافتهم ، فلما نقلت الثقافة الفارسية إلى العربية كان معنى هذا نقل جزء من الثقافة الهندية في ثناياها ، وقد عد المسلمون الهنود إحدى الأمم الأربع ذات الصفات الممتازة وهي: الفرس، والهند، والروم، والصين : وقال الجاحظ فيهم : " اشتهر الهند بالحساب ، وعلم النجوم وأسرار الطب ، والخرط والنجر والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة"

وقال المسعودي: " ذكر جماعة من أهل العلم والنظر أن الهند كانت من قديم الزمان الغرة التي فيها الصلاح والحكمة" ، ثم ألم بطرف من إلياتهم، ورياضتهم وألعابهم إلى أن قال : " والهند في عقولهم ، وسياستهم ، وحكمهم، وألوانهم، وصفاتهم وصحة أمزجتهم ، وصفاء أذهانهم، ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان.

وكان تأثير الهند من نواح: أهمها الإلهيات أو المقالات الدينية والرياضيات أو الحساب والنجوم ، والأدب وما يتبعه من فن .

أهم ما استفاد الأدب العربي من الهند أمور ثلاثة:

١/ ألفاظ هندية عربت ، وقد كان ذلك كان العرب يتاجرون مع الهند، وينقلون سلعا هندية ، ويحملون مع هذه السلع أسماءها، وقد حكى السيوطي ألفاظاً هندية عربت ووردت في القرآن الكريم مثل : زنجبيل وكافور ، ومما ورد في اللغة العربية من الألفاظ الهندية الأبنوس ، والبيغاء، والخيزران، والفلفل، والأهليلج، وغير ذلك من أسماء النباتات والحيوانات الهندية.

ويضاف إلى ذلك آراء في الأدب والبلاغة نقلت إلينا عنهم ، وقد كان من أتى بغداد من أطباء الهند وغيرهم يحملون معهم كتباً وصحفاً في مواضيع شتى، منها لأدب ، حكى الجاحظ أن معمرًا أبا الأشعث قال: قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند: ما البلاغة عند أهل الهند؟ قال بهلة: عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك، ولم أعالج هذه الصناعة ، فائق من نفسي بالقيام بخصائصها، وتلخيص لطائف معانيها، قال أبو الأشعث فلقيت بتلك الصحيفة الترجمة فإذا فيها: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ ، متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق، ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفىها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً أو فليسوقاً عظيماً.

٢/ **القصص الهندي:** وقد أولع العرب به فإن أصل كليلة ودمته هندي نقل إلى الفارسية ثم نقل من الفارسية إلى العربية مع زيادات على الأصل الهندي.

وقصة السندباد كما يدل اسمها هندية الأصل نقلت إلى العربية قال ابن النديم: " وكتاب سندباد نسختان كبيرة وصغيرة والخلف فيه مثل الخلف في كليلة ، والغالب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنفته، وقد عدد السندباد الكبير والسندباد الصغير وكتاب هابل في الحكمة ، وكتاب الهند، في قصة هبوط آدم، وكتاب دبك الهند في الرجل والمرأة ، وكتاب حدود منطق الهند، وكتاب ملك الهند القتال والسفاح ، وكتاب شاناقا في التدبير، وكتاب بيدبا في الحكمة.

كما أن في كتاب ألفة ليلة وليلة قصصاً دل البحث العلمي على أن أصلها هندي هذا إلى قصص صغيرة نثرت في الكتب العربية

٣/ **الحكمة:** أما النوع الذي أخذوا منه عن الهنود كثيراً فهو الحكم ، وهو نوع يتفق والذوق العربي ، فهو أشبه شئ بالأمثال العربية، والجمل القصيرة ذوات المعاني الغزيرة التي أولع بها العرب ، وهي نتيجة تجارب كثيرة، تركز في جملة بليغة، والعقل يميل إليها قبل أن يميل إلى مثل الفلسفة اليونانية المنظمة بأبواب وفصول وموضوعات ، فالبحث العميق المفصل المتسلسل لا يصل إليه العقل إلا بعد أن يمر

بطور يعجب فيه بالنظرات المنثورة والحكم المأثورة، وقد اشتهر الهند بهذ، ا وملئت كتب الأدب والمؤلفة في هذا العصر بهذا النوع يقول ابن قتيبة:

قرأت في كتاب من كتب الهند " شر المال مالا ينفق منه، وشر الإخوان الخاذل، وشر السلطان من خافه البريء، وشر البلاد ما ليس فيه خصب، ولا أمن" وفي كتاب للهند " ثلاثة أشياء لا تتال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر، علم السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو وفيه أيضا " ذو الهمة إن حط نفسه تأبى إلا علواً، كالشعلة من النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً" وقرأت في كتاب الهند " ليس من خلة يمدح بها الغني إلا ذم بها الفقير، فإن كان شجاعاً قيل: أهوج، وإن كان وقوراً قيل: بليد، وإن كان لسناً قيل: مهذار، وإن كان سكيناً قيل عي"

وفي كتاب للهند " العالم إذا اغترب فمعه من علمه كاف كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه. وعقد صاحب كتاب " سراج الملوك" فصلاً من حكم " شانقا" الهندي يضمن نصحاً للملوك والولاية بالعدل في الرعية مع ضرب الأمثال وقال: إن هذا الفصل مأخوذ من كتاب لشانقا أسمه " منتخل الجواهر"

وبكل هذا تأثر الأدب العربي، والشعر العربي جاء في كتاب للهند " لا ينبغي اللجاج في إسقاط ذي الهمة والرأي وإذالته فإنه إما شرس الطبع كالحية إن وطئت فلم تلسع لم يغتر بها فيعاد لوطنها وإما سجع الطبع كالصندل البارد إن إفراط في حكة عاد حاراً مؤذياً" تأثر بذلك أبو نواس فقال:

قل لزهير إذا حدا و شدا
أقل وأكثر فأنت مهذار
سختت من شدة البرودة حتى
صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي
كذلك الثلج بارد حار

قال ابن قتيبة: " وهذا الشعر يدل على نظرة في علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشئ إذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً"

حتى لقد تأثر الشعراء بأقوال الهنود في الفلك قال أبو نواس في الخمر
تخيرت والنجوم وقف لم يتمكن بها المدار

" يريد أن الخمر تخيرت حين خلق الله الفلك، وأصحاب الحساب يذكرون: أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج، ثم سيرها من هناك، وأنها لا

تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها منه، وإذا عادت إليه قامت القيامة، وبطل العالم، والهند تقول: إنه في زمان نوح اجتمعت في الحوت ألا يسيراً منها فهلك الخلق بالطوفان وبقي منهم بقدر ما بقي منها خارجاً عن الحوت.

إن الهنود هم واضعوا الشطرنج، وعنه انتشر في العالم، ومنهم أخذ المسلمون وإن اختلفوا هل أخذه من الهند أو بواسطة الفرس، للهند في الشطرنج أشكال من اللعب مختلفة حكاها البيروني في كتابه "الهند"، وهي تخالف من بعض الوجوه ما هو معروف عندنا اليوم. وقد انتشرت هذه اللعبة عند المسلمين وقد أهدى هرون الرشيد شطرنجا إلى "شارلمان" (١)

واشتهر قوم بلعبه حتى نسبوا إليه مثل: الصولي الشطرنجي (٢) وأبى حفص الشطرنجي (٣) وتكون نحوله أدب فارسي وأدب عربي فالفردوسي نظم فيه صفحات في لغة شعرية جميلة والعرب نظموا فيه الشعر الكثير الجميل:

(١) شارلمان أو شارل الكبير أوشارل الأول (٧٤٢-٨١٤) ملك الفرنجة (٧٦٨-٨١٤م) أبكر أبناء بين القصير وحفيد شارل مارتل اقتسم مع أخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة أبيه وعندما توفي أخوه عام ٧٧١م نودي بشارل ملكا علي الفرنجة الموسوعة العربية ص ١٠٦٦

(١) العلامة الأديب ذو الفنون أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول الصولي البغدادي صاحب التصانيف حدث عن أبي داود السجستاني وجماعة وروي عنه ابن حيويه وجماعة نادم الخلفاء وكان حلو الإيراد حسن المعتقد لعب أهل زمانه بالشطرنج كان جدهم صول ملك جرجان توفي بالبصرة مستتراً لأن روي خبراً في حق علي عليه السلام فس سنة (٣٣٥هـ) والصولي الكبير إبراهيم بن العباس الأديب هو أخو عبد الله جد أبي بكر هذامعجم الشعراء ٤٣١ الفهرست ٢١٥ معجم الأدباء ١٠٩/١٩ انباه الرواة ٢٣٣/٣ البداية والنهاية ٢١٩/١١

(٢) أبو حفص عمر بن عبد العزيز مولي بني العباس وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال وكان اسم أعجمياً فلما نشأ أبو حفص وتادب غير اسمه فيما يقال وسماه عبد العزيز وكان الشريد يشتحسن شعره ومن جميل نظمه

نعي لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعداً لداعي الفناء فان الذي هو ات قريب
السنا نري شهوات النفس.....وس تفني وتبقي عليه الذنوب
وقبلك داوي المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب

كالذي قال ابن الرومي في أبي القاسم التوزي الشطرنجي:

تهزم الجمع أوحديا وتلوي بالصناديد أيما ألواء
ومحط الرخاخ بعد الفرازين فتزداد شدة استعلاء
ربما هالني وحير عقلي أخذك اللاعبين بالبأساء
ورضاهم هناك بالنصف والربع وأدنى رضاك في الإرباء
واحتراس الدهاة منك وإعطا فك بالأقوياء و الضعفاء

فكل هذه الفلسفة الدينية، والتعاليم الرياضية، والقصص، والحكم الأدبية والشعائر والتقاليد الاجتماعية ذابت في المملكة الإسلامية، وكانت عنصراً هاماً من عناصر الآداب العربية.

يخاف علي نفسه من يتوب فكيف تري حال مكن لا يتوب

نشا في دار المهدي وكان لاعبا للشطرنج مشغوفا به فلقب به لغلبته عليه الاغاني لابي فرج

الاصفهاني ٥٠/٢٢

المبحث الثالث: المدارس الفلسفية في العصر العباسي
المطلب الأول: اخوان الصفا
المطلب الثاني: مدرسة الغزالي

المطلب الاول

اخوان الصفا

إخوان الصفا جماعة سرية دينية ، وسياسية، وفلسفية ، شعبية إسماعيلية باطنية ، عاشوا في العصر العباسي في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

جماعة تالفت ، وتصافت واجتمعت على القدس والطهارة، وضعوا مذهباً زعموا أنه يؤدي إلى الفوز برضوان الله ، ولذلك سمو بإخوان الصفا وخلان الوفاء ، جمعوا معارف عصرهم العلمية ، والفلسفية ، والدينية في رسائل تزيد عن الخمسين، وتكون ما يشبه بدائرة المعارف .

مذهبهم تلفيقي أخذوا فيه من كل علم . اعتقدوا أن الشريعة دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، ففيها الحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة المحمدية فقد حصل الكمال

تقع رسائلهم في اربعة اقسام : قسم في الرياضيات و قسم في الجسمانيات الطبيعيات و قسم في النفسيات وقسم في الناموسيات الالهيات . فضلا عن الرسالة الجامعة التي تجمع وتوضح كل ما جاء بهذه الرسائل

مبدع الهويات عند أخوان الصفا:

يرى جماعة أخوان الصفا وخلان الوفاء أن الباربي تعالى هو مبدع علة الموجودات ، وخالق المخلوقات ومخترعها ، وهو واحد بالحقيقة من جميع الوجوه: يقولون أعلم ، أيدك الله وأيانا بروح منه ، أن الوجود متقدم على البقاء ، والبقاء متقدم على التمام ، والتمام متقدم على الكمال ، لأن كل كامل تام ، وكل تام باق ، وكل باق موجود . ولكن ليس كل موجود باقياً ، ولا باق تاماً ، ولا كل تام كاملاً ، وذلك أن الباربي ، جلت أسماؤه ، الذي هو علة الموجودات ومبدعها ومبقيها . وتمامها ومكملها، أول فيض فاض منه الوجود ، ثم البقاء ، ثم التمام ، ثم الكمال ."

وبالإضافة إلى ايمانهم بأن الله تعالى واحد بالحقيقة يؤكدون بأنه علة الموجودات ومبدعها ومبقيها ، و متممها و مكملها ؛ لأن أول فيض فاض منه الوجود ؛ ثم التمام ثم الكمال ؛ ثم البقاء و ذلك ليدلوا علي أن البقاء أفضل و أسمى مرتبة من التمام و الكمال .

و يعتبرون بأن علم العدد هو فيض العقل علي النفس ؛ وذلك أثناء عملية الإبداع الأول ، يقولون في الرسالة الجامعة: (الحمد لله مبدع الوجود ؛ الذي لم يكن من قبله موجود يقبل منه فيض الجود ، فسبحان من موجوده قابل لجوده مقر بوجوده معترف بتوحيده ، فهو موجد الوجود ؛ و مفيض الجود علي الموجود ؛ فبدأ كل موجود يقبل فيض الوارد من مرتب الجد الذي هو مرتب الحدود ؛ و كل حد ينتهي إلي حد له محدود و أجل معدود قال تعالى: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) (١). و الحمد لله جاعل أول ما أبدعه عرشه المحيط ؛ و ثانيه كرسية الذي وسع السموات و الأرض ؛ فعرشه هو القلم الجاري بأمره ؛ فخط في اللوح الكريم سطور المشيئة ؛ و أحرف الإرادة ؛ و قول الحق ؛ و وعد الصدق ؛ و كلمات التمام ؛ و الأسماء العظام (٢).

و حول خلق الصورة الإنسانية باعتبارها خليفة الله في أرضه يقولون (٣) : (اعلم أيها الأخ أيديك الله و ايانا بروح منه أن الباري عز اسمه لما خلق هذا العالم علي هذه الهيئة الشريفة و البنية العجيبة ؛ و جعل صورة الإنسان خليفته في أرضه لتدبير خلقه في العالم السفلي، ليصير عند نقلته زينة للعالم العلوي ؛ و جعل نفسه علامة بالقوة فعالة بالطبع ؛ و لم يخله من الفوائد العقلية و التأييدات الالهية ؛ ليرقى بذلك إلي معرفة جميع ما في هذا العالم، و كان من الفضل الذي جاد به عليه و الإحسان الذي أسداه إليه ما أفاضه علي النفس أولاً من الفكر في الإقرار بالمبدع الحق الأول ؛ و معرفة العقل الذي هو أصل لها وأب ؛ و انه ليس هو المستحق للعبادة المحضة وان له خالقا و مبدعا؛ و كان هذا من العقل اقرارا بخالقه و مبدعه ؛ و تعريفا لما هو

(١)سورة الصافات الايات ١٦٤-١٦٥-١٦٦

(٢) الرسالة الجامعة : تحقيق الدكتور مصطفى غالب منشورات صادر ص ٢٥ .

(٣)المصدر نفسه صفحة (٢٥-٢٦)

دونه أنه لا يعرف إلا هو؛ أن ليس هو إلا هو؛ فعند ذلك شهد الله أنه لا إله إلا هو .(

و يذهب جماعة أخوان الصفا و خلان الوفاء إلي أن الله تعالى تام الوجود؛ كامل الفضائل؛ عالمًا بالكائنات قبل كونها؛ قادرًا علي إيجادها متي شاء؛ و هو أول الموجودات؛ كما أن الواحد هو قبل كل الأعداد، و كما أن الواحد هو نشوء الاعداد كذلك الباري موجد الموجودات^(١)

وفي رأي أخوان الصفاء أن الباري هو المعشوق الأول، والفلك إنما يدور شوقا إليه، ومحبة للبقاء والدوام المديد على أتم الحالات، وأكمل الغايات، وأفضل النهايات. وفي نظرهم أن أجل المعارف، وأشرف العلوم هي معرفة الله وصفاته اللائقة به. وأن العلماء قد تكلموا في ماهية ذاته، وأكثروا القيل والقال في حقيقته وصفاته، وتاه أكثرهم في العجاج عن المنهاج والعلم، والعلة في ذلك هو من أجل أن هذا المطلوب من أبعد المرامي إشارة، وهو أقرب المذاهب وجداناً^(٢)

ويعتقد جماعة أخوان الصفاء أن الواحد الموصوف بالجلالة والعظمة المشار إليه بالوجود، وأنه مبدأ كل موجود يقبل فيض الجود، وإليه ينتهي الحدود فهو العقل الأول، ومبدعه. يجل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وإنما يقال هو لا إله إلا هو إيمانا وتسليما، فهذا القول إثبات التوحيد، ولذلك صار الأصل المعتمد عليه في كل شريعة ودين، وذلك أن العقل نفى عن ذاته الألوهية وأثبتها لمبدعه، فقال: لا إله إلا هو فوحد مبدعه، فهو عقل بمعنى إثبات الوحدة المحضة، وذلك لاتصال التأييد به متواترا لا يفتر ولا ينقطع، بل متصلاً دائماً أبداً، وحتى لا يفوت من فاته وجدانه سبحانه وتعالى من أجل خفاء ذاته ودقة صفاته وكتمانها، ولكن من شدة ظهوره وجلاله ونوره، وإنما ذهب على من ذهب معرفة ذاته وحقيقة صفاته. من أجل أنهم طلبوه كطلبهم عن سائر الأشياء الجزئية المحسوسة، وبحثوا عنه كبحتهم عن سائر الموجودات الكليات المبدعات المخترعات المصنوعات الكائنات، من

(١)رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ٣ ص ١٩٦.

(٢)رسالة الجامعة: تحقيق مصطفى غالب ص ٣٨

الجواهر والأعراض والصفات الموصوفات ، المحتوية عليها الأماكن والأزمات والأكوان والأشخاص والأنواع والأجناس^(٣).

وذلك أن كل واحد من هذه الموجودات يطلب فيه و يبحث عنه بتسعة مباحث هي : هل هو ؟ و ما هو ؟ و كم ؟ و كيف هو و أي هو ؟ و أين هو ؟ و متي و ؟ و لم هو ؟ و من و ؟ . ثم أعلم أن مبدع الهويات ؛ و ممهي الماهيات ؛ و موجد الكميات ؛ و مكيف الكيفيات ؛ و مميز الأينيات ؛ و مرتب الاينيات ؛ و عاة اللميات لا يقال له : ما هو ؟ و لا يسأل عنه كيف هو ؟ و كم هو ؟ و أي هو ؟ و متي هو ؟ ولم هو ؟ وإنما يجوز فيه ويسوغ فيه و عنه . من هذه المباحث و السؤالات ؛ اثنان حسب و هما : هل هو ؟ و من هو ؟ كما يقال : هو الذي فعل كيت و كيت ؛ و هو الذي و ضع كيت و كيت و من أجل هذا ؛ أجاب موسي عليه السلام فرعون ؛ إذ سأله : ما رب العالمين ؟ فلم يجبه موسي عن جواب (ما) بل أجاب عن جواب (من) الذي يليق به وبربوبيته ؛ فقال : (رب السموات و الأرض و ما بينهما) . فلم يرض فرعون الجواب ؛ فقال لمن حوله من الناس المتكلمين : ألا تستمعون ؟ أسأله ما هو ؟ و يجيبني من هو ؟ . وكذا سأل مشركوا قريش و مجادلوهم النبي ؛ عليه السلام ؛ فقالوا : نعبد أصنامنا و آلهتنا ؛ و نحن نراها و نشاهدها و نعرفها ؛ فأخبرنا ع الهك الذي تعبده ما هو ؟ فأنزل الله تعالى قوله : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)^(١) . فقالوا : لا يفهم ، ولا يعرف أيريدون ماهية ذاته أجوهر هو أم عرض ؟ أنوار أم ظلمة ؟ أفارغ هو أم مشغول ؟ و ما شاكل هذه المباحث و المطالب التي لا تليق بربوبيته ؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

هذه الأمور العقلانية الماورائية جعلت أخوان الصفا و خلان الوفاء يتعرضون للخلاف حول الذات و الصفات ، فيقولون : (ثم اعلم أن مسألة الخلاف للذات و الصفات هي أيضا من احدى المسائل الخلافية بين العلماء في الآراء و المذاهب ؛ و ذلك أن كثرة النساء و الصبيان و الجهال ؛ و من لا يعلم شيئا من العلوم الرياضية و الطبيعية و العقلية الإلهية ؛ لأنهم اذا اعتقدوا فيه هذا الرأي تيقنوا عند ذلك وجوده و تحققوا و علموا وصاياها التي جاءت بها الأنبياء عليهم السلام ؛ من الأوامر و

(٣) رسائل اخوان و خلاء الوفاء-ج ٣ ص ٥١٣ .

(١) سورة الإخلاص أية ١ .

النواهي ؛ و علموا علمها و عملوا بها خوف، و رجاء من الوعد و الوعيد، و تجنبوا الزور و الشرور ؛ و عملوا الخير و المعروف ؛ وكان في ذلك صلاح لهم و لمن يعاملهم و يعاشرهم من الخاص و العالم ؛ و ليس يضر الله شيئاً مما اعتقدوه .

ومن الناس طائفة أخرى فوق هؤلاء في العلوم و المعارف ترى بأن هذا الرأي باطل ؛ و لا ينبغي أن يعتقدوا في الله أنه شخص يحويه مكان ؛ بل هو صورة روحانية سارية في جميع الموجودات ؛ حيث ما كان لا يحويه مكان ولا زمان ما ولا يناله حس ولا تغيير ولا حدثان ، و هو لا يخفي عليه من أمر خلقه ذرة في الأرضين و السموات ؛ يعلمها ويراها و يشاهدها في حال وجودها ، وكان يعلمها قبل كونها وبعد فنائها . و من الناس طائفة أخرى فوق هؤلاء في العلوم و الظنون و التخيلات العارضة للأفهام ؛ إذا تفكرت النفوس في ماهية الله ؛ و كيفية صفاته اللاتقة ، فلا تهتدي الظنون ولا تقر الافهام عن الجولان ؛ و لا تسكن النفوس إليه ؛ و لا تطمئن القلوب له ؛ حتى يعتقد الإنسان رأياً من الآراء ؛ و تسمو نفسه إليه و يطمئن قلبه به ، فمن الناس من يرى و يعتقد أن الله تعالى شخص من الأشخاص الفاضلة ؛ ذو صفات كثيرة ممدوحة و أفعال كثيرة متغايرة ؛ لا يشبه أحداً من خلقه ؛ ولا يماثله سواه من ربوبيته ؛ و هو منفرد من جميع خلقه في مكان دون مكان ، و هذا رأي الجمهور من العامة و كثير من الخواص . و منهم من يرى و يعتقد أنه في السماء فوق رؤوس الخلائق جميعاً ، و منهم من يرى أنه في العرش في السموات ؛ وهو مطلع علي أهل السموات و الأرض ؛ و ينظر إليهم ؛ و يسمع كلامهم ؛ و يعلم ما في ضمائرهم ؛ لا يخفي عليه خافية من أمرهم ^(١) .

و أعلم أن هذا الرأي و الاعتقاد جيد للعامة من المعارف و العقل ، و تعتقد أنه ليس بذي صورة ، لأن الصورة لا تقوم إلا في الهيولى ، بل ترى أنه نور بسيط من الأنوار الروحانية لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ومن الناس ممن فوق هؤلاء في العلوم و المعارف والنظر والمشاهد يرى و يعتقد أنه ليس بشخص ولا صورة، بل هوية وحدانية ، ذو قوة واحدة وأفعال كثيرة وصنائع عجيبة ، لا يعلم أحد من خلقه ما هو ، وأين هو ، وكيف هو ، وهو الفائض منه وجود الموجودات ، وهو المظهر صور

(١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٥١٤ .

الكائنات في الهيولى ، المبدع جميع الكيفيات بلا زمان ولا مكان ، ومع كل شئ من غير الممازجة ، كوجود الواحد في كل عدد^(١)

ويحظر أخوان الصفا على الناس أن يتكلموا في ذات الله سبحانه وتعالى ، ولا في صفاته بالحذر والتخمين ، بل يجب أن لا يجادلوا فيه إلا بعد تصفية النفس ، حتى لا يؤدي ذلك إلى الشكوك ، والحيرة والضلال ، ومعتمدين في هذا الرأي على قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ) ^(٢) " ثم يصرون على أن الباري لا يوصف بصفات الروحانيين من حيث هم محدثون فاعلون ومنفعلون ، ولا صفة الجسمانيين المدركين بالحواس ، وإنما صفته من حيث أفهامنا أنه قديم أزلي ، مغلل العلل ، فاعل غير منفعل ، موجد مبدع مجوهر بيدي ما يشاء ويفعل ما يريد ، كل يوم في شأن لا يشغله شأن عن شأن^(٣)

الفيض الإلهي والإبداع عند أخوان الصفا:

الفيض عند جماعة أخوان الصفا يختلف عن الإبداع الذي يقول به بعض الفلاسفة فهم يرون أن كل موجود تام فإنه يفيض منه على ما دونه فيض ما ، وأن ذلك الفيض هو من جوهره ، يعني صورته المقومة التي هي ذاته. أما الإبداع فهو يعني أن الأمور أبدعت وأخرجت من العدم إلى الوجود ، وخاصة الأمور الروحانية الإلهية التي هي العقول.

يتحدثون عن الفيض والإبداع فيقولون^(٤) : " ثم اعلم أنه ما دام الفيض م الفائض يكون متواتراً متواصلًا ، دام ذلك المفاض عليه ، ومتى لم يتواتر متصلاً عدم وبطل وجوده ، لأنه يضمحل الأول فالأول ، والمثال في ذلك الضوء في الهواء ، إذا تواتر البرق واتصل ، بقى الهواء مضيئاً مثل النهار ، لأن الشمس تفيض الفيض منها على الهواء متواتراً متصلاً ، فإذا حجز بينهما حاجز عدم ذلك الضوء من الهواء ، لأنه يضمحل ساعة ساعة ، ولا يتواتر الفيض عليه ، وهكذا الحياة من النفس على الأجسام ما دامت متصلة متواترة ، تدوم الحياة ، فإذا فارقت النفس الجسد

(١)رسائل أخوان الصفا : ج ٣ ص ٥١٦

(٢)سورة الحج الاية ٨

(٣)رسائل أخوان الصفا: ج ٤ ص ١٠٩ - ٢٠٩

(٤)رسائل أخوان الصفا: ج ٣ ص ٣٥٠

بطلت حياة الجسد من ساعته وأضمحلت.، وهكذا حكم وجود العالم وبقائه من البارى تعالى ، فما دام الفيض والجود والعطاء متواتراً متصلاً ، دام وجود العالم من الله تعالى".

ويأتى دور كيفية حدوث العالم وإبداعه من لا شىء، فيرون أن كل لبيب عاقل إذا فكر فى كيفية حدوث العالم وإبداع البارى له ، وخلق أطباق السموات والأرض ، وتركيبه أكبر الأفلاك ، وتدويره أجرام الكواكب البسيطة والأركان الأربعة ، وتكوينه المولدات الثلاثة منها فلا بد من أن يعتقد فيها أحد الآراء الثلاثة: أما أن يظن ويتوهم بأنها أبدعت دفعة واحدة ، وأخرجها البارى تعالى من العدم إلى الوجود على ما هي عليه الآن ، أو يظن ويتوهم بأنها أبدعت على تدرىج ، فأخرجت على ترتيب أولاً فأولاً إلى آخرها على ممر الدهور والأزمان ، أو يقول بعضها دفعة ، وبعضها على التدرىج إذ ليس فى القسمة العقلية غير هذه الثلاثة.، فأما من يظن ويقول إنها أبدعت دفعة واحدة بلا زمان ، فلا يجد كما يقول عليه دليلاً من المشاهد فيتشكك فيما يقول^(١).

وأما من يقول :إنها أبدعت وأخرجت من العدم إلى الوجود على تدرىج ونظام وترتيب ،فهو يجد على ما يقول شواهد كثيرة من الموجودات باستقراء واحد.

وهنا ينطلق أخوان الصفا وخلان الوفاء ليفصلوا ويشرحوا فيقولون: " إن الأمور الطبيعية أحدثت وأبدعت على تدرىج ممر الدهور والأزمان ، وذلك أن الهيولى الكلى ، أعنى الجسم المطلق ، قد أتى عليه دهر طويل إلى أن تمخض وتميز اللطيف منه من الكثيف ، وإلى أن قبل الأشكال الفلكية الكروية الشفافة ، وتركب بعضها فى جوف بعض ، وإلى أن استدارت أجرام الكواكب النيرة ، وركزت مراكزها ، وإلى أن تميزت الأركان الأربعة ، وترتبت مراتبها وانتظمت نظامها. والدليل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

(١)رسائل أخوان الصفاء : ج ٣ ص ٣٥١

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [(١)] " وقوله تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) (٢).

فأما الأمور الإلهية الروحانية فحدثها دفعة واحدة مرتبة منتظمة بلا زمان ولا مكان ولا هيولى ذات كيان ، بل بقوله: " كن فيكون" والأمر الروحانية الإلهية هي العقل الفعال ، والنفس الكلية ، والهيولى الأولى ، والصورة المجردة. والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولا ، والنفس هي نور العقل وفيضه الذي أفاض الباري منه ، والهيولى الأولى هي ظل النفس وفيئها ، والصور المجردة هي النقوش والأصباغ والأشكال التي عمتها النفس في الهيولى بإذن الله تعالى وتأييده لها بالعقل. وهذه الأمور كلها بلا زمان ولا مكان ، بل بقوله : "كن فيكون". والمثال حدوث البرق ، وإشراق نور الشمس في الهواء ، وإضاءة الأبصار ، ورؤية الأشياء دفعة واحدة بلا زمان. وحتى نتوصل إلى معرفة الطرف الأعلى والطرف الأدنى والبرهان عليهما يقولون^(٣) : " واعلم يا أخي أيديك الله وأيانا بروح منه ، أن النفس لما كانت عن الحد الأول بأمر السابق إليه من قوة الكلمة الإبداعية ، كان منه الأمر الانفالي بالكلمة المبدعة ، وظهر القول وترتب وجهه وأشرق ، ليكون منه الموجودات ، فارتبط الأول الأول ارتباطا ذاتيا ، وأتم الأمر بالقوة المحركة ، الصادرة عن السكون ، البعيدة منه أوهام المخلوقات كلها ، نور الله ، المتحد بالتنزيه ، فأسرعت الأنوار بأشراقها ، وبادرت إلى قبول الأمر من أعلاها ، وتسابقت ، فتكونت من حركتها مواضعها اللاتقة بكل واحد منها ، ثم نطقت كلها بالسنة التوحيد ، والتجريد ، والتنزيه لمبدعها ، واستقرت لطائفها في كثائفها واللاتقة بها ، الكائنة عنها ومنها ، فصارت الكثائف أماكن وأجسادا ، واللطائف متمكنات وأرواحا ناطقة بتوحيد خالقها ، واتصل بها الجود والإفاضة ، فأفيض على كل واحد منها بحسب قوته وطاقته ، وصارت كلها ذوات أماكن وممكنات وأرواح وأجسام ، وتنزه مبدعها من صفات ما هي موصوفة به ، وناداه ربه فأجابت بأجمعها: " أن لا إله إلا أنت" كما قال سبحانه وتعالى حكاية عن السموات والأرض : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى

(١)سورة الاعراف الاية ٥٤

(٢)سورة الحج الاية ٤٧

(٣)الرسالة الجامعة: تحقيق مصطفى غالب ص (٢٤٨) منشورات دار صادر بيروت

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١).
فكانت الأشخاص السماوية ، وسكان الأفلاك العالمية أسبق بالإجابة ، وأقرب إلى
الطاعة ولحقت بها الأشخاص الأرضية.

ولما ترتب الوجه الثاني ، مما يلي مركز الأرض ، ترتب ما دونه ، وصار
هو رباً له ، يرييه ، ويسوسه سياسة لطيفة ، فهو دائم في كماله حريص على ما
يعود عليه بجماله ، فهو دائم يسرى في روجه ، ويمر في منزله ، ويقتبس من أنوار
من فوقه ، حتى يمتلي بحسب طاقته ويشرق ويستدير ، ويحاكي ما فوقه الممدلة ، ثم
ينحصر عن قبول ما ليس في وسعه ، ويؤدي ما فيه ، وتسري روحانياته ، وما يقبله
من روحانيات من فوقه ، وتنحط كلها مع ملائكة الله ، وجنود لا يعلمها إلا هو ،
فتسرى الأركان والأمهات فتكون منها غرائب المخلوقات ، وعجائب المصنوعات ،
مما هو معاين في الموجودات (٢)

ولم تغفل جماعة أخوان الصفا ترتيب عالم الإبداع فاعتبروا العقل هو أول
موجود أوجده الباري وأبدعه من غير واسطة ، وهو جوهر بسيط نوراني فيه صورة كل
شئ ، وهو باق تام ثم أوجد النفس بواسطة العقل ، وهي جوهر بسيطة روحانية حية
علامة فعالة ، وهي صورة من صور العقل الفعال ، وهي باقية تامة غير كاملة. ثم
أوجد الهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل : "
أعلم أن علة وجود العقل هو وجود العقل هو وجود الباري ، عز وجل . وفيضه الذي
فاض منه . ، وعلة تمامية العقل هي قبول ذلك الفيض والفضائل على النفس بما
استفاده من الباري عز وجل فبقاء العقل إذاً علة لوجود النفس ، وتمامية العقل علة
لبقاء النفس ، وكماله علة لتمامية النفس ، وبقاء النفس علة لوجود الهيولى ، وتمامية
النفس علة لبقاء الهيولى.

فمتى كملت النفس تمت الهيولى . ، وهذا هو الغرض الأقصى من رباط
النفس بالهيولى ، ومن أجل هذا دوران الفلك ، وتكوين الكائنات لتكمل النفس إظهار
فضائلها في الهيولى ، وتتم الهيولى بقبول ذلك ، ولو لم يكن هذا هكذا لكان دوران
الفلك عبثاً . ، واعلم يا أخي أن العقل إنما قبل فيض الباري تعالى وفضائله التي هي

(١)سورة فصلت الاية ١١

(٢)الرسالة الجامعة : تحقيق مصطفى غالب ص ٢٤٩

البقاء والتمام والكمال دفعة واحدة بلا زمان لا حركة ولا نصب لقربه من الباري ، عز وجل ، وشدة روحانيته. فأما النفس فإنه لما كان وجودها من الباري جل ثناؤه ، بتوسط العقل ، صارت رتبته دون العقل ، وصارت ناقصة في قبول الفضائل ، ولأنها أيضا تارة تتوجه نحو العقل لتستمد منه الخير والفضائل ، وتارة تقبل على الهيولي لتمدها بذلك الخير والفضائل. فإذا هي توجهت نحو العقل نحو العقل لتستمد منه الخير ، اشتغلت عن إفادتها الهيولي ذلك الخير. وإذا هي أقبلت على الهيولي لتمدها بذلك الفيض ، اشتغلت عن العقل وقبول فضائله^(١)

ولما كانت الهيولي ناقصة الرتبة عن تمام فضائل النفس ، وغير راغبة في فيضها ، احتاجت النفس تقبل عليها اقبالا شديدا ، وتعني بإصلاحها عناية تامة ن تنتعب ويلحقها العناء والشقاء في ذلك ... وأما العقل فليس يناله في تأييده النفس وفيضه عليها فضائله تعب ولا نصب لأن النفس جوهره روحانية سهلة القبول ؛ تطلب فضائل العقل ؛ و ترغب في خيراته ؛ وهي حية بالذات ؛ علامة بالقوة ؛ فعالة بالطبع ؛ قادرة صانعة بالعرض . و أما الهيولي ؛ فلبعدها عن الباري ؛ تعالي ذكره ؛ صارت ناقصة المرتبة ؛ عادمة الفضائل ؛ غير طالبة لفيض النفس ولا راغبة في فضائلها ؛ ولا علامة ولا مفيدة ولا حية ؛ بل قابلة حسب ؛ فمن أجل هذا يلحق النفس التعب و العناء و الجهد و الشقاء في تدبيرها الهيولي وتتميمها لها . و لا راحة للنفس إلا إذا توجهت نحو العقل و تعلقت به واتحدت معه (...).

هذه خلاصة ترتيب الإبداع والفيض و الاختراع عند جماعة أخوان الصفاء يقابله عوالم ثلاث هم : عالم الأجرام ؛ و عالم الأجسام ؛ و عالم الدين ؛ وكل عالم من هذه العوالم ممثل للآخرين .

هبوط النفس عند أخوان الصفاء :

لم يهمل الإنسان منذ وجوده علي هذا الكوكب البحث و الاستقصاء حول هبوط النفس من العالم الروحاني العلوي و تعلقها بالأجسام في العالم الأرضي ؛ أي كيفية بدء الخليقة ؛ لذلك نلاحظ أن لجماعة أخوان الصفاء و خلان الوفاء آراء و نظريات تتسجم مع ما ورد في الكتب السماوية من جهة ؛ و توافق الآراء الفلسفية التي تتحدث عن هبوط النفس نتيجة خطيئة ارتكبتها في العالم الروحاني من جهة ثانية يقول

(١) نل أخوان الصفا : ج ٣ ص ١٨٦

أخوان الصفاء^(١) : (اعلم يا أخي ؛ أيدك الله و ايانا بروح منه ؛ بأن الله جل ثناؤه ؛ لما أراد أن يجعل في الأرض خليفة له من البشر ليكون العالم السفلي الذي هو دون فلك القمر عامراً بكون الناس فيه ؛ مملؤاً من المصنوعات العجيبة علي أيديهم ؛ محفوظا علي النظام و الترتيب بالسياسات الناموسية و الملكوتية و الفلسفية و العامية و الخاصة جميعا ؛ ليكون العالم باقيا علي أتم حالاته و أكمل غاياته .

فبدأ أولاً ربنا تعالى فبنى لخليفته هيكلأ من التراب عجيب البنية ؛ طريف الخلقه ؛ مختلف الأعضاء ؛ كثير القوى ، ثم ركبها وصورها في أحسن من سائر الحيوانات ؛ ليكون بها مفضلا عليها ؛ مالگأ لها ؛ متصرفأ فيها كيف يشاء ؛ ثم نفخ فيه من روحه ؛ فقرن ذلك الجسد ، بنفس روحانية من أفضل النفوس الحيوانية و أشرفها ؛ ليكون بها متحركأ حساسأ دركأ عالمأ كاملاً فاعلاً ما يشاء ؛ ثم أيد نفسه بقوة روحانية سائر الكواكب في الفلك ؛ ليكون متهيأً له بها ؛ وممكنأ له قبول جميع سائر الأخلاق ؛ و تعلم جميع العلوم و الآداب و الرياضيات و المعارف و السياسات ، كما مكنه و هيأ له بأعضاء بدنه المختلفة الأشكال و الهيئات و تعاطي جميع الصنائع البشرية ؛ و الأفعال الإنسانية ؛ و الأعمال الملكية، وذلك أنه قد جمع في بنية هيكله جميع أخلاط الأركان الأربعة ، وكل المزاجات التسعة في غاية الاعتدال ، ليكون بها متهيأً وقابلاً لجميع أخلاق الحيوانات ، وخواص طباعها ، كل ذلك كيما يسهل عليه و يتهيأ له إظهار جميع الأفعال ، والصنائع العجيبة ، والأعمال المتقنة المختلفة ، والسياسات المحكمة ، إذ كان إظهارها كلها بعضو واحد ، وأداة واحدة ، وخلق واحد ، مزاج واحد يتعذر على الإنسان ، والغرض من هذه كلها هو أن يتمكن للإنسان و يتهيأ له التشبه بالله و يباريه الذي هو خليفته في أرضه ، و عامر عالمه ، ومالك ما فيه ، وسائس حيوانها ، ومربي نباتها ، ومستخرج معادننا ، ومتحكم ومتسلط على ما فيها ، ليدبرها تديبرات سياسية ، ويسوسها سياسة ربوبية ، كما رسم له الوصايا الناموسية والرياضيات الفلسفية ، كل ذلك كيما تصير نفسه بهذه العناية والسياسة والتدبير ملكأ من الملائكة المقربين ، فينال بذلك الخلود في النعيم أبد الآبدين ودهر الدهارين.

(١) رسائل أخوان الصفاء : ١ ص ٢٩٧ .

ويعتقد أخوان الصفا أن الله سبحانه وتعالى حين ابتدع وابتدع آدم وكون جسده ، قال : أني خلقت آدم وركبت بدنه من أربعة أشياء ، ثم جعلتها وراثته في ولده وذريته تنتشأ في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : وركبت جسده من رطب ويابس ، وحر وبارد ، وذلك أني خلقت من قبل التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من النفس ، وبرودته من الروح ، ثم جعلت في الجسد بعد هذا أربعة أنواع آخر ، هن ملاك أمور الجسد لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة منهن إلا بالأخرى ، فمنهن المرة السوداء ، والمرة الصفراء ، والدم ، والبلغم ، ثم أسكنت بعضها في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ، والحرارة في المرة الصفراء ، والرطوبة في الدم ، والبرودة في البلغم. فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الأربعة الأخلاط التي جعلتها ملاك وقوامه ، وكانت واحدة منهن ربما لا تزيد ولا تنقص ، كملت صحته واعتدلت نيته ، وأن زادت واحدة منهن على أخواتها وقهرتهن ومالت بهن ، دخل السقم على الجسد من ناحيتها ، بقدر ما زادت ، وإذا كانت السقم على الجسد من ناحيتها ، بقدر ما زادت ، وإذا كانت ناقصة ضعفت طاقتها عن مقاومتها فغلبتها ودخل السقم على الجسد من نواحيهن بقدر قلتها عنهن وضعف طاقتها عن مقاومتها^(١)

ويشيرون إلى أن الله سبحانه وتعالى عندما تبين له بأن جسد آدم سيكون معرضاً للأمراض والأسقام علمه الطب وكيفية العلاج ، حتى يعتدل أمر جسده ، ويستقيم على فطرته ، ثم نفخ فيه روحه نفساً وروحاً قرنهما بجسده ، فبالنفس يسمع ابن آدم ويبصر ويشم ويزوق ويلمس ، ويحس ، ويأكل ويشرب وينام ويقعد ويضحك ويبكي ويفرح ويجزن ، وبالروح يعقل ويدري ويتعلم ويستحي ويحلم ويحذر ويتقدم ويمنع ويتكرم ويقف ويهجم ، فمن النفس تكون حدته وخفته وشهوته ولهوه وضحكه وسفهه وخداعه ومكره وعنفه وخرقه ، ومن الروح يكون حلمه ووقاره وعفافه ، فإذا خاف ذو اللب أن يغلب عليه خلق من أخلاق النفس ، قابله بضده من أخلاق الروح ، وألزمه أياه فيعد له به ويقومه...^(١)

(١) رسائل أخوان الصفا ج ١ ص ٣٠١

(١) الرسالة الجامعة : ص ٤٧٩

هذه مجمل آراء وأقوال جماعة أخوان الصفا وخلان الوفاء في بدء الخليقة ووجود الإنسان الأول بحثوه وفق ما تحدثت به الكتب السماوية المنزلة ، وكما أشارت إليه بعض الأساطير التي تروىها الأجيال خلف عن سلف من آلاف السنين ، أما رأيهم (المبدأ) من الناحية الروحية الفلسفية ، فهم يرون أن الابتداء كان نتيجة خطيئة ، أو بالأحرى مجرد سهو وقع على بعض العالم الروحاني فأوجب الهبوط والتكثف. فقالوا : " أعلم أن الله تعالى لما خلق جسد آدم ، عليه السلام أبي أبشر من التراب ، وصوره في أحسن تقويم ، وأحسن صورته ، وأحكم بنيته ، ثم نفخ فيه من روحه ، صار ذلك الجسد الترابي بتلك الروح الشريفة حياة عالما قادرا. ثم فضله بما علمه من الأسماء على بعض الملائكة لا عليهم كلهم ، وأمرهم بالسجود له من أجل الجسد الترابي. وأبليس اللعين لما نظر إلى الجسد الترابي ، وعرف ورأى تلك الروح الشريفة الفاضلة العالمة قال: " أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين" إذ النار خير من التراب ، لأن النار جسم مضيء متحرك يطلب العلو ، والتراب جسم مظلم ساكن يطلب السفلى وكل هذا منه قياسا خطأ لأن الإنسان إنما يأكل ويشرب وينام من أجل الجسد ، ويتحرك ويحس ويتكلم ويعلم بالروح الشريفة التي من أمر الله^(٢).

وفي حديثهم عن مهنة النفوس واخراجها من عالم الأرواح لجنانية كانت منها يقالون^(٣) : " أعلم أيها الأخ أن النفس الجزئية لما أهبطت من عالمها الروحاني ، وأسقطت من مرتبتها العالمية للجنانية ، وغرقت في بحر الهولي وغاصت في قعر أمواج الأجسام وقيل لها : " انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب ، فغرقت في هياكل الأجسام ، وتفرقت بعد وصلتها وتشنتت شمل الفتها كما ذكر الله ، عز وجل اسمه بقوله: " أهبطوا منها جميعا" الآية إلى قوله: " ومنها تخرجون" عرض لها عند ذلك الدهشة والأهوال والمصائب ، فمن أجل هذه الشدائد والمصائب صارت النفس لا تذكر شيئا مما كنت فيه من أمر عالمها ومبدأها ومعادها كما قال الله جل ذكره: " وإذا ذكروا لا يذكرون".

(٢) رسائل أخوان الصفاء : ج ٣ ص (١٨ - ١٩)

(٣) المصدر نفسه : ج ٤ ص (١٨٤ - ١٨٥)

ويعتقد جماعة أخوان الصفا وخلان الوفاء أنه قد أتى على النفس دهر طويل قبل تعلقها بالبدن ذي الأبعاد ، وكانت هي في عالمها الروحاني ومحلها النوراني ودارها الحيوانية مقبلة على علتها العقل الفعال تقبل منه الفيض والفضائل والخيرات ، وكانت منعمة متلذذة ، مستريحة ، مسرورة فرحانة. فلما امتلأت من تلك الفضائل والخيرات ، أخذها شبه المخاض ، فأقربت تطلب ما تفيض عليه تلك الخيرات والفضائل. وكان الجسم فارغا قبل ذلك من الأشكال والصور والنقوش ، وفأقربت النفس على الهيولي تميز اللطيف من الكثيف ، وتفيض عليه تلك الفضائل والخيرات. فلما رأى الباري تعالى ذلك منها مكنها من الجثث وهيا لها ، فخلق من ذلك الجسم عالم الأفلاك وأطباق السماوات من لدن فلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض ، وركب الأفلاك بعضها في جوف بعض ، وركز الكواكب مراكزها ، ورتب الأركان مراتبها على أحسن النظام والترتيب بما هي عليه الآن ، ليكما تتمكن النفس من إدارتها وتسيير كواكبها ، ويسهل عليها إظهار أفعالها وفضائلها والخيرات التي قبلتها من العقل الفعال. فهذا الذي كان سبب كون العالم ، أعنى عالم الأجسام ، بعد أن لم يكن ...

والعلل والمعلولات عند أخوان الصفا:

يرى أخوان الصفا وخلان الوفاء أن لكل واحد من الموجودات أربع علل: علة فاعلة ، وعلة مصورة ، وعلة متممة ، وعلة هيولانية ، فإذا اعتبرت جميع الموجودات كلها لابد لها من هذه الأربع العلل: مثال ذلك الكرسي علتة الفاعلة النجار ، والهيولانية الخشب ، والصورية التريبع ، والتمامية القعود عليه^(١) وأما الجسم المطلق فعلة الهيلانية هي الجوهر البسيط الموضوع فيه قوة القبول ، التي بها قبل الطول والعرض والعمق ، فصار بها جسما ، وعلته الفاعلة هي الباري جل وعز وعلته الصورية العقل ، لأن الطول والعرض والعمق إنما هي صورة عقلية ، وعلته التمامية هي النفس لأن الهيولي من أجلها خلقت ، لكيما تفعل فيه ومنه ما يفعل ويصنع لتتم الهيولي وتكمل النفس. " وهذا يا أخي هو الغرض الأقصى في رباط النفس بالهيولي. وأما الهيولي الأولى التي هي جوهر بسيط ولها ثلاث علل: الفاعلة ،

(١) الرسالة الجامعة : ص ٣٧٤ منشورات دار صادر بيروت

وهي الباري جل وعز ، والصورية وهي العقل الأول ، والتمامية وهي النفس ، وأما النفس فلها علتان وهما الباري سبحانه ، والعقل فالباري علتها الفاعلة المخترعة لها ، والصورية هي العقل الذي يفيض عليها ما تقبله من الباري تعالى. وأما العقل فله علة واحدة ، وهي الباري عز وجل الذي أفاض عليه الوجود والبقاء والتمام والكمال دفعة واحدة ، بلا زمان. وهو العقل الذي أشار إليه بقوله في كتابه على لسان نبيه محمد (صلعم) فقال: " وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر" وإليه أشار بقوله: " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا" يعني أن الروح الذي راحت الأشياء كلها إليه منصرفة ، وفاليه رواحها ومنه عودتها ، منه مبدؤها ، وإليه معادها. وقال: " الا له الخلق الأمر" هي الجواهر الروحانية ، وكلها له عز وجل ، وبأمره قامت وبارادته كانت^(١)

ويعتقد جماعة أخوان الصفا وخلان الوفاء أن معرفة علل الأشياء ، ومعلولاتها ، علما غامضا صعبا ، لا يكاد يصل إليه ، ولا يطلع عليه ، الا المرتاضون بالعلوم الإلهية ، والحكمة الربانية ، المأخوذة من تلامذة الحكماء الإلهيين ، وخلفاء الأنبياء والمرسلين ، تقليدا وإيمانا وتسليما. " وقد ألقينا إليك يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه في هذا الفصل ، معرفة العلل والمعلولات ، على ما حكته العلماء ، وأخبرت به الحكماء من أهل الفلسفة الحكيمة ، والشريعة الدينية ، المتفقين في جواباتهم في المعاني الحقيقية. فأعظم المطلوبات من الوقوف على العلل والمعلولات ، هو كيفية الوقوف على معرفة علة العالم التي حدث عنها ، وكانت سبب وجوده عنها ، وكيف كان هذا الوجود عن العلة الأولى وظهور الأشياء بعضها من بعض^(٢).

(١)الرسالة الجامعة : ص ٣٧٥

(٢)الرسالة الجامعة : ص ٤٧٩

المطلب الثاني

مدرسة الغزالي

هو شيخ الفلاسفة الإسلاميين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الذي أمضى حياته باحثاً مدققاً لإثبات جوهر الحكمة الفرفانية العقلانية ، حتى يتمكن من إخضاع العقائد الدينية الشرعية لأفكار الحكمة العقلانية الداعية إلى جوهر المعرفة الالهية .

وبالفعل استطاع أن يفلسف بعض الأمور الدينية، ويكسبها صفة خاصة ميزتها مع مرور الأيام عن غيرها ، وجعلها مستقلة في كثير من المعارف العقلانية عن أفكار وآراء فلاسفة اليونان والهند والفرس ، ومن الطبيعي أن تثير هذه البادرة معارضة شديدة لدى رجال الدين من المتكلمين ، وأصحاب الجدل والفقهاء ، فأنبروا ينافحون عن العقائد الإسلامية، ويكيلون الاتهامات لأصحاب الأفكار العقلانية الفلسفية ، باعتبارهم ينهدون إلى تشويه الدين وإدخال الالحاد والزندقة فيه.

ولكن التيار الفلسفي الإسلامي سرعان ما جرف في طريقه التصاعدي كل من وقف في طريقه ، فانتشرت الأفكار العقلانية بسرعة بين كافة الفرق والمذاهب الإسلامية ، فظهر جماعة من الفلاسفة العقلانيين يوزعون معارفهم الروحية بين كافة الطبقات ، ويجسدون فيها الأفكار الخلاقة الهادفة إلي نقد الأديان و العقائد و الأنظمة الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الأيام.

و في وسط هذه التيارات العاتية لمع نجم الغزالي كشخصية علمية فذة في العالم الإسلامي ؛ فكان العالم الرياني الوحيد بين الفلاسفة المسلمين الذي شق لذاته طريقاً خاصاً في التفكير العرفاني الفلسفي؛ و أنار ظلمات العقول ، داعياً إلي فلسفة إسلامية صحيحة تتسجم مع الفكر الصحيح ، و تجسد الشريعة الإسلامية التي وجدت من أجل تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا و الآخرة .

غير ان الغزالي الذي وقف حياته للكشف عن الحقيقة العرفانية لم يعبأ بكل ما قيل فيه و يقال بل استمر في تعميم أفكاره و توزيعها علي الناس مهما كان مستواهم العلمي .

ولا بد لنا من استعراض بعض أفكاره و مواقفه و شكل و يقينه حول هذا

الموضوع حتى يتظهر العظمة الباهرة لهذه الشخصية العظيمة .

الغزالي وقدم العالم :

يلاحظ بأن الغزالي هذا الحكيم قد تعرض خلال حياته الفلسفية إلي نقد لاذع من بعض الفلاسفة، و خاصة حول ما يتعلق بقدم العالم و حدوثه ؛لذلك يبدأ رده فيشير إلي مذاهب الفلاسفة قائلًا : (اختلفت الفلاسفة في قدم العالم ، فالذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين و المتأخرين القول بقدمه، و أنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى و معلول له و مسوقة النور للشمس ؛ و أن تقدم الباري عليه كتقدم العلة علي المعلول ؛ وهو تقدم بالذات و الرتبة ، لا بالزمان. وحكي عن أفلاطون أنه قال : العالم ممكن و محدث .

ثم أول كلامه وأبي أن يكون حدث العالم معتقداً له، و ذهب جالينوس^(١) في آخر عمره في الكتاب الذي سماه (ما يعتقد جالينوس رأياً)إلي التوقف في هذه المسألة ، و أنه لا يدري العالم قديم أو محدث ؛ وربما دل علي أنه لا يمكن أن يعرف ، و أن ذلك ليس لقصور فيه بل لاستقصاء هذه المسألة في نفسها على القول ؛ ولكن هذا الشاذ في مذهبهم ، وإنما مذهب جميعهم أنه قديم إ و أنه بالجملة لا يتصور أن يصدر حادث من قديم بغير واسطة أصلاً^(١).

ثم يورد الغزالي أدلة الجماعة الأولى منهم على قدمه قائلًا: " قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا ، لأننا إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا فإنما

(١)جالينوس (١٢٠ - ٢٠٠م) طبيب وكاتب يوناني ولد في برجامون وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بها بعد ان اتم دراسته في بلاد اليونان واسيا الصغري والاسكندرية ثم اقام بروما حيث ذاع صيته فاختره مرقص اوريليوس طبيبا لبلاطه وينب الي جالينوس خمسائة مؤلف اغلبها في الطب والفلسفة وبقي من مؤلفاته الطبية ثلاثة وثمانون علي الاقل وقد اضاف الي ما سبقه من معارف طبية باكتشافاته التي توصل اليها بالتجريب وبتشريح اجسام الحيوانات واقام الطب علي نسق نظرياته التي اكدت ان كل شئ مخلوق لههدف وظل جالينوس حتي القرن ١٦ مرجعا مسلما به فضعفت روح البحث مما اعاق تقدم الطب واكد ان الشرايين تحمل الدم لا الهواء واطاف الكثير الي معرفة المخ والاعصاب . الموسوع العربية

لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح بل كان وجود العالم ممكنا إمكانا صرفا ، فإذا حدث بعد ذلك لم يخل أما أن تجدد مرجح أو لم يتجدد ، فإن لم يتجدد مرجح بقى العالم على الإمكان الصرف كما قبل ذلك ، وأن تجدد مرجح فمن محدث ذلك المرجح ؟ ولم حدث الآن ولم يحدث قبل ؟ والسؤال في حدوث المرجح القائم. وبالجملة فأحوال القديم إذا كانت متشابهة فأما أن لا يوجد عنه شئ قط وأما أن يوجد على الدوام ، فأما أن يتميز حال الترك عن حال الشرع فهو محال".

الدليل الثاني: أن القول بقديم وحديث العالم ينتهي إلى القول بقديم الزمان وقد الحركة. فإذا كان الباري خالق هذا العالم ، فهو أما أن يتقدم عليه بالذات ، فيكون كلاهما قديم ، وأما أن يتقدم عليه بالزمان ، فيكون الله قديما ويكون العالم حادثا. وعندئذ تبرز مشكلة القدم على شكل آخر ، وهي قدم الزمان نفسه. والحقيقة أنه إذا انقضى زمان قبل حدوث العالم ، فمعنى ذلك أنه كان قبل العالم زمان ، كان العالم معدوما فيه ، وقبل هذا الزمان لا نهاية له ، فالزمان قديم. " وإذا وجب قدم الزمان ، وهو عبارة عن قدر الحركة ، وجب قدم الحركة ووجب قدم المتحرك الذي يدوم الزمان بدوام حركته^(٢).

الدليل الثالث: وجود العالم ممكن قبل وجوده ، إذ يستحيل أن يكون ممتعا ثم يصير ممكنا ، وهذا لا أول له ، أي لم يزل ثابتا ولم يزل العالم ممكنا وجوده ، إذ لا حال من الأحوال يمكن أن يوصف العالم فيه بأنه ممتع الوجود. فإذا كان الامكان لم يزل فالممكن على وفق الامكان أيضا لم يزل ، فإن معنى قلوبنا أنه ممكن وجوده أنه ليس محالا وجوده. فإذا كان ممكنا وجوده أبدا لم يكن محالا وجوده ابدا. ويتفرع عن هذا الدليل دليل آخر هو القول بحدوث العالم يفترض وجود مادة قديمة ، صنع منها العالم: أن القول بأن العالم حادث ، وأنه من صنع الله ، يعني أن هناك مادة قديمة صنعه الباري منها. فيكون العالم قديما بمادته ، حادثا بالصور والكيفيات التي طرأت عليه^(١) ، وبيانه أن كل حادث فهو قبل حدوثه لا يخلو أما أن يكون ممكن الوجود أو ممتع الوجود أو واجب الوجود ومحال أن يكون ممتعا لأن الممتع في ذاته لا يوجد قط ، ومحال أن يكون واجب الوجود لذاته فإن الواجب لذاته لا يعدم قط

(٢) المرجع السابق ص ٦٥.

(١) المرجع السابق ص (٧٤ - ٧٥)

فدل أنه ممكن الوجود بذاته. فإن امكان الوجود حاصل له قبل وجوده ، وامكان الوجود وصف إضافي لا قوام له بنفسه ، فلا بد له من محل يضاف إليه ، ولا محل إلا المادة فيضاف إليها كما نقول: هذه المادة قابلة للحرارة والبرودة ، أو السواد والبياض ، أو الحركة والسكون ، أي ممكن لها حدوث هذه الكيفيات وطريات هذه التغيرات ، فيكون الامكان وصفا للمادة. والمادة لا يكون لها مادة ، فلا يمكن أن تتحدث ، إذا لو حدثت لكان امكان وجودها سابقا على وجودها وكان الامكان قديما بنفسه غير مضاف إلى شئ ، مع أنه وصف إضافي لا يعقل قائما بنفسه.

أدلة الفلاسفة التي أوردناها حول قدم العالم كما جاءت في كتاب التهافت قد رد عليها الغزالي مقدما الأدلة والبراهين على خطئها وانحراف أصحابها عن الطريق العرفاني الصحيح فقال: الاعتراض على الدليل الأول من وجهين - أحدهما أن يقال: بم تتكرون على من يقول ، أن العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وأن يستمر العدم إلى الغاية حتى استمر فيها ، وأن يبتدئ الوجود من حيث ابتدأ ، وأن الوجود قبله لم يكن مرادا فلم يحدث لذلك ، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة ، فحدث لذلك ، فما المانع من هذا الاعتقاد وما المحيل له ؟ فإن قيل : هذا محال بين الأصالة ، لأن الحادث موجب ومسبب ، وكما يستحيل حادث بغير سبب وموجب وجود موجب قد تم بشرائط إيجابية وإمكانه وأسبابه ، حتى لم يبق شئ منتظر البتة ، ثم يتأخر الموجب ، بل وجود الموجب عند تحقق الموجب بتمام شروطه ضروري ، وتأخره محال حسب استحالة وجود الحادث الموجب بلا موجب.

فقبل وجود العالم كان المرید موجودا ، والإرادة موجودة ونسبتها إلى المراد موجودة ، ولم يتجدد مرید ، ولم تتجدد إرادة ، ولا تجدد للإرادة بنسبة لم تكن ، فإن كل ذلك تغير فكيف تجدد المراد ، وما المانع من التجدد قبل ذلك؟

وحال التجدد لم يتميز عن الحال السابق في شئ من الأشياء ، وأمر من الأمور ، وحال من الأحوال ، ونسبة من النسب ، بل الأمور كما كانت بعينها ، ثم لم يكن يوجد المراد ، وبقيت بعينها كما كانت ، فوجد المراد ما هذا إلا غاية الإحالة. وليس استحالة عن الجنس في الموجب والموجب الضروري الذاتي ، بل وفي العرفي والوصفي ، فإن الرجل لو تلفظ بطلاق زوجته ، ولم تحصل النبوية في الحال ، لم

يتصور أن تحصل بعده ، لأنه جعل اللفظ علة للحكم بالوضع والاصطلاح فلم يقل تأخر المعلول ، إلا أن يعلق الطرق بمجيء الغد ، أو بدخول النار ، فإنه جعل علة بالإضافة إلى شئٍ منتظر ، فلما لم يكن حاضرا في الوقت - وهذا الغد والدخول - توقف حصول الموجب على حضور ما ليس بحاضر ، فما حصل الموجب إلا وقد تجدد أمر وهو الدخول أو حضور الغد ، حتى لو أراد أن يأخر الموجب عن اللفظ غير منوط منوط بحصول ما ليس بحاصل ، لم يعقل ، مع أنه الواضع المختار في تفصيل الوضع ، فإذا لم يمكننا وضع هذا بشهواتنا ، ولم نعقله ، فكيف نعقله في الايجابات الذاتية العقلية الضرورية ؟ وأما في العادات ، فما يحصل بقصدنا لا يتأخر عن القصد مع وجود القصد إليه ألا يمانع ، فإن تحقق القصد والقدرة وارتفعت الموانع ، لم يعقل تأخر المقصود ، وإنما يتصور ذلك في العزم ، لأن العزم غير كاف في وجود العقل ، بل العزم على الكتابة لا بوقع الكتابة ، ما لم يتجدد قصد - هو: انبعاث في الإنسان متجدد حال الفعل - فإذا كانت الإرادة القديمة في حكم قصدنا إلى الفعل ، فلا يتصور تأخر المقصود إلا المانع ، ولا يتصور تقدم القصد ، فلا يعقل قصد في اليوم إلى قيام في الغد إلا بطريق العزم ، وأن كانت الإرادة القديمة في حكم عزمنا ، فليس ذلك كافيا في وقوع المعزوم عليه ، بل لابد من تجدد انبعاث قصدي عند اليجاد ، وفيه قول بتغيير القديم ، ثم يبقى عين الأشكال في أن ذلك الانبعاث أو القصد أو الإرادة أو ما شئت فسمه ، لم حدث الآن ، ولم يحدث قبل ذلك فأما أن يبقى حادث بلا سبب أو يستل إلى غير نهاية ورجع حاصل الكلام إلى أنه وجد الموجب بتمام شروطه ، ولم يبق أمر منتظر ، ومع ذلك تأخر الموجب ولم يوجد في مدة لا يرتقي الوهم إلى أولها ، بل آلاف السنين لا تنقضي منها شيئا ، ثم انقلب الموجب بغتة من غير أمر تجدد ، وشرط تحقق وهو محال نفسه.

والجواب أن يقال: استحالة إرادة قديمة متعلقة بأحداث شئ ، شئ كان ، تعرفونه بضرورة العقل أو نظره ب، وعلى لغتكم في المنطق ، تعرفون الالتقاء بين هذين الحدين بحد أوسط أو بغير حد أوسط ، فإن أدعيتم حداً أوسط وهو الطريق النظري ، فلا بد من إظهاره ، وأن أدعيتم معرفة ذلك ضرورة ، فكيف لم يشارككم في معرفته مخالفوكم ، والفرقة المعتقدة لحدوث العالم بإرادة قديمة لا يحصرها بلد ، ولا يحصيها عدد وشك في أنهم لا يكابرون العقول عنادا مع المعرفة ، فلا بد من إقامة

البرهان على شرط المنطق يدل على استحالة ذلك ، إذ ليس في جميع ما ذكرتموه إلا الاستبعاد والتمثيل بعزمنا وإرادتنا ، وهو فاسد ، فلا تضاهي الإرادة القديمة القصد الحادثة ، وأما الاستبعاد المجرد فلا يكفي من غير برهان. فإن قيل: نحن بضرورة العقل فعلم أنه لا يتصور موجب بتمام شروطه من غير موجب ومجوز ذلك مكابر لضرورة العقل. قلنا: وما الفضل بينكم وبين خصومكم ، إذا قالوا لكم أنا بالضرورة نعمل إحالة قول من يقول: أن ذاتا واحدة عالمة بجميع الكليات من غير أن يوجب ذلك كثرة ومن غير أن يكون العلم زيادة على الذات ، ومن غير أن يتعدد العلم مع تمدد المعلوم ، وهذا مذهبكم في حق الله ، وهو بالنسبة لنا وإلى علومنا غاية الإحالة ، ولكن تقولون: لا يقاس العلم القديم بالحادث ، وطائفة منكم استشعروا إحالة هذا ، فقالوا : أن الله لا يعلم إلا نفسه ، فهو العاقل والعقل والمعقول معلوم الاستحالة بالضرورة ، إذ تقدير صانع العالم لا يعلم ألا نفسه - تعالى عن قولكم وعن قول جميع الزائفين علوا كبيرا - لم يكن يعلم صنعته البتة بل لا تتجاوز الزمان هذه المسألة فنقول: بم تتكرون على خصومكم إذا قالوا: قدم العالم محال ، لأنه يؤدي إلى اثبات دورات الفلك لا نهاية لا عداها ، ولا حصر لآحادها ، مع أن لها سدسا وربعا ونصفا ، فإن فلك الشمس يدور في سنة ، وفلك زحل في ثلاثين سنة ، فتكون أدوار زحل ثلاث عشر أدوار الشمس أدوار المشتري نصف سدس أدوار الشمس ، فإنه يدور في اثنتى عشر سنة ، ثم كما أنه لا نهاية لأعداد دورات زحل ، لا نهاية لأعداد دورات الشمس ، مع أنه ثلاث عشره ، بل لا نهاية لأدوار فلك الكواكب الذي يدور في ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة ، كما لا نهاية للحركة المشرقية التي للشمس في اليوم واللييلة مرة.

فلو قال قائل: هذا مما يعلم استحالته ضرورة ، فيماذا تنفصلون عن قوله ؟ بل أن قال قائل: أعداد هذه الدورات شفع أو وتر ؟ أو شفع ووتر جميعا ؟ أن لا شفع ولا وتر ؟ فإن قلتم شفع ووتر جميعا ، أو لا شفع ولا وتر فيعلم بطلانه ضرورة. وأن قلتم: شفع ، فالشفع يصير وترا بواحد ، فكيف أعوز ما لانهاية له واحد؟.

وأن قلتم: وتر ، فالوتر يصير بواحد شفعا ، فيلزمكم القول بأنه ليس بشفع ولا وتر فإن قيل إنما يوسف بالشفع والوتر المتناهي ، وما لا نهاية له ، قلنا: مجمله

ومركبة من آحاد ، لها سدس عشر كما سبق ، ثم لا توصف بشفع ولا وتر ، ويعلم بطلانه ضرورة من غير نظر ، فبماذا تتفصلون عن هذا ؟.

فإن قيل: محل الغلط في قولكم: أنه جملة مركبة من آحاد ، فإن الدورات معدومة ، أما الماضي فقد انقرض ، وأما المستقبل فلم يوجد ، والجملة إشارة إلى الموجودات حاضرة ولا موجودة ها هنا قلنا: العدد ينقسم إلى الشفع والوتر ، ويستحيل أن يخرج سواء أكان المعدود موجودا باقيا أو فانيا ، فإذا فرضنا عددا من الأفراس ، لزمنا أن نعتقد أنها لا تخلو من كونها شفعا أو وترا ، سواء قدرناها موجودة أو معدومة ، فإن أنعدمت بعد الوجود ، لم تتغير هذه القضية ، على أننا نقول لهم: لا يستحيل على أصلكم موجودات حاضرة ، هي آحاد متغايرة بالوصف ، ولا نهاية لها ، وهي نفوس الآدميين للأبدان بالموت ، فهي موجودات توصف بالشفع والوتر ، فبكم تتكرون على من يقول: بطلان هذا يعرف ضرورة ، كما أدعيتم بطلان تعلق الإرادة القديمة بالإحداث ضرورة ، وهذا الرأي في النفوس ، هو الذي اختاره (ابن سينا) ولعله (أرسطو طاليس).

فإن قيل: فالصحيح رأي أفلاطون ، وهو أن النفس قديمة ، وهي واحدة ، وإنما تنقسم في الأبدان ، فإذا فارقتها عادت على أصلها واتحدت. قلنا: فهذا أقبح وأشنع ، وأولى بأن يعتقد مخالفا لضرورة العقل فإن نقول: نفس زيد عين نفس عمر أو غيره ، فإن كان عينه فهو باطل بالضرورة ، فإن كل واحد يشعر بنفسه ، ويعلم أنه ليس هو نفس غيره ، ولو كان هو عينه لتساويا العلوم التي هي صفات ذاتية للنفوس داخلية مع النفوس في كل إضافة ، وأن قلتم: وانقسام الواحد الذي ليس له عظم في الحجم بكمية مقدارية ، محال بضرورة العقل ، فكيف يصير الواحد اثنين ، بل ألفا ثم يعود ويصير واحدا ، بل هذا يعقل له عظم وكمية ، كماء البحر ينقسم بالجدول والأنهار ثم يعود إلى البحر ، فأما ما لا كمية له فكيف ينقسم؟ والمقصود من هذا كله أن نبين أنهم لم يعجزوا خصومهم عن معتقدتهم في تعلق الإرادة القديمة بالأحداث ألا بدعوى الضرورة ، وأنهم لا ينفصلون عن يدعى الضرورة عليهم في هذه الأمور على خلاف معتقدتهم ، وهذا لا مخرج عنه. فإن قيل : هذا ينقل عليكم في أن الله قبل خلق العالم كان قادرا على الخلق بقدر سنة أو سنتين ، ولا نهاية لقدرته ، فكأنه صبر ولم يخلق ، ثم خلق ، ومدة الترك متناه أو غير متناه ؟ فإن

قلت: متناه صار وجود البارئ متناهي الأول وأن قلت: غير متناهي ، فقد أنقضى فيها إمكانات لا نهاية لا عدادها ، قلنا: المدة والزمان مخلوق عندنا...

الاعتراض على الدليل : هو أن يقال: الزمان حادث ومخلوق ، وليس قبله زمان أصلا ، ونعني بقولنا أن الله متقدم على العالم والزمان ، أنه سبحانه كان ولا عالم ، ثم كان ومعه عالم ، ومفهوم قولنا: كان ولا عالم ، وجود ذات البارئ وعدم ذات العالم فقط ، ومفهوم قولنا : كان ومعه عالم ، وجود الذاتين فقط ، فنعني بالتقدم انفراده بالوجود فقط ، والعالم كشخص واحد ، ولو قلنا: كما نالله ولا عيسى مثلا ، ثم كان وعيسى معه ، لم يتضمن اللفظ ألا وجود ذات وعدم ذات ثم وجود ذاتين ، وليس من هزورة ذلك تقدير شيء ثالث ، وأن كان الوهم لا يسكت عن تقدير شيء ثالث ، وهو الزمان ، فلا التفات إلى أغاليظ الأوهام.

وبعد أن يناقش الغزالي بقية عناصر الدليل الثاني بصورة مفصلة يقول: الله وجود ولا عالم معه ، وهذا القدر لا يوجب اثبات شيء آخر ، والذي يدل على أن هذا عمل الوهم ، أنه مخصوص بالزمان والمكان ، فإن الخصم وأن اعتقد قدم الجسم ، يذعن همه لتقدير قدمه ، هذا في الجسم. فإذا رجعنا إلى الزمان ، لم يقدر الخصم على تقدير حدوث زمان لا قبل له. وخلاف المعتقد يمكن وضعه في الوهم تقديرا وفرضا وهذا معا لا يمكن وضعه في الوهم كما كان في المكان ، فإن من يعتقد تناهي الجسم ومن لا يعتقد كل واحد يعجز عن تقدير جسم ليس وراءه لا خلاء ولا ملاء ، بل لا يذعن وهمه لقبول ذلك. ولكن قيل: صريح العقل إذا لم يمنع وجود جسم متناه بحكم الدليل لا يلتفت إلى الوهم. وأن قصر الوهم عنه فلا يلتفت إليه ، لأن الوهم ، لما لم يألف جسما متناهيا إلا ويجنبه جسم آخر أو هواء تخيله خلاء ، لم يتمكن من ذلك في الغائب ، فكذلك لم يألف الوهم حادثا إلا بعد شيء آخر. فكان عن تقدير حادث ليس له قبل هو شيء موجود قد انقضى ، فهذا هو سبب الغلط. والمقاومة حاصلة بهذه المعارضة.

وإذا كان الأمر على هذا النسق بصدد الزمان ، فهو لا بد من أن يكون كذلك بصدد الحركة فالزمان هو قدر الحركة ، ومتى كان الزمان متناهيا ، وجب أن تكون الحركة متناهية.

الاعتراض على الدليل الثالث: يعتقد بعض الفلاسفة ، أن العالم كان ممكنا منذ القديم ، وإلا لكانت هناك فترة كان فيها مستحيلا ، وكان الله فيها عاجزا عن خلقه. ويخرجون من قدم الامكان قدم العالم بالذات فيعتر عليهم الغزالي قائلا: أن يقال العالم لم يزل ممكن الحدوث ، فلا جرم ما من وقت ألا ويتصور أحداثه فيه ، وإذا قدر مجودا أبدا لم يكن حادثا فلم يكن الواقع على وفق الامكان ، بل على خلافه وهذا كقولهم في المكان وهو أن تقدير العالم أكبر مما هو ، أو خلق جسم فوق العالم ممكن ، وكذا آخر فوق ذلك الآخر ، وهكذا إلى غير نهاية. فلا نهاية لا مكان الزيادة ومع ذلك فوجود مالمطلق لا نهاية له غير ممكن. فكذاك وجود لا ينتهي طرفه غير ممكن ، بل كما يقال الممكن جسم متناهي السطح ولكن لا تتعين مقاديره في الكبر أو الصغر ، فكذاك الممكن الحدوث ومبادئ الوجود لا تتعين في التقدم والتأخر ، وأصل كونه حادثا متعين فإنه الممكن لا غير .

ويرى الغزالي أن القول بحدوث العالم ، واقتراض مادة سابقة على حدوثه صنع منها ، ثم جعل الامكان وصفا للمادة ، لاثبات قدم المادة باسناده إلى قدم الامكان ، رأي ليس بإمكاننا الأخذ به باعتبار أن الامكان معنى عقلي خالص. أنه مثل معنى الامتناع ومعنى الوجوب لا يحتاج إلى موجود يضاف إليه. ويستدل على ذلك بأمور ثلاثة أحدهما: أن الامكان لو استدعى شيئا موجودا يضاف إليه ويقال أن إمكانه لا استدعى الامتناع شيئا موجودا يقال أنه امتناعه ، وليس للممتنع في ذاته وجود ، ولا مادة يطرأ عليها المحال ، حتى يضاف الامتناع إلى المادة.

ولما كان السواد والبياض يقضي العقل بينهما قبل وجودهما بكونهما ممكنين فإن كان هذا الامكان مضافا إلى الجسم الذي يطرآن عليه ، بحيث يمكن أن يسود أو يبيض ، يكون الجسم هو الممكن ، ويكون السواد أو البياض مضافا إليه.

ولكننا إذا صرفنا نظرنا عن الجسم ، واتجهنا به نحو السواد أو البياض في ذواتهما ، وتساءلنا : هل البياض ممكن أم واجب أم ممتنع ؟ فكان لابد لنا من أن نجيب ، أنه ممكن وبذلك يقضي العقل بالامكان دون الافتكار إلى وضع ذات موجودة يضيف إليها الامكان.

وإذا اعتبرنا أن نفوس الأدميين ليست سوى جواهر قائمة بأنفسها ، ليست بجسم ولا ومادة ، ولا منطبعة في مادة ، وهي حادثة على ما اختاره (ابن سينا)

والمحققون منهم ، ولها امكان قبل حدوثها ، وليس لها ذات ولا مادة فامكانها وصف إضافي ولا يرجع إلى قدرة القادر ، ولا إلى فعل الفاعل ، فالإلى ماذا يرجع ؟ أن الأشكال لينقلب عليهم.

وليس هذا غريبا ، فالإمكان أشبه ما يكون بالكليات الثابتة في العقل ، والتي جاء على ذكرها الفلاسفة فإذا كانت هذه الكليات لا وجود لها في الأعيان ، بل في الأذهان ، فما يمنع أن يكون الامكان لا وجود له في الأعيان ؟!.

حقيقة العالم عند الغزالي:

النقاش الذي أجراه الغزالي بين الأدلة الفلسفية التي قال بها بعض الفلاسفة وبين اعتراضاته عليها وتفنيدها ، لا بد لنا من التساؤل عن النتيجة التي يمكن أن نخرج بها معتمدين على أفكار الغزالي التي ناقش فيها الفلاسفة وفند أدلتهم حول حقيقة العالم ؟.

ويرى الغزالي أن العالم حادث ، وحدثه نتيجة لخلق الله ، الذي خلقه بارادة قديمة ، اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وعلى الهيئة التي وجد عليها ، وفي المكان الذي وجد فيه. ويذهب الغزالي إلى أن جرم العالم متناه في أقطاره ، وتصور امتداد اقطاره إلى ما لا نهاية له من أخاديع الوهم وهذا يعني أن المكان - وهو تابع لامتداد أقطار العالم - متناه أيضا ، ولا يمكن تصور مكان خارج حدود العالم كما وأن الغزالي يعتبر أن الحركة حادثة مثل حدوث العالم ، بدأت ببدهه ، وتدوم بدوامه. وإذا كانت الحركة تدوم بدوام المتحرك ، وكان تصور مكان خارج حدود العالم من أخاديع الوهم فمعنى ذلك أن الحركة تحدث في المكان وأن المكان الذي تحدث فيه متناه وأنها متناهية في النتيجة ولما كان الزمان هو قدر الحركة بل هو الحركة التي يستغرقها المتحرك في اجتياز مكان معين وإذا كان المكان متناهيا ، ونتج عنه تناهي الحركة التي تحدث فيه ، وجب أن يكون الزمان - وقد قدر هذه الحركة - متناهيا أيضا أضف إلى ذلك ، أن الزمان بدأ ببده العالم ، وحدث بحدوثه ، بل أن الله خلقه بمجرد خلق العالم ، وتصور زمان قبل زمان العالم ، خدعة من أخاديع الوهم.

ويعتبر الغزالي أن العالم وجود واقعي ، ولا تجوز مقايسته بفكرة الامكان ، ولهذا فإن النتائج التي نستخرجها من فكرة الامكان قد لا تنطبق على الواقع ، بحال من الأحوال ، لأن العالم قائم بالفعل ، في حين أن الامكان لا وجود له إلا في عقولنا ولا يجوز الانتقال من المعقول إلى الموجود. ويصل الغزالي إلى السببية والعالم ، فيقول: أننا إذا رأينا حادثة تحدث ، وحادثة أخرى تعقبها ، مثل اقتراب النار من القطن واحتراقه ، لم يجز لنا أن نقول: أن النار سبب احتراق القطن ، بل كان الصواب أن نقول: أن الله هو سبب الاحتراق ، إذا بأمره يحترق القطن عند اقتراب النار منه. ثم يضيف قائلاً: الاقتران بين ما يعتبر في العادة سببا ، وبين ما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا ... فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، مثل الري والشرب ... والاحتراق ولقاء النار ... والموت وحز الرقبة ، والشفاء وشرب الدواء وهلم جرا إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه ، يخلقها على التساوق ، لا لكونه ضروريا في نفسه ، غير قابل للغوت ، بل في المقذور . خلق الموت دون جز الرقبة ، وأدامة الحياة مع جز الرقبة ، وهلم جرا إلى جميع المقترنات ويأخذ الغزالي مثال احتراق القطن ، ومثال النور ، فيقول: المقام الأول ، أن يدعى الخصم ، أن فاعل الاحتراق هو النار فقط ، وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار ، فلا يمكنه الكف عما هو في طبعه بعد ملاقاته لمحل قابل له وينكر الغزالي صحة هذا الزعم ، ويرد الاحتراق إلى الله ، أما بواسطة الملائكة ، أو بدون وساطة ، لا مشاهدة الاحتراق عند ملاقاته النار ليس دليلا.

ثم يواصل الغزالي نقاشه قائلاً: المقام الثاني مع من يسلم أن هذه الحوادث تفيض من مبادئ الحوادث. ولكن الاستعداد لقبول الصور يحصل بهذه الأسباب المشاهدة الحاضرة ، ألا أن تلك أيضا تصدر الأشياء منها بالزوم والطبائع ، لا على سبيل التروي والاختيار ، صدور النور من الشمس ، وإنما اقترفت المحال في القبول ، لاختلاف استعدادها فإن الجسم الصقيل يقبل شعاع الجسم ، ويرده حتى يستضيئ ، وبه موضع آخر ، والمدر لا يقبل ، والهواء لا يمنع نفوذه ، والحجر يمنع ... والمبدأ واحد ، والآثار مختلفة ، لاختلاف الاستعدادات في المحل.^١

(١)الاقتصاد في الاعتقاد - حجة الاسلام الغزالي ، ص ٦٥

ويرد الغزالي على ذلك قائلاً: كيف يتصور أن تحترق أحدهما دون الأخرى ؟ وليس ثم أخيار ! وليس ثم أخيار وهذا يعني أن الله هو الذي شاء أن يرد الجسم الصقيل شعاع الشمس ، وأن يمنعه المدر من هذا الارتداد. غير أن السببية تعود إلى ارتكاب محاولات شنيعة ، كان يترك أحدنا كتاباً في بيته ، ثم يجوز أن انقلب عند رجوعه إلى بيته غلاماً أمرد ، عاقلاً متصرفاً ، ثم يخلص أن لا خوف على مبدأ السببية ، ولا خوف على عقولنا من الخطأ ، إذا حكمت على الأمور ، بالاستناد إليه.

الله فاعل العالم:

يناقش الغزالي الفلاسفة الذين يقولون أن للعالم صانعا وأن الله هو صانع العالم وفاعله وأن العالم فعله وصنعه ، ويرى أن هذا تلبيس على أصلهم بل لا يتصور على مساق أصلهم أن يكون العالم من صنع الله ، من ثلاثة أوجه : وجه الفاعل ، ووجه في الفعل ، ووجه في نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل. وأما الذي في الفاعل فهو أنه لا بد وأن يكون مريداً مختاراً عالماً بما يريد ، حتى يكون فاعلاً لما يريد ، والله تعالى عندهم ليس مريداً بل لا صفة له أصلاً ، وما يصدر عنه فيلزم منه لزوماً ضرورياً. والثاني أن العالم قديم والفعل هو الحادث. والثالث أن الله واحد عندهم من كل وجه ، والواحد لا يصدر منه عندهم إلا واحد من كل وجه ، والعالم مركب من مختلفات فكيف يصدر عنه؟.

وبعد هذا العرض يحاول الغزالي أن يبحث وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع خيالهم في دفعة فيقول في الأول: الفاعل عبارة عن مصدر منه الفعل. وعندكم أن العالم من الله سبيل الاختيار ومع العلم بالمراد. وعندكم أن العالم من الله كالمعول من العلة يلزم لزوماً ضرورياً لا يلزم من الله دفعه ، لزوم من الشخص والنور من الشمس ، وليس هذا من العقل في شيء. بل من قال أن السراج يفعل الضوء ، والشخص يفعل الظل ، فقد جازف وتوسع في التجوز توسطاً خارجاً من الحد ، واستعار اللفظ اكتفاءً بوقوع المشاركة بين المستعار له والمستعار عنه في وصف واحد ، وهو أن الفاعل سبب على الجملة والسراج سبب الضوء والشمس سبب النور ولكن الفاعل لم يسم فاعلاً صانعاً بمجرد كونه سبباً بل بكونه سبباً على وجه مخصوص ، وهو على وجه الإرادة والاختيار ، حتى لو قال القائل: الجدار ليس بفاعل ، والحجر ليس بفاعل ، والجماد ليس بفاعل ، وإنما الفعل للحيوان ، لم ينكر

ذلك ، ولم يكن قوله كاذبا وللحجر فعل عندهم وهو الهوى والثقل والميل إلى المركز ووقوع الظل ، فإن كل ذلك صادر منه ، وهذا محال فإن قيل: كل موجود ليس واجب الوجود بذاته بل هو موجود بغيره فأنا نسمى ذلك الشيء مفعولا ، ونسمى سببه فاعلا ، ولا نبالي كان السبب فاعلا بالطبع أو بالإرادة ، كما أنكم لا تبالون أنه كان فاعلا بآلة أو بغير آلة بل الفعل جنس وينقسم إلى ما يقع بآلة وإلى ما يقع بغير آلة ، فكذلك هو جنس وينقسم إلى ما يقع بالطبع وإلى ما يقع بالاختيار بدليل أننا إذا قلنا: فعل بالطبع لم يكن قولنا بالطبع ضدا لقولنا فعل ، ولا دفعا ونقضا له ، بل كان بيانا لنوع الفعل ، كما إذا قلنا فعل مباشرة بغير آلة لم يكن نقضا ، بل كان تنويعا وبيانا .

وإذا قلنا فعل بالاختيار بلم يكن تكرار مثل قولنا: حيوان إنسان ، بل كان بيانا لنوع الفعل كقولنا فعل بآلة ، ولو كان قولنا فعل يتضمن الإرادة وكانت الإرادة ذاتية للفعل من حيث أنه فعل لكان قولنا فعل بالطبع متناقضا كقولنا فعل وما فعل. وإذا كان الجماد لا فعل له فهذه التسمية برأي الغزالي فاسدة لا يجوز أن يسمى كل سبب بأي وجه كان فاعلا ولا كل مسبب مفعولا ، ولو كان كذلك لما صح أن يقال الجماد لا فعل له وإنما الفعل للحيوان ، وهذه الكلمات المشهورة الصادقة.

فإن سمي الجماد فاعلا فبالاستعارة كما قد يسمى طالبا مريدا على سبيل المجاز ، إذ يقال الحجر يهوي لأنه يريد المركز ويطلبه ، والطلب والإرادة حقيقة لا يتصور ألا مع العلم بالمراد المطلوب ، ولا يتصور ألا من الحيوان. وأما قولكم: أن قولنا فعل عام وينقسم إلى ما هو بالطبع وإلى ما هو بإرادة غير مسلم وهو كقول القائل: قولنا أراد عام وينقسم إلى من يريد ، مع العلم بالمراد وإلى من يريد ولا يعلم ما يريد وهو فاسد ، إذ الإرادة تتضمن العلم بالضرورة ، فكذلك الفعل يتضمن الإرادة بالضرورة وأما قولكم : أن قولنا فعل بالطبع ليس بنقض للأول ، فليس كذلك فإنه نقض له من حيث الحقيقة ، ولكن لا يسبق إلى الفهم التناقض ولا يشتد نفور الطبع عنه لأنه يبقى مجازا فإنه لما أن كان سببا بوجه ما والفاعل أيضا سبب سمي فعلا مجازا. وإذا قال فعل بالاختيار فهو تكرير على التحقيق كقوله أراد وهو عالم بما أراده. وإلا أنه لما تصور أن يقال فعل وهو مجاز ويقال فعل وهو حقيقة لم تنفر النفس من قوله فعل بالاختيار ، وكان معناه فعل فعلا حقيقا لا مجازيا كقول القائل: تكلم بلسانه ونظر بعينه ، فإنه لما جاز أن يستعمل النظر في القلب مجازا والكلام

في تحريك الرأس واليد حتى يقال قال برأسه أي نعم ، لم يستقبح أن يقال: قال بلسانه ونظر بعينه ، ويكون معناه نفى احتمال المجاز. فهذا مزلة القدم ، فلينتبه لمحل انخداع هؤلاء الأغبياء فان قيل: تسمية الفاعل فاعلا إنما يعرف من اللغة ، والا فقد ظهر في العقل أن ما يكون سببا للشئ ينقسم إلى ما يكون مريدا وإلى ما لا يكون ووقع النزاع في أن اسم الفعل على كلا القسمين حقيقة أم لا ؟ ولا سبيل إلى إنكاره ، إذ العرب تقول: النار تحرق والسيف يقطع ، والتلج يبرد ، والسقمونيا تسهل ، والخبز يشبع ، والماء يروي وقولنا يضرب معناه بفعل الضرب ، وقولنا تحرق معناه تفعل الاحتراق ، وقولنا يقطع معناه يفعل القطع فإن قلتم: أن كل ذلك مجاز كنتم متحكمين فيه من غير مستند ويصل أخيرا إلى قولهم: نعني بكون الله فاعلا أنه سبب لوجود كل موجود سواه وأن العالم قوامه به ، ولولا وجود البارئ لما تصور وجود العالم ولو قدر عدم البارئ لانعدم العالم ، كما لو قدر عدم الشمس لانعدم الضوء فهذا ما نعنيه بكونه فاعلا ، فإن كان الخصم يأبى أن يسمى هذا المعنى فعلا فلا مشاحة في الأسافي بعد ظهور المعنى. وغرضنا أن نبين أن هذا المعنى لا يسمى فعلا وصفا ، وإنما المعنى بالفعل والصنع وما يصدر عن الإرادة حقيقة. وقد نفيتم حقيقة معنى الفعل ونطقتم بلفظة تجملا بالإسلاميين ، ولا يتم الدين باطلاق الألفاظ الفارغة عن المعاني ، فصرحوا بأن الله لا فعل به ، حتى يتضح أن معتقدكم مخالف لدى المسلمين ولا يلبسوا بأن الله صانع العالم وأن العالم صنعه فإن هذه لفظة أطلقتموها ونفيتم حقيقتها ، ومقصود هذه المسألة الكشف عن هذا التلبيس فقط.(١)

المطلب الثالث

المعتزلة

كان علي رأس المتكلمين فرقة تسمى "المعتزلة" قالت بالاختيار، وأن الإنسان في قدرته أن يفعل الخير ويفعل الشر ، ومن أجل هذا عذب العاصي و أثيب المطيع ، ومن أجل هذا أطلق عليهم أو هم سموا أنفسهم (أهل العدل) إذ قالوا: إن ثواب الإنسان وعقابه على حساب عمله الذي أتى به حراً مختاراً .

كما أثاروا مسألة أخرى وهي تتعلق بالله وصفاته ، والله تعالى يوصف بالعلم والقدرة والإرادة ، وهل هذه الصفات زائدة عن ذات الله تعالى أو هي عينها ؟ وكان كثير من المسلمين الأولين يتخرجون من هذه البحوث ، ويرون أن يقفوا عند النصوص من غير بحث ، ويفوضون أمر علمها إلي الله ، ويقولون : إنا نؤمن بأن الله عالم قدير مريد . ولكن لا نبحت فيما هي القدرة وما هي العلم .

فالمعتزلة أثاروا هذا البحث ، وقرروا أن هذه الصفات ليست زائدة عن الذات ، وأن الله عالم قادر بذاته أو نحو ذلك ، ولذلك سموا أنفسهم (أهل التوحيد) ، لأنهم وحدوا الله تعالى ، ولم يعددوه بتعدد الصفات . وكان من نتيجة هذا البحث مسألة كان لها دوي كبير في العصر العباسي ، وتسمى مسألة (خلق القرآن) .

ذلك أن المعتزلة لما وحدوا الله وصفاته ، وقالوا : إن الله قديماً لا أول له رأوا أنه من المستحيل أن يكون القرآن قديماً لا أول له أيضا ، وأن يكون صفة من صفات الله ، وقالوا : إن القرآن وكل الكتب المنزلة ، كالتوراة، والإنجيل كلام يخلقه الله ويصل إلي النبي عن طريق ملك أو نحوه .

وكان كثير من خصومهم يرون أن الواجب الإيمان أن القرآن كلام الله ، وأن القول في ما وراء ذلك كالبحث في منزلة كلام الله من الله ، بحث لا يستطيع العقل البشري إدراكه ، فيجب أن نسلم به ولا نسأل عن كيفته وكنهه^١ .

(١) مذاهب الاسلاميين - د/ عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين بيروت الطبعة الاولى سنة

وأياً ما كان فقد شغلت هذه المسألة المسلمين من عهد المأمون إلي عهد المتوكل ،
 وثار فيها الجدل في الأمصار وعذب فيها كثير من الناس . وفي القرن الثالث
 الهجري ظهر أبو الحسن الأشعري^(١) وقد رد علي المعتزلة بمثل حججهم وبراهينهم ،
 ونصر مذهب أهل السنة ووسع علم الكلام ، ونظمه ووضع قواعده وتركيبه ، وكان
 من قبل مسائل مفرقة من هنا وهناك ، وناصره كثير من العلماء الذين أتوا بعده
 كالغزالي ، فانتشر مذهبه وسمي هذا العلم بعلم التوحيد .

وقد نبغ في العصور الأولى كثير من المتكلمين كبشر بن المعتز و النظام^(٢) ،
 والجاحظ ، وابن أبي داود^(٣) ويحيى ابن اكنم^(٤) ، وتمامة ابن أشرس .

ومن الظواهر الواضحة أن هؤلاء البارزين من المتكلمين كان لهم بجانب ناحيتهم هذه
 وهي البحث في المسائل الدينية ناحية أخرى أدبية بلاغية .

بشر ابن المعتز :

فبشر ابن المعتز كان معتزلياً بحدادياً مات سنة ٢١٠ هـ وله آراء في الاعتزال تدور
 حول تحديد المسؤولية ، وإلى أي حد يسأل الإنسان عن عمله ، وإلى أي حد يسأل
 عما تولد من عمله ، فلو رمي حجراً فكسر زجاجة فتطايرت من الزجاج شظية
 أصابت إنساناً ، فهذا عمل متولد ، فهو يسأل عنه الخ.

(١) أبو الحسن الأشعري (٢٧٠ - ٣٣٠هـ) اليماني البصري متكلم مشارك في بعض العلوم تنسب
 إليه الطائفة الأشعرية ولد بالبصرة وسكن بغداد ورد علي الملحدة والمعتزلة والخوارج
 والشيعة والجهمية وغيرها توفي ببغداد من تصانيفه الفصول في الرد علي لمالدين والخارجين عن
 الملة ، خلق الاعمال الرد علي المجسمة الرد علي ابن الراوندي في الصفات والقران والتبيين
 عن اصول الدين . انظر طبقات الشافعية لاسنوي ٢/١٤ سير اعلام النبلاء ١٠/٢٠

(٢) انظر ترجمته ص ١٨٥

(٣) انظر ترجمته ص ١٨٧

(٤) انظر ترجمته ص ١٨٦

وبجانب ناحيته في الاعتزال كانت له ناحية أدبية فيكاد يكون هو مؤسس علم البلاغة بالوثيقة الجديدة التي نقلها عنه الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، وفيها ينصح الكاتب :

١. أن يتخير أوقات الكتابة ، وليس كل وقت صالحاً لها ، فليعمل إلي أوقات الفراغ وخلو البال ومادبة الطبع ، فإن ذلك أحرى أن يخرج الكلام عنده سهلاً سائغاً لا متكلفاً ولا معقداً .
٢. ورسم المثل الأعلى للكلام البليغ ، وهو أن يكون اللفظ شيقاً عذباً وفخماً سهلاً ، والمعنى ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً .
٣. وأبان أساس البلاغة ، وهو أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، فليس يشرف المعنى أن يكون للمعاني الخاصة، وليس ينصح بأن يكون من معاني العامة ، فإن مدار الشرف علي الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ، فإذا أمكن الأديب أن يفهم العامة معاني الخاصة ، ويكسوها الألفاظ التي تقربها إليهم فهو البليغ التام

ولم نعرف أحداً قبله تعرض للبلاغة من هذا بالتفصيل الذي ذكره .

وله شعر كثير يدور حول حكمة الله في خلقه وخاصة الحيوان ، مثل قوله:

تبارك الله وسبحانه	من يديه النفع و الضر
من خلقه في رزقه كلهم	الذيخ و التيتل و الغفر

النظام :

النظام هو إبراهيم بن سيار ، من علماء البصرة ، وكان كذلك له ناحيتان : ناحية كلامية يتجلي فيها إيمانه التام بسلطاته العقل و بناؤه أحكامه علي الشك و التجربة ، فهو يحارب أوهام العوام، ولا يؤمن بالتطير و التشاؤم و الأحلام، ولا يؤمن بروية الجن و الغيلان ، ووقف يدافع عن الإسلام ويرد على الملحدين ويسفه آراء الدريين وهم فرقة كانت منتشرة في زمن النظام لا تؤمن بدين ولا تقر بآله، ولا تؤمن إلا بالمحسوس.

أما من ناحيته الأدبية فقد عرف بالغوص على المعاني الرقيقة الدقيقة وصوغها في قالب جميل ، كقوله يصف رجلاً : (هو أحلى من أمن بعد خوف، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جذب ، وغني بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم والشباب الناعم).

وله مع ذلك شعر رقيق دقيق كقوله :

أن كان يمنعك الزيارة أعين فادخل إلي بعلة العواد
إن العيون علي القلوب إذا جنت كانت بليتها على الأجساد
وهو أستاذ الجاحظ في علمه وأدبه ، مات سنة ٢٢١ هـ .

الجاحظ :

كان الجاحظ أكثر أهل زمانه إطلاعاً وسعة علم ، واسع الإطلاع في الأدب والكتب المترجمة عن اليونانية وغيرها ، وفي العلوم الدينية من قرآن وحديث وعلم ، وله تجارب واسعة لأخلاق الناس علي اختلاف طبقاتهم .

وهو إلى سعة إطلاعه هذه كثيرة التأليف في كل فروع العلم تقريباً ، وله أسلوب خاص يمزج فيه العلم بالأدب و الفكاهاة ، يتتبع المعنى ويقبله علي وجوهه المختلفة. ألف في الأدب كتباً كثيرة بقي لنا من أهمها كتاب البيان و التبيين ، والحيوان ، و البخلاء ، وألف في الاعتزال كتباً كثيرة لم يبق لنا منها شيء ، وكان في عصره زعيم المعتزلة يدافع عن مبادئها ويوسع مسائلها ويقرر قواعدها ،وقد عمر طويلاً ، فلم يمت إلا بعد أن تيف علي التسمين ، وكانت حياته مباركة ملاًها كلها بالتأليف و الإنتاج العلمي و الأدبي ومات سنة ٢٥٥ هـ.

تمامه بن الأشرس^(١) :

كان كذلك متكلماً أدبياً ، وقد اتصل بالمأمون ، ونادمه ، وأراده أن يكون وزيراً فأبى ، وكانت له جولات موفقة فيما كان يدور في مجالس المأمون من حوار ومجادلة في المسائل الفلسفية و الدينية ، يقول الجاحظ في وصفه ما علمت أنه كان في زمانه من بلغ من حسن الإفهام مع قلة عد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة

(١)ظهر الاسلام ، احمد امين ، دار الكتاب العربي بيروت ط/٢ بدون تاريخ ج ٢ / ٤٣

من التكلف ما بلغه (تمامه) ، كان لفظه في وزن إشارته ، معناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلي سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك.

وقد نقلت عنه كتب الأدب كثيراً من أقواله وحكمه وفكاهته

أحمد بن أبي داود^(٢) :

كان اكبر شخصية إعتزالية في عصر المأمون ، وكان قاضي القضاة للمعتصم ، وكان واسع المروءة بعيد الهمة ، كريماً وافر الكرم ، كان بغمر بكرمه أهل العلم و الأدب ، وقد استعمل نفوذه في نصرة مذهب الاعتزال ، وعلى يده جرت محنة القول بخلق القرآن.

وكان إلى ذلك شاعراً مجيداً ، فمسيحاً بليغاً ، قصده الشعراء بمديحهم كابي تمام^(١) و المؤلفون بتأليفهم كالجاحظ ، ومات سنة ٢٤٠هـ.

هذه طائفة من أعلام المعتزلة ، جمعوا بحوثهم في الكلام و عنايتهم بالأدب ورعايتهم له ، وزودوا العقل الإسلامي بكثير من المسائل الإلهية و الطبيعة - آثارها ووجهوا العقول إليها - وكانوا أساتذة لمن أتى بعدهم من الفلاسفة المسلمين ، أمثال الكندي و الفارابي وابن سينا.

كان الفرق بين المتكلمين و الفلاسفة أن أهم غرض المتكلمين هو الدفاع عن الإسلام ، بعد أن اعتنقوه واعتقدوا صحته ، فهم يبرهنون عليه من طريق الأدلة العقلية ، والبراهين المنطقية ، ولذلك يقتصر بحثهم غالباً علي سائل الدين وما له علاقة بالدين وان بحثوا في الماديات والطبيعيات بحثاً مقصوداً لذاته لا علي أنه وسيلة لغرض ديني.

(٢) المرجع السابق ص ٤٤

(١) انظر ترجمته ص ٢٥

المبحث الرابع

أثر الفلسفة على الأدب في العصر العباسي

المطلب الأول: أثر الفلسفة على الأدب في العصر العباسي

المطلب الثاني: أشهر الأدباء الفلاسفة في العصر العباسي

المطلب الاول

أثر الفلسفة على الادب في العصر العباسي

كان للفلسفة اثر كبير في الأدب علي اختلاف أنواعه، سواء أكان غريباً أم عربياً وذلك من نواح متعددة:

أولاً: فالفلسفة أمدت الأدب بكثير من المعلومات عن العالم وقضاياها، فاستفاد الأدب من ذلك فيما ينشئ من موضوعات، فكثير من الأدباء تعرضوا للحياة الإنسانية، وللعالم وتغيراته، ولله وادبيته، ولا نهائيته، ونظروا إلى كل ذلك نظرات صادقة جمعت بين العمق الفلسفي والأسلوب الأدبي الجميل، بل كان كثير من العلماء فلاسفة وأدباء معاً، ففيكون أبو الفلسفة الحديثة كان أدبياً وفيلسوفاً، وله مقالات أدبية تعد من عيون الأدب جمع فيها بين جودة الأسلوب وعمق الفكرة، وقولتير كان كذلك أدبياً وفيلسوفاً تغذي فلسفته أدبه، ويسمو أدبه بفلسفته .

ثانياً: وكان للفلسفة فضل على الأدب كذلك من ناحية ضبط الفكر وتسلسله، فالمنطق فرع من فروع الفلسفة، ومدخل لها، وقد وافق قبولاً عند الناس جميعاً، واصبح منذ القدم مادة أساسية من أسس التنقيف يدرس في المدارس ونوضح فيه الكتب المطولة والمختصرة، والمنطق يتطلب من الإنسان أن يعني بتفكيرمعن ، فلا يستنتج اكثر مما يقدم من المقدمات، ولا يعمم حيث يجب التخصيص، ولا يخصص حيث يجب التقديم كما يعني المنطق بالتعريف وتحديد معاني الألفاظ .

وكان لذلك كله اثر في كل فروع العلم كما كان له اثر كبير في الأدب، وخاصة النثر، فكانت دراسة المنطق سبباً في التزام الكتاب الدقة في التعبير، والتسلسل في التفكير، ومن انحرف عن هذا المسلك نقده النقاد فردوه إلي صوابه، ووجهوه الجهة الصادقة، ولذلك نجد الأدب قبل دراسة المنطق، وانتشار تعليمه في المثقفين غير الأدب بعده غالباً، فبعد المنطق تظهر العناية بالفكرة وترتيبها، والألفاظ وتحديدها.

ثالثاً: كان من فروع الفلسفة علم النفس، فعني بتحليل النفس ودرس حركاتها وخلجاتها والباعث علي تصرفاتها والغاية من انفعالاتها، فاستغل الأدب ذلك واستفاد منه فائدة كبرى ، وإن كثيراً من القصص عنيت اشد عنايةً بالتحليل النفسي لكل أشخاص الرواية، وعرضت لمظاهر انفعالاتهم، وحركات نفسهم وعوارض خجلهم، ووجلهم، وأزماتهم النفسية، وكيف يخرجون منها ويتصرفون فيها، إلى كثير من أمثال ذلك.

ونجد مصداق ذلك في الأدب العربي، فمنذ ظهر علم الكلام والفلسفة في المملكة الإسلامية في العصر العباسي تأثر الأدب بذلك تأثراً واضحاً. فعلماء الكلام - مثلاً - يبحثون في الجزء الذي لا يتجزأ فيأخذه أبو نواس الشاعر ويقول:

تركت مني قليلاً من القليل أقل
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من "لا"

فالأديب العربي عني كثيراً بثقافته الكلامية الواسعة، فعالج في الأدب موضوعات لم تعالج من قبل، كالاحتجاج على صدق النبوة، وإعجاز القرآن، ونحو ذلك، وحول الأدب إلي معان مفصلة مسهبة متواصلة، بعد أن كان اغلب أمره جملاً قصيرة رشيقة التعبير.

ونري مثل أبي العلاء المعري ينظم كتابه اللزوميات فيضمنه كله معاني فلسفية تتصل بخلق العالم ونظامه، وعلاقته بالله، وبالوجود وفساده، وبالعقل وسلطانه، إلى غير ذلك، فيكون من هذا كتاب فلسفة وادب معاً.

ونجد بعض الروايات تؤلف لغرض فلسفي كقصة حي بن يقظان لابن طفيل، أراد بها لن يبين كيف يستطيع الإنسان إذا استعمل عقله وتفكيره أن يصل إلى معرفة حقائق الكون، وإلى معرفة الله وخلود النفس من غير معونة أحد، وأن يبين أن الفلسفة الصحيحة لا تعارض الدين الصحيح، وقد صاغ ذلك في قالب قصصي جميل .

ولما انتشر المنطق رأينا أساليب الأدباء تلتزمه في كثير من الأحيان وتتأثر به، بل رأينا كثيراً من الشعراء أنفسهم يتبعونه ويتأثرون به، وفي مقدمة هؤلاء أبو تمام وابن الرومي، فأبو تمام يكثر من ذكر الشيء والتدليل عليه كأن يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت لافسح مما كان فيه وارغد

حتى لقد ساد هذا النظر في هذا العصر، فعابوا على البحتري أنه لم يسر على المنطق في شعره، فدافع عن نفسه بأن الشعر غير خاضع للمنطق، وأنه يسير في ذلك سير الأولين، وما كان امرؤ القيس من المنطقيين، فيقول :

كلفتُمونا حدود منطقتكم والشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

ونظم المتنبي في شعره كثيراً من الحكم الفلسفية حتى اخذ بعض العلماء يوازن بين أبياته الحكمية والحكم المنقولة عن أفلاطون وارسطو .

وعلي الجملة فائز الفلسفة في الأدب كبير من كل ناحية من النواحي التي ذكرنا قبل

.

المطلب الثاني أشهر الأدباء الفلاسفة

عبد الله بن المقفع

كان بن المقفع احد الذين اصابتهم تهمة الزندقة وكثر عليه التشنيع فيها بعد موته وقد انقسم الناس في امره بين شيعة له وناح عليه ونحن نذهب في امره مذهباً وسطاً فقد زعم ان المؤرخين ان بن المقفع كان يتحل في اول امره نحلة ابيه وهي المجوسية وكان اسمه (روزية) فلما كان دولة بني العباس واتصلت بعيسي بن علي زعم له انه اشتاق الي الاسلام ويحب ان يسلم علي يديه فطلب اليه عيسي ان يغدو عليه بين القواد ورؤساء الاجناد ليكون اسلامه مشهودا قالوا ثم ضر معهم المائدة في المساء فجعل ياكل ويزمزم ي علي عادة المجوس فلما كلمه عيسي في ذلك قال كرهت ان ابيت علي غير ديني ثم غدا عليه فاعلن اسلامه فتسمي (عبد الله) واكتتي (ابا محمد) وزعموا كذلك انه مر بببيت نار بعد اسلامه فتمثل قول الاحوص

يابيت عائكة الذي اتعزل حذر العدي وبه الفؤاد موكل

اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

هذا كل ما تحث به المؤرخون في دين الرجل وعقيدته و تتجلى لنا هنا امور :

الاول : ان اسلام بن المقفع لم يكن الا بعد ظهور الدولة العباسية وهي الدولة التي قامت باعين الفرس وحدهم وهم لذلك اطمع ما يكونون في الاستئثار بسلطانها وحسن المكانة عند الخلفاء وولي الشوكة فيها ولا سيما اذا كان الرجل منهم ذكي القلب نبيل النفس له من العلم حظ ومن السياسة نصيب

الثاني : ان اسلام ابن المقفع لم يكن في ظاهر امرهم خالصا لله والا فما قوله علي المائدة كرهت ان ابيت علي غير دين وهل كان من الجهل بالاسلام والغفل عنه بحيث يعلم او يظن ان اسلام الرجل لا يصح عند الله الا اذا اعلنه الي الناس وهلا اشعر قلبه حلاوة الايمان وطمانينة اليقين حتي اذا كان الغد اعلن ذلك وجهر به واي معني في تمثله شعر الاحوص حين مر بببيت النار الا انه به علي دينه القديم وجدا والي نحلته الاولي حنيننا

الثالث : انهم يرون عنه محاروة بينه وبين اصحابه كمطيع بن ابياد ويحي بن زياد ودوحمد عجرد مملوءة بالمجون واللغو الذين لا يصدران عن قلب خاشع او نفس مطمئنة لي الله وكل هذا يدل لي ان اسلام بن المقفع لم يكن كاسلام الزهاد والنسائك وانما كان كاسلام بعض الادباء الفلاسفة الذين يصطنعون رضي الحكام ويتقون كره العامة بما يتنحلون من نحلة وما يظهرون من دين ولهم بعد ذلك ميل مع الهوي ومتالعة لظاهر الراي واقبياد للشهوات قلمل يوافق نفسا صالحا او قلبا خاشعا

سيرة بن المقفع

تحدثنا كتب بن المقفع بانه كان من ارضي الناس اخلاقا وكرمهم خلا لا واحسنهم شيما وارقمهم شماتلا فان من تصدر عنه اليتيمية ودب الصغير والكبير خليق ان يكون طاهر النفس من الغي برئ القلب من الرجس قد عرف الدنيا وابتلي ما فيها من خيرؤ وشر فلم تزعجه صروفها ولم تبطره نزاعها ويحدثنا التاريخ اخبار الرواة ان الرجل قد كان علي شئ من الدعابة والمجون مكنه من صحبة مطيع وحمداد ويحي وبين هذين الحديثين من التضارب والتناقض في ظاهر الامر شئ كثير غير ان مما لا يريب فيه ان العلم وحده قلما يؤثر في الاخلاق ويصلح فاسدا او يقيم منادا وانما النافع في ذلك هو الدين الذي يشعر القلب خشية الله والرهبنة منه ويحبب اليه طاعته والرغبة فيما عنده من نعيم وقد كان بن المقفع من الدين بحيث قدمنا لك فليس بداع ان يكون له من المجون حظ او يضرب في اللهو بسهم اما كتبه المملوءة بالحكمة المفعمة الاداب فلم تعدو ان تكون نتيجة من نتائج علمه الجم وادبه الغض وفضله الكثير

حرصه علي الوفاء

علي انا ملزمون ان نتعرف لابن المقفع بحظ موفور من فضيلة الوفاء للصديق والنصح للرئيس وحسبك برهانا علي ذلك مواساته لابن عبد الحميد الكاتب فقد اخفاه في بيته سنة فلما علم السلطان بمكانه منه بعث اليه الشرطة فاتوه وسالوه ايكما عبد الحميد ؟ فقال كل انا هو ولج في الطالب حتي تبين السلطان طلبته فيه امره

مقتله

كان بن المقفع متصلا بعبد الله بن علي^١ ايام خروجه علي المنصور فلما فلت شباته واستامن الي المنصور كتب بن المقفع عقد الامان وشدد فيه وغلظ الايمان علي امير المؤمنين فطلق نسائه واعتق عبيده واحل الناس من بيعته ان نكت عهده لعمه عبد الله او عزز به فاحفظ ذلك المنصور واسرها في نفسه لابن المقفع قال المؤرخون : فاوحي المنصور الي سفيان بن معاوية عامله علي البصرة ان يقتله وكان بينه وبين بن المقفع احن

وقيل بل اغتاله سفيان فلما رفع امره الي المنصور رضيه واحتال في اهدار دم بن المقفع وصرف السائلين عما كانوا يبتغون

هذه جملة من حياة بن المقفع مملوءة بالعبرة والموعظة تحدث بجليل خطره ونباهة شأنه وتنبئ بان حياة الرجل العظيم مهما يكثر^٥ فيها الخير لا تخلو من هفوة او كبوة لانها لم تعد ان تكون حياة انسان ضعيف لا يملك لنفسه العصمة ولا يقدر لها من الخير والشر من قليل او كثير ؟

فكم كان قتل العظماء هو ديدن العرب فقتلوا كل عظيم في الامة لمجرد الاختلاف السياسي رحم الله ابن المقفع رغم ميوله واهدافه التي قيلت دونسند فكام عظيما حتي ادبه وفنه ومثله لا يمكن ان يكون كما قيل فيه

مميزاته في الكتابة

فمنها انزال السجع منزلته وجعله بحيث لا ينبغي ان يحرص عليه الكتاب

(١) عبد الله بن علي بن عباس عم السفاح والمنصور من رجال العلم ودهاة قريش كان بطلا شجاعا مهيبا سفاكا للدماء به قامت الدول العباسية حاصر دمشق وقتل فيها اكثر من خمسين الف جند من المسلمين ولم يرقب فيهم الا ولا ذمة ارسل اخاه داوود بن علي في طلب مروان فقتل مروان بقرية بو صير من بلاد مصر وهرب ابناء مروان الي الحبشة ولما مات السفاح زعم عبد الله انه ولي عهده فبايعه امراء الشام وبويع المنصور بالعراق ارسل اليه المنصور ابا مسلم الخراساني فانهزم عبد الله فاخفاه اخوه سليمان ثم ما زال المنصور يلح عليه حتي اسلمه فسجن فحفر له اساس الحبس وارسل من تحته الماء فقوع عليه فمات سنة (١٤٧هـ) تاريخ بغداد ١٠/٨

ويستهلك فيه المعني ويقع في التعقيد بل يأخذ ما حاد به الخار عفوا وسمحت به القريحة من غير تكلف

سهولة لفظه :ومنها الحرص علي الايجاز مع الوفاء

اقلاله من المترادف :ومنها القصد في المترادف من اللفظ والمتشاكل من الكلم وهذه صفة لازمة لمب الايجاز والراغب فيه

نبوغه في الترجمة

وكان اسبق المترجمين الي النقل بن المقفع فقد عني بترجمة كليلة ودمنة وهو هذا الكتاب الذي الفه بعض فلاسفة الهند في سياسة الملك ومحاسن الاخلاق وذكر المؤرخون ان بن المقفع ترجم غير هذا الكتاب في الحكمة والمنطق ومهما يكن ذلك حقا فان الكتاب الذي بقي علي الدهر وانتفعت به امم مختلفة هو كتاب كليلة ودمنة

وعلينا ان نعرف هنا شيئين احدهما مصدر ميل بن المقفع الي الترجمة في هذا الفن خاصة مع انه فن لا يتلقي بالقبول من اصحاب السطوة وسياسة الدولة الثاني مقدر تبقاء هذا الكتاب واندثار غيره مما ترجمه بن المقفع في المنطق والحكمة حتي اضطر العرب انفسهم الي اعادة نقلها ايام الرشيد والمأمون . فاما لامر الاول فلا نعرف له مصدرا الي الحالة الاجتماعية التي كان عليها الامة الاسلامية في ذلك العصر أي اشتعال الحروب وضرام نيرانها وظلم الخلفاء وعسف الامراء واحتياج الناس الي ما يسترشدون به في العلاقات بينهم وبين رعايتهم وافتقار الملوك والامراء الي يستعنون به علي سياسة الرعية وضبط امورها فكان هذا الكتاب كان من مقتضيات العصر الذي ترجم فيه فلم يكن من الممكن استغناء الناس عنه او عن رغبتهم في قراءتها واستظهاره

واما الامر الثاني فمصدره ما ذكره المؤرخون من ان بن المقفع قد ترجم المنطق والفلسفة من اللغة الفارسية وكانت قد نقلت اليها من اليونانية وما ذكر الجاحظ من ان

بن المقفع ايضاً كان لا يحسن الكلام وما يتصل به فكان نقل هذه العلوم من الفارسية بعد نقلها من اليونانية مع صعوبة معانيتها وخفاء اغراضها ووقف حائلاً بين بنالمقفع وبين اتقان نقلها مع انه لم يكن بها بصيراً ولا بدقاءها محيطاً او كان نقلها من اليونانية الي العربية من غير واسطة مع ان الذين نقلوها بعده علي علم غزير بها وحثق وفير فيها كان اوضح وادني الي العقول والافهام فجنح الناس الي كتب غيرهم واما كتبه فقد استاثر بها الادنثار والعفاء

عنايته بالحكم والاخلاق

ومن جملة هذا يظهر السبب في عناية الرجل بالحكم والاخلاق فيما كتب بعد كليله ودمنة اذ يظهر ان هذا الكتاب قد اثر في نفسه تأثيراً حسناً فمال الي محاكاته واحتذا ء امثاله وهو مع ذلك بصير بالفارسية ملئاً بما فيها من الحكم والاداب ولا يحسن غير ذلك من العلوم المعروفة عند العرب في ذلك العصر فليس غريباً ان يقتصر في كتابته علي هذا لافن وحسبه انه قد ادرك المنزلة الرفيعة والمكانة السامية فيه

الكندي :

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، من قبيلة كنده وهي قبيلة عربية كانت تسكن جنوبي جزيرة العرب، وقد سبقت كثيراً من القبائل الأخرى في أخذها بأسباب الحضارة ومظاهرها، ونزح كثير من أهلها إلي العراق، وكان أبو الكندي أميراً علي كنده ،فهو من بيت ثري نبيل.

ومن أجل أنه عربي الأصل - علي حين كان كثير غيره من الفلاسفة من موالي أو أعاجم - لقب الكندي بـ"فيلسوف العرب".

ولد الكندي في أواخر القرن الثاني للهجرة، واتصل بالخلفاء العباسيين، واطلع اطلاقاً واسعاً على الفلسفة اليونانية المعروفة لعهدده ، وكان حلقة الاتصال بين المتكلمين والفلاسفة، واشتغل بالرياضيات ، وبحث في الله والعالم والنفس، وقد تأثر بالفلسفة اليونانية وخاصة بأبحاث ارسطو، وترجم إلي العربية بعض كتبه واصلاح بعض التراجم لكتب أخرى من كتبه، وسخف رأي الذين يقولون بإمكان تحويل

المعادن من نحاس وفضة وغيرهما إلي ذهب، وقد كان هذا الشغل الشاغل لعلماء الكيمياء في عصره، وقال في ذلك : إن الإنسان لا يستطيع أن يخلق الأشياء التي لا تقدر علي إحداثها إلا الطبيعة .

وكان له فضل كبير في إيصال كثير من النظريات الفلسفية إلي عقول المسلمين وبحثهم فيها وتكوين فرقة فلسفية تحذو حذوه وتتبع أثره .

الفارابي :

هو أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، والفارابي نسبة إلي فاراب بلدة من بلاد تركستان، وقد تعلم في بغداد ودرس الرياضيات والموسيقى والفلسفة، ثم رحل إلي حلب ونزل على سيف الدولة الحمداني، وقد رقى البحث في الفلسفة درجة أخرى غير التي أوصلها إليها الكندي، وجمع ما أثر من الفلسفة قبله، وهذبها وأصلحها ولخصها، وعني بالمنطق عناية كبرى ، وبما بعد الطبيعة، وعلى الجملة فقد طبع الفلسفة بطابع آخر هو النظر في الكليات وفي حالة هذا الوجود، غير حافل كثيراً بالجزئيات ودراسة طبيعة هذا الكون .

وقد ألف كتباً كثيرة في فروع الفلسفة المختلفة، ووهب نفسه للوقوف على الحقائق ، ولم يعبا بالدنيا وملذاتها، فكانت لذته الكتب والبحث والتأمل، وقد شرح فلسفة أفلاطون وارسطو وحاول الجمع بين آرائهما الفلسفية، وكان يقول : "ينبغي لمن أراد الشروع في الحكمة أن يكون شاباً صحيح المزاج متأدبا بآداب الأخيار ، معظماً للعلم والعلماء، لا يكون لشيء عنده قدر إلا للعلم وأهله، ولا يتخذ علمه لأجل الحرفة، ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور، ولا يعد من الحكماء ." .

ابن سينا :

وجاء بعد الفارابي ابن سينا، وهو أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا، ولد في قرية من بخارى ، ودرس في بخارى الفلسفة والطب، وعكف على الكتب يقرؤها ويفهمها ويستعين بكتب الفارابي في توضيح ما غمض منها، ونضج نضجاً مبكراً، واشتغل بالسياسة العلمية فكان يدبر الأمور حيناً ويشتغل بالتعليم والتصنيف حيناً، وقد تقلد الوزارة لشمس الدولة في همذان ثم نحي عنها.

وكان يمعن في دراسة المذاهب الفلسفية اليونانية ويختار منها ما يراه أقرب إلى الصواب، وبرع في تأليف الكتب التي يلخص فيها آراء الفلاسفة.

ألف في الطب كتابه "القانون" وفي الفلسفة كتباً كثيرة من أشهرها كتاب "الشفاء" ورسائل صغيرة في الحكمة جمعت بين الفلسفة والتعبير الأدبي. وهو علي عكس أستاذه الفارابي في حياته العملية، فبينما كان أستاذه يتزهد ويترفع عن المادة، ولا يرى لذة إلا لذة الروح والعقل، كان ابن سينا ينغمس في الحياة العملية واللذات المادية. ولم يكتف بالاستنباط من الفلسفة اليونانية بل كان يستمد أيضاً من الفلسفة الشرقية كحكمة الهنود والفرس، ويمزج كل ذلك بعضه ببعض ويخرج منه فلسفة خاصة به.

وقد مات ابن سينا سنة ٤٢٨ هـ بعد أن وسع دائرة الفلسفة بما ألف ولخص، وظل كتاب القانون يدرس في مدارس أوروبا من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي، ولم ينل أحد من الفلاسفة المسلمين ما ناله ابن سينا في تأثيره الفلسفي في عقول المسلمين، بل كذلك في عقول الأوربيين، فقد أثرت فلسفته وكتبه في المسيحيين في القرون الوسطى.

و من قصائده الشعرية

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعزز و تمنع
محبوبة عن كل مقلة ناظر	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما انست ولما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهدا بالحمى	ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا حصلت بهاء هبوطها	في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت	بين المنازل والطلوع الخضع
تبكي إذا ذكرت عهدا بالحمى	بمدامع تهمة ولم تقنع
وتنظل ساجعة على الدمن التي	درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشكل الكثيف وصددها	نقض عن الأوج الفسيح الأرفع
وغدت مفارقة لكل مخلف	عنها خليف الترب غير مشيع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى	ودنى الرحيل إلى العطاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت	ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع قدر من لم يرفع
 فلأي أمر أهبطت من شاهق سام إلى قصر الحضيض الأوضع
 إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الغز اللبيب الأروع
 فهبوطها لا شك ضربة لازب لتعود سامعة لما لم تسمع
 وتكون عالمة بكل خفية في العالمين خرقها لم يرقع
 وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بعين المطلع
 فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ابو العلاء المعري

أولاً - الشاعر:

في سنة ثلثمائة و ثلاث و ستين للهجرة (تسعمائة و ثلاث و سبعين
 للميلاد) ولد أبو علاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري اللغوي الشاعر
 رهين المحبسين أو رهن السجون كما قال عن نفسه في اللزوميات :

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن النبأ النبيث

لفقدي ناظري و لزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

أصابه الجدري و هو في الرابعة من عمره وذهب بصره فقضى عليه بأول
 محبسيه، أو أول محابسه ؛ فانعزل مرغماً عن سائر اللدات ؛ فما وني الرجل في
 باقي حياته يضيف إليه أحباساً و سلاسل و قيوداً .

كان أكبر ما يميزه الاعتزاز بالنفس كشأن سائر أسرته ؛ فانصب اعتزازه بنفسه
 علي العقل و العلم و الأدب ؛ وكان محقاً في أن يرى في نفسه الحق أن يتبوأ أعلى
 ذروة في الدنيا ، أما وقد قصرت به الحال ، وأصابته الدنيا في عينيه فليواجهها
 بالإزدراء والتحدي ، وليستن بها بإضافة قيود مختارة إلى قيده المفروض:

مات أبوه وهو في الرابعة عشر من عمره فرثاه بقصيدته المشهورة التي

مطلعها:

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني إلا عبوس من الدجن

وفقد بموت أبيه أحد معلميه الكبار الذين تتلمذ عليهم، ثم قضى بعد ذلك نيفا
 وعشرين عاماً وليس في تاريخه شئ كبير ، حتى إذا وافي على الخامسة والثلاثين
 تراءى له أن يطلب المجد والثروة في بغداد عاصمة الخلافة والعلم يومذاك فرحل إليها

في سنة ٣٩٨ هـ وظل بها حتى سنة ٤٠٠ هـ حين يئس منها ، ورجع خائباً سيئ الظن بها وبالناس ، موقناً بأن الفضل والأدب وحدهما لا يكفيان لتسبم ذروة المجد والثروة ، وأن لا بد إلى جانبهما من سلم دنيوي يرتقي عليه إلى الآفاق الدنيوية العليا لم يهبه الله علماً به

. إلا أنه استفاد من رحلته هذه علماً وأدباً واستفاد صداقة قوم أجلاء منهم أبو حامد الأسفراييني الفقيه الشافعي ، والشريف الرضي والشريف المرتضي الشاعران العلويان ، وخازن دار العلم ، أو أمين المكتبة ، الذي فتح خزائنه للمعري وفتح صدره لصداقته التي استمرت بعد عودة هذا إلى بلده فترة

وبينما هو في طريق العودة إلى معرة النعمان وافاه نبأ موت أمه ، وكانت لها منزلة كبيرة في نفسه فوق النبأ في نفسه وقوع الصاعقة ورثاها بقصيدته التي مطلعها:

سمعت نعيها صمي صمام وإن قال العواذل لا همام

تلك هي الأحداث البارزة في حياته حتى سن الأربعين ، وهي التي يلتبس فيها وفي شخصيته وتكوينها سبب اعتزله الناس ، فلا ريب أن حبه للوقار وتجنب ما يثير السخرية به ، وإن إصابته بالجدري والعمى ، وإن يأسه من سهولة انقياد الناس لفضله وعلمه الذي استقر بنفسه من رحلته إلى بغداد ، وإن موت أمه قد تضافرت جميعاً على تكوين هذه النظرة المتشائمة القائمة عنده عن الحياة والأحياء ، ففقد إيمانه بالحياة وكره كل عمل في سبيل استمرارها فأقلع عن الزواج خوف النسل ، وسخط على المرأة لأنها حباله الحياة للعمل على اتصالها ، ولكنه لن يجاري الأنام في هذا السبيل كما قال في " اللزوميات "

تواصل حبل النسل ما بين آدم وبينني فلم توصل بلامي باء

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد بعدوى فما أعدتني الثؤباء

وظلت هذه الفكرة قائمة في نفسه حتى الموت ، إذا أوصى أن يكتب على قبره بعد موته ، كأن أنجاب البنين جنابة عليهم:

هذا جناه إبي علي وما جنيت على أحد

وكما فقد إيمانه بالحياة ، ووجوب استمرارها ، فإنه فقد إيمانه بالناس وطرق معاشهم ، فاعتزلهم في منزله لا يبرحه ولا يحب أحداً أن يطرق □ عليه بابه .
ولكن أنى له أن يمنع الناس عن زيارته والتوسل إليه كلما حزبه أمر لا يصلح له غيره حاصر صالح بن مرداس أحد قواد حلب مدينة المعرة وألح في حصارها حتى ضاق الناس ، فتوسلوا للشيخ أن يكون سفيرهم لدى صالح كي يرفع عنهم الحصار ، فاستجاب لهم لركة قلبه وعطفه عليهم ، وهي رقة ليست غريبة على أمثاله من المتشائمين القانطين الذين يضيقون بالحياة والأحياء ، لأنهم يضيقون بالناس على ما هم عليه من خسة وذناة ويعطفون عليهم لجهلهم وقلة حيلتهم فلما ذهب إلى صالح استجاب هذا له وقال: " قد وهبتها لك " إلا أن المعري لم تفته السخرية في هذا الموقف فصوره في مقطوعة من اللزوميات يقول فيها:

تغيبت في منزلي برهة ستر العيوب فقيد الحسد
فلما انطوى العمر الأقل وحان لروحي فراق الجسد
بعثت سفيرا إلى صالح وذاك من القوم راي فسد
فيسمع مني سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبي هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

وفيما عدا هذا السفارة لم يخرج من منزله نحو نصف قرن ، إلا أن يكون خروجاً لغرض ، ولفترة قصيرة مرة أو مرتين فكان التزامه داره هذا هو ثاني محبسيه الذين أشار إليهما الناس حين دعوه " رهين المحبسين "

وكما اعتزل الناس في عقر داره ، اعتزل أكل اللحوم وما يخرج من الحيوان ، كالبيض واللبن وعاش نباتيا على مبدأ الرحمة بالحيوان ، وقيل إن الطبيب وصف له في مرض ألم به مرة أن يأكل الفروج ، فأباه حين قدم إليه وخاطبه بقوله: " استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد ؟ ! " وكان يقول (اللزوميات):

تسريح كفك برغوثة ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا
لا فرق بين الأسك الجون أطلقه وجون كندة أمسى يعقد التاجا^(١)
وكلاهما يتوقى ، والحياة له حبيبة ، ويروم العيش مهتاجا

(١) الأسك المصلم الأذنين ، والجون الأسود - كغاية بهما عن البرغوثة ، وجون كندة لقب ثور بن عفير وهو أبو حي من أحياء اليمين.

وقد أثار بهذا على نفسه ثائرة الكثيرين ممن ناصبوه العداة ، واتهموه بالمروق من الدين والزندقة لآرائه في الإلهيات ، فكانوا يرون في تحريمه على نفسه أكل اللحوم نوعاً من الخروج على قواعد الشريعة التي أحلت أكل الحيوان والمسك والطيور ، وقد أدى هذا الخلاف أو العداة إلى الرسائل التي تبودلت بينه وبين داعي الدعاة بمصر أبي نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران ، التي بلغت خمس رسائل ، ثلاثاً من داعي الدعاة واثنيتين من المعري إليه ، إذا يقول أبو نصر في أولها:

" ولما رأيت ذلك ، وسمعت داعية البيت الذي يعزي إليه " أي العري " وهو: عدوت مريض الدين والعقل فالقني لتعلم أبناء الأمور الصحاح^(٢)

وشددت إليه راحلة العليل في دينه وعقله إلى الصحيح الذي ينبئني أبناء الأمور الصحاح .. وهو يشير بهذا إلى قصيدة للمعري في لزومياته يقول فيها:

عدوت مريض العقل والدين فالقني	لتسمع أبناء الأمور الصحاح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما	ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
ولا بيض أمات أرادت صريحة	لأطفالها دون الغواني الصرائح
ولا تفجعن الطير وهي غوافل	بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت	له كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كي يكون لغيرها	ولا جمعته للندی والمناح
مسحت يدي من كل هذا فليتي	أبهت لشأني قبل شيب المسائح (١)

واسترد النقاش من أكل اللحوم إلى مشكلة الخير والشر وخلققهما وما جرى هذا المجرى من مسائل علم الكلام.

ولئن كان النقاش بينه وبين داعي الدعاة في حدوده المعقولة ، فقد تطرف غير داعي الدعاة ، كابن الهبارية ، حتى طعن في إسلامه وفي قواه العقلية ، وادعى أنه لما علم بأن داعي الدعاة يستدعيه إلى حلب للقتل أو الإسلام ، سم نفسه ومات.

(٢) هكذا وردت رواية البيت في رسالة داعي الدعاة كما أوردها ياقوت في معجم الأدباء ج ٣ ص

(١) اللزوميات - فيلسوف الشعراء بو العلاء المعري - دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة سنة

ولكم عاني الرجل من الناس في حياته وبعد مماته ، وهو الذي اعتزلهم وما يعتقدون !

وفي ربيع الأول من سنة ٤٤٩ هـ ألم به مرض دام ثلاثة أيام ، " ولم يكن عنده غير بني عمه ، فقال لهم في اليوم الثالث هنا اكتبوا عني ، فتناولوا الدوى والأقلام فأملوا عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التتوخي: أحسن الله عزاءكم عن الشيخ فإنه ميت فمات ثاني يوم" (٢)

ثانياً: مؤلفاته وتصانيفه:

ترك المعري - حسبما ذكر ياقوت (٣) - نيفاً وستين كتاباً ، ضاع معظمها منها ما أعجلته المنية تمامه ، ومنها مختصرات وشروح ، ومنها مطولات " كالفصول والغايات" ، حيث يقصد بالغايات القوافي " وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف ... قيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد وأتمه بعد عودته إلى معرة النعمان ، وهو سبعة أجزاء ، وفي نسخة مقداره مائة كراسة" (١)

ومنها رسائل مطولة كرسالة الغفران التي كتبها رداً على رسالة ابن القارح، ووصف فيها رحلة خيالية إلى الدار الآخرة حيث قابل من قابل من مشاهير العرب في الجنة وفي الأعراف وفي الجحيم.

وتشهد مؤلفاته بذوق رائق في تسمية كتبه ، فقد سمي شرحه واختصاره لديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي باسم " ذكر حبيب" ، وشرحه لديوان أبي عبادة الوليد بن عبد الله البتحمري باسم " عبث الوليد" وشرحه لديوان أبي الطيب أحمد

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٤

(٣) ياقوت الحموي (١١٧-١٢٢٨م) اديب ومؤلف موسوعات اشتهر بكتابه ارشاد الاريب الي معرفة الاديب جمع فيه اخبار الادباء الي ايمه ورتبهم حسب حروف المعجم و اشار الي من اشتغل منهم بالكتابة او الوراقه او النسخ او الخط او الشعر ذكر ياقوت في مقدمته كتب التراجم الكثيرة التي ستفاد منها وتدل القائمة الكبيرة التي ذكرها علي انه علي علم من اعلام مؤلفي الموسوعات في التاريخ وعلي ذلك ايضا كتابه معجم البلدان رتب علي حروف المعجم .

الموسوعة العربية الميسرة ١٩٧٧/٢

(١) معجم الأدباء ج ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧

بن الحسين المتنبّي باسم " معجز أحمد " وناهيك بعنوان يدلّك على خلاصة رأي صاحبه في شعر صاحب الديوان .

لى أن أهم ما أثر شعره هو ديوان " سقط الزند " وديوان " لزوم ما لا يلزم " أما " لزوم ما لا يلزم " فهو الديوان الذي اشتمل على فلسفته في الحياة والأحياء وما وراء الموت والأخلاق والمرأة وما إلى هذا من المسائل الفلسفية والأخلاقية .

وقد التزم في هذا الديوان قيودًا لا يقيد به أحد ، لتزم مع حرف الروي حرفًا آخر لا يتعداه كما التزم الهمزة مع الحاء في قصيدته التي أسلفناها في تحريم أكل الحيوان وألزم نفسه ثانيًا بالنظم على حروف المعجم كلها ، على الرفع والنصب والخفض والوقف ولم يغفل استغراق جميع البحور والأوزان والقوافي ما أمكن : كل هذا في أغراض يصعب على الناثر أحيانًا ، بله الشاعر أن يسوقها في نسق سهل جميل .

فخلاصة النظرة لهذه الشخصية أنه رجل خلق بعقل الفيلسوف ، ونفس الشاعر فكان شاعرًا فيلسوفًا ، يتغلب فيه الشعر على التفكير فيميزه عن الفيلسوف الشاعر كأفلاطون .

وجد نفسه في عصر من عصور الفتنة والانقلاب والشك الجائع في كل ما تواضع الناس عليه فصادف من نفسه كل ملكة فيها .

بحث في العلوم والأديان والفلسفات والتاريخ لعله يصل منها على يقين فأعوزه اليقين ، لأن شكه لا يرجع إلى نقص في العلوم بل إلى سبب دخيل في النفوس التي لا تجد الاطمئنان إلى شيء ، وحولها كل شيء متغير بين أن وأن .

أثر العزلة عن الناس والأحداث وهيهات إن هو أعتزل الناس أن يعتزلوه ويتركوه بعيدًا مضطرب الأحداث لا يصيبه منها ولا حتى الرذاد .

وأصابه الزن بالعمى في بصره ولكنه أفاء عليه بالعروض الوافي في جلاء البصيرة ونفاذ الرأي إذ امتنع عليه جلاء الرؤية فكان نصيبه هو القيم النادر بين الناس وكان رزوه في البسيط الذي لا يتميز به أحد بين الطغام والعوام .

المتنبى

المشهور من نسبه أنه هو : أحمد بن الحسين ابن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي نسبة على محلة كندة بالكوفة^(١).

والمتفق عليه أنه كان من المبكرين في نبوغه، فقد مات وهو في الخمسين بعد أن ملأ الدنيا شهرة وشعرا زهاء ربع قرن من عنفوان صباه إلى يوم مصرعه ؛ وقيل : إنه آنس من نفسه قدره يطمح بها إلى دعوى النبوة وهو في نحو العشرين ، ولا يبعد أن يكون الرجل قد فعلها في دفعة من دفعات الصبا و الغرور ؛ لأنه نشأ في عصر المغامرات في طلب الرياسة ديناً و دينا .

و شهد بعينه من الفتن الدينية علي عهد القرامطة ما يوسوس للطامع على غرارة بتجربة حظه في إحدى مغامراتها ، و اختلطت في زمانه دعوة الباطنية بدعوة القرامطة^(٢) ، و كان يزعم الزاعمون أن هؤلاء يدينون ب (بالمانوية) ^(٣) أي بالأصليين النور و الظلمة ؛ وهي النحلة القديمة التي ذكرها المتنبى في شعره ؛ ولعله لقي أناساً من أتباعها من المجوس في الكوفة ، لقربها من البلاد الفارسية ، و سمع من أسرار الفلسفة ما (هوسه) و أضله كما قال بعض مؤرخيه فيما تقدم ؛ ثم ذهبت صدمة التجارب بغواية هذه (الهوسة) الصيبانية ؛ و تركت بعدها (هوسته) التي لم تفارقه بطلب الرياسة من طريق الولاية ، فإن كانت هذه الغواية أمراً لا يستبعد من الرجل في دفعة صباه و غروره ؛ فلنذكر كذلك أن افتراءها غير بعيد على خصومه ، و أن العلامة ابن جني ربما كان قد ذكر الصواب حين قال : إنه لقب بالمتنبى بقوله :

أنا في أمة تداركها الله. غريب (كصالح) في (ثمود)^(٤)
ما مقامي بأرض نخلة إلا كمكان (المسيح) بين اليهود^(٥)

(١) البيان في شرح الديوان ، العبكري من المقدمة في الديوان

(٢) القرامطة فرقة ضالة في العصر العباسي أسسها حمدان قرمط

(٣) من عبدة النار ، فرقة فارسية

(٤) قوم سيدنا صالح الذين قتلوا ناقثهم

لحق بالأمير العربي التغلبي أبي الحسن علي الملقب بسيف الدولة أمير الدولة الحمدانية ، ولم يزل مصاحباً له في حلة و ترحاله و حربيه و سلمه ؛ حتى و قعت الوقعة بينه و بين ابن خالويه^(٢) فضربه هذا بمفتاح في يده ، و لم ينصفه (سيف الدولة) لأنه كان ينقم عليه ترفعه و تعاليه عن موالاته بالمدائح ، بعد طول مكثه في صحبته ، ففارق حلب (سنة ست و أربعين و ثلاثمائة) واستجاب لدعوة الإخشيدي^(٣) بمصر طمعاً في ولاية من ولاياتها ، قيل إنه كان علي وعد من (كافر) بإسنادها إليه بعد وفوده عليه ، ثم أخلفه الوعد ، فخرج من مصر (سنة خمسين و ثلاثمائة هـ و بالغ في هجائه .

ثم قصد إلى عضد الدولة بن بويه بفارس فأجزل عطيته ، ثم أراد العودة إلى موطنه الكوفة بعد إمامه بزيارة بغداد ، فاجتاز بأرض فاتك بن أبي جهل الذي كان قد هجاه ، و أفحش في هجائه ؛ فلقبه هذا بعصابة من بني ضبة ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى ساخت به قوائم فرسه ؛ فتمكنوا منه فقتلوه ، و تركوا جثته بالعراء ، و نقضت بذلك آماله في مجد عصره و أرفعها ؛ حضيض إلي جانب الذروة التي تمهدت له من مجد العصور .

من الشواهد الفلسفية في شعره

في ديوان هذا الشاعر الكثير من الشواهد التي تدل علي مبلغ الأصالة في تفكيره الذي يستوحيه من مزاجه ، و من ثقافته بدافع من طبعه ، و تلك هي الشواهد التي يصح أن نخرج منها بفلسفة الشاعر في مسائل الحكمة و الخلق ، و ذوق التعبير و البيان ، و ينطوي فيها كل شعر مطبوع له ، و لو كان من أغراض المديح و التخلص، التي تحسب من عرض القول و نوافل النظم ، و هي لا تخلو في كل شاعر مطبوع من دلالة على سليقة و أصالة فكره و شعوره^(٤) .

(٢) ارض نخلة بنحو بعلبك المقام بمعنى الإقامة يقول ان اقامتي لهذه القرية كاقامة عيسي ابن مريم عليه السلام بين اليهود يعني ان اهل هذه القرية اعداء له كعداوة اليهود لعيسي عليه السلام وقال الواحدي في هذا البيت لقب بالمتنبي

(٣) عالم من علماء اللغة كان يرافق سيف الدولة.

(٤) حكم مصر في عهد المتنبي سنة ٣٥١ انظر ترجمته ص ٢١١

و لم يكن المتنبى منفرداً بين كبار شعراء العربية بثقافته الدينية ، أو باطلاعه على قصص الأنبياء و أخبار الدعوات و المذاهب المعتقدة أو غير المعتقدة ، فربما كان منهم من يعلم علمه بها أو يزيد عليه ، و لكنهم - جميعاً - لم يكن منهم واحد تسبق أسماء الأنبياء و الدعاة إلي خاطره وهو ينظم قصائده ، كما سبقت هذه الأسماء إلي خاطر المتنبى في جميع أغراضه ، ولو لم تكن لها صلة بالبحث في العقيدة أو الدين .

فهو يقول مثلاً في قصيدة من شعر المديح^(١):

لما رأى الظلمات صرن شموسا	لو كان ذو القرنين ^(٢) أعمل رأيه
في يوم معركة لأعبا " عيسى "	أو كان صادف رأس عازر ^(٣) سيفه
ما انشق حتى جاز فيه " موسى "	أو كان لج البحر مثل يمينه
هانت علي صفات جالينوسا	لما وجدت دواء دائي عندها

ويمدح أيضا فيقول:

وكان " عازر " شخصه المقبور ^(٤)	وكانما " عيسى ابن مريم " ذكره
---	-------------------------------

ويمدح آخر فيقول:

الفرقان والتوراة والإنجيلا	لو كان لفظك فيهم ما أنزل
----------------------------	--------------------------

(٢) القصيدة في مديح زريق الطوسي

(٣) هو الاسكندر الذي ملك المشرق و المغرب ودخل الظلمات و البحار. المعني له رأي سديد ولو استعمله لإضاءة له الظلمات

(٤) رجل من بني إسرائيل هو الذي أحياه الله لعيسي بن مريم ويوم المعركة يوم الحرب و اعيا معناه اعجز ، يقول هذا الذي أحياه الله لعيسي ابن مريم لو كان قتل بسيفه في الحرب لعجز عيسى بن مريم عن أحيائه وهذه من أشياء التي أخذت عليه وهو الإفراض في تكذيب الرسل ، يقول لو كان ظلام البحر مثل كفه يعني الجود و العطاء و القوة لما انشق لموسي وهذا من جهل وافراطه في دينه وهو لا يعلم ان البحر شق بقدره الله القادر علي كل شيء.

(١) ذكره في الثناء يحييه لهم كما أحيا عيسى ابن مريم عاز بعد موته

ويقول في الشكوى:

أنا في أمة تداركها الله
غريب ك "صالح" في "ثمود"
ما مقامي بأرض نخلة إلا
كمقام "المسيح" بين "اليهود"^(١)

ويقول واصفا:

ملاعب جنة لوسار فيها
"سليمان" لسار بترجمان
ويقول زائيا:

خرجوا به ، ولكل باك خلفه
صعقات "موسى" يوم ذك الطور

ويقول مادحا:

أني يكون ، أبا البرية. آدم
وأبوك ، والثقلان أنت محمد^(٢)

ويقول مستعظفا:

فلا تسمع من الكاشحين
ولا تعبان بمحك "اليهود"^(٣)

ويقول متغزلا:

يترشفن من فمي قبلات
هن أحلى فيه من التوحيد^(٤)

وبشير إلى قصة خاتم "سليمان" الذي ضاع وتفقده صاحبه أربعين يوما ، ليقول إنه
يزيد على تلك الأربعين إذ يتفقد سكان الأطلال تفقد الشحيح :

نليت بلي الأطلال إن لم أفق وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه^(٥).

(٢) ديوان العكري ص

(٣) المعني يقول كيف يكون ادم ابي البرية وأنت ابن محمد الجن و الأئس أنت تقوم مقامهما
بفضلك وكرمك.

(١)الكاشح العدو محك الوعود ، عداوة اليهود ، يقول فشهادة العدو لاتقبل في الشرع أي لا
تسمع لأنها قول الأعداء .

(٢)التوحيد و العقيدة .

(٣)اهل البلاغة يثنون علي هذا البيت علي وجه الخصوص عبد القاهر الجرجاني

ويذكره دعوة " ماني المجوسي " إذ يقول معتزلاً :

وكم لظلام الليل عندي من بد تخبر أن " المانوية" (١) تكذب
وهو لهج يذكر النبوات والدعوات يدل على اشتغال دائم بها وليس قصاراه أن يدل
على مجرد العلم بها كما علم بها غيره من الشعراء.
وفي شعره ما يدل على إحاطة بمذاهب الفلسفة التي تتكر العقيدة على كل وجهة من
وجهاتها في إجمالها فقد جمعها بقوله هاجيا " الكافور" (٢)
فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الشك والتعطيل والقدم.

و كان الفلاسفة المنكرون لا يخرجون عن مذهب من هذه المذاهب الثلاثة: وهي
الشوكية والإلحاد والقول بقدوم العالم بغير حاجة إلى فاعل وإن لم ينكروا وجود الإله
كما ينكره الملحدون .

وإشارة المتنبّي إلى مصادر الفلسفة اليونانية إشارة قارئ متعمق يعرف من أين
جاءت المذاهب التي كان المرردون لأقوال الفلاسفة على السماع ينسبون لها كلها تارة

(٤) المانوية قوم ينسبون الي ماني وهو رجل يقول الخير من النهار و الشر من الليل و التحق
هذا المظهر قوم كثير ، ويقول في المعني ان هؤلاء المانوية الذين ينسبون اشر من الظلمة واعز
من الظلم والشر كذابون وليس الامر علي ما قالوه.

(٥) صاحب مصر الخادم الاستاذ ابو المسك كافور الاخشيدي الاسود تقدم عند مولاه
الاخشيد و ساد لرايه وحزمه وشجاعته فصار من كبار قواده ثم صار اتابك انو جور بن
استاذة وتمكن فمات الملك انوجور شابا في سنة (٣٤٩هـ) فاقام كافور اخاه عليا في السلطة
فبقي ست سنين وبعده تسلطن هو وولي الامور وذلك في صفر سنة (٣٥٥هـ) ولم ينتطح
عزازن وكان وقورا حليما مدحه كافور بقصيدته :

كفي بك داء ان تري الموت شافيا وحسب المنايا ا يكن امانيا
قواصد كافور توارك غيره الخ

فاقام مدة ثم هجاه وهجا بن حنزابة الوزير معه في قصيدة واحدقوهرب

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

ودعي لكافور علي منابر الشام ومصر والحرمين والثغور توفي في جمادي الاخرة سنة
(٣٥٧هـ) الكامل لابن الاثير ٥٠/٧ وفيات الاعيان ٩٩/٤ العبر ١٠٧/٢

إلى أرسطو وتارة أخرى إلى أفلاطون وحقيقة الكثير مما نسب إلى " أفلاطون" و " أرسطو" له من عمل الإسكندر الأفروديس " تلميذ أفلوطين" وملخص كتاب " الأثولوجيا" الذي عرف بأسم الربوبية واعتقد قراؤه بالعربية أنه من كتب الفلاسفة الأولين وإلى الإسكندر هذا يشير المتنبى حين قال يمدح ابن العميد^(١):
من مبلغ الأعراب أني بعدهم جالست رسطاليس والإسكندرا^(٢)

وسمعت بطليموس^(٣) دارس كتبه ممتلکا متبديا متحضرا

وليس للحكمة اليونانية مصادر أوفى من مصادر هؤلاء الحكماء الثلاثة ، وقد ظن بعض شراح الشاعر أنه عنى بالإسكندر سميّه ذا القرنين ، وهو خطأ يدل على الفارق بين اطلاع الشاعر على موضوعاته الفلسفية و اطلاع الأكثرين من المتأدبين في زمانه ، وإذا كان هذا محصوله من فلسفته الثقافية فقد يستخرج القارئ من فلسفته المطبوعة مذهبا كاملا من مذاهب الإيمان بالقوة كمذهب " نيتشه" في جملة قواعده فهو دائم التفرقة بين أخلاق السادة وأخلاق العبيد في مواضع شتى من شعره ، إذ يقول:

وما في سطوة الأرياب عيب وما في ذلة العبدان عار^(٤)

أو يقول:

(١) الوزير الكبير ابو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي كان عجباً في الترسل والنشاء والبلاغة يضرب به المثل مدحه المتنبى فاجازه بثلاثة الاف دينار وكان مع سعة فنونه لا ما الشرع وكان متفلسفا متهما بمذهب الاوائل كان بن عبد يلزمه فلقب بالصاحب مات سنة (٣٦٠هـ)

(٢) فيلسوف وحكيم رومي الاسكندر قائد معروف ملك الشرق و الغرب يعرف بذى القرنين

(٣) حكيم الروم يقول في المعني بعد فراقكم رايت عالما وهو في علمه وحكمته مثل الرسطاليس وفي ملكه مثل الاسكندر فهو يجمع بين الملك و الحكمة وهو في مدح ابي الفضل محمد بن العميد.

(١) الديوان للعبكري

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وأن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١).
أو يقول مستكرا التسوية بين الحليقتين:
تشابهت البهائم والعبيد علينا والموالي والصميم^(٢)
أو يقول في هذا المعنى:

وشر ما قنصته راحتني قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم^٣
وإنما يطلب " الامتياز " ولو بين العين والعين كما قال:

هو الجيد حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيدا

وإنما الحياة من الموت إذا تساوى فيها حظه وحظ من هو دونه:

وما موت بأبغض من حياة أرى لهم معي فيها نصيبا

وإنما كان طلب القوة والتمام لا طلب البقاء والسلامة هو قانون الحياة المثلي في
عقيدة " أبي الطيب " قبل عقيدة " نيتشه " بعدة قرون:
ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام^(٤)

(٢) هذه الأبيات من الحكمة وهي ان الأصل يزكو اذا كان طيباً ومهما فعلت مع صاحب الأصل
الخبث يظل خبيثاً

(٣) المعنى مأخوذ من القران الكريم (تشابه علينا البقر) وهي من أبيات الحكمة.

(٤) شر ما قنص الصائد ان تكون الشهب مع الرخم بمعنى ان يشترك في عطاء ممدوحه مع

و غاية الصدق في الإبانة عن الطبع والتعبير عن الشعور بوحى بأن يكون الشاعر محيطاً باللباب من فلسفة القوة إحاطة الفيلسوف العالم الذي يعالجها تفكيراً ، و بحثاً ودراسة لأخلاق البطولة في حاضر زمنه أو في صحائف التاريخ.

و شعره ثروة من المثل السائر لا نعلم لها نظيراً فيها يستشهد به من مفردات الشعراء الكبار ومتفرقاتهم ، ينتفع بها نقاد الأدب الذين يخلطون بين الشعر الحكمة و شعر التفكير المجرد من البواعث النفسية ، فإن كلمة الحكمة تخدع هؤلاء فيحسبونها ضرباً من حكمة التعقل المحض الذي يشبه معادلات الرياضة وحقائق الحساب ، و هي في الواقع تحتوي من بواعث النفس و شواغل العاطفة ألواناً لا يحتويها شعر الغزل و لا شعر الحماسة ، لأنها خلاصة تجارب الحياة بما وسعت من أمل و يأس ، و من فرح و حزن ؛ و من فلاح و خيبة ، و من حب و بغضاء ، و من خلاف و وفاق علي نوازع الحس ، و مذاهب الآراء ؛ لا يدركها الشاعر لأنه تأمل فيها بينه و بين أوراقه و مطالعته ؛ و لكنه يدركها لأن خاض غمار دنياه ؛ و تمرس بآفاتها ؛ وابتلي بما يقيمه و يقعده من أهوالها و شدائدها ؛ وليس رضا السامع عنها لأنها فكرة صحت حسبتها كم تصح جداول الحساب عنده ؛ و إنما يرضي عنها رضا الارتياح لما وافق شعوره ؛ ولما فسر له من غوامضه و بسط له من مغلقاته و أسراره.

وهذه هي مزية الطبع الصادق و الحكمة (الحيوية) التي امتاز بها (أبو الطيب) فجعلته بحق شاعر العربية و لسان عبقريتها و ترجمان بلاغتها . و هي مزية يتممها السؤال عن مكان الفن في لفظه و معناه ؛ بعد العام بمكان (الطبع) من تعبيره ؛ و لا بد من هذا السؤال في التعريف بشاعر مشهور بلغ بالشعر غاية مداها في القرن الرابع للهجرة بعد أيام (ابن المعتز) و (مسلم بن الوليد) و (أبي تمام) و هو من قراء شعره و جامعي ديوانه كما قيل ؛ فقد يكون هوي الفن المصنوع امتحاناً قوياً

(١) هذا البيت من الأبيات المشهورة في الحكمة ، لقد كان اصل كلمة الفلسفة في معناها اذ يقول : (ان العيب هو نقص ما يمكن إتمامه أو نقص ما يمكن اكماله) وهذا البيت من ابلغ ابیات الشعر من حيث المعني واللفظ ، فجعل العيب في القدرة فلا يستقيم المعني الا بفهم البيت.

لذلك الطبع القوي ؛ و بياناً لما تستطيعه فتنة الحلية . البراقة من غواية المعدن الأصيل ؛ إذا تجاذبته القوتان في وقت واحد .

من خلال هذا البحث إذا اجمعنا بان الفيلسوف هو طالب الحكمة ، وان الفلسفة هو طالب الحكمة ، فيكف لا يكون أبو الطيب المتنبي فيلسوفاً حكيماً ، وهو قائل تلك الأبيات التي أوردناها وهي أبيات قمة في الحكمة ، و التي لم يستطع أحد أن يجاريه فيه ولو جمعت أشعار الذين سبقوه و الذين سلفوه ، لتفوق عليهم المتنبي جميعاً ، لهذا تم تصنيفه في هذا البحث من فلاسفة الدولة العباسية وهو كان في آخر الدولة داعياً للقومية العربية.

رغم ذلك قتل وهو في قمة عطائه ولا يعرف قتل للسلب ، أم قتل للسياسة ، ولكن يظل أبو الطيب رمزاً للأديب الفيلسوف الذي قال وطلب الحكمة في الغزل كان فيلسوفاً و المدح و الفخر حكيماً ، قدم لنا أدباً اقل ما يوصف (بالأدب الفلسفي) لان هذا الأدب كان من الحكمة بمكان.

الفصل الثالث

اثر التصوف على الادب العربي في العصر العباسي

المبحث الاول: ظهور التصوف

المبحث الثاني: تأثر الفكر الصوفي بالنظريات الفلسفية

المطلب الاول

معنى التصوف

تعريف التصوف

اختلف العلماء في اشتقاق كلمة صوفي: ف قيل انها مشتقة من لباس الصوفي، لأن هذه الطائفة التي تسمت بهذا الاسم تمتاز بلبس الصوف ، وهو شعار الزهد والتقشف .

ويرجح أبو النصر الطوسي^(١) هذا الرأي إذ يقول : إن سال سائل فقال : قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث، ونسبت الفقهاء إلى الفقه، فلم قلت الصوفية ولم تتسبهم إلى علم ، ولم تضاف إليهم حالاً كما أضفت الزهد إلى الزهاد ، والتوكل إلى المتوكلين ، والصبر إلى الصابرين؟ فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يتنسموا بنسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة ، سالفاً ومستأنفاً ، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ، فلما كان في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسما دون اسم ، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالاً دون حال، ولا أضفتهم إلى العلم دون علم ، لأنني لو أضفت إليهم في كل وقت حالاً هو ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال ، والأخلاق ، والعلوم ، والأعمال وسميتهم بذلك ، لكان يلزم أن أسميهم في كل وقت باسم آخر، وكنت أضيف إليهم في كل وقت حالاً دون حال ، على حسب ما يكون الأغلب عليهم فلما لم يمكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر اللبسة ، لأن لبسة الصوفي دأب الانبياء^(٢) عليهم السلام ، وشعار الأولياء الأصفياء^(٣) .

(1) هو ابو النصر السراج عبد الله بن علي الطوسي الزاهد شيخ الصوفية روي عن جعفر الخدي وابي بكر محمد بن داوود الرقي واحمد بن محمد السائح اشتهر بالتعمق في التصوف وكان علي ريقة اهل السنة من اشهر مصنفاة اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي توفي سنة ٣٧٨هـ انظر شذرات الذهب ج ٢

(٢) عن بن مسعود رضي الله عنه قال كانت النبياء يستحبون ان يلبسوا الصوف رواه الحاكم وقال صحيح علي شرطهما

(٣) اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي ابو النصر السراج ة ٢٣ . ٢٤

فالسراج الطوسي بهذا يعتقد أن النسبة إلى اللباس ، وذلك لأمرين :
الأمر الأول: صعوبة جمع الصوفية في وعاء واحد من العلوم والأحوال ، وذلك
لتعدد معارفهم ، وسعة مداركهم .

الامر الثاني: ان لباس الصوف كان شعاراً للأنبياء والأولياء .
وقيل سموا صوفية نسبة الي الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين في مسجد رسول الله
صلي الله عليه وسلم ونوقش ذلك بان الاشتقاق لا يستقيم من حيث اللغة اذ لو كان
كذلك ل قيل: صفوي لا صوفي . واجيب عن ذلك بأن ذلك صحيح من حيث
المعنى ، لأن الصوفية يشبه حاله حال اولئك الصحابة لانهم كانوا فقهاء جمعوا
انفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية في الزوايا وكانوا مجتمعين متحابين لله^١
وقيل سموا صوفية لانهم في الصفة الاول بين يدي الله تعالى لارتفاع همهم واقبالهم
علي الله (٢)

ويري الباحث ان هذا الاشتقاق لا يستقيم من حيث اللغة اذ لو كان كذلك ل قيل صفي
ولم يقل صوفي

قال ابو سعيد الخزاز (٣) الصوفي من صوفي ربه قلبه نورا ومن دخل في عين اللذة
بذكر الله هرب الي مصر ايام محنة الصوفية ببغداد
ابو محمد الجريري (٤) ت ٣١١ هـ يقول التصوف هو الدخول في كل خلق سني
والخروج من خلق دني

(١) عوارف المعارف الامام السهروردي ص ٦٤

(٢) المرجع سابق ص ٦٥

(٣) ابو سعيد الخراز شيخ الصوفية القدوة احمد بن عيسي البغدادي الخراز اخذ عن ابراهيم بين
بشار ومحمد بن منصور وروي عنه علي بن محمد الواعظ المصري ياقل انه اول من تكلم في
علم الفناء والبقاء قال السلمى هو اما القوم في كل فن من علومهم صحب ذا النون والسري
والنباجي وبشر الحافي توفي سنة ٢٨٦ هـ طبقات الصوفية ٢٢٨ حلية الاولياء ١٠/٢٤٦ تاريخ
بغداد ٢٧٦/٤ شذرات الذهب ٢/١٩٢

(٤) شيخ الصوفية ابو محمد الجريري الزاهد قيل اسمه احمد بن محمد بن حسين وقيل عبد الله
بن يحيى وقيل حسن بن محمد لقي الرسي السقطي والكبار ورافق الجنيد وعندما توفي الجنيد
اجلسوه مكانه واخذوا عنه ادب القوم حج في سنة (٣١١ هـ) فقتل في رجوعه يوم الهبيروطنته

ابو بكر الكتان^(١) يقول التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء
ويقول كذلك التصوف صفاء ومشاهدة

جعفر الخلدي^(٢) يقول التصوف طرح النفس في العبودية والخروج من البشرية
والنظر الي الحق الكلية

الشبلي^(٣) يقول التصوف بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده
بشر بن الحارث^(٤) يقول الصوفي من صفا قلبه لله

الجمال النافرة فمات شهيدا وذلك في ائل المحرم سنة اثنتي عشرة وهو في عشر التسعين
طبقات الصوفية ٢٥٩ حلية الاولياء ٣٤٧/١٠ الكامل في التاريخ ١٤٥/٨ صفة الصفوة ٤٤٧/٢
(١) محمد بن جعفر الكتاني وكنيته أبو بكر صحب الجنيد وأبا الحسن النوري واقام في مكة
وجاور بها إلى أن مات وكان أحد الأئمة مات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة (طبقات الصوفية)
ص ٣٨٦.

(٢) الشيخ الامام القدوة المحدث شيخ الصوفية ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم
البغدادي كان يسكن محلة الخلد سمع الحارث بن اسلمة وجماعة وحدث عنه يوسف القواس
والحاكم وجماعة قيل عجائب بغداد نكت المرتعش واشارات الشبلي وحكايات الخلدي له مئة
وثلاثون ديوانا من دواوين القوم توفي سنة (٣٤٨هـ) في رمضان وله ٩٥ سنة طبقات الصوفية

٣٤٣ حلية الاولياء ٣٨١/١٠ تاريخ بغداد ٢٢٦/٧ العبر ٢٧٩/٢ البداية والنهاية ٢٣٤/١١
(٣) شيخ الطائفة ابو بكر الشبلي البغدادي قيل اسمه دلف بن جدر وقيل جعفر بن يونس
وقيل جعفر بن دلف اصله من الشبلية ولد بسامراء وكان ابوه من كبار حجاب الخلافة وولي هو
حجابه ابي احمد الموفق كان فقيها عارفا بمذهب الامام مالك وكتب الحديث عن طائفة وسمع
عنه انه كتب الحديث عشرين سنة وجالس الفقهاء عشرين سنة وكان رحمه لهجا بالشعر الغزل
والمحبة وله ذوق في ذلك وله مجاهدات عجيبة احرف منها مزاجه توفي بغداد سنة (١٣٤هـ)
عن نيف وثمانين سنة طبقات الصوفية ٣٣٧ حلية الاولياء ٣٦٦/١٠ تاريخ بغداد ٣٨٩/١٤
وفيات الاعيان ٢٧٣/٢

(٤) بشر بن الحارث ابن عبد الرحمن بن عطاء الامام العالم المحدث الزاهد الرياني القدوة شيخ
الاسلام ابو نصر المروزي ثم البغدادي المشهور بالحافي ابن عم المحدث علي بن خشرم ارتحل
في طلب العلم فاخذ عن مالك وطائفة من العلماء وحدث عنه الرسالسقطي وجماعة كان شديد
الورع شديد الاخلاص قال ابراهيم الحربي لو قسم عقل بشر علي اهل بغداد لصاروا عقلاء مات
رحمه يوم الجمعة ربيع الاول سنة (٢٢٧هـ) قبل العتصم الخليفة بستة ايام وعاش ٧٥ عاما

القشيري(١) وهو صاحب الرسالة القشيرية يقول الورع ترك الشبهات

طبقات بن سعد ٣٤٢/٧ تاريخ بن معين ٥٨ طبقات الصوفية ص ٣٩ صفة الصفوة ١٨٣/٢
 اللباب ٣٣١/١ النجوم الزاهرة ٢٤٩/٢
 (١) الامام الزاهد القدوة ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري
 الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر صاحب الرسالة ولد سنة (٣٧٥هـ) تعلم الفروسية
 والعمل بالسلاح حتي برع في ذلك ثم سمع الحديث مات ابوه وهو طفل فدفع الي ابي القاسم
 اليماني فقرأ عليه الاداب تعلم الحساب وعمل قليلا ديوانا بعد ظهور التعصب (٤٠٠-٤٥٥هـ)
 وميل بعض الولاء الي الاهواء هرب الي بغداد فورد علي القائم بامر الله ولقي قبولا وعقدت له
 مجالس ومن نظمه :

سقي الله وقتا كنت اخلو بوجهكم وثغر الهوي في روضة الانس ضاحك

اقمت زمانا و العيون قريرة واصبحت يوما و الجفون سوافك

وله اربعون حديثا توفي يوم الاحد ٢٦/ربيع الاخر /٤٦٥هـ تاريخ بغداد ١١/٨٣ دمية القصر

٩٩٣/٢ انباه الرواة ١٩٣/٢ البداية والنهاية ١٠٧/١٢

المطلب الثاني

تاريخ التصوف

قيل إن التصوف ينسب إلى رجل يقال صوفة ، كان قد انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام، واسمه الغوث بن مرة^(١)، فانتسب الصوفية إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله ، وروى ابن الجوزي في ذلك عن أبي إسحق إبراهيم بن سعيد^(٢) الحافظ قال : سألت الوليد بن القاسم^(٣) إلى أي شيء ينتسب الصوفي؟ فقال : كان قوم في الجاهلية يقال : لهم صوفة انقطعوا إلى الله عزو جل ، وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهم الصوفية ، قال عبد الغني : فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر ابن أخي تميم بن مر .

وقال الزبير بن بكار^(٤) : كانت الإجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن اد بن طابخة ثم كانت في ولده ، وكان يقال لهم: صوفة ، وكان إذا حانت الإجازة قالت العرب أجز صوفة .

(١) كان الغوث بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة وولده من بعده وكان يقال له ولولده صوفة وانما ولي ذلك الغوث بن مر لان امه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله ان هي ولدت رجلا ان تصدق به علي الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث (السيرة النبوية لابن هشام ١١٢/١ دار الحديث القاهرة ١٩٩٨ م

(٢) الامام الحافظ المجود صاحب المسند الاكبر ابو اسحق ابراهيم بن سعيد البغدادي الجوهري واصله من طبرستان ولد بعد السبعين ومئة هجرية وسمع من سفيان بن عيينة وروى عنه الجماعة سوي البخاري كان ثقة صنّف المسند توفي مرابطا بعين زربة فما حرروا وفاته كما ينبغي فقيل مات سنة (٢٤٧ او ٢٤٩ او ٢٥٣ هـ) تاريخ بغداد ٩٣/٦ الجرح والتعديل ١٠٤/٢ غاية النهاية في طبقات القراء ١٥/١ العبر ٤٤٨/١

(٣) الوليد بن القاسم الهمداني ثم الخبذعي الكوفي حدث عن اسماعيل بن ابي خالد وجماعة وحدث عنه الامام احمد بن حنبل وطائفة مات سنة (٢٠٣ هـ) الجرح والتعديل ١٣/٩ تهذيب التهذيب ١٣٩/٣ العبر ٣٤٢/١

(٤) الزبير بن بكار العلامة النسابة قاضي مكة وعاملها ابو عبد الله بن ابي بكر بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ولد سنة (١٧٢ هـ) سمع من سفيان بن

قال ابوعبيدة : وصوفة صوفان ، يقال لكل ولي من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشئ من من أمر المناسك .

قال الزبير عن هشام بن محمد السائب الكلبي^(١) قال : إنما سمي الغوث بن مر صوفة ، لأنه ما كان يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده بعده.

قال الزبير وحدثني ابراهيم بن المنذري عن عبد العزيز بن عمران قال: أخبرني عقاب بن شبة قال : قالت: أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة لله علي إن ولدت غلاماً لاعبدنه للبيت^(٢)، فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى، فقالت: ما صار ابني إلا صوفة ، فسمي صوفة، وكان الحج واجازة الناس من عرفة إلى مني ، ومن مني إلى مكة لصوفة، فلم تزل الإجازة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوان، فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش .^(٣)

وهذا الكلام المهم في موضوعه لم يخترعه ابن الجوزي فقد كان معروفاً ، وأشار إليه الزمخشري في أساس البلاغة ، والفيروز ابادي في القاموس المحيط .

عينة وجماعة وحدث عنه بن ماجه وجماعة له كتاب نسب قريش وكان ثقة عالماً بالانساب وقد ذكر ياقوت في معجمه اثنين وثلاثين مؤلفاً توفي ٩/ذي القعدة /٢٥٦هـ وقد بلغ اربع وثمانين سنة وقيل ان سبب وفاته انه وقع من فوق سطحه فمكث يومين لا يتكلم فانكسرت ترقوته ووركه هذيب التهذيب ٣٠/١ الجرح والتعديل ٥٨٥/٣ الاغانى ٤١/٩ الكامل لابن الاثير ٢١٧/٧ معجم الادباء لياقوت ١٦٤/١١

(١)العلامة الاخباري النسابة الاوحد ابو المنذر هشام بن الاخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي الشيعي احد المتروكين كابييه وله كتاب الجمهرة في النسب وكتاب حلف الفول وكتاب المناقرات وكتاب الكني وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة تصانيفه جمة يقال انها بلغت مئة وخمسين مصنفا مات ابن الكلبي علي الصحيح سنة اربع ومئتين الفهرست لابن النديم ١٠٨ تاريخ بغداد ٤٥/١٤ العبر ٧٤٦/١ وفيات الاعيان ٨٢/٦

(٢) عبده وعبده جعله عبدا

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ / ٥٥

والواقع ان التنسك كان معروفاً في الجاهلية ، وقد روى ياقوت عن حنظلة بن أبي عفراء الذي بني دير حنظلة بالقرب من شاطئ الفرات ، وكان قد تنسك في الجاهلية ، وتنصر ، وبني هذا الدير المعروف ، فعرف به (١) .

وحدث الخطيب البغدادي (٢) بسنده عن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى : (يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا) (٣) قال: وكان قد رجلاً صالحاً في بني اسرائيل (٤) والصلاح هنا هو التنسك ، وأخت هارون هي مريم ، وكانت بأرض موصلة بالبلاد العربية .

وكان في الجاهلة لفظة هي الديان ، وكان في الجاهليين وهو المنتسك في الدين ومثله الرياني .

و جاء الإسلام بما فيه من أخلاق سامية ، و قيم روحية عميقة ، ليأسس للتصوف الذي تشبع بروحانية الإسلام ، و اهدى بقيمه المثلى و ، تعاليمه العليا ، فكان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - القدوة في مجال السمو الروحي ، و إن لم يسموا صوفية فلا شك في أن هؤلاء الصحابة كانت الدنيا أهون على أحدهم من تراب قدميه ، بل هم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فيقال حينئذ: لقد رأيت أقواماً يمسى أحدهم وما يجد عنده إلا قوتاً ، فيقول ، لا أجعل هذا كله في بطني ، لأجلن بعضه لله - عز وجل - فيتصدق ببعضه ، و إن كان أحوج مما يتصدق به عليه ، بل يمكن لنا أن نحدد بوضوح أدق وصفاً وأبلغه لهؤلاء الأمجاد من الصحابة ويقال : إنهم ألزموا الكد والعبر ، وألطفوا في التفكير ، وصبروا

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٤

(٢) احمد البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ) احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ابو بكر محدث مؤرخ اصولي ولد بدرزبان من قري العراق ونشا في بغداد ورحل وسمع الحديث وتوفي في بغداد من تصانيفه الكثيرة تاريخ بغداد الكفاية في معرفة علم الرواية الفقيه والمتفقه الجامع لاداب الراوي والسامع وشرف اصحاب الحديث. انظر ابن عساكر تاريخ دمشق ٢/٧ - ١/١٢ سير النبلاء ٢٠٨/١١ طبقات الشافعية ٢/٣٦ تذكرة الحفاظ ٢/٤ وفيات الاعيان ٣٢/١

(٣) سورة مريم الاية ٢٨

(٤) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي دار الفكر بيروت بدون تاريخ ج ١ ص ٣٨٢

على مدى الآجال القصيرة ، عن متاع الغرور ، الذي إلى الفناء يصير ، ونظروا إلى عاقبة مراراتها ، ولم ينظروا إلى عاجل حلاوتها .

وهكذا ألزم الصحابة أنفسهم الصبر ، وأنزلوا الدنيا من أنفسهم بمنزلة الميتة ، التي لا يحل الشبع منها إلا في حالة الضرورة إليها ، وأكلوا منها بقدر ما يرد النفس ، ويبقي الروح ، فقد رأوا أن الدنيا نتنة وجيفة ، فعافوها ، وزهدوا ننتها ، وكم كانوا يعجبون من الأكل منها شبعًا والمتلذذ منها أشرًا ، وكانوا يتساءلون في أنفسهم عن رواد الدنيا أن تري هؤلاء لا يخافون من الأكل؟ أما يجدون ريح النتن؟

على أن النموذج الأول الذي يقابلنا بعد الصحابة في عهد التابعين هو شخصية الحسن البصري ، والحسن البصري هو أول من انتهج سبيل علم التصوف ، وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، و أظهر أنواره ، وكشف قناعه ، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمع من أحد من إخوانه فقليل له : يا أبا سعيد إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا ؟ فقال: عن حذيفة بن اليمان^١ .

كان قوام الحياة عنده هو الزهد في الدنيا ، والإعراض عن جاهها ، والإقبال على الله ، والتوكل عليه ، والخوف منه ، ويمثل الحسن البصري نوعًا خاصًا من الحياة الروحية هو الزهد المنصف بالخوف الدائم ، فقد قال فيه صاحب الحلية : حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، ،ابو سعيد الحسن بن أبي الحسن ، الفقيه العابد الزاهد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذًا ، ولشهوة النفس ونخوتها واقدًا .

(١) حذيفة بن اليمان من نجباء اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم وهو صاحب السر واسم اليمان حسل او حسيل ابن جابر العبسي اليماني ابو عبد الله حليف الانصار من اعيان المهاجرين حدث عنه ابو وائل وزر بن حبيش وجماعة له في الصحيحين اثنا عشر حديثا وفي البخاري ثمتية وفي مسلم سبعة عشر حديثا كان والده قد اصاب دما في قومه فهرب الي المدينة وحالف بني عبد الاشهل فسمي اليمان لحلفه لليمانية فشهد هو وابنه حذيفة احدا فاستشهد يومئذ فتصدق عليهم حذيفة بديته ومات حذيفة بالمدائن بعد عثمان وله عقب مسند الامام احمد ٣٨٢/٥ طبقات بن سعد ١٥/٦ المستدرک ٣٧٩/٣ الاصابة ٢٢٣/٢ كنز العمال ٣٤٣/١٣

وعلى الرغم من معاصرة الحسن البصري لعدد كبير من الصحابة إلا انه في ميدان الزهد والتصوف كان متأثراً كما قال هو بحذيفة بن اليمان الذي خص بعلم المنافقين .

كان الحسن أحد الذاكرين ، وكانت مجالسه مجالس الذكر ، يخلو فيها مع كل أوان هو واتباعه ، من النساك والعباد ، وكان يحدث أصحابه في خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس^(١) .

لقي سبعين بديراً ورأى ثلاثمئة صحابي ، وكانت أمه مولاة لأم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه و سلم -^(٢) ، و كان كلامه يشبه بكلام رسول الله - صلى الله عليه و سلم - .

كان أبو قتادة العدوي يقول : عليكم بهذا الشيخ ، فوالله ما رأينا أحداً لم يصحب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - أشبه بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - منه . وكانوا يقولون : كنا نشبهه بهدي إبراهيم الخليل في حلمه ، وخشوعه ، ووقاره ، وسكينته ، فكان علي شمائله .

ومما يؤكد رسوخ قدم الحسن في هذا الزهد القائم على الوعظ الخلقي أن الإمام علي - عليه السلام - دخل جامع البصرة ، وجعل يخرج القصاص ، ويقول القصص بدعة ، فانتهي إلى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع إليه ، فأعجبه كلامه ، فقال : يا فتى أسألك عن شئين ، فإن خرجت منها تركت تتكلم علي الناس ، وإلا أخرجتك كما أخرجتك أصحابك ، فقال : سل يا أمير المؤمنين فقال : أخبرني ما صلاح الدين وما فسادة؟ فقال : صلاحه الورع وفساده الطمع ، قال : صدقت ، تكلم فمثلك يصح أن يتكلم علي الناس .

وبعد ان اباح علي بن ابي طالب الوعظ والكلام للحسن البصري نراه يحاول التمييز بين أن يلبس الصوف كعلامة علي الزهد والورع ، أو أن يكون مدعاة للكبرياء والخيلاء ، حينئذ يحدد سمات التصوف السني الحقيقي فيقول : من لبس الصوف تواضعاً لله عز وجل زاده نوراً في بصره ، وقلبه ، ومن لبسه لتكبر والخيلاء كور في

(١) حاية الاولياء و طبقات الاصفياء - ابو نعيم الاصفهاني - دار الكتاب العربي بيروت

الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠ م ج ١ / ١٩٩

(٢) يقال انها القمته ثديها حين بكى فدر ثديها عليه

جهنم مع المردة ، وقيل له مرة : الفقهاء يقولون: كذا وكذا فقال : وهل رايتم فقيهاً قط بأعينكم ؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، البصير بذنبه ، المداوم على عبادة ربه - عز جل - وقوله أيضاً : المحب سكران لا يفيق إلا عند مشاهدة محبوبه .

وقد لخص الحسن البصري بأقواله هذه كلها مراحل التصوف المختلفة ، الذي يبدأ بالتواضع ، وعدم الرياء إلى الزهد في الدنيا ومداومة العبادة ، ثم أخيراً حب الله حباً يؤدي إلى السكر المفقود للوعي والشعور ، الذي لا يفيق منه المحب ، إلا إذا وصل إلى بغيته المنشودة ، وغايته السامية ، وهي رؤية الله ومشاهدته ، وهكذا يظهر لأول مرة معني عميق ، وباطني ، وروحي لكلمة الفقيه في الفكر الإسلامي ، فليس الفقيه هو كما يعتقد الكثيرون المتخصص في الأحكام العلمية والتشريعية والإسلامية ، بل هو كما يتصوره إمام التابعين ، وشيخ الصوفية ، الذي يجمع إلى جانب علم الظاهر يتحقق فيه علم الباطن ، وهو الزهد في الدنيا ، فالفقيه إذن عند الحسن البصري هو الزاهد والصوفي ، ولذا نرى أن علم التصوف أصبح كعلم مستقل ، له قواعده ونظرياته وافكاره ، يقوم في مواجهة كل أنواع الفكر الإسلامية المختلفة إنما كتب له ذلك منذ الحسن البصري .

وقد ورد لفظ الصوفي لقباً مفرداً لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثاني إذ نعت به جابر بن حيان (١) ، وهو صاحب الكيمياء شيعي من أهل الكوفة . له في الزهد مذهب خاص ، و خشيش النسائي (٢) المتوفي عام ٢٥٣هـ الموافق عام ٨٦٧م ، وابو هاشم الكوفي (٣) المتصوف .

(١) جابر بن حيان طبيب عربي اول من اشتغل بالكيمياء القديمة عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واولئل القرن ٩ ترجمت كتبه التي زادت عددها عن الثمانين الي اللاتينية وتعتبر اهم ما كتب في في الكيمياء في ذلك العصر تناولت كتاباته الفلزات واكاسيدها واملاحها والاحماض والتقطير والترشيح وكان اثرها ملموسا في الكيمياء الموسوعة العربية ١/٥٩٠

(٢) خشيش بن اصرم بن الاسود النسائي متوفي سنة (٢٥٣هـ) ابو عاصم محدث حافظ توفي بمصر في رمضان من اثاره الاستقامة في الرد علي اهل الاهواء والبدع (انظر الذهبي تذكرة

الحفاظ ١١٩/٢ تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/١٤٣

(٣) ابو هاشم عثمان بن شريك الكوفي وذكر الجامي انه اول من بني خانقاه للصوفية وهو شخصية غامضة مختلف في اصله حيث ذكر الخطيب البغدادي انه ابو هاشم الزاهد من قدماء زهاد بغداد وواقفه ابن الجوزي عند ذكر المصطفين من اهل بغداد قد ذكر ابو نعيم في الحلية

أما صيغة الجمع الصوفية التي ظهرت عام ١٩٩هـ ٨١٤م في خبر فتنة قامت بالكوفة فكانت تدل قرابة ذلك العهد فيما يراه المحاسبي علي مذهب من المذاهب التصوف نشأ في الكوفة ، وكان عبدك الصوفي^(١) آخر أئمتة ، وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين ، وكان لا يأكل اللحم ، وتوفي ببغداد حوالي عام ٢١٠هـ ٨٢٥م ، فكلمة صوفي كان أول امرها مقصورة علي الكوفة .

وقدر لهذا الاسم أن يكون له شان خطير فيما بعد فما نقضي خمسون عامًا حتي أصبح يطلق علي كافة الصوفية بالعراق في مقابل الملامتية ، وهم الصوفية بخراسان ، ثم أخذ هذا الاسم يطلق بعد ذلك بقرنين علي كافة أهل الباطن من المسلمين كما هو حالنا اليوم في إطلاق كلمة صوفي وصوفية.

في غضون ذلك أصبحت لبسة الصوف أي عباءة من الصوف وما برحت من اخص ازياء المسلمين من اهل السنة واستقبح هذا الزي حوالي عام ١٠٠هـ (٧١٩م) فقيل انه نصراني دخيل في الاسلام وقد عابوا علي فرقد السبخي^٢ تلميذ

ان ابا هاشم الزاهد كان الي الحق وافدا وعن الخلق حائدا وفيما سوي الحق زاهدا كان من اقران ابي عبد الله بن ابي جعفر البراثي واستدل الدكتور محمد جلال شرف ان ابا هاشم كان من بغداد بحديث حكيم بن جعفر عندهم قال (نظر ابو هاشم الي شريك يخرج من دار يحيى بن خالد البرمكي فقال له اعوذ بك من علم لا ينفع فالقاضي الذي يقصده ابو هاشم هو شريك ابن عبد الله القاضي الكوفي النخعي توفي عام ١٧٧هـ انظر كتب الصلة بين التشيع والصوفية لكامل مصطفى الشبيبي ص ٢٩٠ ط بغداد ١٩٦٣ ، حلية الاولياء لابي نعيم ١/٢٢٥ البداية والنهاية لابن كثير ١/١٧١ ، دراسات في التصوف الاسلامي محمد جلال شرف ص ٨١ ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤م

(١) محمد بن علي بن عبدك الجرجاني فقيه متكلم مفسر اديب ويعرف بالعبدكي وابن عبدك استوطن نيسابور مدة وتوفي بجرجان عام (٣٤٧هـ) من اثاره شرح الجامع الصغير للشيباني وشرح الجامع الكبير للشيباني الاقتداء بعلي، والرد علي الاسماعيلية (انظر الاعلام للزركلي ١٥٩/٧ كشف الظنون لحاجي خليفة ص، ٥٦٢ اعيان الشيعة للعالمي ٦٢/٤٦

(٢) الزاهد المشهور فرقد السبخي البصري حدث عن انس وجماعة وفيه ضعف قال الذهبي في المغني فرقد السبخي ابو يعقوب قال البخاري في حديثه مناكير وقال يحيى القطان ما تعجبني الرواية عنه عن سعيد بن جبير وثقه يحيى بن معين وقال احمد ليس بالقوي توفي سنة (٣١هـ) انظر: شذرات الذهب ١/١٨١

الحسن البصري هذه اللبسة وروي الحواري^(١) عن النبي احاديث لعلها من وضعه يستحب فيها لبس الصوف لرجال الدين^(٢) والتصوف حركة دينية انتشرت في العالم الاسلامي غقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للانغماس في الترف الحضاري مما حمل بعضهم علي الزهد الذي تطور بهم حتي صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم الصوفية اذ كانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول الي معرفة اله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد او الاستدلال لكنهم جنحوا في المسار بعد ذلك حتي تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة

(١) واسم ابيه عبد الله بن ميمون الامام الحافظ القدوة شيخ اهل الشام ابو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد احد الاعلام اصله من الكوفة ولد سنة (١٦٤هـ) سمع من سفيان بن عيينة وجماعة حدث عنه سلمة بن شبيب وجماعة كان من بحور العلم قيل شهد قوم انه يفضل الاولياء علي الانبياء فهرب من دمشق الي مكة حتي كتب اليه السلطان ان يرجع فرجع توفي سنة (٢٤٦هـ) الجرح والتعديل ٤٧/٢ طبقات الصوفية ص ٩٨ حلية الاولياء ٥/١٠

(٢) دارة المعارف الاسلامية ٥ / ٢٦٥ مادة التصوف دار الفكر

المبحث الثاني تأثير الفكر الصوفي بالنظريات الفلسفية
المطلب الاول: اشهر النظريات الفلسفية في الفكر الصوفي
المطلب الثاني: اشهر المتصوفة الفلاسفة في العصر العباسي

المطلب الاول

اشهر النظريات الفلسفية في الفكر الصوفي

وحدة الوجود

وحدة الوجود في اللغة :الوحدة : من الواحد .وحكي سيبويه : الوحدة في معني التوحد(وتوحد برأيه: أي تفرد به) .
وقال الجوهرى : الوحدة : الانفراد .
وقال ابن سيده(١) : وحدة الشيء : توحيده .
الوجود : من وجد مطلوبة والشيء يجده وجوداً (٢) .

تعريف وحدة الوجود اصطلاحاً

"وحدة الوجود : تعاليم فلسفة تذهب إلي أن الله مبدأ لا شخص ليس خارج الطبيعة ، ولكنه متوحد معها، وبينما كان مذهب وحدة الوجود غالباً ما يتضمن آراء مادية في جوهرها في الطبيعة فانه قد تحول إلي نظرية مثالية عن وجود العالم في الله واصبح محاولة للتوفيق بين العلم والدين" (٣).

وقال بعضهم : " الواحدية عند المحدثين مذهب فلسفي يرد جميع الأشياء إلي مبدأ واحد، سواء أكان ذلك من ناحية الجوهر، أم من ناحية القوانين المنطقية أو الطبيعية، أو الأدبية ومذهب الواحدية مقابل لمذهب الاثنية ومذهب التعدد (٤) .
من التعريف السابق يتضح أن هذا المذهب يرد الكون كله إلي مبدأ واحد ، ترد الوجود إلى المادة وحدها، والوحدة الروحية ترد الوجود إلى الوجود إلي المثل...

تطور وحدة الوجود :

- (١) هو علي بن احمد بن سيده النحوي الاندلسي كان حافظا لم يكن في زمانه اعلم منه بالنحو واللغة شرح كتاب الاخفش وغيره مات سنة ٤٥٨هـ عن نحو ستين سنة
(٢) أنظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٣ ، دار صادر بيروت ، ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م ، ص ٤٤٥ - ٤٥٠
(٣) الموسوعة الفلسفية ، مجموعة من العلماء السوفتي ، سمير كرم ، ط بيروت ١٩٨١ ، ص ٥٨٠ .
(٤) معجم الفلسفي ، د. جميل صليبية ط بيروت ج ، ص ٥٤٨ .

فكرة وحدة تعتبر تطوراً لفكرة الحلول و الاتحاد ، وجذور تلك الفكرة قديمة ، فقد ظهرت تلك الفكرة لدى الهنود و الفرس وغيرهم من المدارس الفلسفية اليونانية . ويرى بعض الباحثين أن فكرة وحدة الوجود تطور طبيعي لفكرتي الحلول و الاتحاد التي اتهم بعض الصوفية ، وذلك لأن الذات الإلهية إذا كانت تقبل الحلول في أجساد طائفة من الخلق أو الاتحاد معها ، فلا يوجد ما يمنع أن يصبح هذا الحلول أو الاتحاد عاماً يشمل جميع المخلوقات ، حبها وجمادها ، بحيث لا يكون في الكون شئ إلا الله (١) .

وحدة الشهود :

هي حال سماوي يرد على بعض الصوفية ، يفقد صاحبها التميز بين نفسه ، وبين ذات الله أو بين المخلوقات وبين الله ، فيرى أن هذه الحوادث هي الله ، وان الله هو عينها (٢) .

وهي كما يصفونها : حال أو تجربة يعاينها الصوفي ، ولا تخضع لوصف أو تفسير ، وهي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية ، ويصل الصوفي إليها بكثرة الذكر ، حتى يقع الشهود ، فإذا حصل الشهود استغني عن الذكر بمشاهدة المذكور ، ومعه الحال يسمونها ايضاً : بالفناء ، وعين التوحيد ، وحال الجمع (٣) .

الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود :

تبينت فكرة وحدة الوجود من خلال أقوال الفلاسفة كما تبين تأثرهم بالديانات و الفلسفات القديمة ، إلا أن هناك فارقاً وضعه الباحثون بين تلك الفكرة و فكرة وحدة الشهود .

فما المقصود بوحدة الشهود :

تقوم فكرة وحدة الشهود على اساس وجود نوع من الاتصال الذوقي الروحي المباشر بين الخالق و المخلوق ، أو بعبارة أدق بين العارف وربه ، ومنبع هذا الاتصال معرفة قلبية قوامها المحبة المتبادلة بينهما ، وهي حالة تستولي على الصوفي الواصل عند استغراقه في الذكر مع إخلاء القلب عن سوى الله . ، ويفنى الإحساس بما سوى الله

(١) نظرية الاتصال عند الصوفية ، سارة جلوي ، ص ٣٩

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ابوريدة ، محمد عبدالهادي ، ص ١٢٨

(٣) أنظر : د. ابوالعلاء عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الاسلام ، ص ١٨٥ - ١٨٦

عنده ،رغبة عن الخلق فيشاهد الكل قائماً بالحق ، ولا يشهد في هذا الكون سوى الله ، فيستغرق فيه، وينشغل به، بحيث يصبح لا يعرف إلا إياه ، ولا هم له إلا هو، فيفقد التمييز بين الخالق والمخلوقات ، وهذا ما عبر عنه الجنيد^(١) في جوابه لمن سأله عن المشاهدة حيث قال: (وجود الحق مع فقدانك

ومن هنا فوحدة الشهود اتصال ذوقي خاص ، يفيد الثنائية بين الخالق و المخلوق ، و هي لسيت من باب الطول و الاتحاد ووحدة الوجود ، وهي ما يطلق عليه المتصوفة عين التوحيد ومقام الجمع^(٢) .

فكرة وحدة الوجود بوحدة الحقيقة الوجودية بين جميع الكائنات ، وهي عبارة عن سريان الذات الإلهية في صور الموجودات ، وطابعها العموم ، لأنها تشمل الكون بكل ما فيه .

في حين أن فكرة وحدة الشهود عبارة عن حال أو تجربة تصل بالصوفي العارف إلي مقام الشهود في نهاية طريق المعرفة بشهود الله و التعرف إليه ، و الانقطاع عن سواه، وفقدان التمييز بين نفسه و بين ذات الله ، وقد تصل به إلى أن يرى وحدة الخالق و المخلوق ،. وطابعها شخصي ، لانه لا يصل إليها إلا الكمل الاطهار و هي خرج إطار العقل و التكليف لأن الصوفي عندما يصل إلى هذه الحال يكون في غبوبة من العقل لذهوله بشهود الحق .

وحدة الوجود ليست تعبيراً عن اتصال شخصي بالذات الإلهية أو فناء فيها ، بل هي فكرة يغلب عليها الطابع الفلسفي في التعبير عن وحدة الخالق و المخلوق من خلال نفي الاثنينية.

أما وحدة الشهود فهي اتصال روحي ، ومعرفة قلبية، قوامها المحبة بين العبد و الرب ، ومع تمايزها باثبات بين الخالق و المخلوق .

وحدة الوجود تقول : بأن الله اصل لكل شئ ، أما وحدة الشهود فتعني أن ترى الله في كل شئ مع مخالفته لكل شئ.

(١) تقدمت ترجمته

(٢) أنظر : نظرية الاتصال عند الصوفية ، سارة ال جلوي ، ص ٥٨ ، والمقبول عن : المواقف

للنفرى ، ص ٣٩ ، الرسالة القشيرية ، ص ٣٩

المطلب الثاني

اشهر المتصوفة الفلاسفة في العصر العباسي

الحلاج

هو أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج ، ولد عام ٢٤٤هـ في واسط في العراق ، تصوف وعمره ستة عشر عاماً ، ويلقب بالحلاج ، والزاهد والمغيث ، والشيخ ، وذات الذات .

سكن الحلاج بغداد وخالط المتصوفة ، وصحب أيا القاسم الجنيدي ، وتلمذ علي يد سهل التستري . خرج إلى مكة ، وأقام فيها عاماً كاملاً ، وهناك اختلف مع بعض شيوخها فاتهموه بمعارضة القرآن ، وأعلنوا رغبتهم في قتله .

صوفية الحلاج

صوفية الحلاج تكمن في خصوصية رؤية الوجود ، الذي اعتبر كل شئ فيه متصل بغيره ، كوحدة واحدة ، جامعة ، مهما تباينت الأشياء ، والأوصاف والمظاهر ، و ذلك ظاهر في تعريفه الخاص بالصوفي على أنه : (وحداني الذات ، لا يقبله أحد ، ولا يقبل أحداً) ، ولذا كانت صوفية الحلاج السلوكية والنظرية تبحر في الفناء المطلق ، من أجل سلطان الحق ، وتبعث في دوائر لا منتهية من العشق الإلهي ، والإرتقاء في الأزل ، وبروق في عوالم الغيب والأسرار ، مستفيضة بنور القلب ، ووجه الحق

في هذه الوحدة يكون الاستغراق الكلي الفناء في الحق ، وفيه يتجرد الإنسان عما سوى الله تعالى ، ويتوجه إليه بكليته ، وفي هذا القين يفنى الإنسان فيه ويبقى فيه لما يعطيه من الكشف ، والمشاهدة ففي هذا الوجود الذي هو الحق تتمحق عن الإنسان أوصافه البشرية ، إذ لا حقيقة إلا بالله تعالى

والوجد في القلب هو واسطة الكشف بين التوحيد كبداية والوجود كنهاية ، والوجد بروق المشاهدة التي تلمع في القلب دون تكلف .

انتشرت دعوة الحلاج هذه في التصوف بين أهالي بغداد و بلاد فارس أولاً ثم انتشرت في كثير من البلدان الإسلامية ، واجتمع حولها وحول حامل لوائها الحلاج

الكثير من عامة الناس ، فحفظوا ميراثه الفلسفي الروحي ، على عكس موقف رجال البلاط والفقهاء في عصره

وقد أثارت مقولته : أنا الحق الكثير من العداء إزائه ، ممن لا يعرفون استقراء رمزية المصطلح الصوفي ، فمنهم من اتهمه بالجنون ، و منهم من بالغ باتهام بالإلحاد ، ومنهم من اعتبر هذه المقولة أنا الحق ملخص وحدة الوجود .

وما زالت الآراء متضاربة حول الموقف من تجربة الحلاج الصوفية فقال عنه أحد المستشرقين : بأنه أعلى مثال للحقيقة ، حتى عند من جاء بعده .

لقد استحوذ العشق الإلهي على نظرية الحلاج ، وفكره وأقواله ، وسلوكه ، فتعامل بحقيقة واحدة ، هي مزيج من الوجد ، والحضرة ، والمكاشفة ، والشطح برؤية صوتية مطلقة ، غالبًا ما كانت تنتهي بأن يتنفس الحلاج دماً ، أو أن يدخل في غيبوبة ما أمام الحضور والشهود ، وإن هذا ما جلب له العداء حتى من قبل أقرب أصحابه من المتصوفة ، وهو في نظر الشبلي قد كشف سر التصوف ، وقال عنه الجنيد ذات مرة : (ستحدث في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك) .

لكن الحلاج في الواقع كان أكثر التصاقاً بالحقيقة، ومعبراً عنها بأقصى طاقته وكان لتصوفه وآرائه في الطب، والكيمياء، والسياسة، والمجتمع شأنًا مؤثرًا هام، وحضورًا متميزًا .

أثارت آرائه تلك خصومه من الفقهاء والمتصوفة ، وطغينة الكثير من رجال البلاط خصوصًا بدعوته التوحيدية ، التي فسرت من قبل السلطة على أنها تجاوز معلن، وصريح لنفوذها، وهيمنتها على الأرض ، واعتبره تهديدًا لعرشها ، لكن التخلق بالأخلاق الإلهية هي دعوة الله تعالى أصلا عباده بأن يتصفوا بصفاته على الأرض ، وهو القادر السميع البصير الرحيم الغفور .

اشكالية الشعر عند الحلاج

البحث في قصائد الحلاج عن صيغ تعبيرية مباشرة او عن دلالات سياسية وفنية متداولة في شعره كالبحت في رمال الصحراء عن معني الشمس او اثرها ولذا كان وما زال الموقف النقدي او الفقهي في تفسير اقواله وقصائده متاربة بين الحماس والتأييد المبالغ بها وبين العداء والبغض والتكفير به وبافكاره وفيما مسعانا نحو الحيادية والاتزان نشير الي صعوبة هذه المهمة في خضم خصوصية الدلالة التعبيرية

للمصطلح الصوفي التي تختلف بين حال ومقام وبين مقام واخر بين تجربة واخري علي ان تلك المصطلحات اتها قابلة للتغير وللتطور سبب ال المتصوف وعمقه الوجداني والمعرفي وتختلف دلالاته بين بيئة واخري وبين زمن عن اخر وكذلك الحال ينعكس علي قاريئ هذا الشعر من فقهاء ونقاد ومهتمين وكذلك وجنا ان هذه الاشكالية بارزة ايضا في القراءة التاريخية في اشعار الحلاج وخصوصا في تفسيرها لبعض مفرداته في القصائد مثل (الانية ، والفناء . الحق ، الوحدة، والوجود والخ) وما يقع في حساب ذلك من المسموح والمحظور والمتجاوز حتي ان الحلاج ذاته حين ساله احدجهم في جامع المنصور في بغداد عن كيف الطريق الي الله تعالي ؟ اجاب الطريق بين اثنين وليس مع الله احدا وحين الح عليه السائل بالشرح والتفسير اكثر اجابه من لم يقف علي اشاراتنا لم ترشده عباراتنا وهنا تكمن الاجابة الحقيقية لمن يبحث عن المباشرة لادارك عبارات الحلاج تحديدا وذلك لانها خطاب ابداعي معرفي جديد مملؤ بالرموز والمعارف والدلالات غير المباشرة التي تشكل في المحصلة ومضات نور خاطفة او بروق لامعة سريعة عصية علي الامساك انما دعوة الي الاتصال والتعمق المعرفي اكثر فاكثر من اجل الكشف ومشاهدة الحق ولذا تظل هذه العبارات في السياق اللغوي العام اشارات بحاجة فقط الي التوقف عندها طويلا وتاملها بروح مشرقة وافق واسع والا ستفقد دورها الترشيدي وستتهم بالتخمين والترميز

مختارات من شعر الحلاج

سبحان من اظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الاكل الشارب
حتي لقد عاينه خلقه كاللحظة الحاجب بالحاجب

انت ام انا هذا في الهين
هوية لك في لائيتي ابا
فاين ذاتك عني حين كنت اري
واين وجهك مقصود بنظرتي
بيننا وبينك اني يزاحمني
حشاك حشاك من اثبات اثنين
كل علي الكل تلبيس بوجهين
فقد تبين ذاتي حيث لا ايتي
في باطن القلب ام في باطن العين
فارفع بحقك اني من البين

رايت ربي بعين قلبي فقلت من انت قال انت
فليس للاين منك اين وليس اين بحيث انت
انت الي حزت كل اين بنحو لا اين فاين انت
وليس للوهم منك وهم فيعلم الوهم اين انت
وجزت حد الدنو حتي لم يعلم لاين اين انت
ففي بقائي ولا بقائي وفي فنائي وجدت انت
في محو اسمي ورسم جسمي سالت عني فقلت انت
اشار سري اليك حتي فنيت عني ودمت انت
وغاب عني حفيظ قلبي عرفت سري فاين انت
انت حياتي وسر قلبي فحيثما كنت كنت انت

محي الدين ابن عربي

وابن عربي هو محمد بن علي محمد بن احمد بن عبد الله الحاتمي ، من ولد عبد الله بن حاتم اخي عدي بن حاتم يكني ابا بكر ويلقب بمحي الدين ويعرف بالحاتمي وبابن عربي بدون الف ولام كما اصطلح عليه أهل المشرق فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي^(١).

ولد في مرسية من بلاد الاندلس في اواخر رمضان سنة ٥٦٠ ثم انتقل من مرسية الي اشبيلية سنة ٥٦٨ فأثام بها الي سنة ٥٩٨ ثم انتقل الي المشرق حاجاً ولم يعد بعدها الي الاندلس . وقد دخل مصر واقام بالحجاز مدة ، ودخل بغداد و الموصل وبلاد الروم وتوفي بمدشق ليلة الثامن و العشرين من ربيع الاخر سنة ٦٣٨ ويظهر من اخباره الموثقة في تضاعف مؤلفاته بما مر به من البلاد اتصالاً قوياً فكانت حياته سلسلة من التعرف الي الرجال و الاراء ، ومن النقد و المصاولة في الميادين الفقهية و الصوفية ، وكان لذلك ابلغ الاثر فيتكوين ذلك العقل الصوال وقد كانت الرحلات من التقاليد المصطفاة عند علماء الاسلام ، وكان لها فضل عظيم في صقل العقول ، وكان ابن عربي من اظهر من استفادوا من نظام الرحلات ففي كتبه

(١) نفح الطيب ج ١ ص ٥٦٩

اشارات كثيرة الي من عرف من الرجال ، وفي ابحاثه صدي للمشكلات التي عرضت له وهو يحاور علماء المشرق وعلماء المغرب ، وكذلك كان اسمه ملء الافواه في اواخر القرن السادس و صدر القرن السابع ، وكانت افكاره و آراؤه شغل الناس في تلك الحقبة من الزمان ، وليس ذلك بالاثر القليل .

وينبغي أن تنص علي أن كتب ابن عربي اضيفت اليها زيادات جائزة بدلت اغراضه بعض التبديل ، بدل علي ذلك ما حدث به الشعراني^١ في مختصر الفتوحات اذ قال :

(وقد توقفت حال الاختصار في مواضع كثيرة منه لم يظهر لي موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة فحذفتها من هذا المختصر ، وربما سهوت فتعبت ما في الكتاب كما وقع للبيضاوي^٢ مع الزمخشري ، ثم لم ازل كذلك أظن أن المواضع التي حذفت ثابتة عن الشيخ محي الدين حتى قدم علينا الاخ العالم الشريف شمس الدين محمد بن السيد أبي الطيب المدني^٣ المتوفي سنة ٩٥٥ فذاكرته في ذلك فأخرج الي نسخة من الفتوحات التي قابلها علي النسخة التي عليها خط الشيخ محي الدين نفسه بقونية فلم ار فيها شيئاً مما توقف فيه وحذفته فعلمت أن النسخ التي في مصر الان كلها كتبت

(١) عبد الوهاب الشعراني (١٤٩١-١٥٦٥) صوفي مشهور ولد في القاهرة وعاش فيها منذ شبابه كان ناسجا ويكسب معاشه من هذه الصنعة وكان ينتمي الي الطرق الصوفية التي اسسها علي الشاذلي ومعظم نشاطه قد انصرف الي التصوف علي انه تناول فروعاً اخري من المعرفة كعلوم القرآن والفقه والعقائد والنحو والطب وكانت له مكانة عقلية مرموقة له اثر بالغ في العالم الاسلامي اهم كتبه البحر المورود والجوهر المصون والسر المرقوم ولطائف المنن واشهر كتبه طبقات الصوفية انظر الموسوعة العربية ١٠٨٧/٢

(٢) سير اعلام النبلاء - شمس الدين الذهبي - تحقيق شعيب الارناؤوطي - مؤسسة الرسالة

بيروت بدون تاريخ ١٨٢/٢٠

(٣) الطبقات الكبرى - الشعراني

من النسخة التي دسوا علي الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة و الجماعة منا
وقع له ذلك في كتاب الفصوص وغيره) (١)

ونحن نلمح في كلام الشعراني شيئاً من التكلف فانه يبعد جداً أن يكون ابن عربي
وقف في تفكيره عند الحدود التي وقف عندها أهل السنة و الجماعة ، وان كنا لا
نستبعد أن تكون كتبه ابتليت بمن اضاف اليها بعض الزيادات ولكن من هم الذين
زادوا كتب ابن عربي فحملوه مال لم يحمل ؟

أن كانت الزيادات وقعت بالفعل فهي لم تقع من أهل السنة ، وانما وقعت من
الصوفية من طائفة منهم عجزوا عن الجهر بأرائهم فاضلوا اعباءها الي رجل يحمل
الجبال.

وتكون النتيجة أن تكون كتب ابن عربي مراجع صوفية وان اختلفت شخصيات
الكاتبين.

علي أنه لا مندوحة من النص علي أن ابن عربي كان يتحفظ فيما يكتب وكان يطلب
السلامة قبل كل شئ فان وجد في كتبه شئ يتجاوز مألوف الحدود فهو مدوسوس ،
ومن شواهد هذا التحفظ ما جاء في الفتوحات حيث يقول (٢) (أن اصحابنا اليوم
يجدون غاية الالمحيث يقدرون أن يرسلوا ما ينبغي أن يرسل عليه سبحانه كما
ارسلت الانبياء عليهم السلام) (٣) ، وانما منعهم أن يطلقوا عليه ما اطلقت الكتب
اتلمنزلة و المرسل عدم الانصاف من السامعين من الفقهاء واولي الامر لما يسارعون
إليه في تفكير من ياتي بمثل ما جاءت به الانبياء عليهم السلام في جنب الله
ويتركون معني قوله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) كما قال له ربه
عز وجل عند ذكر الانبياء و الرسل صلوات الله وسلامه عليهم (اولئك الذين هدي
الله فبهداهم اقتده) فاغلق الفقهاء هذا الباب من اجل المدعين الكاذبين في دعواهم ،
ونعم ما فعلوا وما علي الصادقين في هذا من ضرر ، لأن العبارة و الكلام عن مثل

(١) وقد عرض الشعراني هذه المسألة في مقدمة كتاب البواقيت و الجواهر :وهو مقتع كل الاقتناع
بان خصوم ابن عربي اضافوا الي مؤلفاته زيادات كثيرة وانطقوه بما لم يقل ليصرفوا الجمهور عن
حسن الظن.

(٢) الفتوحات المكية - محي الدين ابن عربي - ج ١ ص ٣٥٥

(٣) ارسل في هذه العبارات معناها اطلق فالارسال هنا الوصف.

هذا ما هو ضربة لازب وفيما ورد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في هذا كفاية لهم فيردونها ويستريحون اليها من تعجب وفرح وضحك وتبشش ونزول ومعية ومحبة وشوق وما اشبه ذلك مما لو انفرد بالعبارة عنه و الولي كفر وربما قتل واكثر علماء الرسوم عدموا علم ذلك ذوقاً وشرباً فانكروا مثل هذا من العارفين حسداً من عندهم انفسهم وهذا الكلام قاله ابن عربي بعد أن شرح اطوار التجليات و انتهى الي الموازنة بين من يقول :

وفي كل شئ آية تدل علي انه واحد

وقوله :

وفي كل شئ له آية تدل علي أنه عينه

(فما في الوجود إلا الله ولا يعرف الله إلا الله ، ومن هذه الحقيقة قال من قال : انا الله)

يعد هذا الرجل من طبقة الكتاب العظام ويمتاز نثره بميزة عجيبة : هي انه لا يشغلك بالافاظ وانما يشغلك بالمعاني ففي ، كل صفحة من كتبه معركة عقلية : فالقوة البيانية عنده قوة فكر لا قوة تهويل ونثره يتقسم الي قسمين : النثر العلمي و النثر الفني ، وهو في نثره الفني رجل مرن وانطبع علي الكلام المطمع الممتع ، وما ترك من ألوف الصفحات يشهد أنه كان من املك الناس لاصية البيان ، ولا يؤخذ عليه غير التفريط في ربط الجمل بعضها ببعض ، وربما كان من اسباب ذلك انه يحاول ستر اغراضه الحقيقية في كثير من الاحيان فالكلام ينسق له ما دام في حدود المالوف من آراء الناس عيشا تفلسف تلوي و اعتسف لانه يحاول حاقتحام الوعر من مسالك العقول ، وهو لا يصطنع النثر الفني إلا في المواطن التي يقف فيها موقف الواعظ او الخطيب ففي مقدمات كتبه وفي خطبه التي يحدث انه القاها في حضرة الله او حضرة الرسول نراه يوشي كلامه باكثر فنون البديع من سجع وتورية وجناس وطباق ونثره في شرح ترجمان الاشواق هو من النثر الفني واليكم هذا الشاهد الذي يمثل ما يتفق لهذا الرجل احياناً من خفة الروح :

(كنت اطوف ذات ليلة البيت فطاب وقتي ، وهزني حال كنت اعرفه فخرجت من البلاط من اجل الناس وطففت علي الرمل فحضرتني ابيات فانشدتها اسمع بها نفسي ومن يليني ، لو هناك احدي فقلت :

ليت شعري هل دروا	أي قلب ملكوا
وفؤادي لو دري	أي شعب سلكوا
اتراهم سلكوا	ام تراهم هلكوا
حار ارباب الهوي	في الهوي و ارتكبوا (١)

فلم اشعر إلا بضربة بين كتفي ألين من الخز ، فالتفت فإذا يجارية من بنات الروم ، لم ار أحسن وجهاً ولا اعذب منطقاً، ولا ارق حاشية، ولا أطف معني ولا ادق اشارة ولا اظرف محاروة منها ، قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وادباً وجمالاً ، ومعرفة فقالت : يا سيدي كيف؟ . فقلت :

ليت شعري لو دري	أي قلب ملكوا
-----------------	--------------

فقالت عجباً منك ، وانت عارف زمانك تقول مثل هذا !! اليس كل مملوك معروف ؟ هل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمني الشعور يؤذن بعدمها ، و الطريق لسان صدق ، فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا . قل يا سيدي فماذا قلت بعده . فقلت :

وفؤادي لو دري أي شعب سلكوا

فقالت يا سيدي الشعب الذي بين الشغاف و الفؤاد هو المانع له من المعرفة (٢) فكيف يتمني مثلك ما لايمكن الوصول إليه إلا بعد المعرفة و الطريق لسان صدق ، فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا . يا سيدي لماذا قلت بعده . فقلت :

(١) هذه القطعة النفسية خمسها النابلسي (انظر ديوان الحقائق) ج ٢ ص ٣

(٢) الشغاف بالفتح هو جلدة يغلف بها القلب قال الشاعر

علم الله ان حبك مني في سواد الفؤاد وسط الشغاف

حار أرباب الهوي في الهوي وارتبوا

فصاحت وقالت : يا عجباً كيف يبقي للمشغوف فضلة يحاربها ، و الهوي شأنه التعميم بخذر الحواس ، ويذهب العقول ، ويدهش الخواطر ، ويذهب بصاحبه في الداهيين فاين الحبرة وما هنا باق فيحار و الطريق لسان صدق و التجوز من مثلك غير لائق فقلت : يا بنت الخالة ما أسمك ؟ فقالت قرّة العين، ثم سلمت وانصرفت ثم إني عرفتها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندا من لطائف المعارف ما لا يصفه واصف (١).

ذلك طراز من نثره الفني ، وهو نثر مقبول لا تكلف فيه و لا افتعال .

أما شعره ، فهو فن قائم بذاته ، هو الشعر الصوفي ، وقد ترك من الشعر تركة ثقيلة ، فله ديوان ضخم وكتاب الفتوحات ذاته يقوم في الأغلب علي شرح مقطوعات شعرية

و الاثر الشعري الحق لابن عربي هو قصائد ترجمان الاشواق : ففي هذه القصائد نفحات شعرية ، هو بهذا الديوان يستطيع أن يزاحم الاقطاب من شعراء الصوفية . واكبر الظن أن نجاحه في هذا الديوان يرجع الفضل فيه الي تلك الانسانة التي انكت نار جواه فهي وقدرات حسية مشبوبة وجهها عند الشرح الي معان علوية ليسير في ركاب اصحاب الانواق وانظروا كيف يقول :

مرضي من مريضة الأجنان	علاني بذكرها علاني
طلعت في العيان شمساً فلما	اقلت أشرقت بأفق جناني
يا طلا برامة دراسات	كم رات من كواعب وحسان
بابي ثم بي غزال ريب	يرتعي بين أضلعي في أمان
يا خليلي عرجاً بعناني	لاري رسم دراهما بعيناني
فإذا ما بلغت الدار حطاً	وبها صاحبي فلتبكيان
وفقا بي علي الطلول قليلاً	نتباكي بالدمع مما دهاني

(١) شرح ترجمان الاشواق ص ٦

الهوي راشق بغير سهام
عرفاني إذا بكيت لديها
واذكروا لي حديث هند ولبني
ثم زيदा من حاجر وزودا
و اندباني بشعر قيس وليلي
طال شوقي لطفلة ذات نثر
من بنات الملوك من دار فارس
هي بنت العراق بنت امامي
هل رايتم ياسادتي او سمعتم
لو ترانا برامة نتعاطي
و الهوى بيننا يسوق حديثاً
لرايتم ما يهذب العقل فيه
كذلك الشاعر الذي قال قبلي
ايها المنكح الثريا سهيلاً
هي شامية إذا ما استهلت

الهوي قاتلي بغير سنان
تسعداني علي البكا تسعداني
وسلمي وزينب وعنان
خبراً عن مواقع الغزلان
وبمي و المبتلي غيلان
ونظام ومنبر وبيان
من أجل البلاد من اصبهان
وانا ضدها سليل يماني
أن ضدين قط يجتمعان
اكؤسا للهوى بغير بنان
طيباً مطرباً بغير لسان
يمن و العراق معتقن
وبالحجار عقله قد رماني
عمر ك الله كيف يلتقيان
وسهيل إذا استهل يماني

فهذه قصيدة جيدة و الغرام فيها حسي ، لان الكلام موجه إلى تلك الفتاة الاصبهانية التي عرفها بمكة ، ولكنه بمكة في الشرح يحول صبابته الي معان روحية ولننظر كيف شرح المطلع :

مرضي من مريضة الاجفان عللاني بذكرها عللاني

فقال : المرض الميل يقول : لما مالت عيون الحضرة المطلوبة للعارفين من جانب الحق سبحانه بالرحمة والتلطف اليها امالت قلبي بالتعشق اليها فانها لما تنزهت جمالاً وعلت قدراً وسمت جبروتاً وكبراً لم يكن أن تعرف فتحب فتتزلت بالالطاف الخفية الي قلوب العارفين ... الخ :

طال شوقي لطفلة ذات نثر ونظام ومنبر وبيان

فقال :

وصف هذه المعرفة الذاتية بانها ذات نثر ونظام ، وهما عبارتان عن المقيد و المطلق ، فمن حيث الذات وجود مطلق ، ومن حيث المالك مقيد بالملك فافهم ما اشترنا إليه في هذا فانه عزيز ما رأينا احداً نبه عليه قلبنا في كتاب من كتب المعرفة بالله تعالى وقوله (منبر) يعني درجات الاسماء الحسني ، والرقي فيها التخلق بها ، فهي منبر الكون ، و البيان عبارة عن مقام الرسالة هذه المعارف كلها خلف حجاب النظم شيخنا العذراء البتول شيخة الحرمين وهي من العالمات المذكورات وقوله (من بنات الملوك) فالزهاد ملوك الارض فستر ما يريده من المعارف بذكر دارها واصلها يشير من بنات الملوك يعني أن هذه المعرفة لها وجه بالتقييد وقوله (من دار فرس) يقول : وان كانت عربية من حيث البيان فهي فارسية عجماء من حيث الاصل لانه لا يمكن في الاصل بيان عزته وتعلق الحكم به الخ.

واشعار ابن عربي كلها رمزيات كما يريد أن تكون وهي لا تخلو من طلاوة وقد يقع فيها أحيانا شئ من طريف الحيال كأن يقول :

ذبت اشتياقا ووجداً في محبتكم	فآه من طول شوقي آه من كمدي
يدي وضعت علي قلبي مخافة أ	ينشق صدري لما خافني جلدي
مازال يرفعها طوراً ويخفضها	حتى وضعت يدي الاخري تشد يدي

ولا بد من الإشارة الي أن ابن عربي زاد لغة الصوفية ثروة ، فقد تفرد بتعابير واصطلاحات اوجبت أن يفرد لها بحث خاص ولهذا قيمة من الوجه الادبية فالرجل كان يعيش في جو خلقه بنفسه ، وكانت له اقتحامات عقلية ولغوية تضيفه الي المبتكرين وفي عالم الفكر و البيان.

يضاف الي هذا ما صنعه في اذاعة الثقافة الصوفية فقد هضم كل ما قرأ ووعي كل ما سمع وراح يهدر كالفحل في لغة قوية عاتية لات يعيها غير ما كان يقصد إليه احياناً الي الغموض.

ولقوة الشخصية اثر في الحيوية الادبية ، والادباء لا يخدمون لغتهم بالبيان وحده وانما يخدمونها بالبيان المفتحم الذي يوقظ المشاعر و العقول.

ويمكن ايضا أن القول أن كتاب الاحياء يصلح لكل قارئ اما كتاب الفتوحات فيتسامي علي اوساط القراء ، فهو لون من الاريستوقراطية العقلية ، لانه يعز علي من يرومه من سواد الناس ، ويطول علي من تؤهله ثقافته الي المشاركة في مصاولة العقول.

الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله فكل شئ هو الله.
ونظرية وحدة الوجود شغلت جمهوراً كبيراً من علماء الاسلام ، واصطنعها كثير من اقطاب الصوفية منهم ابن الفارض الذي يقول :

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتي بذاتي اذ تجلت تحلت
وما زلت ايها واياي لم تنزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي احبت (١)

وما حكم به العامل علي الصور المقبولة و المرذولة بحكم به علي سائر الاحكام الكونية كألام و التلذظن ، و السعادة ، و الشقاوة ، و الحسن و القبح ، فكل لا يلزم منها نقص و لا شين للحقيقة الكلية ، إذا ليس الشين و النقص لشئ إلا كون ذلك الشئ في معرض الامكان و الحدوث.

و الوجود الحق الواجب في ذاته الكامل بصفاته السابق موجوديته علي جميع حالاته ممتنع أن يحوم النقص حول عظمة ذاته فكل ما ظهر في الكون من الكمال فهو من لوازم ذي الجلال و الجمال ، وما طراً من النقص و الزوال فهو من الحكام التعين و التنزل و الانزال (٢) .

(١)مجموعة الرسائل ٣٠٨

(٢)مجموعة الرسائل ص ٣٠٩

وخلاصة المذهب أن لا وجود إلا الموجود الواحد ، ومع ذلك يتعدد بتعدد التعينات تعدداً حقيقياً واقعاً في نفس الامر : ولكن ذلك التعدد لا يوجب تعدداً في حقيقة الانسان^(١) .

وقد كان في هذا المذهب طويلاً وهو عندي من الوجهة النظرية مقبول علي شرط أن نتجاهل جميع المصطلحات ، فنحن الي اليوم لا نعرف الله كما ينبغي أن يعرف ومن المحتمل أن نكون اضفنا إليه صفات لا نعرف حظها من الصدق ، فنحن ننزّهه عن كل ما يلابس الناس ، ونقضي بان ليس كمثله شئ كما قضي القرآن ، وهنا يبدأ الخطر ، لأننا أن كذبنا القرآن فماذا نملاك . ما الدليل علي أن القرآن أسرف ، القرآن يقضي بان ليس كمثله شئ فاين اليقين عندنا علي أنه يشبه شيئاً او يشبهه شئ^(٢) .

يجب أن نعترف بان اصول الاخلاق عند ابن عربي تقوم علي قواعد اللشريعة وهو يفي هذه المسألة لا يوارب ولا يحتال وكل ما في الامر أنه يقسم الناس الي قيمسن : قسم العوام وقسم الخواص ، فالعوالم لهم ظاهر الشرع و الخواص ينقسمون الي طبقات ولهم أن يسفهموا الحقيقة بحسب ما يملكون من قوة الاستعداد وقد اتفق له أن يصرح بان العالم لا يقدرن وان يخرجوا عن الحق فهو وجودهم ومنه استفادوا الوجود وليسخلاف الحق خارجاً عنه يعطيهم منه بل هو الوجود وبه ظهرت الاعيان ويقول القائل بحضرة رسول الله صلي الله عليه وسلم :

و الله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صالينا

والنبي يعجبه ذلك ويصدقه في قوله، فنحن به واليه . و إذا نظرنا الي ذواتنا فقد خرجنا عنه وهو يطلبنا بالنظر اليه فانه الموجود لنا بوجوده^(٣) من ومعني

(١) المرجع السابق ص ٣١٠

(٢) ذكر ابن حزم ان طائفة من الصوفية قالوا : من بلغ الغاية القصوي من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة و الصيام و الزكاة وحلت له المحرمات كلها من الزنا و الخمر و غير ذلك (النمل و النحل) ج ٤ ص ٢٢٦

(٣) الفتوحات ج ١ ص ٥١٩

أنا موجود بوجود الله ونشتاق إليه لأنه اصل الوجود واتفق له أن يحكم بأن الظاهرين بانر الله لا يرون سوي الله الاكوان وان كوان عندهم مظاهر الحق (١). وهذا صرح بأنه وليس من المحتم أن يكون نصاً في القول بوحدة الوجود وقد صرح بأنه إذا تحلك المعرفة بالله اجزاء العارف من حيث ما هو مركب فلايبقي فيه جوهر فرد إلا حلت فيه معرفة ربه فهو عارف به بكل جزء منه ولولا ذلك ما انتظمت اجزؤه . ولا ظهر تركيبه ولا نظرت روحانيته طبيعته فبه تعالي انتظمت الامور معني وحجا وخيالاً وكذلك اشكال الانسان لا تنتهي ولا ينتظم منها شكل إلا الله (٢). ولهذا ايضا تأويل

وعند مراجعة الفتوحات نجد اشارات كثيرة الي مقامات الاولياء ونري ابن عربي يتحفظ ويحترس ، فلا ينص صراحة علي وحدة الوجود وان كان دفاعه عن الحلاج يؤذن بارتياحه الي هذه النظرية ويشعر بأنه يتحامي التصريح خوفاً من التعرض لحمالات من يقفون عند الظواهر من الفقهاء :

ومن ذلك ما وقع له عند شرح هذين البيتين :

يا رب جوهر علم لو ابوح به ل قيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا

فقد نقل أن الرسول قال (أن الله خلق آدم علي صورته) باعادة الضمير علي الله في نقل احتمالاته ، ثم بين أن الناس يسمعون هذا من النبي فيصدقون به قال الولي شيئاً مثله انكروا عليه وابعوا دمه مع انه يمكن للولي أن يطلع على غوامص العلوم الالهية كما يطلع الرسول (٣).

وابن عربي شديد الولع بالمقارنات بين الرسل و الاولياء ، وعنده أن الرسل لا يتفردون إلا بمزية واحدة هي التشريع ، اما الاطلاع علي اسرار الوجود فهو من الحظوظ التي تتاح للأولياء.

(١)المرجع السابق ج ٢ ص ١٥

(٢)المرجع السابق ج ٣ ص ٤٧٨

(٣)انظر تفصيل كلامه في ص ٢٦٠ - ٢٦١ في الجزء الأول من الفتوحات.

وما احسب الفرصة سنحت ابدا لابن عربي الفرصة التي تمكنه من أن يقول
انا الله كما قال أبو يزيد وكما قال الحلاح ، وهو حين يروي هذه الكلمة يلتبس لها
مخارج من مقبول التأويل .

وتحفظ ابن عربي مكن من جاء بعده من الدفاع عنه ، فقد قال السراج
البلقيني (كذب و الله وافترى من نسبه الي القول بالحلول و الاتحاد^(١)) وصنف
السيوطي كتاباً سماه "تنبيه الغي في تبرئة العربي وقال الشعراني" :

مما انكره المتعصبون علي الشيخ بحسب الاشاعة قولهم أن الشيخ محي الدين
يقول بفساد قول (لا اله إلا الله) وذلك كفر و الجواب بتقدير صحة ذلك عنه أن
المراد أن الحق تعالي نابت في ألوهيته قبل اثبات المثبت ، ومن كان ثابتاً لا يحتاج
الي اثباتك اذ ما ثم من ثبت الوهية من الخلق حتى ينفي وانما تعبد المؤمن بذلك
علي سبيل التلاوة لؤجره الله علي ذلك ... ومن ذلك دعاوي المنكر أن الشيخ يقول
في كتبه مراراً (لا موجود إلا الله) فالجواب أن معني ذلك بتقدير صحته عنه انه لا
موجود قائم بنفسه إلا هو تعالي وما سواه قائم بغيره كما اشار إليه الحديث (ألا كل
شئ ما خلا الله باطل) ومن كان حقيقته كذلك فهو الي العدم اقرب اذ هو وجود
مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لاتخلص لاحد الطرفين^٢ فان
صح ان الشيخ قال : (لا موجود إلا الله) قائما قال ذلك عندما تلاشت عنده
الطمائنات حين شهود الحق تعالي بقلبه كما قال أبو الجنيد مكن شهد الحق لم ير
الخلق ومن ذلك دعوي المنكر أن الشيخ رحمه الله جعل الحق و الحق واحداً فقي
قوله في بعض نظمه :

فيحمدني و احمده و يعبدني واعبده

بتقدير صحة ذلك عنه و الجواب معني يحمدني انه يشكرني إذا اطعته ، كما
في قوله تعالي (اذكروني اذكركم) واما في قوله (ويعبدني واعبده) أي يطيعني باجالته
دعائي كما قال تعالي (لا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوه وال فليس احد يعبد
الشيطان كما يعبد الله وقد ذكر الشيخ في الباب السابع و الخمسين وخمسائة من

(١)اليواقيت و الجواهر ص ١٠

(٢)هذا الحكم منصب علي ما يقوم بغيره.

الفتوحات الملكية بعد كلام ما نصه وهذا يدلّك صريحاً علي أن العالم ما هو عين الحق تعالي اذ لو كان عين الحق تعالي بديعاً (١) ولولا تحفظ ابن عربي لما استطاع ان ينجوا في حياته من القتل ولما استطاع مريدوه من بعده ان ينفوا عنه القول بوحدة الوجود او الحلول وسنري عبد الغني (٢) النابلسي بقبح من بقول بالحلول او وحدة الوجود والنابلسي كان من المفتونين بابن عربي ومن اهتموا بأشعارها فرووها وتعقبوها بالتشطير و التخميس .

و الشعراني مطمئن كل الطمانينية الي أن خصوم ابن عربي زوروا عليه مسائل كثيرة وحدثنا أن شخصاً من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط كتب مسائل وارسلها الي العلماء ببلاد الاسلام وقال : هذه عقائد الشيخ محي الدين بن العربي وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلماء علي ذلك بحسب السؤال وشنعوا علي من يعتقد ذلك من غير ثبت ، والشيخ عن كل ذلك بمعزل (٣).
ومن قبل الشعراني تعصب الفيروزابادي (٤) صاحب القاموس لابن عربي ودافع عنه اخر دفاع.

(١) المرجع السابق ص ١٣

(٢) عبد الغني النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ) عبد الغني بن اسماعيل بن اسماعيل بن ابراهيم الدمشقي الصالحي الحنفي النقشبندي القادري المعروف بالنابلسي عالم اديب ناثر ناظم صوفي مشارك في انواع من العلوم ولد بدمشق في ٥ ذي الحجة ورحل الي بغداد وعاد الي سورية فتنقل في فلسطين ولبنان وسافر الي مصر والحجاز واستقر بدمشق الي ان توفي في ٢٤ شعبان من تصانيفه الكثيرة الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز الدواوين الثلاث ديوان الالهيات ديوان الغزليات وديوان المدايح والمراسلات جواهر النصوص في حل ظلمات الفصوص لابن عربي مجموعة فتاوي في القفه الحنفي وتعطير الانام في عبير المنام) (الجبرتي تاريخ عجائب الاثار ١٥٤/١ الزركلي الاعلام ١٥٨/٤ النبهاني جامع كرامات الاولياء ٥٨/٢

(٣) اليواقيت و الجواهر ص ١٣

(١) محمد الفيروزابادي (٧٢٩-٨١٧هـ) محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابي بكر بن احمد بن محمود بن ادريس بن فضل الله الفيروزابادي الشيرازي الشافعي مشارك في عدة من العلوم ولد بكارزون اخذ الادب واللغ عن والده والفدي وابنهشام والجمال الاسنوي وجال

وفي كتاب البواقيت اسماء لطائفة من أعلام الفقهاء نفوا عن ابن عربي كل ريبة واثنتوا عليه اطيب الثناء (١).

وهذا كله يشهد بأن ابن عربي لم يكن خصومة من مطاردته وهو حي ، وان كان من الممكن جداً أن يكون ستر آراءه حين اصطنع بعض الرموز و الاشارات علي نحو ما فعل اقطاب الصوفية الذين لبروا فائدة في التعرض للقتل.

و الاساءة الي ابن عربي دينه وعقيدته ساقت اليها وثيقة ادبية قليلة الامثال وثيقة يحب تدوينها في هذا الكتاب لتكون شاهداً علي أثر التصوف في الأدب ولتكون عبرة يسوؤه أن يناله الاذي من الناس بسبب الحرية في الفكر و القول .

وهل من القليل في متعة العقل و الذوق أن نتذكر أن أبا الدرداء (٢) قال: ازهد الناس في العالم أهله وجيرانه إن كان في حسبه شئ عيروه وإن كان عمل في عمره عيروه.

قال كعب الاحبار (٣): ما كان رجل حكيم في قومه قط إلا بغوا عليه وحسدوه

في البلاد الشرقية وقدم الي القاهرة واخذ عن علمائها تولي قضاء المين في زمن الملك الاشرف والناصر توفي زيد ليلة العشرين من شوال من تصانيفه القاموس المحيط والقابوس الوسيط بصائر ذوي التمييز وفتح الباري بالسيل الفسيح الجاري والبلغة في ترجمة النحاة واللغة. اظ شذرات الذهب لابن العماد ١٢٧/٧ البدر الطالع للشوكاني ٢٨/٢ بغية الوعاة السيوطي ١١٧ الضوء اللامع للسخاوي ٧٩/١٠

(٢) انظر نفع الطيب ج ١ ص ٥٦٩ - وانظر ايضا مقدمة اليواقيت. ص ٥

(٣) الامام القدوة قاضي دمشق صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم ابو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الانصاري الخزرجي حكيم هذه الامة وسيد القراء وهو معدود فيمن جمع القران في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم تصدر للاقراء بدمشق في خلافة عثمان وقبل ذلك يروي له مئة وتسعة وسبعون حديثا مات قبل عثمان بثلاث سنين طبقات بن سعد ٣٩١/٧ طبقات خليفة ٩٥ اسد الغابة ٩٧/٦ الاصابة في تمييز الصحابة ١٨٢/٧ كنز العمال ٥٥٠/١٣

(١) كعب بن ماته الحميري اليماني العلامة الحبر الذي كان يهوديا فاسلم بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وقدم المدين من اليمن في ايام عمر رضي الله عن فجالس اصحاب النبي صلي

وان الجلال السيوطي قال : ما كان كبير في عصر قط إلا كان له عدو من السفلة اذ الاشراف لم تزل تبثلي بالاطراف فكان لادم ابليس وكان لنوح حام وغيره ، وكان لداود جالوت واضرابه ، وكان لسليمان صخر ، وكان لعيسي بختصر ، وكان لابراهيم النمروذ وكان بموسي فرعون وهكذا الي محمد صلي الله عليه وسلم فكان له أبو جهل. وكان لابن عمر يعبث به كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير الي الرياء و النفاق في صلاته فصبوا علي رأسه ماء حميما فزلع وجهه ورأسه وهوو لايشعر فلما سلم من صلاته قال : ما شأني فذكروا له القصة فقال حسبنا الله ونعم الوكيل ! ومكث زماناً من راسه ووجهه وكان لابن عباس نافع الازرق ، وكان يؤذيه اذذ الاذي ويقول انه يفسر القرآن بغير علم.

وكان لسعد بن أبي وقاص وجهلة من رجال الكوفة يؤذونه مع انه مشهود له بالجنة وشكوه الي عمر بن الخطاب وقالوا أنه لا يحسن أن يصلي .
ولا يخفي ما قاساه الامام اوحنيفة مع الخلفاء وما قاساه الامام مالك واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك مكا قاساه الامام الشافعي من أهل العراق واهل مصر .

وكذلك لا يخفي ما قاساه الامام احمد بن حنبل من الضرب و الحبس ، ما قاساه البخاري حين اخرجوه من بخاري الي خرتك ، وقد نفي أبو يزيد البسطامي (١) سبع

الله علسه وسلم فكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية ويحفظ عجائب وياخذالسنن عن الصحابة وكان حسن الاسلام متين الديانة مكن نبلاء العلماء حدث عنه ابو هريرة ومعاوية وابن عباس وذلك من قبيل الرواية وحدث عنه ايضا اسلم مولي عمر وكان خبير ا بكتب اليهود سكن بالشام بأخرة وكان يغزو مع الصحابة توفي بحمص في اواخر خلافة عثمان رضي الله عنه وهو ذاهب للغزو طبقات بن سعد ٤٤٥/٧ التاريخ الكبير ٢٢٣/٧ الاصابة ٣١٥/٣ شذرات الذهب ٤٠/١

(١)سلطان العارفين ابو يزيد طيفور بن عيسي بن شروسان البسطامي احد الزهاد اخو الزاهدين آدم وعلي وكان جدهم شروسان مجوسيا فاسلم وقل ما روي عنه وله كلام نافع ويحكي عنه في الشطح اشياء منها ما لا يصح او يكون معقولا توفي ببسطام سنة (٢٦١هـ) طبقات الصوفية ٦٧ حلية الاولياء ٣٣/١٠ النجوم الزاهرة ٣٥/٣

مرات من بسطام بواسطة مغولاً جماعة من علمائها وشيعوا ذا النون المصري من مصر الي بغداد مغولاً وسافر معه جماعة من أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة.

ورموا سمنون المحب بالعظائم ، ورشوا امرأة من البغايا فادعت عليه أنه يأتيها هو واصحابه واختفي بسبب ذلك سنة .

واخرجوا سهل بن عبد الله التستري (١) من بلده الي البصرة ونسبوه الي القبائح وكفروه مع امامته وجلالته.

ورموا او سعيد الحراز بالعظائم وافتي العلماء بكفره بفظ وجدوها في كتبه وشهدوا على الجنيد بالكفر مرارا حين كان يتكلم في علم التوحيد علي رؤس الاشهاد فصار يقرره في عقر بيته الي أن مات.

واخرجوا محمد بن الفضل البلخي (٢) من بلخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من اجراء آيات الصفات واخبارها علي ظاهر بلا تاويل و الايمان بها علي علم الله فيها ولما ارادوا اخراجه قال : لا اخرج إلا أن جعلتم في عنقي حبلاً ومررتم بي في اسواق البلد وقتلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك واخرجوه

(٢)ابن يونس شيخ العارفين ابو محمد التستري الصوفي الزاهد صحب خاله محمد بن سوار ولقي في الحج ذا النون المصري ومن كلامه (العقل وحده لا يدل علي قديم ازلي فوق عرش محدث نصبه الحق دلالة وعلمنا لنا لتتهدي القلوب به اليه ولا تتجاوزوه ولم يكلف القلوب علم ماهية هويته فلا كيف لاستوائه عليه ولا يجوز ان يقال كيف الاستواء لمن اوجد الاستواء وانما علي المؤمن الرضي والتسليم لقول النبي صلي الله عليه وسلم انه علي عرشه) توفي في سنة (٢٨٣هـ) حلية الاولياء ١٠/١٩٠ طبقات الصوفية ٢٠٦ طبقات المفسرين ١/٢١٠ شذرات الذهب ٢/١٨٢

(٣)واعظ بلخ الامام الكبير الزاهد العلامة شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس البلخي الواعظ نزيل سمرقند وتلك الديار اخر مكن حدث عن قتيبة بن سعيد من مشايخه ابو بشر محمد بن مهدي صاحب ابن السماك مات سنة ٣١٧هـ ارخه بالسلمي وعبد الرحمن بن منذة وهم من قال سن تسع عشرة العبر ٢/١٨٦ الوافي بالوفيات ٨/٦٣ شذرات الذهب ٢/٢٨٨ حلية الاولياء ١٠/٢٣٢

فالتفت اليهم وقال : با أهل بلخ ، نزع الله من قلوبكم معرفته ! قال الاشياخ فلم يخرج بعد عودته عليهم تلك من بلخ صوفي ابدا مع انها كانت اكبر بلاد الله صوفية. واخرجوا ابا عثمان المغربي^(١) من مكة مع كثرة مجاهدته وتام علمه وحاله وضربوه ضرباً مبرحاً وطافوه به علي حجل فأقام ببغداد الي أن مات. وشهدوا علي الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وادخله اصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة. واخرجوا الامام ابا بكر النابلسي^(٢) مع فضله واستقامته في طريقته من المغرب الي مصر ، وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم حي يتلونه بتدبير وخشوع حتى قلوب الناس وكادوا بفتنون به . روموا ا لشيخ ابا مدين^(٣) بالزندقة واخرجوه من بجاية الي تلمسان وخرجوا ابا الحسن الشاذلي من مصر وشهدوا عليه بالزندقة.

(١) ابو عثمان المغربي شيخ الصوفية الامام القدوة ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي القيرواني نزيل سابور سافر الي الحج وجاور مدة ولقي مشايخ الشام ومصر كان اوحد المشايخ في طريقته له احوال وكرامات امتحن بسبب زور نسب اليه حتي ضرب وشهر علي جمل ففارق الحرم توفي سنة ٣٧٣ هـ طبقات الصوفية ٤٧٩ طبقات الاولياء ٢٣٧ طبقات الشعراي ١٤٣/١ نتائج الافكار القدسية ١٢/٢ هداية العارفين ٣٨٩/١

(٢) الشهيد الامام القدوة ابو بكر محمد بن احمد بن سهل الرملي ويعرف بابن النابلسي حدث عن سعيد بن هاشم الطبراتي وجماعة وروي عنه تمام الرازي وجماعة قال ابو الفرج الجوزي اقام جوهر القائد لابي تميم صاحب مصر ابا بكر النابلسي وكان ينزل الاكواخ فقال بلغنا انك قلت اذا كان مع الرجل عشرة اسهم وجب ان يرمي في الروم سهما وفيما تسع اسهم قال نعم لانكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وادعيتم النور الالهية فشهره ثم ضربه فامر يهوديا فسلخه . المحمدون ١١٧ العبر ٣٣٠/٢ الوافي بالوفيات ٤٤/٢ النجوم الزاهرة ١٠٦/٤ شذرات الذهب ٤٦/٣

(١) ابو مدين شعيب بن حسين الاندلسي الزاهد شيخ اهل المغرب كان من اهل حصن منتزجت من عمل اشبيلية جال وساح واستوطن بجاية نمدة ثم تلمسان ذكره ابن الابار بلا تاريخ وفاة قال عنه محي الدين بن العربي كان ابو مدين سلطان الوارثين وقيل توفي بتلمسان نحو ٥٩٠ هـ. انظر ابن الابار في التكملة ٣/الورقة ١٩٩ والذهبي في تاريخ الاسلام ٢٩١٧/١٤

ورموا عز الدين بن عبد السلام^(١) بالكفر وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه.

ورموا تاج الدين السبكي^(٢) بالكفر وشهدوا عليه بقوله باباحة الخمر والفاحشة وانه يلبس في الليل الغيار و الزنار واتوا به مغلولاً مقيداً من الشام الي مصر وخرج جمال الدين الاسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه.

قال الشعراني : وانما ذكرنا لك يا أخي محن هذه الأمة من المتقدمين و المتأخرين تائيساً لتقبل علي مطالعة كتب الصوفية ولا سميا الشيخ محي الدين لأن هؤلاء الأئمة تتأوهم عندنا كالمسلك الاذفر فكما لا يقدر في كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدر ما قيل كمال الشيخ محي الدين^(٣).

وهذه الوثيقة النفسية صدرها الشعراني بقول السيوطي ومما انعم الله به علي أن أقام لي عدواً يؤذني ويمزق عرضي ليكون لي أسوة بالأنبياء و الأولياء وقد حدثنا أن النسيمي كان يقطع أهل حلب بالحجج فاحتالوا له وكانت الحيلة أن كتبوا سورة الإخلاص في ورقة ورشوا من يخيط التعال وقالوا : هذه ورقة محبة وقبول فضعها

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠هـ) بن ابي القاسم ابي الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي المعروف بابن عبد السلام (عز الدين ابو محمد فقيه مشارك في الاصول والعربية والتفسير تفقه علي فخر الدين بن عساكر ودرس واقتي وبرع في المذهب الشافعي وبلغ رتبة الاجتهاد وولي الخطاب في دمشق والحكم في مصر وتوفي في القاهرة من مصنفاته القواعد الكبرى في اصول الفقه الغاية في اختصار النهاية في فروع الفقه الشافعي شرح السؤل والامل في علمي الاصول والجدل تفسير القران الاشارة الي الايجاز في بعض انواع المجاز العماد في مواريث العباد والنخبة العربية في الفاظ الاجرومية . ابن كثير البداية ٢٣٥/١٣ النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ شذرات الذهب ٣/٥ مفتاح السعادة ٢١٢/٣

(٣) عبد الوهاب السبكي (٧٢٧-٧٧١هـ) بن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الانصاري السبكي ابو نصر تاج الدين فقيه اصولي مؤرخ اديب ناظم ناثر ولد بالقاهرة وقدم دمشق مع والده ولزم الذهبي وتخرج به وولي القضاء بها وخطابة الجامع الاموي ودرس في غالب مدارسها من تصانيفه طبقات الشافعية الصغرى والوسطي والكبرى معيد النعم ومبيد النقم شرح متهي السؤل والامل في علمي الاصول والجدل . انظر الدرر الكامنة ٢/٢٥٤

شذرات الذهب ٢٢١/٦ البدر الطالع ٤١٠/١ النجوم الزاهرة ١٠٨/١١

(٤) راجع اليواقيت ص ١٤ ، ١٥

لنا في أطباق النعل ، ثم اخذوا ذلك النعل واهدوه الي الشيخ من طريق بعيدة فلبسه وهو لا يشعر^(١) ثم طلعا النائب حلب وقالوا له قد بلغنا من طريق صحيحة أن النسيمي كتب (قل هو الله أحد) وجعلها في طباق نعله ، و أن لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك ففعل ، فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ الله تعالى ولم يحب عن نفسه وعلم انه يقتل علي تلك الصورة.

قال الشعراني : واخبرني بعض تلاميذه انه صار ينشئ^(٢) موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر الي الذي يسلخه وهو يبتسم .
قد يسأل القارئ : وهل لنقل هذه الوثيقة اهمية في بناء هذا الفصل غير العبرة و التأسى.

ونجيب بأن لها اهمية اعظم من تلك فان الشعراني استطرد ف ذكر ما ابتلي به الائمة و الاولياء وتجاهل ضخصية واحدة لقيت الحتف في سبيل الحق وتلكت شخصية الجلاج الذي اوذي ابلغ ايداء ، وانما تجاهل الشعراني شخصية الجلاج لأنه كان يقول بوحدة الوجود وذكره بالخير في مثل هذا السياق قد يعرض ابن عربي لتهمة لا يرضاها له صاحب البواقيت.

قلنا أن ابن عربي تحفظ واحترس ليسلم من القتل فهل تكون سلامته من القتل هي الدليل علي انه لم يتورط في القول بوحدة الوجود.
نعم سلامة ابن عربي من القتل هي الشاهد ذلك لان القول بوحدة الوجود كان من علائم الزيغ و الضلال

(١)النعل مؤقتة ، لكنها في كلام الشعراني مذكرة

(٢)في الاصل (ينشد) وكلمة(عمل) الاتية تدل علي انها تحريف.

المبحث الثالث اثر التصوف على الادب في العصر العباسي
المطلب الاول أثر التصوف

المطلب الأول أثر التصوف في الأدب

كان الصوفية يعرفون باسم القراء والزهاد والنساک ، وكان ملحوظاً فيهم أنهم من أقطاب الأدب والبيان ، ومن المؤكد ان الجاحظ حين اهتم بهم لحظ فيهم شيئين : جودة الأدب وقوة الأخلاق ، ولذلك نراه يقول في مطلع كتاب الزهد^(١) :
(نبدأ باسم الله وعونه بشيء من كلام النساك في الزهد ، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم فهو يري في (لكلام) صورة غير صورة (الأخلاق والمواعظ) .
والفرق واضح بين قول ابن سيرين^(٢) (ما حسدت أحداً علي شيء قط)^(٣) وقول ابي الدرداء : (كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه) فالعبارة الاولى خلق محض ، والعبارة الثانية ادب صرف ، وكانت الاولى خلقاً محضاً لانها تعبر تعبيراً ساذجاً عن معني من اشرف المعاني الخلقية ، وكانت الثانية ادباً صرفاً لان جمالها يرجع الي ما وشاها به القائل ، وكلتا العبارتين صدتا عن انفس مشبعة بروح التصوف .

وقد يجتمع الادب والخلق في تعبير واحد ، كقول ابي حازم^(٤) : (الدنيا غرت اقواماً فعملوا فيها بغير الحق ، ففاجأهم الموت ، فخلفوا ما لهم لمن لا يحمدهم وصاروا

(1) البيان و التبیین ج ٣ ص ٦٥

(2) الامام شيخ الاسلام ابو بكر الانصاري الانسي مولى انس بن مالك خادم رسول الله صلي الله عليه وسلم ابوه من سبي جراجريا من اعمال النهروان بين واسط وبغداد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه روي عن جماعة من الصحابة وروي عنه جماعة قيل انه ادرك ثلاثين صحابيا مات بعد الحسن البصري بمئة يوم سنة ست عشر ومئة (طبقات ابن سعد ٧/ ١٩٣ تاريخ بغداد ٥/ ٣٣١ البداية والنهاية ٩/ ٢٦٧ شذرات الذهب ١/ ١٣٨)

(٣) البيان والتبيين ص ٦٦

(٤) سلمة بن دينار الامام القدوة الواعظ شيخ المدينة النبوية ابو حازم المدني المخزومي مولاهم الاعرج الافرز التمار القاص الزاهد وقيل ولاؤه لبني ليث ولد في ايم ابن الزبير وابن عمر وروي عن سهل بن سعد وجماعة وروي عنه ابن شهاب وجماعة وقيل انه اصله فارسي وامه رومية قيل انه مات في بعد سنة (١٤٠هـ) في خلافة ابي جعفر وقال يحيى بن معين سنة

الي من لا يعذرهم ، وقد خلقنا بعدهم فينبغي لنا ان ننظر الي الذي كرهناه منهم فنجتنبه ، والي الذي غبطناهم به فنستعمله(١) .

والخلق في هذه العبارة يتمثل في التربية النفسية التي دعا اليها صاحب هذه الحكمة ، اما الادب فيتمثل في وقله : (خلقوا ما لهم لمن لا يحمدهم ، وصاروا الي من لا يعذرهم) وهو كلام يبدو لمن يتأمله غاية في روعة الخيال .
وشبيه بذلك هذه الفقرة :

رأي بعض النساك صديقاً له من النساك مهموماً فسأله عن ذلك فقال : كان عندي يتيم احتسب فيه الأجر فمات ، قال : فأطلب يتيماً غيره فان ذلك لا يعدمك ان شاء الله تعالى ! فأجاب : أخاف ان لا أصيب يتيماً في سوء خلقه . فقال : أما أنى لو كنت مكانك لم اذكر سوء خلقه (٢) .

ففي هذه الفقرة خلق ، وفيها أدب ، أما الخلق ففي المعني كله ، واما الأدب ففي الذكاء الذي يتمثل في الاستدراك الأخير ، وهذا الذكاء في المقام من صور الخلق ولكنه بالأدب الصق .

وكذلك هذه الفقرة :

(صام رجلاً سبعين سنة ، ثم دعا الله في حاجة ، ولم يستجيب له ، فرجع لي نفسه فقال : (منك أتيت) فكان اعترافه افضل من صومه) .

والفطنة الي أن الاعتراف كان افضل من الصوم فيها خلق وفيها أدب ، أما الخلق ففي تصور القيمة للوم النفس ، واما الأدب ففي الذكاء الذي يمثله هذا التعقيب .

وقال شيخ من أهل المدينة^٣: ما كنت أريد أجلس إلى قوم إلا وفيهم من يحدث عن الحسن وينشد للفرزدق

اربع واربعين بعد المئة . طبقات ليفة ٢٦٤ حلية الاولياء ٢٢٩/٣ تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ الجرح والتعديل ١٥٩/٤

(١) المرجع السابق ص ٦٦

(٢) المرجع السابق ص ٦٧

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ١١٣

فما معني هذا ؟ معناه ان الحديث عن الحسن البصري كانت فيه متعة أدبية لا تقل عن إنشاد شعر الفرزق ، والحق ان النساك والزهاد والصوفية كانت لهم كلمات تشوق القلب والوجدان ، ومن الإطناب ان نكثر الشواهد ، فلنكتف بخطبة عمر بن ذر^١ يوم مات ابنه وقد وقف علي قبره فقال :

(يا ذر ، والله ما بنا اليك من فاقة ، وما بنا الي أحد سوي الله من حاجة ، يا ذر شغلني الحزن لك عن الحزن عليك) ثم قال : (اللهم انك وعدتني بالصبر علي ذر ، صلواتك اللهم ورحمتك ، وقد وهبت ما جعلت لي من اجر علي ذر لذر ، فلا تعرفه قبيحاً من عمله ، اللهم وقد وهبت له اساءته الي فهب لي اساءته الي نفسه ، فانك أجود واكرم) فلما انصرف عنه التفت الي قبره فقال : (يا ذر ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو اقمنا ما نفعناك)^(٢) .

وكلام الزهاد والنساك كثر جداً ، اهتم به الجاحظ وابن قتيبة ، وغيرهما من المؤلفين ، ولا شك في ان الصور الادبية كانت مما لحظة من جمع كلام اولئك الرجال .

ثانياً : وكان اكثر الصوفية معروفين بسعة الاطلاع وكثرة الحفظ ، وكان في شريش صوفي حافظ للشعر فلا يعرض في مجلسه معني الا وهو ينشد عليه ، فأتفق ان عطس رجلاً بمجلسه فشمته الحاضرون فدعا لهم ، فرأي الصوفي انه ان شمته قطع إنشاده بما لا يشكله من النظم . وان لم يشمته كان تقصيراً في البر ... الي آخر ما حدث صاحب نفح الطيب^(٣) .

وهذا الخبر في جملته فكااه ، ولكنه دليل علي هيام الصوفية بالثقافة الأدبية .

(١) ابن عبد الله بن ذرارة الامام الزاهد العابد ابو ذر الهمداني ثم المرهبي الكوفي حدث عن ابيه زابي وابي وائل ومجاهد وعنه ابن المبارك وابو حنيفة له نحو ثلاثين حديثاً توفي سنة

٥٧هـالتاريخ الصغير ١٢٢/٢ الجرح والتعديل ١٠٧/٦ حلية الاولياء ١٠٨/٥ شذرات الذهب

٢٤٠/١

(٢) المرجع السابق ص ٧٥

(٣) المرجع السابق ص ٣٠١

ثالثاً: لا مفر من الاعتراف بان الصوفية كان لهم وجود ادبي ملحوظ ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد عرفت عنهم ألفاظ وتعابير دونها المؤلفون ، وتلك الألفاظ والتعابير هي ثروة لغوية يقام لها وزن حين تدرس المصطلحات وقد يقال : ان لكل قوم الفأظاً وتعابير حتي النجارين والحدادين ، ولا يكون ذلك عنواناً علي سلطتهم الادبية ، ونجيب بان الفأظ الصوفية جرت في الاغلب حول معان وجدانية وروحية ونفسية واجتماعية فهي الصق بالحياة الادبية .

ومن الملاحظ ان تعابير الصوفية تختلف وفقاً لمنشأ المذهب ، فالشاذلية مثلاً الفأظهم في الاكثر مغرية و الاحمدية الفأظهم مصرية ، وهكذا دواليك.

و الذي ينظر في مناقب الصوفية - وهي كثيرة جداً - يجد فروقاً ظاهرة فيما نسب الي القوم من الالفأظ و التعابير و الاصطلاحات ، ومن الطريف انهم قد يتعابرون بالالفأظ ، كما يتفق ذلك لاهل الديانات، فيسخر بعضهم من ألفأظ بعض. واختلافهم في الالفأظ و التعابير من دلائل الحيوية وقوة الشخصية ، ولو لم يكن لهم في الدنيا وجود ملحوظ لما احتاجت كلماتهم الي من يحميها ويضع لها مختلف التأويلات .

ومذهب الصوفية في الغموض معروف ، وقد وصل صده الي ميادين النقد الأدبي ، ورأينا الثعالبي يعيب علي المتنبي (امثال ألفأظ المتوصفه واستعمال كلماتهم المعقده ومعانيهم المغلقه) في مثل قوله فيوصف فرس (سبوح لها منها عليها شواهد)

قوله : افيكم في حي يخبرني عني بما شربت مشروبة الروح من ذهني

وقوله : نال الذي نلت منه مني له ما تصنع الخمر

وقوله : كبر العيان علي حتي انه صار اليقين من العيان توهما

وقوله : وبه يضمن علي البرية لا بها وعليه منها لا عليها يوسي

وقوله : ولولا انني في غير نوم لكنت اظني مني خيالاً

قال الصاحب : ولو وقع قوله :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخانتته قريك الايام

ثم قال بعد ان روي حكاية شيخ تكلم عن طرائق الصوفيه في حضرة ابن دقيق

العيد^(١) بكلام لم يفهم منه غير المفردات :
(وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم ،فانهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محي الدين
بنم عربي وقطب الدين بن معين ، وفي كلامهم من هذا النوع كثير)
وشاهد التعقيد الذي يشبه كلام الصوفيه (ان البيت الثاني ينشد عن ثمانائه اوجه :
بالتقديم والتاخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن
وكل بيت منها يشتمل علي مسالة من الفقه في التعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز
في الالفاظ وطرح الحقائق وعدم ذكر الوزن الخ . الخ)^(٢)
وقد طال الصفدي في شرح هذه العمليات ، وليس يعنينا الا حكمة بان هذا النمط من
القول (يشبه كلام الصوفيه)
وكتب ابن عربي الي عمر بن الفارض^(٣) يستاذنة في شرح التائبة فاجابه :
(كتابك المسمي الفتوحات المكية شرح لها)^(٤)

(١)بن دقيق العيد (٦٥٧-٧١٦هـ) هو علي بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع الاقشيري
الشافعي محب الدين ابن دقيق العيد فقيه ولد بقوص في صفر وتفقه وناب في الحكم
وتوفي بالقاهرة في رمضان من تصانيفه شرح التعجيز لم يكمل وتحفة اللبيب في شرح كتاب
التقريب انظر طبقات الشافعية للسبكي ٢٤١/٦ الدرر الكامنة ١١٣/٣ حسن المحاضرة
للسيوطي ٢٣٨/١

(٢) انظر الغيث المنسجم ص ١٠٥ - ١٠٨

(٣)شاعر الوقت شرف الدين عمر بن علي مرشد الحموي ثم المصري صاحب الاتحاد الذي قد
ملاً به التائبة توفي سنة ٣٢٢؟؟؟؟ وله ست وخمسون سنة وروي عن القاسم بن عساكر وحدث
عنه المنذري وشعره في الذروة لا يلحق شأوه انظر البداية والنهاية ١٤٣/١٣ النجوم الزاهرة
٢٨٨/٦ شذرات الذهب ١٤٩/٥

(٥)نفع الطيب ج ١ ص ٥٧٠ وهذه الرواية لا تخلو من افتعال ،/ وبيان ذلك ان ابن عربي لم
يفرغ من تأليف الفتوحات المكية الا قبل موته بثلاث سنين ، أي في سنة ٦٣٥ ، وابن الفارض
مات سنة ٦٣٢ ، فهل يمكن القول بأن كتاب ابن عربي نقلت نسخة من الشام الي مصر قبل ان
يفرغ المؤلف تصنيفه بنحو عشر ينين ، من المحتمل ان تكون آراء ابن عربي وصلت الي مصر
في حياة ابن الفارض ولكن الجواب الذي صنعه علي لسان ابن الفارض يشعرا بأن كتاب
الفتوحات الملكية كان معروفا في مصر قبل ان يفرغ ابن عربي من تأليف وهذا فرض غير
مقبول.

وكلا الاثرين غموض ، ولا مانع من ان يشرح الغموض بالغموض ، فنفي النفي اثبات

ومن كلام ابن عربي :

يا من يراني ولا اراه كم ذا اراه ولا يراني

وقد ساله بعض الاخوة لما سمع هذا البيت : كيف تقول انه لا يرالك وانت تعلم انه يراك ؟ فقال :

يامن يراني مجرماً ولا اراه اخذاً

كم ذا اراه منعماً ولا يراني لاثداً

واذواق الصوفية كانت مما ضرب به المثل في الحياة الادبية ، ومن ذلك (مدام الصوفي) في قول جمال الدين عبدالقاهر التبريزي يصف الشبابية :

وناطقة بافواه ثمان تميل بعقل ذي اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه سوي من كان ذا طبع لطيف

نصيحة عاشق ونديم راع وهذا موكب ومدام صوفي (١)

وكانت طرائقهم في الإنشاء معروفة أيضاً ، فقد تحدث المقوي عن أبي المطرف ابن عميرة قال :

(واما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجاري ، وصاحب عينها الذي لا يباري ، وله وعظ

علي طريقة ابن الجوزي)(٢)

- وكانت لهم اراء معروفة في المذاهب الادبية ، فهم الذين قاوموا القصاص

ومقاومة القصاص تقوم علي نزعة خلقية ، القصاص في رأيهم (يخلطون ويغلطون

ويقدمون ويؤخرون)(٣) ولكنها في الجواهر تقوم علي استنكار مذهب من المذاهب

الادبية التي تعتمد اولاً وقبل كل شئ علي حسن البيان ،

ومعني هذا ان البيان عندهم يجب ان سنهض علي اساس من الخلق الصحيح .

(١)الغيث المنسجم ج ١ ص ١٧٠

(٢)نفح الطيب ج ١ ص ٢٠١

(٣)راجع ماجاء في قوت القلوب ج ٢ ص ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥

- قد يقال : ان النساك قد يستكثر عليهم نظم الشعر ، فان المرزيبابي نقل بسنده ان ابن شهاب قال : اتيت عبيدالله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فاذا هو مغيط ينفخ ، فقلت له : ما لي اراك هكذا ؟ قال : دخلت علي عاملكم هذا - يعني عمر بن عبدالعزيز - ومعه عبدالله بن عمر بن عثمان فسلمت فلم يردا علي السلام ، فقلت :

الا فابلغا عني عراقك بن مالك فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر
فقد جعلت تبدو شواكل منكما فانكما بي موقران من الصخر
وطاوعتما بي غادراً ذا معاكة لعمرى لقد اوري وما مثله يوري (١)
فلولا اتقا الله اتقائي فيكما للمتكما لوما احمر من الجمر
فمسا تراب الارض منها خلتما وفيها المعاد والمقام الي الحشر
ولا تأنفا ان تغشياً فتكلما فما حشي الاقوام شراً من الكبر
ولو شئت ادلي فيكما غير واحد علانية او قال عندي في السر
فان انا لم امر ولم انه عنكما ضحكت له حتي يلج ويستشري
وكيف تزيد ان ابن سبعين حجة علي ما اتي وهو ابن عشرين أو عشر
لقد علقت دلوا كما دلوا حول من القوم لا رخو المراس ولا نزر

قال بن الشهاب : فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر ؟ فقال : ان المصدر اذا نفث بري (٢) .

أكون هذا شاهداً علي أن النساك ما كان يليق بهم ان ينظموا الشعر ؟ هو ذاك ، ولكن له تأويل ، فان الحملة التي وجهت إلي الشعر علي اثر ما كان من لدد اليهود وتوثب شعراء المشركين كانت اثرت تأثيراً عميقاً في حياة المسلمين من الوجهة الادبية فرأيناهم يسرفون في بغض الشعر والنيل من الشعراء ، وكان من ذلك ان قيل لسعيد ابن المسيب : ان قوماً بالعراق يكرهون الشعر فقال : نسكوا نسكا اعجيباً وقد اهتم ناس من اهل الادب بتصحيح هذا الموقف ، منهم ابن رشيق الذي اتعب

(١) يقال معك به وسدد به اذا تعرض به لشر ، انظر امالي المرتضي ص ٦٠ ج ٢

(٢) امالي المرتضي ج ٢ ص ٦١ ، ٦٢

نفسه بذكر نماذج من اشعار الخلفاء والائمة والقضاة ليقوم الحجاة علي ان الشعر
مباح وحسب الشعر هواناً ان تقول : انه مباح .

والظاهر ان تلك الحملة كانت حملة عامية ، فان الذين اثاروها بعد الرسول هم العوام
، والذين قاومهم هم الخواص ، فقد حدث محمد بن شلماة عن ابيه قال : اتيت
عبدالعزيز بن المطلب اسأله عن بيعة الجنة للنبي صلي الله عليه وسلم بمسجد
الاحزاب ما كان بدوها ، فوجدته مستلقياً يتغني :

فما روضة بالحزن طيبة الثري	يمج الندي جثائها وعرارها
بأطيب من اردان عزة موهنا	وقد اوقدت بالمندل الرطب نارها
من الحفرات البيض لم تلقي شقوة	وبالحسب المكنون صاف نجارها
فان برزت كانت لعينيك قرة	وان غبت عنها لم يغمك عارها

فقلت له : اتغني أصلحك الله وانت في جلالك وشفرك . اما والله لاحملتها ركبنا نجد
! قال : فوالله ما اكرث بي وعاد يتغني :

فما ظبية خفاقة الحشا	تجوب بظفائها متون الخمائل
بأحسن منها اذ تقول تدللا	وادمعها تذرير حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه	رهين بايام الصدود الاطاول

قال : فندمت علي قولي وقلت له : اصلحك الله ، اتحدثني في هذا بشئ ؟ فقال نعم
، حدثني ابي قال دخلت علي سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهم واشعب يغنيه
:

مغيرية كالبدر سنة وجهها	مطهرة الاثواب والعرض وافر
لها حسب ذاك وعرض مهذب	وعن كل مكروه من الامر زاجر
من الخرات البيض لم تلق ريبة	ولم يستلمها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم : زدني فغناه :

المت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت اعطار ثوي في رحالنا وما احتملت ليلى سوي طيبها عطرا

فقال له . والله لولا ان تتداوله الرواة لاجزلت جائزتك فانك من هذا الامر بمكان(١)

والواقع ان هذا الضرب من التزمت كان كثير الوقوع في البيئات الاسلامية ، ومن الرجعة اليه ما نراه اليوم عند الوهابيين من مقاومة الموسيقى والغناء وما نراه عند ناس من اهل مصر اذ يقاومون بعض الفنون الأدبية ، ولو اقترح بعض المصلحين إدخال الثقافة الموسيقية في المعاهد الدينية لما قوبل اقتراحه بغير السخرية والاستهزاء .

ولكن هذا التزمت لم يحل بين الصوفية وبين الأدب ، ولم يصرفهم عن الموسيقى والغناء لانهم يملكون عنصرين من أنفس عناصر الاستعداد : وهما الإخلاص والصفاء وكذلك انطلقوا ينظمون وينشئون في فنون مختلفة لا يصدهم عرف ، ولا يعوقهم خوف ، فكان فيهم أقطاب في الموسيقى والغناء . والتزمت الذي احيطوا به لا يخلوا من فضل ، فهو نفسه دليل علي قوة الحاسة الخلقية ، وشاهد علي انهم لا يلهون حين ينظمون ويغنون ، وانما يتبعون وحي الوجدان .

وليتذكر القارئ ان ادباءنا هؤلاء لم يكونوا من المحترفين ، وهذا نقص من جانب ، وفضل من جانب ، هو نقص حين ننظر الي بعض ما نراه في أدبهم أحياناً من ضعف النسج ، وهو فضل حين نراهم سلموا في الأغلب مما تورط فيه الأدباء المحترفون ، حين انقلوا أدبهم بالزخرف والتتميق .

(١) روضة المحبين ص ٢٤٤ ، ٢٤٥

كلام الشعراء في الزهد :

والماجنون حين يزهدون يصبح شعرهم قيثارة تنذب باوتار الندم والخوف ويمسون ولهم شمائل تنفح بالوداعة واللبن ، ومن امثلة ذلك حديث ادم بن عبدالعزيز الاموي ، وكان ماجناً منهمكاً في الشراب ، وكان يصحب يعقوب ابن الربيع (١) ، وكان يعقوب ايضاً من اهل الخلاعة والمجون ، ثم تاب ادم بن عبدالعزيز ونسك ، واتفق ان استأذن يوماً علي يعقوب بن الربيع ، وكان يشرب فقال يعقوب : ارفعوا الشراب ، فان هذا قد تاب واحسبه يكره ان يحضر ! فرفع الشراب واذن له فلما دخل آدم قال : اني لاجد ريح يوسف ، فقال يعقوب : هو الذي وجدت ، ولكننا ظننا ان يتقل عليك لترتك له ، قال أي والله انه ليثقل علي ذلك قال : فهل قلت في ذلك شيئاً منذ تركته ؟ قال : نعم ! وانشد :

الا هل فتني عن شربها اليوم صابر
شربت فلما قيل ليس بنازع
ليجزيه عن صبره الغد قادر
نزعت وثوبي من اذي اللوم ظاهر^٢

(١) اخو الفضل بن الربيع

(٢) معجم الادباء ج ٧ ص ٣٠٣

المطلب الثاني

الشعر الصوفي

ولما كانت التجربة الروحية عند الصوفيين لازمة عن شوق ملح من الوجدان الداخلي في معرفة الله، والاتصال به، فقد لزم عن ذلك أن يلزم المتصوف حب الهى. وبظل هذا الحب يلزمهم جميعاً ويبقى ملازماً لهم - أيا كان الجانب الذي غلب عليهم - وفي جميع المقامات والأحوال ، إذ لولاه لما تحرقت النفس شوقاً لي سلوك الطريق الصوفي، ولما تحملت المكاره من صيام وقيام، ولا صبرت علي المكابدات ورياضات الطريق .

والحب الذي نجده عند الصوفيين المسلمين ، كانوا قد تأثروا به عن طريق ما قراوه من المؤلفات الأجنبية المترجمة، وقد تأثروا به لانهم رأوا أب الحب الإنساني الذي يجذب فيه الحب إلى المجال الإلهي المطلق، حالة روحية شريفة، لا يذوقها ولا يتحقق منها، إلا من اخضع نفسه لرياضة روحية، وجاهد نفسه مجاهدة قوية، بحيث يرتفع الإنسان عن نفسه رويداً رويداً، ويسمو بحسه شيئاً فشيئاً، وما يزال كذلك بين مجاهدة ورياضة حتى تصفو نفسه عن كل شائبة، وتتخلص من كل رباط يشدها إلى الحياة الإنسانية الأولى، عندئذ تتجذب إلى الذات الإلهية وتتحد معها .

وهذه الصفات من المجاهدات لا تنطبق في نظرهم إلا عليهم، ولهذا نظروا إلى أنفسهم علي انهم الرواد الأوائل للتبشير بهذه العقيدة الجديدة والإيمان بها .

فالنزعة الصوفية إذن تحركت أول ما تحركت في إطار التدين، ثم في إطار الزهد، إلى أن أصبحت نهجاً روحياً، له مقومات، وخصائصه المستقلة .

وقد نشأت هذه الظواهر الثلاث، في ظروف حياتية: زمنية وروحية، فجرت هي بدورها الكوامن المتعطشة، وكانت الظروف الاقتصادية والمظالم الاجتماعية، والانحراف الأخلاقي، والجفاف الروحي، بعض تلك الظروف المحركة .

فظهر الشعر وجهاً معبراً عميقاً، يحمل ظاهرة التصوف من مجال النظر إلى مجال المجاهدة الحية، التي تعكس ما يعتمل في ذات الصوفي، وما يتحسسه أو ما تنبض به كوامنه الواعية، حتى أصبح هذا الشعر وسيلة فنية عميقة التأثر بالمحيط الذي تعيش فيه، عميقة التجسيد لما تحس وتجد .

ولعل أول شعر وصل إلينا يعبر عن اتجاه الصوفية في القرن الثاني، تلك المقطوعات الروحية العميقة، التي شددت بها رابعة العدوية^١ في أوائل هذا القرن .

وقبل التحدث عن شعراء الصوفية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، يقتضي منا البحث أن نحدد معالم الحب الإلهي الذي اختص به هؤلاء الصوفية لنتمكن علي ضوء هذا التحديد من إدراك الكوامن الخفية التي اشتملت عليها أشعارهم .

فالمحبة قيل: اصلها الصفاء لان العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان، وقيل: مأخوذ من الحباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلي هذا المحبة تكون غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب .
وقيل مشتقة من اللزوم والثبات، فكان المحب قد لزم قلبه محبوبة فلم يرم عنه انتفاء^(٢) .

وقال الغزالي، سبب قوة محبة الله ، قوة معرفة الله، واتساعها، واستيلائها علي القلب، وذلك بعد تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها^(٣).

كانت رابعة العدوية كما قلنا أول من انشد المقطوعات في الحب الإلهي، والحبيب الذي تتعني بحبه وتتاجيه، هو الله عز وجل، الذي تقبل عليه، وتخلو إليه، وتداب

(1) رابعة العدوية هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة (وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) روض المحبين لابن القيم الجوزية ص ١٦ .

(٣) أحياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٣١٦ .

علي حبها له، فلا تبرح بابه مهما طال بها الانتظار، لانه مؤنس لروحها، ومنية لقلبها، وامل لحبها، وهي في سعيها المتلهف لحبه، لا تفعل ذلك خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته، ولكن ابتغاء وجهه الكريم وحده .

ولعل المظالم التي أحاطت بحياة رابعة العدوية، هي التي قادتھا إلى التفكير بمصيرها، وقادھا تفكيرها إلى الزهد في كل ما في الدنيا. وانطوت علي نفسها عليها تجد في وحدتها ما يريح نفسها.. وانفتحت ذاتها علي عالم سعيد استهوتها فيه القيم الروحية فتعبدت ، وظلت تجاهد ليلاً ونهارها.

وجرت المحبة الأرضية هوي مظللاً تافهاً، ولمست الزوال والانحلال في كل شيء، فأخذت تشتاق إلى هوي اثبت تماسكاً في العلاقات، يربط بينها وبين عالم جديد خالد. فاندفعت في المحبة الإلهية، أو الخلاص الحي للنفوس المبراة السامية إلى التكامل .

ومما روي من أناشيدها الأولى :يا	أنيسي وعديتي ومرادي
سروري ومنيتي وعمادي	أنت لي مؤنس، وشوقك زادي
أنت روح الفؤاد ، أنت رجائي	ما تشتتت في فيح البلاد
أنت لولاك، يا حياتي وانسي	من عطاء ونعمة وأياد
كم بدت منة، وكم لك عندي	وجلاء لعين قلبي الصادي
حبك الآن بغيتي ونعيمي	أنت مني ممكن في السواد
ليس لي عنك ما حييت براح	يا من القلب قد بدا إسعادي(١)

والطابع الحسي ظاهر بجلاء في أبيات رابعة العدوية، فهي قد اختلط عليها الأمر في خطابها، ولم تدر إلى من تتوجه به إلى الله سبحانه وتعالى أم إلى محبوب ادمي. فقارئ الأبيات يتوهم بادئ الأمر، أن الخطاب موجه إلى شخص معين تعرفه هي وان لم تعينه، وحبها له جعلها تنتشر في بلاد الله سعياً وراء الوصول إليه. ولكن حقيقة الأمر هي أن المحبوب الحقيقي، الذي هامت رابعة العدوية في الأمصار من اجله، هو الله عز وجل، إذا كيف يمكن أن يكون الذي يسبغ عليها النعمة ، والعطاء الذي لا تستطيع الشعور بالسعادة إلا إذا رضي عنها ، كيف يمكن أن يكون صاحب هذه الصفات والأمور العظيمة أنسانا ادماً بعينه، ومتي استطاع الحب الآدمي أن

(١) شهيدة العشق الإلهي - رابعة العدوية - لعبد الرحمن بدوي ص ٢٣ .

يرتقي إلى هذا المستوي من الحب القائم علي الرجاء والأمل: انه في الحقيقة حب الهي والهي فقط لان الله تعالي وحده صاحب العطاء وواهب النعم، والقادر علي إدخال السعادة إلى قلب الإنسان، وليست أي قدرة أخرى قادرة علي ذلك .

والحبيب القائم علي سواد العينين، وفي صميم القلب، ورضاه سبيل السعادة المريح. بدأت رابعة العدوية تستشعر الحب لله، ولكن هذا الحب كان مسبقاً بالتوبة. فهي قد فتحت صفحة جديدة في حياتها مغايرة لصفحتها السابقة، وهذه الصفحة كانت مزيجاً من القلق والاستغفار والشوق إلى المحبوب الذي اختارته لنفسها .

وكانت طريقته لتحقيق هذه الأمنية هي التهجد وقيام الليل ، ثم تذكر الموت بعده فقالت:

راحتي يا اخوتي في خلوتي	وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عرضاً	وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه	فهو محرابي إليه قبلتي
أن أمت وجداً وما ثم رضاً	واغنائي في السوري أو شقوتي
يا طيب القلب يا كل المنى	جد بوصل منك يشفي مهجتي
قد هجرت الخلق جمعاً ارتجي	منك وصلاً فهو أقصى منيتي(١)

تريد رابعة أن تختلي بحبيبتها لتبثه أشجانها وعواطفها، وتطلب منه الرافة بها، أليست هي المخلصة في حبها، الساعية وراء هذا الحب في البراري، وفي الأمصار، لأنها عن لا تجد هوي محبوبها عوضاً تستعويض به، أليست هي التي تتراءى لها صورته حيثما حلت، وأينما اتجهت، واتخذت من هذا الحب محراباً تصلي فيه، وتتعبد إذا كان هذا كله من جانبها هي، فإنها تتمنى علي طيب قلبها، والذي استخلصته من جميع الأشياء أن يلتفت إليها بالحب المتبادل، لان هذا هو أقصى أمانيتها .

نذرت رابعة إذن نفسها لله، وإذا كان الزواج الحق هو زواج الحب، وحبيبتها الوحيد هو الله، فإذا كان لها أن تقترن بأحد فبغير الله تستطيع الاقتران؟ هنا تأتي نظريتها في

(١) شهيدة العشق الإلهي - ص ٥٢ .

الحب فتؤيد نظريتها في الزواج ، وهذا هو الجديد حقاً في مذهب رابعة في التجرد والعزوبة (١).

ذكر صاحب (القوت) من أقوال رابعة العدوية في مقام الخلّة :

قد تخللت مسالك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً
أنت همي وهمتي وحديثي ورقادي إذا أردت (٢) مقيلاً

كما انه يقول قبل هذا مباشرة: (وقد كانت رابعة) تذكر الأنس في وجدها وترتفع إلى وصف الخلّة في قولها السائر:

أنى جعلتك في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من أراد جلوس
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس (٣)

نظرة رابعة إذن في الحب يدخل فيها معني الخلّة، لكن هذا هو الجانب العملي والأخلاقي، أما الجانب العاطفي الخالص، في بعض الأبيات المنسوبة إليها، وفي الأقوال التي يروي أنها تفوهت بها .

واشهر هذه الأبيات قولها

:احبك حبين، حب الهوي وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوي فشغلي عمّن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا، ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (٤)

في هذه الأبيات تميز رابعة بين نوعين من الحب : حب الهوي، والحب الخالص والأول حب ناقص لانه حب ارضي محسوس، وهو الخطوة الأولى للحب الكامل الخالص، غير المحسوس الموجه إلى الله تعالى. والحبان مكمل بعضهما لبعض وقد

(١)المرجع نفسه ص ٥٩ .

(٢)شهيذة العشق الإلهي - ص ٧١ .

(٣)المصدر نفسه ص ٦٣ .

(٤)دائرة المعارف الإسلامية - ص ٢٩٧ .

عقب الغزالي علي هذه الأبيات بقوله: "ولعلها أرادت بحب الهوي حب الله لاحسانه إليها وانعامه عليها، بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له، لجماله وجلاله، الذي انكشف لها وهو اعلي الحبين واقواهما " (١).

ثم قالت :

يا عاذلي أنى احب جماله تالله ما أدني لعذلك سامعة
كم بت من حرقى وفرط تعلقي اجري عيوناً من عيوني الدامعة
لا عبرتي ترقا، ولا وصلي له يبقى، ولا عيني القريحة هاجعة (٢)

حقاً أن رابعة لم تهجع في الحب ولا انطفأت جمرتها، ولا توقف سيل الدمع من ماقبها ، بل ظلت بين عبادة متواصلة مرهقة، وبين سفر للحج طال وثقل عليها حتى كاد أن يعجز الجسم عن تحمله .

وروي ذو النون المصري عن رابعة قولها :

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم يا خير من حلت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيماً فرح الفؤاد-متيماً- بلبال

من ذاق حبك لا يري متبسماً من طول حزن في الحشا إشعال (٣)

أن رابعة لا تحب أن تسترسل في نجواها إلى الله سبحانه وتعالى إلا منفردة. والانفراد بالله لا يشعر بلذاته وانسه إلا من احب الله، واخلص في حبه وتخلي عن كل المحبوبات الأخرى المادية. ومن تغلغل في قلبه حب الله اصبح متيماً بهذا الحب، فرحاً، لانه اصبح ينجذب إلى عالم الروح بعيداً عن عالم المادة .

ولكن رابعة التي عبرت عن مشاعر كل محب لله، عادت وانفردت برأي لا يؤيدها فيه أحد، إذ كيف تستطيع، أن تقنعنا بنقيض ما قالت وعبرت عنه من جانب إيجابي، لتخذ من ثمة الجانب السلبي، وهو الحب الذي يكتنفه الحزن، حتى ولو كان هذا

(١) أحياء علوم الدين للغزالي - ج ٤ ص ٣١١ .

(٢) شهيدة العشق الإلهي - ص ١٧٣ .

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني - ج ٩ ص ٣٥٥ .

الحزن ناتجاً عن الشوق العظيم لله. فالمحب لا يري إلا منشرح الصدر ، مبتهجاً كلما
اختلي بحبيبه، وليس حزيناً عابس الوجه .

قال رجل لرابعة: أنى احبك في الله فلا تعصي الذي أحببتي له فأنشدت تقول :
أضمن يا فتى ترك المعاصي وارهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غص المعاصي^(١)

وقالت رابعة أيضا :

كاسي وخمري والنديم: ثلاثة وأنا المشوقة في المحبة رابعة
كاسي المسرة والنعيم يديرها ساقى المدام علي المدى متتابعة
فإذا نظرت فلا أرى إلا له وإذا حضرت فلا أرى إلا معه
يا عاذلي أنى احب جماله تالله ما أذني لعذلك سامعة^(٢)

في هذه الأبيات تستخدم رابعة العدوية أسلوب الرمز، شأنها في ذلك شأن
الكثيرين من شعراء الصوفية. فالكأس التي تتحدث عنها هي كاس المحبة، والخمر
التي تريدها ليست خمر الدنيا المحسوسة ولكنها الخمر التي أعدها الله للمتقين في
الجنة، وهي ترمز أيضا إلى الانعطاف والاتحاد والوجد .

والحقيقة التي نستخلصها من نصوص رابعة العدوية الشعرية، هي أنها قد اختارت
منذ عرفت الحب حبيباً واحداً، لا تريد الاقتران إلا به وهو الله عز وجل ، فإنها لن
تشغل نفسها بأحد غير الله، فخرجت بنظرية خاصة بها إلا وهي التجرد والعزوبة وهذا
ما ألمحت إليه عندما سألت الحسن البصري أسئلتها الأربعة، وأعبته في الإجابة عنها
فقالت: إذا كان الأمر كذلك وأنا في قلق وكرب من هذه الأربعة فكيف احتاج إلى
الزواج وانفرغ له^(٣).

(١) شرح المقامات الحريري للشريشي ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) شهيدة العشق الإلهي ص ١٧٣ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥٢ .

وتقف رابعة في محراب الحب تناجي الحبيب، وقلبها يتلظي شوقاً إليه فنقول له :
 وزادي قليل ما أراه مبلغني الزاد ابكي أم لطول مسافتي
 أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي منك أين مخافتي^(١)

أنها تشكو من قلة الزاد وكثرة المسؤولية ، إذ كيف يفوز المرء بشيء عظيم ولم يبذل من أجله إلا القليل ، فتعترف بالتقصير ولهذا ترجو من الله الكريم الحبيب، أن يمن عليها بالتوبة، وهي التي أحبته وجنت من أجله .

فمعني البيت الأول التي تري فيه قو الزاد والخوف من العقاب، نجده عند زين العابدين علي بن الحسين في قوله: الهي أن كان قل زادي في المسير إليك فلقد حسن ظني في التوكل عليك^(٢) .

وممن لهم في الحب الإلهي السر السقطي^(٣) أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة تحدث عن التصوف فجعله اسماً لثلاث معان، فهو الذي لا يطغي نور معرفته علي نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقصه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحصله الكرامات علي هتك محارم الله تعالى:

أخذ جلدة ذراعه ومدها، فلم تمتد ثم قال: وعزته لو قلت أن هذه الجلدة بيست علي هذا العظم من محبته لصدقت. وكان كثيراً ما ينشد :

من لم بيت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تقنت الأكباد^(٤)

فهو يتساءل كيف يشعر بحرقه القلب، وتقنت الأكباد من الحب من لم يتذوقه، ومن لم يملا قلبه منه، ثم نراه في بيت آخر يتعجب من أولئك الذين يستدعون له الطبيب ليداويه من ألمه، وهم يعلمون أن الطبيب الذي يعرف مرضه هو ذاته مصدر الألم فيقول :

(١) الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي لمحمد النبال ص ٥٧.

(٢) الصحيفة السجادة لعلي بن الحسين زين العابدين ص ٢٣٠.

(٣) هو أبو الحسن بن المفلس السقطي كان واحد أهل زمانه في الورع وعلوم التوحيد وهو خال

الجنيد وأستاذه توفي سبع وخمسون ومائتان ببغداد (وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٠٤)

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٩ ص ٢١٣.

كيف أشكو إلى طبيب ما بي والذي قد أصابني من طبيبي^(١)
 وقلب السري السقطي يحترق من لوعة الفراق، والدمع يسيل، والكرب حال به، والصبر
 قد فارقه ، لا يجد مجالاً للفرار مما يعانيه، لان الذي يفر منه هو ذاته، ولهذا يطلب
 من الله تعالى أن ينعم عليه بالفرج مما هو به، وهو علي قيد الحياة قائلاً :
 القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
 كيف الفرار علي من لا فرار له مما جناه الأسي والشوق والقلق
 يا رب أن كان شئ لي فرج فامنن علي به ما دام بي رمق^(٢)

ثم يستخدم السري السقطي أسلوب الرمز فيتحدث عن محبو بته التي تتهمه في
 إخلاصه للحب، لأنها رأت اللحم منه يكسو العظم، وهذا شئ غير جائز في لغة
 الحب، فالحب الحقيقي عندها هو ذلك الحب الذي يجعل الجلد يلتصق بالعظم. دليلاً
 علي شدة ما يعانيه المحب من حبه، وليس هذا وحده كافياً بل عليه أن يجد حتى
 يذبل ويعجز عن جواب يناديه، وان يتحول إلى إنسان ليس له من الحياة إلا مقلة
 يبكي بها ويناجي محبوبة فيقول:

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
 فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا
 وتتحل حتى لا يبقي لك الهوي سوي مقلة تبكي بها أو تتاجيا^(٣)

ونمضي في هذا العصر حتى نلتقي بالجنيد^(٤) راس الطبقة الثانية من المتصوفة،
 الذي يري في حب الله انس الفؤاد، والأمنية الغالية التي يتمناها، وهي أن يجتمع بالله
 عز وجل، ويتحد به بمثل قوله :

(١)المصدر نفسه ص٢١٧.

(٢)المصدر نفسه ص٢١٣.

(٣)اللمع للطوسي ص٣٥٣.

(٤)هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد القواريري الزاهد المشهور اصله من مرو من نهاوند
 ومولده ومنشؤه العراق وكان شيخ وقته وفريد عصره توفي سبع وتسعين ومائتين (وفيات الأعيان
 ج٤ ص٢٩٥).

اجل ما منك يبدو لانه عنك جلا
 وأنت يا انس قلبي اجل من أن تجلا
 أفنيتني عن جميعي فكيف ارعي المحلا^(١)

واتجاه الجنيد إلى أحوال المحبة يرجع إلى تعمقه في المعاني الصوفية، وخوضه فيما وراء مجرد المحبة، أو الإخلاص فيها، أو معاناة آثارها .
 وكان الجنيد ممن يطرب للوجد، ويظنه منتهى رحلته، فما جازه إلى المشاهدة عرف انه كان محجوباً فكشف، وهو في ذلك يقول :

قد كان يقربني وجدي فافقدني عن رؤية الوجد من في الوجد موجود
 الوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند شهود الحق مفقود^(٢)

أي أن الوجد عند الجنيد ، منزلة يفرح بها من قصر بهم وجدهم إلى الغايات، فإذا ما انتهوا إلى الغاية فنوا في شهودهم عن كل ما عداه، حتى عن وجدهم، وكل وجد لا ينتهي إلى الشهود، فقد قصر بأصحابه عن لحوق الغاية .

وحول معني الوجد قال أيضا :

الوجد عندي جود ما لم يكن عن شهود
 وشاهد الحق عندي يغني شهود الوجود^(٣)

فالحب عنده جود إذا لم يكن معلناً علي الملا ليعرفه جميع الناس، ويكونوا شهوداً عليه. وفي معني الجمع وأنواعه التي تحدثت عنه الصوفية قال الجنيد :

(١)طبقات الصوفية للسلمي ص ١٥٦ .

(٢)عوارف المعارف للسهر وردي ص ٣٦٧ .

(٣)التصوف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ٨٣ .

وتحققتم في السرر
فاجتمعنا لمعان
أن يكن غيبك التعظيم
فلقد يرك الوجدد

فناجناك لساني
وافترقنا لمعان
عن لحظ عياني
من الأحشاء داني^(١)

فالجنيدي هنا جمع معاني وفرق أخرى. وهذا هو جمع الجمع، وهو حال العارفين. وهو يتحدث عن المحبوب وهو الله تعالى، فيقول مخاطباً: لقد تحققتك من وجود حبك في قلبين فناجناك لساني، فجمعت بيننا أشياء، وفرقت بيننا أشياء أخرى. ولكن هذا الفراق أن حدث فإنه لا يزيد في نفسي إلا التعظيم لك، واللهفة لرؤياك، وما ذلك إلا لأنك قد أصبحت متمكناً بأحشائي مسيطراً عليها بحبك .

وفي حبه يشعر الجنيدي أنه أصبح لسوء فهم الناس لمعني هذا الحب، يشعر بان هؤلاء الناس ينظرون إليه بمنظار التعجب، فاخذ يعتزلهم، ويشعر في نفسه بالغرابة عنهم، وما ذلك إلا لأن العارفين برأيه درجات ومراتب من حيث المعرفة والإدراك. لهذا صار أمره لا يعرف ولا يدرك علي حقيقته. فهو لا يعرف إلا من خلال عمله كخطيب للعارفين فيقول :

تغرب أمري عند كل غريب
وذاك لان العارفين رايتهم

فصرت عجبياً عند كل عجب
علي طبقات في الهوا ودروب

فأصبح أمري ليس يدرك غوره
وقال في الاحتراق والتعذيب :

يا موقد النار في قلبي لقدرتة
لا عار أن مت من خوف ومن حذر

لو شئت اطفيت عن قلبي بك النارا
علي فعالك بي لا عار لا عارا^(١)

(١)اللمع للطوسي ص ٥٧.

(٢)اللمع ص ٢٤٧- ونحن نجد في أبيات الجنيدي إقواء، والإقواء هو اختلاف حركة الروي فقد جاءت القافية في البيت الأول مخفوضة بقوله عند كل عجب وفي البيتين الآخرين مرفوعاً بقوله الهوا وثوب وللعارفين خطيب.

فالجنيـد يخاطب محبوبـة بلغة المحبين الوالـهين، لغة من اخذ الحب بجوامع القلب، فيقول له أيها المحبوب يا من أشعلت النار في قلبي بقدرتك، أنت وحدك القادر أيضا علي إطفاء هذه النار .

ويستمر الجنيـد في مناجاة المحبوب وهو الله تعالى فيقول : أنى لا أجد أي عار يلحق بي أن مت من الخوف ومن الحذر في فعل ما يغضبك، ويستوجب منك القصاص، ومنى الرضوخ والقبول .

وبجد الجنيـد هنا يلتقي مع رابعة العدوية في التعبير عما يفعله الوجد والشوق في النفوس، من عذاب والم، وفي الخوف الشديد من غضب الله، ومحاولتهم بكل جهدهم المحافظة علي رضاه ومحبته .

وحول هذا المعني قال أيضا:

يا مسعري أسفا يا متلفي شغفاً لو شئت أنزلت تعذيبي بمقدار
حاشاك من استغاثاتي فكيف وقد أوليتني نعماً طاحت بأذكار^(٢)

فالمحـبوب هنا يسـعر الأحشاء ناراً ويتلف الأبدان شوقاً، وهو الذي تناط به أمور التعذيب والصفح في أن معاً. ثم يقول الجنيـد مخاطباً المحبوب، كيف استغيث بك، مما تنزله وأنا اعلم، بان نعمك كثيرة لا تحصي، وانك في تعذيبي تريد أن تطهر قلبي وجسدي من ادران المادة لاسمو بروحي وجسدي نحو عليائك .

ويقول الجنيـد أيضا: أنني ابتليت بالمجافة والهجران، وكنت في الماضي لا اعرفها، وما هذه المجافة وذلك الهجران، إلا بعد تعلقـي بحبك، واستعذابي لكاس ذلك الحب الصافي، الذي احتسيته معك :

فلما جفيت وكنت لا اجفي ودلائل الهجران لا تخفي
واراك تيقيني وتمزجني ولقد عهدتك شاري صرفا

(١)المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢)اللمع ص ٢٤٧.

وسال رجل الجنيد مسالة فانشد :

نم علي سر وجده النفس والدمع من مقلتيه ينبجس
مدله هائم له حرق أنفاسه بالحنين تختلس
مهذب عارف له فطن من نور انس الحبيب يقتبس^(١)

انه يصف حال الصوفي المحب، وما ينتابه من اجل هذا الحب، فهو يهيم بحبه
ويذرف الدمع من اجل الوصول إلى من يحب، وإظهار الشوق والحنين لهذا
المحبيب، وهذا الصوفي مهذب وعارف، يقتبس معرفته من نور الحبيب .

ولما كان الجنيد يكثر من التحسر علي أحواله الماضية، ويتأسف لأحواله الحاضرة.
قال له رجل: علام يتأسف المحب؟ فقال : علي زمان بسط أورث قبضاً، أو زمان
أورث وحشة وانشا يقول :

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم فكدرته يد الأيام حين صفا^(٢)

وكان يقول :

إذا كنت قوت النفوس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أنت قوتها^(٣)

فالحب في نظر الجنيد هو قوت المحبوب، فإذا ما هجر المحبوب من يحبه فان نفس
المحب لا بد هالكة .

ويتألق الحب الحقيقي المنبعث من ذات النفس المتحرقة شوقاً في أبيات أبي العباس
بن عطاء^(٤) الذي يقول :

(١)اللمع ص ٢٤٨ .

(٢)الحلية ج ١٠ ص ٢٧٩ .

(٣)الحلية ج ١٠ ص ٢٧٦ .

(٤)هو احمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي من مشايخ الصوفية وعلمائهم له لسان في

القران يختص به صحب الجنيد ومات سنة تسع وثلاثمائة واسند الحديث(طبقات الصوفية

ص ٢٦٠).

ذكراك لي مؤنس يعارضني يوعدني عنك منك بالظفر
فكيف أنساك يا مدي هممي وأنت مني بموضع النظر^(١)

ذكر الله يؤنس أبو العباس، لانه يقرب الأمل في نفسه من الظفر بلقائه. ثم هو يتساءل متعجباً كيف يمكن أن أنساك أيها الحبيب العظيم، والوصول إليك هو غاية مناي، واوسع هممي، ثم انك مني بموضع النظر الذي لا يفارقتني . ويستمر أبو عطاء في الحديث فيقول :

أجلك أن أشكو الهوي منك أنني أجلك أن تومي إليك الأصابع
واصرف طرفي نحو غيرك عامداً علي انه بالرغم من نحوك راجع^(٢)

فأبو العباس يجل الله تعالي وهو المحبوب الموجه إليه القول، أن يشكو الهوي من حبه فالحب الصادر من ابن عطاء نحو خالقه حب الضعيف نحو القوي، فالتوازن هنا مفقود بين المحب والمحبوب .

وانما إذا شكا أبو العباس من حبه، فإنما يشكو لانه إنسان ضعيف لا يقوي علي الصبر الطويل للوصول إلى مرضاة ربه، وحياسة حبه وعطفه. وهو إذا خاطب فإنما يخاطب بلغة القلب، وهو موطن الحنان ومصدرها الرئيسي، لا أن يخاطب بلغة الحواس لان الحواس تأتي أن تتولى هذا العمل العظيم، الذي لا ترقى إلى مستواه ثم انه إذا حاول أن يستخدم حواس اللمس والنظر، فإنما يستخدمها ليشيرها إلى شخص آخر، وان كان المقصود هو الله المحبوب .

وأبو العباس بن عطاء يتقبل كل ما يصدر عن الحبيب، فإذا صد الحبيب الهوي تمسك هو به اكثر، وان تخلي علي العهد أقام هو عليه وحفظه . وهو أن فعل ذلك فلانه يؤمن أن الوجد الحقيقي لا يكون إلا مع العذاب الذي تذوب معه الأفتدة فيقول :

(١)طبقات الصوفية ص٢٦٥.

(٢)المصدر نفسه ص٢٦٦.

إذا صد من اهوي صدت عن الصد وان حال عن عهدي أقمت علي العهد
فما الوجد إلا أن يذوب من الوجد ويصبح في جهد يزيد علي الجهد^(١)

وتحدث أبو علي الثقفي^(٢) عن المحبة وأحوال المحبين وانشد خلال تلك الأحوال هذه الأبيات فقال :

إلى كم يكون الصد في كل ساعة وكم لا تملين القطيعة والهجرة
رويدك أن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهر^(٣)

الخطاب هنا يوجهه الثقفي إلى نفسه مؤنباً، فيقول لها الام هذا التمسك بحب الدنيا والبعث عن المحبوب الحقيقي وهو الخالق عز وجل، إلا تملين هذه القطيعة والهجران، أنني أحذرك م ن سوء نتائج أفعالك، فالدهر شيمته التفريق بين المحبين، فلماذا هذا الانتظار في التخلي عن كل شيء في سبيل الحب الاسمي المثالي، الحب الصادر من العبد إلى ربه عرفاناً منه وتقديراً .

وميز الكتاني بين أصناف البشر، فجعل منهم الغافلين الذين يعيشون في حلم الله ، والذاكرين الذين يعيشون في رحمة الله، والعارفين الذين يعيشون في لطف الله، والصادقين الذين يعيشون في قرب الله .

وسئل عن الصوفي فقال : من عرفت نفسه عن الدنيا تطرفاً، علت همته عن الآخرة، وسخت نفسه بالكل طلباً وشوقاً ثم انشد :

فالوجد والشوق في مكاني قد منعاني عن القرار
هما معي لا يفارقاني فذا شعاري وذا دثاري^(٤)

(١) طبقات الصوفية ص ٢٦٨.

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب اشتغل بعلم الصوفية وتكلم عليها احسن كلام مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة واسند الحديث (طبقات الصوفية) ص ٢٧٠.

(٣) طبقات الصوفية ص ٣٧٢.

(٤) طبقات الصوفية ص ٢٩٠.

فالوجد والشوق تملكا الكتاني وجعله أسيرا لهما، لا يستطيع اتخاذ أي قرار بدونهما -
فهما موجهان إلى حبيب ليس كمثلته شيء، فكيف يستطيع إذن أن يصرف النظر عن
مولاه إلى من لا يستحق ذلك من الناس .

أن الكثير من الشعراء الزهاد، بدوا حياتهم خلعاء، ثم ادركتهم صحوة في ضمائرهم
فأفاقوا مما هم عليه من إثم ، ثم تابوا واناوبوا، وانقطعوا للعبادة، والتهجد وحياء الزهد،
أمثال رابعة العدوية الزاهدة المشهورة، التي عرفت حياتها الأولى الكثير من اللهو
والمجون ثم أفاقت من سكرتها، فظهرت روحها مما شابها من الإثم واعتزلت الناس،
وعكفت علي نفسها عابدة متهجدة ولكن توبة رابعة لم يشك فيها أحد من الباحثين،
وملاءمتها بين الزهد بوصفه نظرية، ومن حيث هو سلوك عملي طبقت أركانها علي
كل مظاهر حياتها ودخائلها، كان تاماً بعد توبتها، وليس هناك أشكال من أمثال رابعة
العدوية، ولكن الصعوبة تصادف - الباحث في أمثال أبي العتاهية حامل لواء الزهد،
والمؤسس الحقيقي لهذا اللون من الشعر وابرازه بين سائر ألوان الشعر الأخرى. فقد
كني بهذا الاسم لانه كان يحيي المجون والمتعة^(١) في بداية حياته، ثم تزهد. وقد
اختلفت الروايات حول السبب الرئيسي الذي من اجله تزهد أبو العتاهية .فالبغدادي
يعيد تزهده إلى انه رأى في المنام آتياً أتاه، فقال : ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين
عتبه يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى؟ فتنبهت مذعوراً، وتبت إلى الله تعالى
من ساعتى عن قول الغزل^(٢). ويروي المسعودى أن فشل أبي العتاهية في حبه لعتبه
هو الدافع الرئيسي لجنوحه إلى الزهد، والتخلي عن سابق عهده في الإثم والفجور،
وارتكاب المعاصي، فقد قال المسعودى في مروج الذهب، وهو يصف حالة اليأس
التي انتابت أبا العتاهية، عندما اخبره الرشيد برفض عتبه الزواج منه : قال أبو
العتاهية : "فلما اخبرني بذلك الرشيد، مكثت ملياً لا ادري أين أنا، ثم قلت الآن يئست
منها إذ ردتك، وعلمت أنها لا تجيب أحدا بعدك ثم انشد:

الآن يا دنيا عرفتك فاذهبي يا دار كل تشنتت وزوال^(٣)

(١)الأغاني ج ٣ ص١٢٧.

(٢)تاريخ بغداد ج ٦ ص٢٥٨.

(٣)مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص٣٦٧-٣٦٨ .

ومنهم من يري أن من الدوافع القوية لزهد أبي العتاهية هي إحساسه الدفين بفقره وضعة اصله^(١) وهنالك روايات أخرى كثيرة ساقها الباحثون، للدلالة علي السبب الذي من اجله تزهد أبو العتاهية .

ومن وجهة نظرنا انه قد يكون لهذه الأسباب التي ذكرناها دور هام في تغيير حياة أبي العتاهية وانتقالها من مرحلتها السابقة الآثمة، إلى مرحلة أخرى جديدة نقية زاهدة، ولكن هنالك سبب آخر لتزهد لا يقل أهمية عن هذه الأسباب التي ذكرناها وهي "استعداده النفسي للتزهد، فهو ما كان ليتخلي عن حياته اللاهية المترفة الهينة بسهولة، لو لم تكن عنده الخلفية المتينة القوية، والصادقة للتزهد^(٢) فهو في تكوينه النفسي يحمل بذور الزهد، التي تتربح المناخ الملائم والأرض الصالحة لتتحول من بذور إلى ثمار يانعة طيبة.

وكما اختلف النقاد حول الأسباب الحقيقية لزهد أبي العتاهية، فإننا نجدهم كذلك يختلفون حول حقيقة هذا الزهد، هل هو زهد صادر عن إيمان ثابت أم انه تشويه بعض الشوائب وتحيط به الشكوك، التي تنقص من قيمته وتجعل منه هدفاً لتحقيق غاية مرجوة لا يريد البوح بها.

فأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني يري: "انه حامت حول شخصية أبي العتاهية شبه كثيرة، وقيل انه يقنت للقمر، ويبتهل ابتهاال المانوية، وانه لا يؤمن بالبعث^(٣). وهذا يعني لدينا انه كان دهرياً، ويبدو أن الذي أشاع هذه الفكرة عن أبي العتاهية هو منصور بن عمار^(٤) - أحد قصاص القرن الثاني - بسبب عداوة كانت بينهما، وأبو

(٢) دراسات في الأدب الإسلامي لمحمد خلف الله ص ٨٥.

(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني لمحمد مصطفى هداره ص ٢٧٦.

(٤) الأغاني ج ٣ ص ١٢٦.

(١) منصور ابن عمار بن كثير الواعظ البليغ الصالح الرباني ابو السري السلمي الخراساني وقيل البصري كان عديم النظر في الموعظة والذكير وعظ بالعراق والشام ومصر وبعد صيته قيل ان الرشيد سمع وعظه فقال له من اين تعلمت قال تفل في رسول الله صلي اله عليه وسلم في

الفرج يذكر هذه العداوة وسببها، ويروي عن منصور بن عمار ثلاثة أخبار تتفق في مضمونها وفي هدفها. فقد زعم منصور انه سمع أبا العتاهية يقول: قرأت البارحة" عم يتساءلون" ثم قلت قصيدة احسن منها، والخبر الثاني يقول لجمهور سامعيه أن أبا العتاهية زنديق، والدليل علي ذلك انه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار، وانما يذكر الموت فقط^(١). ومضمون اتهامات منصور بن عمار أن أبا العتاهية دهري لا يؤمن بالبعث ولا الحساب، ولهذا يتهاون بذكر الجنة وما فيها ، كما انه لا يؤمن بالقران ولا ينزله من نفسه منزلة القداسة، ولهذا يري أن شعره قد يفوق بعض سور القران وآياته. ويرى الأصفهاني عن الصولي عن موسي عن احمد بن حرب^(٢) اتهاماً لأبي العتاهية بمذهب جديد وهو محاولة التوفيق بين الإسلام وعقائد الثنوية فهو يقول: "كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد، وان الله خلق جوهريين متضاريين من لا شئ واحد ثم انه بني العالم منهما، وان العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله، وكان يزعم أن الله سيرد كل شئ إلى الجوهريين المتضاريين قبل أن تفني الأعيان جميعاً"^(٣) وروي الخطيب البغدادي أن الرشيد قال لأبي العتاهية: "الناس يزعمون انك زنديق، فقال يا سيدي أكون زنديقاً وأنا القائل :

أيا عجبي كيف يعصي الإله	أم كيف يجحده الجاحد
والله في كل تحريكة	وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شئ له أية	تدل على انه واحد ^(٤)

النوم وقال لي يا منصور قل لم اجد تاريخ وافته وكانها في حدود المئتين .انظر التاريخ الكبير ٣٥٠/٧ الجرح والتعديل ١٧٦/٨ تاريخ بغداد ٧١/١٣ طبقات الاولياء ٢٨٦ (٢)المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٤.

(٣)احمد بن حرب ابن فيروز الامام القدوة شيخ نيسابور ابو عبد الله النيسابوري الزاهد كان من كبار العلماء ارتحل وسمع من سفيان بن عيين وجماعة وحدث عنه احمد بن الازهر وجماعة صنف كتاب الاربعين وكتاب عيال الله وكتاب الزهد وكتاب الدعاء وكتاب الحكمة وكتاب المنسك وكتاب التكبس مات سنة (٢٣٤هـ) وقد قارب الستين . الجرح والتعديل ٤٩/٢ تاريخ بغداد ١١٨/٤ شذرات الذهب ٨٠/٢

(٤)الأغاني ج ٤ ص ٦.

(١)تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٥٣.

وابن المعتز يرميه بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والوعظ وذكر الموت والحشر والنار والجنة^(١) .

أن هذه الحجج وغيرها التي يقدمها النقاد والباحثون القدامى حول عدم إخلاص أبي العتاهية في الزهد، ويقصدون من ورائها التشكيك في هذا الإخلاص، لا تمثل في نظرنا إلا وجهات نظر خاصة يجب أن لا نعتمد عليها اعتماداً كلياً في تقييمنا لزهد أبي العتاهية. فهناك حقيقة لا يجب أن نهملها إذا أردنا أن نكون منصفين لهذا الشاعر، وهي أن أبا العتاهية قد ذكر كثيراً في أشعاره الجنة والنار، فمن قوله في هذا الموضوع:

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار
الدار جنة خلد أن عملت بما يرضي الإله وان قصرت فالنار^(٢)

وهذا يدحض مزاعم من اتهمه بعدم إيمانه بالجنة والنار. وأما القول بان أبا العتاهية زنديق رغم كثرة أشعاره في الزهد، وبأنه لا يؤمن بالقران، وبأنه كان يستهزأ به، وانه قال بأنه يستطيع أن ينظم شعراً احسن من الآيات القرآنية فان الرد علي هذا كله هو أشعار أبي العتاهية الكثيرة، التي استقي معناها من القران الكريم، وظهر فيها شدة تأثره بالمعني القرآني وأحاديث الرسول كقوله:

لو أن عبداً له خزائن ما في الأرض ما عاش خوف إملاق
يا عجباً كأننا يجيد عن الحسنين وكل لحينه لاق
كأن حياً قد قام ناديه والتفت الساق منه بالساق
واستل منه حياته ملك الموت خفياً وقيل من راق^(٣)

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٨.

(٣) الديوان ص ١٤١.

(١) الديوان ص ٣٢٦.

فالمصدر الذي استقي منه أبو العتاهية معني بيتيه الآخرين القرآن الكريم من سورة
القيامة . حتى انه اخذ العبارة القرآنية كما هي ووضعها في قالب شعري .
وهناك معان أخذها أبو العتاهية من الأحاديث النبوية كقوله :

فلبي إلى أن أموت رزق	لو جهد الخلق ما عداني
واستعين بالله عن فلان	وعن فلان وعن فلان
ولا تدع مكسباً حلالاً	تكن منه علي بيان
ورزق ربي له وجوه	هن من الله في ضمان ^(١)

فمعني البيت الأول والبيت الثاني مأخوذ عن حديث لرسول الله "إذا سألت فاسأل الله
وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن ينفعوك بشيء، لم
ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك" (٢).
واما قوله :

ياعجباً للناس لو فكروا	أوحاسبوا أنفسهم ابصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها	فإنما الدنيا لهم معبر
والخير ما ليس يخاف هو	المعروف والشر هو المنكر
والمورد الموت وما بعده	الحشر، فذاك المورد الأكبر
لا فخر إلا فخر أهل التقي	غداً إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقي	و البر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان في فخره	و هو غداً في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة	وجيفة آخره يفخر
اصبح لا يملك تقديم ما	يرجو ولا تأخير ما يحذر
واصبح الأمر إلى غيره	في كل ما يقضي وما يقدر

أما البيت الأول فمأخوذ من قول لقمان لابنه: يا بني لا ينبغي لعاقل أن يخلي نفسه
من أربعة أوقات: فوقت منها يناجي فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه، ووقت يكسب
فيه معاشه ووقت يخلي فيه بين نفسه وبين لذاتها ليستعين بذلك علي سائر الأوقات .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٣١ .

(٣) رياض الصالحين للنووي ص ٩٤ .

وقوله في البيت الثاني مأخوذ من قول الحسن: اجعل الدنيا كالفنطرة، تجوز عليها ولا تعمرها، والبيت الثامن مأخوذ من قول علي بن أبي طالب: وما ابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق ولا يدفع حتفه" (١) .

كما أن أبا العتاهية ما كان ليتخلي عن حياته اللاهية المترفة الهينة بسهولة، لو لم تكن عنده الخلفية المتينة القوية والصادقة للترهد، فهو في تكوينه النفسي يحمل بذور الزهد التي تتربح المناخ الملائم، والأرض الصالحة لتتحول من بذور إلى ثمار يانعة طيبة .

أم الكتاب المحدثون فلهم في زندقة أبي العتاهية آراء كثيرة أهمها ما قاله (فيدا) من أن "أول ما نلاحظه في معتقدات أبي العتاهية انه كان يؤمن بالاثنيونية بكل صراحة: فالعالم الظاهر مكون من جوهرين متعارضين، والوجود تنازعه طبقات إحداها خيرة والأخرى شريرة، وهو يرجع الوجود كله في النهاية إلى الجوهرين المتعارضين الذين نشأ منهما الكون وتكون، غير أن أبا العتاهية صاغ نظرياته الاثنيونية في صيغة واحدة، إذ جعل الله الواحد عند بدء الأشياء ، وقال: انه خالق الجوهرين، وان العالم ما كان له أن يوجد بدون الله وحده، طارقاً بذلك أسطورة الخليط الأزلي بين الجوهرين، أو المبدائن ونعني بهما النور والظلمة" (٢) .

وأما محمد جابر (٣) عبد العال فهو في دراسته لزندقة أبي العتاهية، تارة ينسبها إلى المانوية لان المشهور عن المانوية أنها تدعو إلى الزهادة في الغذاء والاكتفاء بملبس واحد في السنة، والي ذم البخل والكذب والسرقة^٤. وتارة إلى الزردشتية كما في قوله " لا تمضي رأيك في هوي إلا ورأيك فيه قصد من كان متبعاً هواه فانفه لهواه عبود

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٣٩ والديوان ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣٨ .

(١) التصوف الاسلامي زكي مبارك ص ٣٤٤

(٢) حركات الشيعة المتطرفين ص ١٤٨ .

فأبو العتاهية في قوله هذا حسب رأي محمد جابر عبد العال، متأثر برأي الزردشتية التي تجعل السعيد من فكر فاختر طريق الصواب، والشقي من عدل ذلك^(١).
ومحمد مصطفى هداره^(٢) يخالف هذه الآراء ويقول: لعل خير ما تؤكد به صحة إيمان أبو العتاهية تلك الأبيات الأخيرة التي قالها في مرضه الذي مات فيه، والتي يشع الصدف وحرارة الإيمان في أثنائها قول:

الهي لا تعذبني فإني مقرر بالذي قد كان مني
فما حيلة إلا رجائي لعفوك أن عفوت وحسن ظني
وكم من زلة لي في الخطايا وأنت علي ذو فضل ومن^(٣)

أما المصدر الأساسي الذي نستطيع منه أن نرسم صورة واضحة لحياة أبي العتاهية ومسارها من بدايتها إلى آخرها فهي أشعاره، وهذه الأشعار التي روتها لنا كتب الأدب وغيرها تظهر حياة أبي العتاهية في مرحلتين واضحتين تمام الوضوح، مرحلة نراه فيها علي شاكلة الشعراء المعاصرين له، الذين يجرون شعرهم في تصوير اللهو والمجون ومجالس الأنس والطرب^(٤) فيتخنت ويحمل زاملة المخنتين ويحب المجون والمتعة^(٥) ومرحلة أخرى نراه فيها زاهداً ترك وراءه كل ما كان عليه في الماضي، ويبدأ حياة جديدة، ولكن هذا الزهد أحيط بكثير من الريبة والشك، ورأي فيه بعض النقاد، زهداً نظرياً غير عملي لأنه يدعو الناس إلى الزهد في حين كان هو يقتر علي نفسه، ويدخر الأموال.

ولعل أهم ما يجابه به أبو العتاهية الباحث في شعره هو قوله الكثير في القناعة والزهد وذم الحرص. فمن قوله في القناعة :

(٣) المرجع نفسه ص ١٦٣.

(٤) التصوف الاسلامي ٣٤٥

(٥) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ص ٢٧٠.

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٢٦.

ما زلت يا دنيا كفى ضلال
شجر القناعة والقناعة مالي
ملكاً يري الإكثار كالإقلال
والفقر عين الفقر في الأموال
عوضاً ولو نال الغني بسؤال^(١)

ما أنت يا دنيا بدار إقامة
غرس التخلص منك بين جوانحي
لما حصلت علي القناعة لم أزل
أن القناعة بالكفاف هي الغني
ما اعتاض باذل وجهه ولسانه

وقوله :

أليس لي بالكفاف متسع
للناس جميعاً لو أنهم قنعوا
أراهم في الغي قد رتعوا
قبلي يقوم فما تري صنعوا
اعظم نفعاً من الذي ودعوا^٢

حتى متي يستفزني الطمع
ما افضل الصبر والقناعة
واخذع الليل والنهار لاقوام
لله در الدنيا فقد لعبت
وكان ما قدموا لانفسهم

وقوله:

أي عيش يكون ابلغ من عيش
صاحب البغي ليس يسلم منه
رب ذي نعمة تفرض منها
ابلغ الدهر في مواعظه بل
غيبنتي الأيام عقلي ومالي
كفاف قوت بقدر البلاغ
وعلي نفسه بغي كل باغ
حائل بينه وبين المساغ
زاد فيهن لي علي الإبلاغ
وشبابي وصحتي وفراغي^(٣)

فهو هنا يتساءل أي عيش يكون افضل من عيش الكفاف، أليس فيه السعادة وراحة البال، بينما تري صاحب النعمة يتعرض دائماً للمخاطر، لهذا يعيش حياة قلق، وخوف علي مصيره. ثم أن رضاه بالكفاف ناتج عن تجربة منه مع الدهر، الذي ينقص من ماله ومن بدنه ومن عمره .

(٢) ديوان ابي العتاهية ص ٣١١.

(٣)الديوان ص ٢٣٠.

(١)الأغاني ج ٣ ص ١٤٥.

وأبو العتاهية يري كذلك انه إذا كان مصير الإنسان الموت، أليس أمراً عجيباً الجمع بين المتناقضين الأيمان بالموت، والإيمان بالعيش عيناً، مع علمه بأنه سيذهب ولن يأخذ معه شيئاً فيقول :

وابتغياً من المعاش فضولاً لو قنعنا بدونها لاكتفينا
ولعمري لنمضين ولا نمضي بشيء منها إذا ما مضينا
عجباً لامرئ يتيقن أن الموت حقاً فقر بالعيش عيناً^(١)

فأبو العتاهية في هذه النصوص وغيرها في القناعة، رجل غرس شجرة القناعة في نفسه ليتخلص من آثام الدنيا، وهو لما حصل علي القناعة، اصبح كالملك يتساوي عنده المال الكثير والقليل. والكفاف في نظره هو الغني الحقيقي، والفقر ليس في قلة المال، بل في الطمع به .

هذه المنهجية التي سلكها أبو العتاهية في شعره، هل طبقها علي حياته؟ هل مثلاً تمكنت شجرة القناعة من قلبه، لعل في بعض ما ورد من أخبار علي السنة معاصريه، ما يجيب علي هذا السؤال. فقد قيل انه جمع مالاً وفيراً فاض كثيراً عن حاجته. ويحكي لنا طيفور أن المأمون كان يبعث إلى أم جعفر في كل سنة من ضرب السنة دنانير ودرهم فكانت تصل أبا العتاهية منها، ف جاء أبو العتاهية إلى مسلم بن سعد كاتب أم جعفر فأعطاه رقعة وساله أن يرفعها إلى أم جعفر وفيها :

زعموا لي أن من ضرب السنة جدوداً بيضاء وصفراً حسنه
سككاً قد أحدثت لم ارها مثل ما كنت أرى كل سنة^(٢)

فكيف يتفق هذا مع ما يدعوا إليه من تقشف وقناعة .

وأما فيما يختص بزم الحرص علي المال، وجعله آفة للعباد ، ونصح الإنسان بعدم التحلي بالبخل، وبوجوب الأنفاق مما في أيدي الناس، يقول أبو العتاهية:

(٢)الديوان ص ٢٣١.

(١)كتاب بغداد ص ١٦٠.

اشد الجهاد جهاد الهوي
واخلاق ذي الفضل معروفة
وليس الغني نشب في يد
وما كرم المرء إلا التقى
ببذل الجميل وكف الأذى
ولكن غني النفس كل الغني^(١)

والشطر مأخوذ من حديث الرسول(ص) بعد أن رجع من الجهاد فقال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وسئل عن الجهاد الأكبر فقال: جهاد النفس".
والشطر الثاني مأخوذ من قوله: "أن أكرمكم عند الله اتقاكم".

وفي ذم الحرص وما يلحق بصاحبه م نصفات سيئة يقول أبو العتاهية:
الحرص داء قد اضر
بمن تـري إلا قليلا
كم من عزيز قد رأيت
الحرص صيره ذليلا
فتجنب الشهوات واحذر
أن تكون لها فتيلا
فلرب شهوة ساعة
قد أورثت حزناً طويلا

والبيت الأخير مأخوذ معناه من قول لعلي بن أبي طالب: لا خير في لذة زائلة وأثمها دائم .

ويحدد أبو العتاهية بعض الصفات السيئة، التي تنجم عن شدة الحرص، فهي تؤدي إلى الضعة، والعناء، والفاقة، والذل، وأي شئ يلحق به أكثر من هذه السيئات، وإذا كان لا بد من طلب العون من صاحب الحرص، فأبو العتاهية ينصح بالبعد عن هذه النماذج من الناس، والرضا بما يمتلكه أهون عليه من إذلال نفسه بدون نتيجة.

شدة الحرص ما علمت وضاعة
وعناء وفاقة وضراعة
إنما الراحة المريحة في اليأس
من الناس والغني في القناعة^(٢)

(٢)الديوان ص ٣١١.

(١)الديوان ص ٣٣٢.

وقوله:

عجباً ما ينقضي مني لمن ماله أن سيم معروفاً حزن
لم يضر بخل غيره فهو المغبون لو كان فطن
يا أخوا الدنيا تأهب للباي فكان الموت قد حل كان
عجباً من مطمئن أمن أوطن الدنيا وليست بوطن^(١)

فأبو العتاهية يتعجب ممن يحزنون إذا أكثر أحدهم من البذل، ابتغاء الأجر والثواب فيقول: أن الإثم الذي يرتكبه البخيل من جراء بخله، لا يحاسب عليه إلا هو، ولا يقع وزره إلا علي ظهره^(٢).

ويترك وراءه هذه النماذج من البشر ليتوجه بكلامه إلى المؤمنين الذين يسمعون النصيحة فيعملون بها، فيقول لهم: تأهبوا للموت، ولا تكونوا كأولئك الذين اطمأنوا للدنيا فاستوطنوها، وهم يعلمون بأنها ليست دار استيطان.

فهو هنا إذن يذم البخل ويرى البخيل مغبون لو تنبه لنفسه وادرك سوء فعله. فهل كان هو كريماً، وهل تنبه هو إلى غيبه، في عدم التقريط علي نفسه وعلي الناس.

أن أبا الفرج الأصفهاني يجيب علي هذه السؤال فيقول: لانه كان ابخل الناس مع يساره وكثرة ما جمع من الأموال^(٣).

وعن ثمامة بن أشرس أن أبا العتاهية انشده:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
إلا إنما مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركة
إذا كنت مال فبادر به الذي يحق وإلا استهلكه مهالكه

(٢) الديوان ص ٢٣٣.

(٣) المرجع نفسه ص ٣٩٦.

(٤) الأغاني ص ٣٣٢.

فقال ثمامة:

من أين قضيت بهذا؟ فقال : من رسول الله(ص) إنما مالك ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، فقلت له: أتؤمن بان هذا قول رسول الله(ص) وانه الحق قال: نعم قلت: فلم تبخس عندك سبعاً وعشرين بدرة في دارك، ولا تأكل منها ولا تسرب، ولا تزكي ولا تقدمها ذخراً ليوم فقرك وفاقتك، فقال: يا أبا معين والله ما قلت لهو الحق، ولكني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس. فقلت: وبما تزيد حال من افتقر علي حالك وأنت دائم الحرص دائم الجمع شحيح علي نفسك لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد. فترك جواب كلامي كله ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم. فلما قال لي هذا القول أضحكني، حتى أذهلني عن جوابه، ومعاتبته وأمسكت عنه، وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام" (١) .

وعندما سمع سلم الخاسر(٢) ما يقوله عنه أبو العتاهية:

تعالى الله يا سالم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

قال سلم: وبلي علي المخنث الجرار الزنديق، جمع الأموال وكنزها، وعبا البدور في بيته ثم تزهد مراعاة ونفاقاً .

وسمع الشاعر الجماو: أبا العتاهية وهو ينشد في الزهد فرد عليه فقال:

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٣٢.

(٢) سلم الخاسر من فحول الشعراء من تلامذة بشار وهو سلم بن عمرو بن حماد مدح المهدي والرشيدي وعكف علي المخازي ثم نسك ثم مرق وبيع مصحفه واشتري بثمنه ديوانا فلقب بالخاسر وقد اجازه اغلرشيدي بمئة الف قيل انه مات قبل الرشيد طبقات بن المعتر ٩٩ تاريخ بغداد ١٣٦/٩

ما اقبح التزهيد من واعظ
لو كان في تزهيده صادقاً
يخاف أن تنفد أرزاقه
والرزق مقوم علي من تري
يزهد الناس ولا يزهـد
اصبح واضح بينه المسجد
والرزق عند الله لا ينفـد
يناله الأبيض والأسود^(١)

وأبو العتاهية يري أن حاجات الإنسان تبدأ ولا تنتهي، لهذا فمن مصلحة الإنسان أن يرضي بما قسم لهم من الرزق، وإذا لم يرض، فسيعرض نفسه إلى لجة الفاقة الكبرى فيقول :

متي تنقضي حاجات من ليس واصلاً
وان امرءاً يسعي لغير نهاية
إلى حاجة حتى تكون له أخرى
لمنغمس في لجة الفاقة الكبرى^(٢)

لهذا فهو ينصح الإنسان بان يستريح من عناء العمل المتواصل، في سبيل الكسب إذا كان قليل المال يغني عن الكثير .

متي تمسي وتصبح مستريحاً
وقد يجري قليل المال مجري
وأنت الدهر لا ترض بحال
إذا كان القليل يسد فقري
وأنت الدهر لا ترض بحال
ولم أجد الكثير فلا أبالي^(٣)

وقوله:

طلبت الغني في كل وجه فلم أجد
خليلي ما اكفي اليسير من الذي
سبيل الغني إلا سبيل التعفف
وما اكرم العبد الحريص علي الندي
نحاول أن كنا بما كفي نكتفي
فهو هنا يقف موقف المرشد، المندد بمطامع الإنسان، لانه لا يريد الرضي بما في يديه، بل يحاول الحصول علي المزيد عن طريق الرضا، أو عن طريق الجبر .
واشرف نفسي الصابر المتعفف^(٤)

(١)الأغاني ج ٣ ص ١٦٣-١٦٤.

(٢)الديوان ص ٨٠٧.

(٣)المصدر نفسه ص ٣٢٦.

(٤)الديوان ص ٢٤٠.

ولكن هل طبق هذا المرشد للناس بنصائحه علي نفسه، هل كان من العبيد الكرام الذين يحرصون علي الندى، وكان شريف النفس متعفاً لا يطلب النوال من أحد، أن قصيدته التي يمدح بها الهادي الخليفة العباسي، تصوره عكس ما أراد أن يكون فقد قال:

يا أميين الله مالي	لست ادري اليوم مالي
لم أنل منك الذي قد	نال غيري من نوال
تبذل الحق وتعطي	عن يمين وشمال
وأنا البائس لا تنظر	في رقعة حالي ^(١)

أن قوله هذا يتناقض تماماً مع أقواله السابقة في تحذير الناس من الضراعة والوضاعة.

وأبو العتاهية يحث علي وجوب التمسك بسؤال الله وحده، وعدم إذلال النفس بطلب من الآخرين، فالله تعالي يضمن للإنسان رزقه، ويكفيه حاجة من لا يرحمه. كما يطلب تهذيب النفس، وتعويدها علي حسن الأعمال، والبذل لان المرء كما لا يرضي أن يهدر كرامته علي أبواب الآخرين، فعليه هو أن يتحلي بمكارم الأخلاق، فيبذل دون منة أو مقابل فالدنيا لا تستقر علي حال، فمرة ترينا أنسانا يمشي وهو مبطان، وتارة أخرى تظهره وهو طاو فيقول:

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٥٣.

أخي كن علي يأس من الناس كلهم
 ألم تر أن الله يكفي عباده
 أخي قد أبى بخلي وبخلك أن يري
 كلانا بطين ظاهر الكسي
 كانا خلقنا للبقاء وایننا
 أبى الموت إلا أن يكون لمن ثوي
 جميعاً وكن ما عشت لله راجياً
 من الناس يوماً أو لمست الافاعيا
 لذي فاقة مني ومنك مؤاسياً
 ومن الناس من يمسي ويصبح طاويا
 وان مدت الدنيا له ليس فانيا
 من الخلق طراً حيثما كان لاقيا^(١)

فهل هذب أبو العتاهية نفسه من الإذلال عن طريق عدم الوقوف علي أبواب الحكام، ومدحهم فالواقع انه بقي يمدح الحكام ويذل نفسه لهم ، رغم محاولاته المستمرة بعدم الوقوف هذا الموقف، فقد بعث للفضل بن الربيع بيتين كتبهما علي شرك نعل وقال فيهما:

نعل بعثت بها ليلبسها
 لو كان يصلح أن أشركهما
 قرم بها يمشي إلى المجد
 خدي جعلت شركها خدي^(٢)

صحيح أن حياة أبي العتاهية تظهر لنا من خلال دراستنا لها، أنها حياة مضطربة يسودها التناقض، ولكن هذا التناقض لا يدل علي أن أبا العتاهية غير مخلص في زهده، ولكنه يدل فقط علي ضعف نفسه، واضطرابها، وعدم استطاعتها الاستقرار علي حال من الأحوال شأنها في ذلك شأن كل نفس ضعيفة تتعرض لصدمات نفسية قوية في حياتها، فتجعلها تنهار أما م هذه الصعوبات.

ولكن ليس معني هذا أن أبا العتاهية وصل إلى الدرجة التي وصفه بها ثمامة بن الأشرس في استهجانته للتناقض القائم بين قول أبو العتاهية وبين فعله، فقال عنه بأنه لم يشرح الله صدره للإسلام، إذا كيف يكون هذا القول صحيحاً عن رجل لا نجد في شعره إلا التذكير بالموت ويوم الحساب وتقوي الله وترك الدنيا، ومن يقول بقلب موجه من خوف ألم العذاب فيا عجباً كيف يعصي الإله أم كيف يجده الجاحد .

(١)الديوان ص٣٢٦.

(٢)الأغاني ج ٣ ص١٦٦.

ولله في كل تحريكه علينا وتسكينة شاهد
وفي كل شئ له أية تدل علي انه واحد^(١)

كما نخالف الجمار في طلبه من أبي العتاهية أن يتخذ من المسجد بيتاً، لان الإسلام لم يطلب منا أن نكرس كل أوقاتنا للصلاة والصيام، بل يحثنا علي السعي وراء العيش أو كسب الرزق، بالإضافة إلى قيامنا بواجباتنا الدينية، ولكننا نوافقه بوجوب توكل أبي العتاهية في رزقه علي الله، وان تكون ثقته بكرم الله عز وجل اكبر مما هي عليه:

ونحن نجد نصوصاً شعرية كثيرة لأبي العتاهية يعترف فيها بتناقضه الواضح بين النظرية والتطبيق لما يؤمن به وما يفعله. فروحه تسمو إلى التحلي بالمثل العليا التي تدعو إليها الإسلام، ولكن إرادة التنفيذ عنده ضعيفة مما يحوا دون تحويل ما يقوله إلى أفعال فمما يقوله في هذا الصدد :

تزاهدت في الدنيا واني لراغب
وعودت نفسي عادة فلزمتها
إرادة مدخول وعقل مقصر
ولو طاب لي غرسي لطابت ثماره
أرى رغبتى ممزوجة بزهادتي
أراه عظيماً أن أفارق عادتي
ولو صح لي عقلي لصحت إرادتي
ولو صح لي غيبي لصحت هادتي

وفي مناجاته لربه يعترف بتقصيره الديني وانه لم يفعل ما كان يؤمن به فيقول:
اجن بزهرة الدنيا جنوناً
ولو أنى صدقت فيها
وافني العمر فيها بالتمني
قلبت لاهلها ظهر المجني^(٢)

وفي قصيدة أخرى يدخل أبو العتاهية مع نفسه في عتاب مرير، كأنه يحاول أن يحملها علي ما تؤمن به، في زهد وقناعة فيقول:

(١) زهر الآداب للقيرواني ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) الديوان ص ٧١.

يا نفس أنا توفكينا
 حتى متي لا تعقلين
 أصبحت أطول من مضي
 يا نفس إلا تصلحي
 وتفكيري فما أقول
 حتى متي لا ترعونا
 وتسـمعين وتبصـرينا
 أملاً واضحـهم يقينا
 فتشـبهي بالصـالحينا
 لعل قلبي لن يلينا^١

أن ما رأيناه من تناقض بين أقوال أبي العتاهية وأفعاله، يجب أن لا يقودنا إلى إصدار حكم علي أبي العتاهية نتهمه فيه بضعف الإيمان بالله، وبالبلبل بل يجب علينا أن ننصف هذا الشاعر بعض الشيء، وان كان هو ذاته قد أدان نفسه بسوء التقصير، وسببنا إلى هذا الإنصاف هو الوضع الاجتماعي السائد في عصره، فنحن نعلم أن أصحاب الجاه والسلطان من المترعين علي أرزاق العباد، لم يكونوا ينفقون هذه الأموال إلا علي من أذل نفسه لهم، وطاطا الرقاب، وعلي من مدحهم بما ليس فيهم، كما انهم لم يكونوا يحفلون بشعر الزهد الذي يحرك فيهم الضمائر الميتة، ويفتح أعينهم علي آخرتهم، وعلي ما يخيفهم، وينغص عليهم عيشهم، فهم لا يريدون إلا دوام الغيبوبة في مسكرات الحياة، لهذا ارتاي أبو العتاهية أن يقتر علي نفسه حتى لا يضطر الس سؤال هذه النماذج البشرية فيهين كرامته علي أبواب سؤالهم.

وإذا رأينا له بعض المواقف فيها متهاكاً علي المال ، فإننا نري له مواقف أخرى مغايرة، فيها عزة النفس والقناعة، ويتمثل هذا الموقف بما كان يظهره تجاه من لم يقدر له كرامته حتى قدرها، فقد كان لا يطيل الوقوف عاي أبواب الأمراء والوزراء إذا هم تباطاوا - بإحسان وفادته أو تجاهلوه، فسرعان ما كان ينصرف، ثم يبعث لهؤلاء بقصائد يعاتبهم فيها علي سوء تصرفهم . فقد روي الأصفهاني "أن أبا العتاهية قدم يوماً منزل يحي بن خاقان فلما بادر له الحاجب فانصرف، واتاه يوماً فصادفه حين نزل فسلم عليه، ودخل منزله ولم ياذن له، فاخذ قرطاساً وكتب إليه:

أراك ترع حين تري خيالي فما هذا يروعك من خيالي
لعلك خائف مني سؤالي إلا فلك الأمان من السؤال
كفيتك أن حالك لم تمل بي لا طلب مثلها بدلاً بحالي
وان اليسر مثل العسر عندي بأيهما منيت فلا أبالي

فلما قرا الرقعة، أمر الحاجب بإدخاله إليه فطلبه فأبى أن يرجع معه، ولم ينتقيا بعد ذلك^(١).

المطلب الثاني

اشهر الشعراء المتصوفة في العصر العباسي

ابو نواس:-

ونبدأ هذا الفصل بالكلام عني أبي نواس لانه اظهر شخصية تكلمت في الزهدة بعد المجون ، ويمتاز أبي نواس بالإخلاص في كل ما لهج به من المعاني الشعرية فهو مخلص في زندقته ومخلص في فجوه ، ومخلص في تقاه ، ولا تكاد تشعر بأن أبا نواس يبعث ، إنما يتكلم بالكلام أصحاب المبادئ ، فهو يشك عن إخلاص ويلحد عن إخلاص ، ويفسق عن إخلاص ويتوب عن إخلاص فهو أنموذج لقوة الروح وحياة الوجدان ، في مسالك الهوي ومسارب الضلال واول ما تتبناها له من شعور أبي نواس بلوعة الندم ، قوله في مطلع قصيدة يمدح بها الأمين :

يا دار ما فعلت بك الأيام أمتك و الأيام ليس تضام
 عرم الزمان علي الذين عهدتهم قاطنين وللزمانات عرام(١)
 أيام لا أغشي لاهلك منزلا إلا مراقبة علي ظلام
 ولقد تهزت مع الغواة بدولهم واسمت سرح اللهو حيث اساموا
 وبلغت ما بلغ ارمؤ بشبابه فاذا عصارة كل ذاك ااثام

وهذه (العصارة) ظلت تلاحق ابا نواس بموهوب الخيال ولعله كان يقاسي اعتلاج

هذه المرارة حين قال يدافع علي اقتراف الشهوات :

دوت علي اللذات منهتك السر وافضت بنات السر مني إلى الجهر
 وهان علي الناس فيما أريده ما جئت فاستغيث عن طلب العذر
 رأيت الليالي مرصداً لمدني فبادرت لذاتي مبادرة الدهر

وهذا الشعر يمثل مذهبه في تعليل الفسوق ، فهو يخاف من الليالي ويراهها تنهب مدته في الحياة فيسبق لاقتناص ما يستطيع اقتناصه من طيب اللذات.

ثم تنتظر فإذا عمر أبي نواس يميل إلى الغروب ، وعندئذ ينفر من اللذات تجملاً

فيقول

(١)العرام : الشدة و الشراسة.

أيا من بين باطيه وزق وعود في يدي غان معني
 اذا لم تته نفسك عن هواها وتحسن صوتها فأليك عني
 فاني قد شبعت من المعاصي ومن إدمانها وشبعن مني
 ومن سوا واقبح من لبيب يري متطربا في مثل سني
 سهوت و غربي املي و قد قصرت في عملي
 و منزلة خلقت لها جعلت لغيرها شغلي
 يظل الدهر يطبني وينحوني علي عجل
 فانا مي تقربني وتدنيني الي اجلي

أو يجزع من الشيب فيقول :

انقضت شـرتي(١) الملاهـي
 ونهتني النهي فملت الي العدل
 ايها الغافل المقيم علي السهو
 لا بأعمالنا تطيق خلاصاً
 اذ رمي الشيب مفرقي بالدواهي
 واشفقت من مقالة ناه
 ولا عذر في المقام لساه
 يوم تبدو السماء فوق الجباه

ثم نرتاه ينظر الي العمر نظرة فلسفية اذ يقول :

ان مع اليوم فاعملن غداً
 ما ارتد طرف امرئ بلذته
 فانظر بما ينقضي مجئ غده
 الا وشئ يموت من جسده
 و البيت الثاني يمثل عند الشهور به أقصى غايات الخوف و الجزع

ولابي نواس نظرات في الناس و الحياة فالناس عنده يتسللون من الهالكين واذا
 انتسب الرجل فهو فلان الهالك ابن فلان الهالك ، وهكذا دواليك إلى آدم فنسبتهم في
 الهلاك نسب عريق ، و الحياة عنده يلبس ثوب الصديق
 أرى كل حي هالكاً وابن هالك
 فقل لقريب الدار انك ظاعن
 اذا امتحن النيا لبيب تكشففت
 وذا حسب في الهالكين عريق
 الي منزلي نائي المحل سحيق
 له عن عدو في ثياب صديق

وهذه النظرة علي جانب من الدقة وطرافة الخيال فانساب الناس مطمورة في التراب ، و الدنيا تبدو في زينتها وتبسم كل يوم ولكنها تعطينا اللذات بئس غال عزيز ، وهي تأخذ العمر و العافية ، وأي شئ ائمن من العمر و العافية؟

وأبو نواس ، علي ما به يثق بالله ويدعو الي الثقة به ، ويرى الحاجة الي الناس من علامات ضعف اليقين ويقول :

لو لم تكن الله متهما
لم تمس محتاجاً الي أحد

وشهرة أبي نواس بالخلاعة و المجون لم تمنع أهل الفضل من رواية شعره في الزهد ، وقد اختار له ابن أبي الحديد^(١) الرائية التي يقول فيها يخاطب الأدميين^٢

يا بني النقص و العبر
وبني البعد في الطبا
وبني الضعف و الحور
ع علي القرب في الصور

وفي البيت الثاني نظرة فلسفية لا تكثر علي أبي نواس وقد خبر طوائف كثيرة من خلق الله.

وحدث احمد بن يحيى ثعلب قال : كنت احب أن أرى احمد بن حنبل فصرت إليه فلما دخلت عليه قال لي : فيم تنظر فقلت : في النحور و العربية ، فانشدني أبو عبد الله احمد بن حنبل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
ولا تحسبن الله يغفل ما مضي
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا ما تخفي عليه يغيب

(١) الشيخ العدل المرتضى الرئيس ابو الحسن احمد بن الواحد المحدث ابي بكر محمد بن احمد بن عثمان بن ابي الحديد السلمى الدمشقي سمع ابيه و جداه لاهمه ابا نصر بن هارون وحدث عنه ابو بكر الخطيب وجماعة وكان ثقة نبيلاً متفقدا لاحوال الطلبة والغرباء مات في ربيع الاول

سنة (٤٦٩هـ) العبر ٢٦٩/٣ شذرات الذهب ٣٣٢/٣

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٥٨

لهونا عن الأيام حتى تتابعت ذنوب علي آثارهن ذنوب
فبا ليت أن الله يغفر ما مضي ويأذن في توبتنا فنتوب^١

وهذه الأبيات من شعر أبي نواس ، وحسبه شرفاً أن يروي شعره احمد بن حنبل وفي ديوان أبي نواس باب اسمه الزهد يشتمل علي قصائد ومقطوعات تمثل رأي الشاعر في بعض الأزومات النفسية والأخلاقية فليرجع إليه القارئ أن شاء ولكن لا بد من الإشارة الي أن هذا الشاعر يتفق له أحيانا أن ينطق بأبيات هي نماذج من الندم الموجه وهو يتحدث عن المجون وتعليل ذلك سهل : فلبعض النفوس الجو امح صبوات الي ما في الرشد طمأنينة و أمان.

ابو العتاهية

وبعد أبي نواس يأتي أبو العتاهية ، وكان أولى بالتقديم لغبه الزهد علي شعره ولكننا نري القليل من زهديات أبي نواس احفل بروح الصدق من كثرة أبي العتاهية كان أبو العتاهية غزير البحر لطيف المعاني ، سهل الألفاظ كثير الافتتان قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك واكثر شعره في الزهد و الأمثال^(٢) وكان في صباه لا يتخير أصدقائه من خيار الناس ، فلما تقدمت به السن مال الي الرزاقه و الجد ، ولكن ماضيه في صحبة الفارغين ظل يلاحقه طول حياته ، وظل معاصروه يتهمونه بتكلف الزهد وينقولون عليه الأقاويل.

قال الجاحظ زعم لي بعض أصحابنا قال : دخلت علي أبي العتاهية وفي بعض المتنزهات وقد دعا عيشا صاحب الجسر وتهياً له بطعام وقال لغلامه إذا وضعت قد أهمم الغداء فقدم الي ثريده بخل وزيت ، فدخلت له بطعام عليه وإذا هو يأكل منها أكل تكمش غير منكر لشيء فدعاني فمددت يدي معه فإذا بئر يدا بخل وبزر بدلا من الزيت فقلت له أتدرى ما تأكل ؟ قال : نعم ! ثريدة بخل وبزر فقلت : وما دعاك الي

(١) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٥

(٢) الاغانى ج ٤ ص ٢

هذا ؟ فقال : غلط الغلام بين دبنه الزيت ودبته البزر^١ فلما جاءني كرهت التجير
وقلت : دهن كدهن فأكلت وما أنكرت شيئاً^(٢).

وهم بهذا يتهمونه بالشح علي نفسه من أهل الحرص علي ما يملك وليس ذلك من
اخلاق الزاهدين.

وقال أبو ثمامة بن اشرس انشدني بو العتاهية :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه	تملكه المسال الذي هو مالكة
إلا انما مالي الذي انا منفق	وليس الي المسأل الذي انا تاركه
اذل كنت ذا مال فبادر به الذي	يحق والا استهلكته مهالكه

فقلت له : اين قضيت بهذا ؟ قال : من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم انما لك
من مالك ما اكلت فافنيت ، او لبست فابليت ، او تصدقت فامضيت فقلت له : تؤمن
بان هذا قول رسول الله صلي الله عليه وسلم وانه الحق : قال نعم قلت : فلم تحبس
عندك سبعةً وعشرين بدره في دارك^٣ ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ولا تقدمها ذخراً
ليوم فقرك وفاقنتك ؟ فقال : يا ابا معن و الله أن ما قلت لهو الحق ولكني اخاف الفقر
و الحاجة الي الناس ، فقلت وبم تزيد حال من اتفقر علي حالك وانت دائم الحرص
دائم الجمع شحيح علي نفسك لا تشتري اللحم إلا من عيد الي عبد فترك جواب
كلامي كله ثم قال لي : والله لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما تبعه
بخمسة دراهم فلما قال لي هذا القول اضحكني حتي اذهلني عن جوابه ومعاتبته ،
فأمسكت عنه انه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام^(٤).

وفي هذه القصة فكاهاة واختراعها يدل علي غارم من عاصروا ابا العتاهية بتعقيب
اخباره وحمل الناس علي الارتياب في حقيقة ما كان يعلن من الزهد.

(1)الدبة : الوعاء البزر و الزيت.

(٢)الاجاني ج ٤ ص ١٧

(3) البدره عشرة آلاف درهم

(٤)الاجاني ج ٤ ص ١٦

وحدثوا انه كان لابي العتاهية جار ضعيف ، سيئ الحال متجمل عليه ثياب فكان يمر بابي العتاهية طرفي النهار ، فيقول أبو العتاهية اللهم اغنه عما هو بسيله شيخ ضعيف ، سيئ الحال عليه ثياب متجمل ، اللهم اعنه واضع له وبارك فيه فبقي علي هذا الحال الي أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة ، وما تصدق عليه قط بدرهم ولا دانق ومازاد علي الدعاء شيئاً قال المحدث : فقلت له يوماً يا ابا اسحاق اني اراك تكثر الدعاء لهذا الشيخ وتزعم انه فقير مقل ، فلم لا تتصدق عليه بشئ ؟ فقال اخشي أن يعتاد الصدقة و الصدقة اخر كسب العبد ، وان في الدعاء لخييراً كثيراً^(١)

و الكلام عن بخل أبي العتاهية وشحه ومنعه الزكاو كثير جداً يجده القارئ في الاغاني وغيره ، و الاقاصيص المروية عنخه بعضها صحيح وبعضها منحول ، ولكنها في جملتها تدل علي أن معاصريه تلقوا مسلكه في الزهد بالغمز و السخرية ، واستكثروا عليه أن يكون من أهل الحكمة و الدين .

وقد كانت له بالفعل آراء فيها تطرف ، ولم يسلم من التهمة بالزندقة ، وكان من العسير أن تمر الأزمات العقلية في زمانه ولا تمسه بشئ من السوء وقد استطاع خصومة أن يهجموا عليه العامة ، وان يدعوا انه زنديق ، وان يتهموه بالتهاون بالجنة وابتدال ذكرها في شهر اذ يقول :

كأن عتابه من حسناتها دمية قس فتنت قسها
يا رب لو انسيته بما في جنة الفردوس لم انسها^(٢)

ولا تهامه بالزندقة اخبار كثيرة ، وذلك يدل علي أن معاصريه لم يتقبلوا زهده بأحسن القبول ، وما ظنكم برجل كان الحواص من احبائه يذكرون اخيار زهده بالسخرية فقد حدث مخارق أن ابا العتاهية دعاه لزيارته فلما حضر وجد الشواء ، في قولي
أحمد قال لي ولم يدر ما بي اتحب الغداة عتبه حقاً

فغناه ، فشرب قدحاً وهو يبكي آخر بكاء ، ثم قال : غني في قولي :

(١) الاغاني ج ٤ ص ١٧

(٢) الاغاني ج ٤ ص ٥١

ليس لمن ليست له حيلة موجودة خير من الصبر

فغناه وهو يبكي وينشج ، ثم شرب قدحاً آخر وقال : غني فديتك ، في قولي :
خليلي ما لي لا تزال مضرتي تكون مع الأقدار حتماً من الحتم

قال مخارق : وما زال يقترح علي كل صوب غني عنه به في شعره فاغنيه ويشرب
ويبكي حتي صار العتمة فقال : احب أن تصبر حتى تري ما أضع فجلست ، فامر
ابنه وغلامه فكسرا كل ما بين أيدينا من النبز وآلته و الملاهي ، ثم أمر بإخراج كل
ما في بيته من النبيذ فاخرج جميعه ، فما زال يكسره ويصب النبيذ وهو يبكي حتي لم
يبق من ذلك شئ ثم نزع ثيابه واغتسل ، ثم لبس ثياباً بيضاً من صوف ثم عنقني
وبكي ، ثم قال : السلام عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلهم سلام الفراق الذي لا
لقاء بعده وجعل يبكي ، وقال هذا آخر عهدي بك في حال تعاشر أهل الدنيا فظننت
أنها بعض حماقاته فانصرفت وما لقيته زماناً ، ثم تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن
لي فدخلت ، عيشا هو قد اخذ قوصرتين^١ وثقب إحداهما وادخل رأسه وبديه فيها
وأقامها مقام القميص و ثقب الأخرى واخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل فلما
رايته نسيت كل ما كان عندي من الغم عليه و الوحشة لعشرته وضحكت و الله
ضحكاً وما ضحكت مثله قط فقال : من أي شئ تضحك ؟ فقلت اسخن الله عينك
هذا اي شئ هو؟ من بلغك عنه انه فعل مثل هذا من الأنبياء و الزهاد و الصحابة
والمجانين ؟ انزع عنك هذا يا سخين العين^(٢) ؟

لا شك في أن ابا العتاهية شغل بتقويم نفسه ، واقبل في بعض ادوار حياته
علي التنسك و الزهد ولا يخرج حاله عن فرضين الاول أن يكون مخلصاً ، الثاني أن
يكون مرئياً ، فإن كان مخلصاً فشعره شاهد ذلك الإخلاص وان كان مرئياً فهو
ورباؤه وأشعاره من مظاهر التصوف ، لأن التخلق بأخلاق الزهاد لا يكون إلا أن
صح لهم اسم وصيت ولا جدال في أن الزهاد كان لهم سلطان في ذلك العهد ، وكان
يسر أبا العتاهية أن يقف من الخلفاء ذلك الموقف المشرف الذي كان يقفه عمرو بن

(١) القوصرة : وعاء من قصب يوضع فيه التمر .

(٢) الأغاني ج ٤ ص ١٠٧ - ١٠٩

عبيد^(١) وعبد الله بن المبارك^(٢) ، وقد صح له شيء من تلك ، فذكر بالخير في
مجلس الرشيد
ومجلس المأمون^(٣).

غير انه لا ينكر أن مجموعة أخبار أبي العتاهية تمثله رجلاً يضجره القلق ويقل في
حياته الأمن و الاطمئنان ، ودليل علي ذلك ما حدث به أبو عكرمة عن شيخ له من
أهل الكوفة قال :

دخلت مسجد المدينة ببغداد بعد بويح الأمين محمد بسنة ، فإذا شيخ عليه جماعة
وهو ينشد :

لهفي علي ورق الشباب	وغصونه الخضِر الرطاب
ذهب الشباب وبان عني	غير منظر الاياب
فلأبكين علي الشباب	وطيب ايام التصابي
ولأبكين من البلي	ولأبكين من الخضاب
إنني لآمل أن اخلد	و المنية في طلابي

(١) الزاهد العابد القدي كبير المعتزلة واولهم ابو عثمان البصري قال النسائي ليس بثقة وقيل
انه كان من الدهرية رثاه المنصور وله كتاب العدل والتوحيد والرد علي القدرية .انظر كتاب
المجروحين ٦٩/٢ مروج الذهب ٣١٣/٣

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الامام الشيخ الاسلام عالم زمانه وامير الاتقياء في وقته
ابو عبد الرحمن الحنظلي التركي وامه خوارزمية ولد سنة (١١٨هـ) طلب العلم وهو بن عشرين
سنة اقدم شيخ لقيه هو الربيع بن انس الخراساني تحيل ودخل اليه السجن وسمع منه اربعين
حديثا ثم ارتحل سنة ١٤١هـ واخذ عن بقايا التابعين اكثر من الترحال والطواف والي ان مات
في طلب العلم وفي الغزو والتجارة والانفاق علي وتجهيزهم معه الي الحج صنف التصانيف
النافعة وله من الشعر الابيات المشهورة :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
لعلمت انك بالعبادة تلعب
وله ايضا : بغض الحياة وخوف الله اخرجني
وبيع نفسي بما ليست له ثمننا
اني وزنت الذي يبقي ليعدله
ما ليس يبقي فلا والله ما اتزنا

مات في رمضان سنة ١٨١هـ . سير اعلام النبلاء ٣٧٨

(٣) انظر ما جاء في الأغاني ج ٤ ص ٥١ و ٥٢

قال : فجعل ينشدها وان دموعه لتسيل علي خديه فلما رأيت ذلك لم أصبر أ، ملت فكتبتها وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية^(١) فهذه الحسرة علي الشباب وايام التصابي تصوره رجلاً مغلوباً علي اللذات وتطعن في صحة زهده ولو كان وهذه عن اخلاص مطلق لرمي بذكريات الشباب حيث رمتها الأيام.

ولسنا نقول بأن يقضي علي جميع الصبوات القلبية وان بكاء الشباب لا يمر بقلب رجل زاهد ، وان الحسرة علي أيام التصابي لا يكون إلا من رجل مزعزع اليقين لا ولكننا نتخذ من ذلك شاهداً علي أن الرجل ظل يعيش الي أخريات أيامه بقلب مفتون بأيام الصبوة و الفتك وان كان شعره في الزهد ملاً الدنيا وغزا صوامع الرهبان^(٢).

اما شعر أبي العتاهية في الزهد فكان في الأغلب سهلاً ليناً وكانت له في ذلك سياسة يكشف عنها حديث نقله صاحب الأغاني عن كتاب هارون بن علي قال حدثني علي بن مهدي عن ابن أبي الأبيض قال :أتيت ابا العتاهية فقلت له : اني رجل أقول الشعر في الزهد ولي فيه أشعار كثيرة وهو مذهب استحسنة لاني أرجو أن لا اثم فيه وسمعت شعرك في هذا المعني فأحببت أن استزيد منه فأحب أن تتشدني من جيد ما قلت فقال : اعلم أن ما قلته رديئ قلت : وكيف قال : لان الشعر ينبغي أن يكون مثل اشعار الفحول المتقدمين او مثل شعر بشار وابن هرمة فان لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون الفاظه مما لا تخفي علي جمهور الناس مثل شعري و لا سيما الاشعار ولا الزهد فان الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب وهو مذهب اشغف الناس به الزهاد و اصحاب الحديث والفقهاء واصحاب الرياء و العامة واعجب الاشياء اليهم ما فهموه فقلت صدقت ثمن انشدني قصيدته :

لدوا للموت وابنو للخراب فكلكم يصبر الي تباب

(١)الأغاني ج ٣ ص ٤٦

(٢) انظر ما جاء في الأغاني ج ٤ ص ١٠٠

الا يا موت لم ار منك بدأ
 اتيت وما تحيف وما تحابي
 كأنك قد هجمت علي مشيبي
 كما هجم المشيب علي شبابي^(١)

وهذا اعتذار عن ايثار السهولة و اللين ، وهو لا يمنع أن يقع للشاعر شئ من الكلام
 الجزل كأن يقول :

ولو التعاشر بين الناس مملول
 ا راعي الشاء لا تغفل رعايتها
 أنى لقي منزل ما زلت اعمره
 علي يقين بأني عنه منقول
 وليس من موضع ياتيه ذو نفس
 إلا و للموت سيف فيه مسلول
 لم يشغل الموت عنا مذ اعد لنا
 و الحي ما عاش مغشي وموصول
 كل ما بد لك فالأكل كال فانيه
 وكل ذي أكل لا بد مأكول

و لابي العتاهية في زهدياته مذاهب ، فتارة يدعو الي اليأس من الناس ، كأن ينفر
 من الثقة بالاصدقاء فيقول :

ليخب امرؤ دون الثقات بنفسه
 فما كل موثوق به ناصح الجيب

او يتهمهم بضعة النفس و التبعية للاغنياء فيقول :

وابغ ما اسطعت عن الناس الغني
 فمن احتاج الي الناس
 قد بلونا الناس في اخلاقهم
 فرأيناهم الذي المال تبع

او يصفهم بالفضول فيقول :

لناس خوض في الكلام و ألسن
 وما صح إلا شاهد صح غيبه
 واقربها من كل خير صدوقها
 وما تثبت الاغصان إلا عرووقها

او يرميهم بالبخل فيقول :

لو رأي الناس نبياً
انت ما استغيث ثعن صا
عيشا احتجبت إليه
سائلاً ما وصلوه
حيبك الدهر اخوه
ساعة مجاك فوه

وتارة يدعو الي القناعة فيقول :

متي تنقضي حاجات ليس واصلا
وان امراً لغير نهاية
الي حاجة حتي تكون له أخرى
لمنغمس في لجة الفاقة الكبرى

وفي هذين البيتين صورة جيدة للشقاء الذي يتتابع وفقاً لتتابع الرغائب زاد هذا المعني
إيضاحا حين قال من كلمة ثانية :

ليس علي المرء في قناعته
من لم يكن بالكفاف مقتنعاً
أن هي صحت أذى ولا نصب
لم تكفه الأرض كلها ذهب

وتارة يسلك مسلك التخويف من عواقب الحياة وله في ذلك معان جيدة كقوله في
نقص الأنفس من حيث تكون الزيادة الفتوة :

ونفس الفتى مسرورة بنمائها
وللنقص تنمو كل ذات نماء

وقوله يصف يقظه الموت :

لم يشغل الموت عنا مذ اعد لنا
وكلنا عنه بالذات مشغول

وفي قوله في الترهيب من الغرور بما يملك الرجال :

يا رب ذي نسب نكفنه
 قد صار مما كان يملكه
 يا صاحب الدنيا المحب لها
 أن استهانتها بمن صرعت
 وان استوت للنمل أجنحة
 أنى حليت الدهر اشطره
 حلم الفتى مما يزينه
 حب الحياة وغره نشبه
 صفرا^(١) وصار لغيره سابه^(٢)
 أنت الذي لا ينقضي تعبته
 ليقدر ما تسمو به رثبه
 حتى يطير فقد دنا عطية
 فرأيته لم يصف لي حبه
 وتمام حلية فضله أدبه

ولأبى العتاهية لحظات يقف فيها موقف الواعظ ، كأن يقول :

الحرص داء قد اضر
 كم من عزيز قد رأيت
 فتجنب الشهوات ساعة
 فلبس شهوة ساعة
 وعليك نفسك فارعهما
 أنى حليت الدهر اشطره
 و المرء أن عرف الجميل
 اضرب بطرفك حيث شئت
 بمن تـري إلا قليلا
 الحـرص صحبه ذليلاً
 قد أورثت حزناً طويلاً
 في الود فابغ به طويلاً
 واكسب لها فعلا جميلاً
 عليك إلا مسـتطيلاً
 وجدته يبغى الجميلاً
 فلا تـري إلا بخيلاً

وقد يتشاع من الوجود كله ويرى الراحة في الاستهانة به فيقول :

يا رب برق شمته
 ولرب عذب صار بعد
 ولرب أخلاق حسان
 عادت مخيلته عاجاً
 عذوبة ملحا اججا
 عدن أخلاقا سماجا

(١) يقال : هو صفر اليدين ليس شئ ، مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالي من الحروف.

(٢) السلب : الغنيمة

كدر الصفاء من الصديد فلا تـري إلا مزاجاً
 وإذا الأمـور تزواجت فالصبر أكرمها نتاجا
 هـون عليك مضايق الدنيا تعد سبلا فجاجا
 من عاج شئ الي شئ أصاب له معاجا^(١)

وقد تغلب عليه الحكمة و الرغبة في النصح كأن يدعو الي صيانة الوجه عن السؤال
 فيقول :

ما اغتاظ باذل وجهه بسؤاله عيوضا ولو نال الغني بسؤال
 أو يدعو الي القناعة بالقليل فيقول :

متي تمسي وتصيح مستريحا وأنت الدهر لا ترضي بحال
 وقد يجري قليل آمال مجري كثير المال في سد الحلال
 ذا كان القليل يسد فقري ولم أجد الكثير فلا أبالي

أو يحب إليهم الصمت فيقول :
 الصمت أجمل بالفتي
 لا خير في حشو الكلام

من منطق في غير حينه
 إذا اهتديت الي عيونه

بقيت مسألة اكثر الرواة من الكلام عليها ولكننا لا نفهمها فقد حدثوا أن أبا العتاهية
 امتنع عن الغزال وان ذلك غاظ الرشيد فحبس من اجله أبا العتاهية ولذلك أخبار
 طوال ذكر بعضها في الأغاني وبعضها في زهر الآداب وليس من المستحيل أن يقع
 ذلك من الرشيد ولكنه سخر لا يبعد أن يكون من وضع الملفقين ، وهذا البحث
 يوجب أن نشير الي بعض تلك الأخبار فلنكشف بما نقل محمد بن صالح عن أبي
 العتاهية قال :

كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحيين في الزلاجات إذا ركبها^(٢) وكان يتأذي بفساد
 كلامهم ولحنهم فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يغنون فيه ،
 فقيل له : ليس اقدر علي هذا عن أبي العتاهية وهو في الحبس قال : فوجه الي

(1)عاج الي الشيء : عطف عليه.

(١)الزلاجات : نوع من السفن ، ومثلها الحراقات.

الرشيد ، قل شعراً حتى اسمعه منهم ولم يأمر بإطلاق فغاضي ، ذلك فقلت و الله
لاقولن شعراً يحزنه ولا يسر له به فعملت شعراً ودفعته الي من حفظه الملاحين فلما
ركب الحراقة سمعه ، وهو :

ايها القلب الحمح	خانك الطرف الطموح
دنو ونو زوح	لدواعي الخير و الشر
توية منه نصوح	هل لمطلوب بـذنب
انما هـن قـروح	كيف اصلاح قلوب
الخطايا لا تفوح ^١	احسن الله بنا أن
بيبن ثوبيه نضوح	فاذا المستور منا
طويت عنه الكشوح	كم رأينا من عزيز
صائح الدهر الصدوح	صاح منه برحيل
علي قوم فتوح	موت بعض الناس في الارض
جسداً ما فيه روح	سيصير المرء يوماً
علم الموت يلوح	بين عيني كل حي
يغدو ويروح	كانا في غفلة و الموت
غبوق وصوح	رحن في الوشي واصبحن
عليهن المسوح	كل نطاح من الدهر
أن كنت تتوح	نح علي نفسك يا مسكين
ما عمـر نـوح	لتموتن وان عمـرت

قال : فلما سمع الرشيد ذلك جعل يبكي ويتجنب وكان الرشيد من اغزر الناس دموعاً
في وقت الموعظة أشدهم عسفاً في وقت الغضب و الغلظة فلما رأي الفضل بن
الربيع كثرة بكائه او ما الي الملاحين أن يسكنوا^٢.

(1) تفوح : تظهر رائحتها.

(2) الاغاني ج ٤ ص ١٠٢ - ١٠٤

وهذا الحديث يدل علي ثلاثة تمور الأول أن الملاحين لذلك العهد كانوا يلحنون وذلك معقول ، وليس هذا خاصاً باللغة العربية فسائر اللغات كذلك لان الإفصاح في اغلب الأحيان من سمة الخواص.

و الثاني: أن أبا العتاهية حكان معروفا بسهولة الشعر وبأنه اقدر الناس علي النظم الفصيح الذي يفهمه العوام.

و الثالث :ان ابا العتاهية كان لا يخلو من الميل الي الأذى ، فهذا الشعر الجيد لم ينظم لوجه الحق وانما نظم لإيذاء الرشيد وهذا الميل الخبيث كانت له أسباب فما كان يعقل ان ينظم ابو العتاهية أبياتاً تصبح لبشاشة الغناء وهو سجين ولكن التعريض بالرشيد وإنذاره بزوال الدنيا والملك هو في هذا الموقف من نزاعات الشيطان .ولا ننكر في هذا شيئاً من روح الشجاعة من أهم آثار التصوف وقد شجع في موطن آخر حين كتب الي الرشيد وقد تواني في إخراجة من الحبس :

وما زال المسيء هو الظلوم	أما و الله ان الظلم لوم ^١
وعند الله تجتمع الخصوم	الي ديان يوم الدين نمضي
و أمر ما توليت النجوم	لامر ما تصرمت الليالي
من الغفلات في لجج تعوم	تموت غداً وأنت قرير عين
تتبه للمنبه يا نؤوم	تتام ولم تنم عنك المنسايا
ستخبرك المعالم و الرسوم	سل الأيام عن أمم تقضت
وكم قد رام غيرك ما تروم	ترووم الخلد في دار المنايا

ولا بد من الإشارة إلى أن ارجوزته المزدوجة التي سماها (ذات الأمثال) وهذه الارجوزة من بدائع أبي العتاهية^(٢) وقد جري ذكرها بحضرة وانشد المنشد قوله :

(3)لوم : لوو

(١)توليت بالبناء المفعول ، والله هو الذي تولاها بالظهور و الاقوال ، وقد يكون بالبناء للفاعل ليتراوح مع (تصرمت) في صدر هذا البيت وعندئذ تثبت لام الفعل متحركة بلا اعلال وهذا كان يستجيزه القدماء ، فقد قال البحتري في سينيته (أضواً) في مكان اضاء ، و البحتري جاء بعدج ابي العتاهية بزمان.

وأنت الدهر لا ترضي بحال
و أمر ما توليت النجوم
من الغفلات في لجج تعوم
تتبه للمنبه يا نؤوم
ستخبرك المعالم و الرسوم
وكم قد رام غيرك ما تروم

يا للشباب المرح التصابي
لامر ما تصرمت الليالي
تموت غداً وانت قريير عين
تتام ولم تنم عنك المنسايا
سل الأيام عن أمم تقضت
ترووم الخلد في دار المنايا

روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد : قف ثم قال انظروا الي قوله :

روائح الجنة في الشباب

فان له معني كمعني الطرب الذي لا يقدر علي معرفته إلا القلوب ، وتعجز عن
ترجمته الألسنة ، إلا بعد التطويل وإدامة التفكير ، وخير المعاني ما كان القلب الي
قبوله أسرع من اللسان الي وصفه^(١) .

وتلك الأرجوزة تجمع بين الحكمة و الزهد ، فهي دستور أبي العناهية في الأخلاق
ولنكتف منا بهذه الشذرات :

ما أكثر القوت لمن يموت
من اتقي الله رجا وخافا
أن كنت أخطأت فما اخطا القدر
ما اطول الليل علي من لم ينم
وخير ذخر المرء حسن فعله
ورب جد جره المزاج
مبلغك الشر كياغيه لكا
مفسدة للمرء أي مفسدة
تغص عيشاً طيباً فناؤه

حسبك مما تتبغيه القوت
الفقر فيما جاوز الكفاف
هي المقادير فلمني او فذر
لكل ما يؤذي وان قل الم
ما انتفع المرء بمثل عقله
أن الفساد ضده الصلاح
من جعل المنام عيناً هلكاً
أن الشباب و الفراغ و الجده
ما عيش من آفته بقاؤه

ما تطلع الشمس ولا تغيب
مازالنا الدنيا لنا دار اذي
الخير و الشـهر بها ازواج
من لك بالمحض وليس محض
انك لو تستنشق الشـحـيـحا
و الخير و الشر إذا ما عدا
عجبت حتي غمني السكوت
كذا قضي الله فكيف اصنع

إلا لامر شأنه عجيب
ممزوجة الصفو بألوان القذي
لذا نتاج ولذا انتاج
يخبث بعض ويطيب بعض
وجدته انتن شئ ريحا
بينهما بون بعيد جداً
صرت كأني حائر مبهوت
الصمت اذ ضاق الكلام اوسع

وهذه الارجوزة التي يقال أن له فيها اربعة آلاف مثل^١ لا يمكن أن تصدر إلا عن رجل مشغول بالأخلاق وابتداع الحكم والامثال لا بد له من صفاء و الصفاء ليس من حظ النفوس المقتولة بالشواغل الدنيوية فلا مفر من الاعتراف بأن ابا العتاهية استطاع أن يخلص من دنياه بعض الخلاص ، ليفرغ لنظم اشباه هذه الأمثال .

وما ادري كيف يغلبني الميل الي عرض اكثر الجوانب من شخصية أبي العتاهية ، مع رغبتني في ايجاز هذا الفصل ، ولعل السر في ذلك خوفاً من مشاركة من عاصروه في الغض من قيمته الاخلاقية ، فقد كانت لهم من دنيا ذلك الشاعر شبهات تبرر التجنبي عليه ، اما نحن فلم يبق امامنا إلا هذه الثروة الادبية ، وهي الاصل الاول في تقدير قيمته الذاتية، اما لغو المعاصرين فليس بحجة ، لان الحسد يحمل الناس علي ارتكاب جريمة الافك و البهتان.

و الواقع المرء يحسد علي السمعة الطيبة اكثر مما يحسد علي الثراء العريض ، و لا سيما في عالم المنازعات الادبية ، و اكثر الرواة و الشعراء لعهد أبي العتاهية كانت سمعتهم مما تلغظ به الجماهير ، وكانت لهم اندية يكثر فيها اللغو ،. وتقع فيها الاثام حول موائد الشراب ، وكان من العزيز عليهم أن يطير عنهم أبو العتاهية فيحلق في سماء الفضيلة ويثر شعره دموع بعض الخلفاء.

هذا ولا بد من الإشارة الي أن شعور أبي العتاهية بتفاهة الدنيا تمثل له عند الموت ،
في صورة جديدة فقد اعلن يأسه من وفاء الاصدقاء ، وزهده في بكاء الباقيات حين
اشتهى أن يغنيه مخترق :

سيعرض عن ذكري وتتنسي مودتي ويحدث بعدي للخيل خليل
إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي فان غناء الباقيات قليل (١)

وقد نظم ابياتا لتوضع علي قبره ، وكذلك فعل أبو نواس و الكتابة علي القبور سنة
قديمة عرفها المصريون و الاشوريين ولكنها كانت في الاغلب وصايا يراد بها زجر
من يطعمون في انتهاب ما في القبور قمن الذهب و الثياب اما أبو العتاهية وأبو
نواس فكان شعرهما في التحذير من عواقب العيش ، و المشرف علي الموت يحب
اتن يكون افصح الناس في وصف الدنيا بالغرر وسرعة الزوال ، ومن يعيش حتي
يمد يده لمصافحة الموت يعرف هذا الفرض.

وهناك شاعر عنه مقطوعات في الزهد ، وهو رجل صوفي النزعة ولم يقع له شبابه
من النزق و الطيش اشباه لما وقع لابي العتاهية وابي نواس ، وان كان عرف
طوائف من الصبوات بالحجاز حينياً هو غاية الغايات في قوة الروح.

ولا يمكن القول بان الشريف من اقطاب هذا الفن ، فشعره في الزهد قليل ، ولكنه
علي كل حال من شواهد هذا الباب ولننظر هذه القصيدة وهي تصور سخريته من
الرغبة في استيقاء المال :

يا آمن الاقدار بادر صرفها	واعلم بأن الطالبين حثاث
خذ من تراثك ما استطعت	فإنما شركاؤك الأيام و الوراث
لم يقض حق المال إلا معشر	وجدوا الزمان يعبث فيه فعاثوا
تتحثولي عيب الغني يد الغني	والفقرعن عيب الفتى بحاث
المأل مال المرء ما بلغت به	شهوات والفقرعن عيب الفتى باث
ما كان منه فاضلاً عن	قوته فليعلمن بأنه ميراث
ألي الدنيا المغرورة حاجة	ليفخرساحركيدها النفاث
طبقتا الفا لاحسم داءها	وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

سكانتها محذورة و عهدها	منقوضة وحبالها انكاث
أم المصائب لا يزال يروعا	منها ذكور نواب و اناث
اني لاعجب من رجال امسكوا	بحبال الدنيا وهن واثاث
كنزوا الكنوز غفلو اشهواتهم	فالارض تشبع و البطون غراث
اتراهم لم يعلموا أن التقي	ازوادنا و ديارنا الاجداث

و الزهد في هذه القصيدة له معنى غير الزهد المعروف ، فهو هنا دعوة الي انفاق المال في الشهوات و دفع العاديات فالشاعر يحب اتمال ، ولكنه يري استبقاءه من الحمق وهذا الزهد نزعة صوفية و للتصرف وجوه كثيرة منها هذا الوجه و من الصوفية من يوسع علي نفسه في يومه و يترك الغد للاقدار و لنقيد أن الشهوات في هذه القصيدة لا يراد بها الحسية و انما المراد بها مطالب العيش المترف الذي يجانب التقش و يقبل علي الطيبات .

وهذه اللحات من الزهد لا يخلو منها ديوان شاعر إلا في القليل و من السهل علي القارئ أن يتعقبها و يدرس ما فيها من مختلف النوزاع النفسية

الخاتمة

خاتمة

أهم النتائج و التوصيات

الحمد لله في الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و الصلاة و السلام على رسول الله و بعد فهذه أهم النتائج و التوصيات التي توصلت إليها بعد هذا البحث المصني

١/ الأدب نوع من السمو العقلي و النبل العاطفي عبر عنه الإنسان في قالب جميل من الألفاظ الجميل بتركيب موسقي جميل ليناسب جمال تلك المعاني المنبعثة من تلك المشاعر المرهقة .

٢/ الفلسفة نوع من النضوج الفكري الانساني وصل إليه الانسان بعد أن قطع شوطاً نحو المدنية .

٣/ الفلاسفة هم عباقرة كل الحقب التي عاشوا فيها لأنهم ساحوا بفكرهم الثاقب في ميادين الكون الواسع و ليصلوا إلى جنان المعرفة التي لا تستريح عقولهم إلى في ظله الوارف ، و مورده العذب ، و سبحوا في بحار الفكر ليستخرجوا كنوز اليقين التي لا تستكين قلوبه إلا بالفوز بها .

٤/ كان لا بد للعباقرة من الفلاسفة بفكرهم أن يكونوا أدباء حتى يوصلوا الي الناس ما اكتسبوا من المعارفة الجميلة للعامة من الناس بجملة جميلة من الالفاظ و لتتوافق مع معانيهم الجميلة و حتى يتقبل من الناس ذلك إذا جاءهم في ثوب جميل

و كان لا بد للجهاذة من الادباء أن يردوا على معين الفلسفة حتى تكنسي قصائدهم الرائعة و خطبهم البارعة جمال الكمال المعرفي الذي لا يوصل إليه إلا بالفلسفة التي تعني حب الحكمة

٥/ كان الأدب العربي قبل دخول الفلسفة إلى عالمه الفكري جميل إلا أن المعاني و القضايا التي كان يتناولها كانت قليلة و ذلك لقلّة المعرفة في حقائق الكون و بالتالي كانت المواضيع الأدبية قليلة .

٦/ هذب الإسلام الخلق الأدبي بما جاء به من مكارم الإخلاق و محاسن الأفعال فلم يذم منه إلا القبيح الذي ترتفع عنه العقول السليمة .

٧/ بعد الفتح الإسلامي و توسع دولة المسلمين خصوصاً في عصر الحضارة العربية غيرها من الحضارات فأثرت و ااثرت بلك الحضارات و كان من نتاج ذلك التماذج أن ظهرت الفلسفة في المجالات الأدبية حتى توسعت تلك المجالات بما تنتجه الفلسفة من سعة في التفكير و رحابة فب المعرفة

٨ / ظهر التصوف الإسلامي في الأدب فزاده من جمال روحانيته و هذبه بكمال تربيته ليكسي الأدب حلة بهية من الجمال الروحاني و النور الرباني

٩/ كان تطور التصوف الإسلامي يسير على أقدام ثابتة حتى وصل إلى زروة مجده في العصر العباسي و اقتحم كل الميادين التي منها ميدان الفلسفة فازدادت معرفية الفلسفة بدخول الجانب النوراني الروحاني عليها

١٠ / ظهر من المتصوفة أدباء زينوا المحافل الأدبية بجمال المظهر الأدبي و المخفر الصوفي .

١١ / و أخيراً فإن التماذج الذي حصل في العصر العباسي بين الأدب و الفلسفة و التصوف و تركت تراثاً خالداً من المعرفة و الجمال و الروح .

التوصيات

١/ أوصي الباحثين في اجال الأدب أن يتتقفوا من كل العلوم حتى تكون الساحة الأدبية هي مورد الثقافة و المعرفة.

٢/ أوصي الدارسين في الأدب بالتوسع في مجال البحث حول علاقة الأدب بكل العلوم حتى يظهر بذلك فضل الأدب أنه وعاء لكل هذه المعارف .

٣/ أوصي الذي يدرسون كل العلوم غير الأدبية أن يأخذوا من الأدب بنصيب حتى يكون الأدب وعاءً لتوصيل معارفهم إلى الناس بثوب جميل .

و في ختام هذا البحث لا أدعي أنني بلغت الكمال إلا أنني أرجو أن أكون قد أوقدت شعلة تضيء طريق الباحثين ليصلوا إلى غاياتهم في هذا المجال فيكون لي فضل البداية و إن لم أصل إلى أقصى الغاية و الله ولي التوفيق .

الفهارس

فهرس الايات القرانية

الرقم	الاية ورقمها	الصفحة
	سورة ال عمران	
١	قال تعالى: (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) - الآية: ١٣٤]	٥٦
	سورة الاعراف	
٢	قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) - الآية: ٥٤]	١٦٠
٣	قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الآية: ١٩٩]	٥٦
	سورة التوبة	
٤	قال تعالى: (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) - الآية: ٣٧]	٨٨
	سورة مريم	
٥	قال تعالى: (يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) - الآية: ٢٨]	٢٢١
	سورة الانبياء	
٦	قال تعالى: (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ) - الآية: ٥]	٣٢
	سورة الشعراء	
٧	قال تعالى: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) الآية: ٢٢٤]	٣٣
٨	قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) الآية: ٢٢٥]	٧١
٩	قال تعالى: (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) - الآية: ٢٢٦]	٧١

٧١	قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) [٢٢٧ :	١٠
	سورة يس	
٣٢	قال تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) (الآية: ٦٩)	١١
	سورة الصافات	
٣٢	قال تعالى: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) (الآية: ١٦٥)	١٢
٣٢	قال تعالى: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) (الآية: ١٦٦)	١٣
	سورة فصلت	
١٦١	قال تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) - (الآية: ١١)	١٤
	سورة الطور	
٣٢	قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ) (الآية: ٣٠)	١٥
	سورة الحاقة	
٣٢	قال تعالى: (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ) (الآية: ٤١)	١٦
	سورة الاخلاص	
١٥٦	قال تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الآية: ١)	١٧

فهرس الاحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
٣	ادبني ربي
٣٨	امرؤ القيس صاحب لواء
٢٤٦	ان الله خلق ادم على صورته
٥٣	ان عمر مر بحسان وهو ينشد
٤١	انا النبي لا كذب
٤١	انشد النبي صلى الله عليه و سلم
٤٤	اهجهم
٤٤	اهجوا قريشاً
٤٥	اين حسان
٣٥	خذوا الشيطان
٣٨	ذلك رجل مذكور
٣٥	فكيف
٣٩	كان الشعر ابغض الحديث
ب	لا يشكر الناس
٣٥	لأن يمتلئ جوف
٤١	هل انت الا اصبع

فهرس الابيات الشعرية

الصفحة	حرف الالف
١٥١	تهزم الجمع أوحديا وتلوي بالصناديد أيما ألواء
٢٠٠	تواصل حبل النسل ما بين آدم وبيني فلم توصل بلامي باء
٢١	كشفت منك حاجتي هنوات غطيت برهة بحسن اللقاء
٢٠٩	وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالباكا
٣٠٩	ونفس الفتى مسرورة بنمائها وللنقص تنمو كل ذات نماء
٥٠	هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء
حرف الباء	
١٠٤	أبلغ ربعة في مرو وإخوتهم فليغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
٣٠٠	إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
١١١	أولب أنت في العرب كمثل الشيص في الرطب
٢٧٥	تغرب أمري عند كل غريب فصرت عجيباً عند كل عجيب
١٨	ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثري المكروب
١٠٢	رب خال متوج لي وعم ماجد محتدي كريم النصاب
٢٣٧	سبحان من اظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
٩٧	سقي الله ليلا ضمنا بعد هجعة وادني فؤادا من فؤاد معذب
٩٦	فتي لم تلده بنت عمه قريبة فيضوي وقد يضيوي رديد القرائب
١١١	فصار تشبها بالقوم جلفا ، جافيا جشبا
٨٥	فعلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب
٢٧٦	كيف أشكو إلى طبيب ما بي والذي قد أصابني من طيبي
٣١٠	لهفي علي ورق الشباب وغصونه الخضر الرطاب
٣١٣	ليس علي المرء في قناعته أن هي صحت أذى ولا نصب
١٥٢	نعي لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب
٩	واني علي ماكان من عنجهيتي ولوثة أعرابيتي لأديب
٢١٠	وكم لظلام الليل عندي من بد تخبر أن " المانوية" تكذب
٢١٣	وما موت بأبغض من حياة أرى لهم معي فيها نصيبا
٨٦	يا سعد أما أهلكن فإنني إوصيك إن إخوا الوصاة الأقرب
١١١	يروح بنسبه المولى ويصبح يدعي العربا

٧	بلله درك من ميت بمضيعة ناهيك في العلم و الآداب و الحسب
حرف التاء	
٧	أتجعل نهبي ونهب العبيد ثم بين الأقرع وعيينة
٣٠٠	تزاهدت في الدنيا واني لراغب أرى رغبتى ممزوجة بزهادتى
٣١٩	حسبك مما تتبغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
٢٧٢	راحتي يا اخوتي في خلوتي وحببي دائماً في حضرتي
٢٣٧	رايت ربي بعين قلبي فقلت من انت قال انت
٢٩٤	شدة الحرص ما علمت وضاعة وعناء وفاقاة وضراعة
٢٧٥	كاسي وخمري والنديم: ثلاثة وأنا المشوقة في المحبة رابعة
٢١	مررت علي المروءة وهي تبكي فقلت علام تتحب الفتاة
٢٧٥	وزادي قليل ما أراه مبلغى الزاد ابكى أم لطول مسافتي
٢٤٥	وفي الصحو بعد المحولم ألك غيرها وذاتي بذاتي اذ تجلت تحلت
٢٣٧	يا عاذلي أنى احب جماله تالله ما أذنى لعذلك سامعة
حرف التاء	
319	يا آمن الاقدار بادر صرفها اعلم بأن الطالبين حثاث
حرف الجيم	
٢٠٢	تسريح كفك برغوئا ظفرت به أبر من درهم تعطيه محتاجا
١٤٧	كسيت ولم أكفر عن الله نعمة سوادا إلى لوني ودنا ملهوجا
٣١٣	يا رب برق شمته عادت مخيلته عجاجاً
حرف الحاء	
٣١٤	خانك الطرف الطموح ايها القلب الحمح
٢٠٣	غدوت مريض العقل والدين فالقني لتسمع أبناء الأمور الصحائح
٨٥	ح ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة ججاج
حرف الدال	
٢١٢	إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وأن أنت أكرمت اللئيم تمردا
٢٨٦	القاتل: أيا عجبى كيف يعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد
٢٧٧	الوجد عندي جحود ما لم يكن عن شهود
١٥٤	إن المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
٢٠٧	أنا في أمة تداركها الله غريب (كصالح) في (ثمود

٢٠٩	أني يكون ، أبا البرية. آدم وأبوك ، والثقلان أنت محمد
٢٠٢	تغيبت في منزلي برهة ستر العيوب فقيد الحسد
٢٣	خليلي اني لا أرى غير شاعر فكم منهم الدعوى ومني القصائد
٢٤٤	ذبت اشتياقا ووجداً في محبتكم فأه من طول شوقي آه من كمدي
٢٥	غدت تستجير الدمع خوف نوي الغد وعاد قتادا عندها كل مرقد
٤٥	فان سنام المجد من ال هاشم بنوا بنت مخزوم والدك العبد
٢١٠	فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبان بمحك " اليهود
٢٧٧	قد كان يقربني وجدني فافقدني عن رؤية الوجد من في الوجد موجود
٢٩٧	نعل بعثت ليلبسها قرم بها يمشي إلى المجد
٢٩٨	ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة شاهد
٨٣	كلا بل هو الله إله واحد ليس بمولود ولا والد
٢٨٩	لا تمضي رأيك في هوي إلا ورأيك فيه قصد
٣٠٣	لو لم تكن الله متهما لم تمس محتاجاً الي أحد
٢٩٥	ما اقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
٢٠٢	هذا جناه إبي علي وما جنيت على أحد
٢١٣	هو الجيد حتى تفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيدا
١٩٢	وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
٢٤٠	وفي كل شيء آية تدل علي انه واحد
٢١	وللبخيل علي أمواله علل زرق العيون عليها اوجه سود
٢٧٠	يا سروري ومينيتي وعمادي وأنيسي وعدتي ومرادي
٢١٠	يترشفن من فمي قبلات هن أحلى فيه من التوحيد
٧٠	يسوسون احلاما بعيدا اناتها وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
١٨٧	أن كان يمنعك الزيارة أعين فادخل إلي بعلة العواد
حرف الذال	
٢٩٣	يامن يراني مجرماً ولا اراه اخذاً
حرف الراء	
٨٦	أبني زودني إذا فارقتني في القبر راحلةً برحل قاتر
٨٩	أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
٨٤	أرباً واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

١١٢	أرفق بعمرؤ إذا حركت نسبته	فإنه عربي من قوارير
١١٣	أصبحت مولى نوي الجلال	مولي العريب فخذ بفضلك فأفخر
٨٩	ألا عللاني واعلما أنني غرر	فما قلت ينجيني الشفاق ولا الحذر
٢٦٤	الا فابلغا عني عراقك بن مالك	فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر
٢٦٧	الا هل فتي عن شربها اليوم صابر	ليجزيه عن صبره الغد قادر
٢٦٦	المت بنا والليل داج كأنه	جناح غراب عنه قد نفض القطرا
٢٨٧	الموت باب وكل الناس داخله	فليت شعري بعد الباب ما الدار
١١٧	إن الوزير وزير آل محمد	أودي فمن يشناك كان وزيرا
٥٤	اني تفرست فيك الخير اعرفه	والله يعلم ان ما خانني البصر
١١٣	حين كسيت - بعد العري خزا	ونادمت الكرام على العقار
٢٠٩	خرجوا به ، ولكل باك خلفه	صعقات " موسى " يوم ذك الطور
٣٠٢	دوت علي اللذات منهتك السر	وافضت بنات السر مني إلى الجهر
١٤٤	رب نار بت أرمقها	تقضم الهندي والغارا
٨٢	عزلت الجن والجنان عني	كذلك يفعل الجلد الصبور
٦٠	علونا السماء عفة وتكرما	وان لنبغي فوق ذلك مظهرا
٢٧٩	فصرت عجيباً عند كل عجيب	لو شئت اطفيت عن قلبي بك النار
٨٢	فلن تكون لنفس منك واقية	يوم الحساب إذا ما يجمع البشر
١٤٣	فلو كان للشكر شخص يبين	إذا ما تأمله الناظر
١٤٧	فليت جور بني مروان عاد لنا	وليت عدل بني العباس في النار
٨٣	في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر	
٦٩	قذي بعينك ام بالعين عوار	ام ذرفت اذ خلت من اهلها الدار
٨٢	كل دين يوم القيامة عند الله	إلا دين الحنيفة زور
٥١	لا خير في حلم اذا لم تكن له	بوادر تحمي صفوه ان يكذرا
٩٠	لقد كان في البرايا الناس أسوء	كأن لم يسق جحش بعير ولا حمر
٣٠٨	ليس لمن ليست له حيلة	موجودة خير من الصبر
١٤٣	ما جف للعينين بعدك	يا قرير العين مجرى
٧٠	ماذا تقول لافراخ بذى مرخ	زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
٢٩٦	متي تتقضي حاجات ليس واصلا	الي حاجة حتي تكون له أخرى
٢٦٦	مغبرية كالبدر سنة وجهها	مطهرة الاثواب والعرض وافر

٢١٢	جالست رسطاليس والإسكندرا	من مبلغ الأعراب أني بعدهم
١١٣	سبحان مولاك الأجل الأكبر	مولاك أكرم من تميم كلها
٢٦١	له ما تصنع الخمر	نال الذي نلت منه مني
٣٠٥	ع علي القرب في الصور	وبني البعد في الطبا
٦١	ومن ذا الذي ياعز لا يتغير	وقد زعمت اني تغيرت بعدها
٢٠٨	وكان " عازر " شخصه المقبور	وكانما " عيسى ابن مريم " ذكره
٢١٢	وما في ذلة العبدان عار	وما في سطوة الأرباب عيب
٣٠٤	وبني الضعف و الحور	يا بني النقص و العبر
٢٧٩	لو شئت أنزلت تعذيبي بمقدار	يا مسعري أسفا يا متلفي شغفاً
١٨٦	من يديه النفع و الضر	تبارك الله وسبحانه
١٥١	أقل وأكثر فأنت مهذار	قل لزهير إذا حدا وشدا
٦٢	فيما النبي و فيما تنزل السور	نجالد الناس عن عرض فناسرهم
حرف السين		
٢٧٢	وابحت جسمي من أراد جلوس	أنى جعلتك في الفؤاد محدثي
٢٠٨	لما رأى الظلمات صرن شموسا	لو كان ذو القرنين أعمل رأيه
٢٨٠	والدمع من مقلتيه ينبجس	نم علي سر وجده النفس
٣١١	فمن احتاج الي الناس	وابغ ما اسطعت عن الناس الغني
٢٦١	وعليه منها لا عليها يوسي	وبه يضمن علي البرية لا بها
حرف الضاد		
١١٥	تشكو العروق الأبخضات أيضا	أصبحت لا يملك بعضى بعضا
حرف الطاء		
١١٤	لكسري ادعاء فأين النبيط	وأهل القرى كلهم ينتمون
حرف العين		
٦٠	من الارض خرق سيره متنع	الا هل اتى عسانا ودونهم
٦٤	قد بينوا سنة للناس تتبع	ان الذوائب من فهر و اخوتهم
٢٩٠	أليس لي بالكفاف متسع	حتى متي يستفزني الطمع
٦٠	مدرية فيها القوانس تلمع	مجالدنا عن جذمنا كل فخمة
٦٠	مدرية فيها القوانس تلمع	مجالدنا عن ديننا كل فخمة
٦٤	منا الملوك و فيما تنصب البيع	نحن الكرام فلا حي يعادلنا
١٩٩	ورقاء ذات تعزز وتمنع	هبطت إليك من المحل الأرفع

٥٥	وفينا رسول الله يتلو ابيه اذا انتشق معروف من الفجر ساطع
حرف الغين	
٢٩١	أي عيش يكون ابلغ من عيش كفاف قوت بقدر البلاغ
حرف الفاء	
٨٥	سألمت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الأمور وأعرف
٢٩٦	طلبت الغني في كل وجه فلم أجد سبيل الغني إلا سبيل التعفف
٢٧٩	فلما جفيت وكنت لا اجفي ودلائل الهجران لا تخفي
٢٨٠	قد كان لي مشرب يصفو برويتكم فكدرته يد الأيام حين صفا
٢٦٣	وناطقة بافوتاه ثمان تميل بعقل ذي اللب العفيف
حرف القاف	
٣٠٧	أحمد قال لي ولم يدري ما بي اتحب الغداة عتبه حقاً
٣٠٣	أرى كل حي هالكاً وابن هالك وذا حسب في الهالكين عريق
٢٩٢	أشد الجهاد جهاد الهوي وما كرم المرء إلا التقى
١١٦	أكثر خلق الله من لا يدري من أي خلق الله حين يلقي
٢٧٦	القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق
٨٨	أيا جارتي بيني فإنك طالقة كذاك أمور غاد وطارقة
٢٨٧	لو أن عبداً له خزائن ما في الأرض ما عاش خوف إملاق
٨٨	وبيني حصان الفرج غير ذميمة وموقوتة قد كنت فينا ووامقة
٨٨	وبيني فان البين خير من العصا وان لا تري لي فوق رأسك بارقة
١١٢	وهجاني معشر كلهمو حمق ، دام لم ذاك الحمق
٥٢	يا راكبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وانت موفق
٨٣	يا باكي الموت والأموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
حرف الكاف	
٢٧٢	احبك حبين، حب الهوي وحباً لانك أهل لذاكا
٨٨	إلا شريك هو لك تملكه وما ملك
٩٧	سقي الله وقتا كنت اخلو بوجهكم وثغر الهوي في روضة الانس ضاحك
٢٦	ودع الصبر محب ودعك ضائع من سره ما استودعك
حرف اللام	
٢٧٧	اجل ما منك يبدو لانه عنك جلا

٣٠٠	أراك ترع حين تري خيالي فما هذا يروعك من خيالي
١١٩	أقصري عما لهجت به ففراغي عنك مشغول
٢٩٢	الحرص داء قد اضر بمن تري إلا قليلا
٨٤	إن أشرب الخمرأشربها للذاتها وإن أدعها فإني ماقت قال
٥٩	انبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مامول
١٩	أنظر المخلوع كلكله وحواليه المقاويل
٦٨	باننت سعاد فقلبي اليوم متبول متم اثرها لم يفد مكبول
١٢٠	بهاليل غر من ذؤابة فارس إذا انتسبوا لا من عرينة أو عكل
١٩١	تركت مني قليلاً من القليل أقلأ
٢٩٥	تعالى الله يا سالم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
١٤٥	ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في أشغال
٣٠٢	سهوت و غربي املي و قد قصرت في عملي
٣١٩	سيعرض عن ذكري وتنسي مودتي ويحدث بعدي للخيل خليل
٢٦٥	فما طيبة خفاقة الحشا تجوب بظفليها متون الخمائل
٦٨	فمن للقوافي شانها من يحوكها اذا ما مضي كعب وفوز جرول
٢٧٢	قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا
١١٩	لا يرعك القال والقييل كل ما بلغت تضليل
٣١٢	لم يشغل الموت عنا مذ اعد لنا وكلنا عنه بالذات مشغول
٦٩	لو كان لفظك فيهم ما أنزل الفرقان والتوراة والإنجيلا
٢٩٦	متي تمسي وتصبح مستريحاً وأنت الدهر لا ترض بحال
٤٨	وحي ذوي الاضغان تسب قلوبهم تحيتك الحسنى فقد يرقع النعل
٦٨	وقال كل خليل كنت امله لا الهينك اني اليوم عنك مشغول
٣١١	ولو التعاشر بين الناس مملول ما لابن آدم أن فنتشت معقول
٨٦	ولقد شهدت الخصم يوم رفاة فأخذت منه خطة المقتال
٢٦٢	ولولا انني في غير نوم لكنت اظني مني خيالاً
٢٩٦	يا أمين الله ما لي لست ادري اليوم مالي
٢٧٣	يا مؤنس الأبرار في خلواتهم يا خير من حلت به النزال
١٩٣	يابيبت عائكة الذي اتعزل حذر العدي وبه الفؤاد موكل
٢٩٠	ما أنت يا دنيا بدار إقامة ما زلت يا دنيا كفى ضلال

حرف الميم	
٨٨	وكم بالقيان من محل ومحرم
١١٢	انت عندي عربي ليس في ذلك كلام
٢٧	إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
١١١	إذا كانت الأحرار أصلي، ومنصبي ودافع صيمي حازم ، وابن حازم
٤١	ألا هل أتى الحسناء أن خليلها ثم بميسان يسقي في زجاج وحنتم
٣١٦	أما و الله ان الظلم لوم ومازال المسيء هو الظلوم
٨٦	أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلثم
٨	أن شئت في الآداب منزلتي وإنني قد عداني العز و النعم
٦٦	ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجا الحارث بن هشام
١٠٢	إني وجدك ما عودي بذى خور عند الحفاظ ولا حوضى بمهدوم
٦٦	تبلت فؤادك بالمنام خريدة تسقي الضجيع ببارد بسام
٢١٢	تشابهت البهائم والعبيد علينا والموالي والصميم
٥٠	حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان والفاروق فارتاح معدم
٣٠٧	خليلي ما لي لا تزال مضرتي تكون مع الأقدار حتماً من الحتم
٢٠١	سمعت نعيها صمي صمام وإن قال العواذل لا همام
٣١١	عدت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم
٢١١	فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الشك والتعطيل والقدم
٤٨	فكرت ليلة وصلها في هجرها فجرت مدامع مقلتي كالعندم
٨٤	فلا والله لا اشربها حياتي ولا ادعو لها ابدا نديما
٢٦١	كبر العيان علي حتي انه صار اليقين من العيان توهما
٣٧	لما رات ان الشريعة همها وان البياض من فرائضها دام
٢٦١	نحن من ضايق الزمان له فيك وخانته قربك الايام
٨٥	وأدعوك يا ربي لما أنت أهله دعا غريق قد تشبث بالعصم
١٨	وذي رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمي عنه و هو ليس له حلم
٢١٣	وشر ما قنصته راحتني قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم
٢١٣	ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام
٣١١	ونبتت قوما بهم جنة يقولون من ذا ؟ وكنت العلم
٨٦	يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب، او يعجل فينتقم
٣٠١	يا دار ما فعلت بك الايام أمئك و الايام ليس تضام

٢٩٠	ما أنت يا دنيا بدار إقامة ما زلت يا دنيا كفى ضلال
حرف النون	
٢٧٣	انت ام انا هذا في الهين حشاك حشاك من اثبات اثنين
٢٩٩	اجن بزهره الدنيا جنوناً وافني العمر فيها بالتمني
٢٦١	افيكم في حي يخبرني عني بما شربت مشروبة الروح من ذهني
٨٥	الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربي ومسانا
٢٨٩	الهي لا تعذبني فاني مقر بالذي قد كان مني
٢٩٣	عجباً ما ينقضي مني لمن ماله أن سيم معروفاً حزن
٢٤٣	مرضي من مريضة شمساً الأجفان عللاني بذكرها عللاني
٢٠٩	ملاعب جنة لو سار فيها " سليمان " لسار بترجمان
٢٠١	نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن ا جادني إلا عبوس من الدجن
٢٩١	وابتغيا من المعاش فضولاً لو قنعنا بدونها لاكتفينا
٥٧	والله لولا الله ما هتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
١٤٧	وتحققتم في السر فناجك لساني
٣٠٢	يا من بين باطيه وزق وعود في يدي غان معني
٢٤٨	يا رب جوهر علم لو ابوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
٢٦٣	يا من يراني ولا اراه كم ذا اراه ولا يراني
٢٩٩	يا نفس أنا توّفكينا حتى متي لا ترعوبنا
٢٨٥	فلي إلى أن أموت رزق لو جهد الخلق ما عداني
حرف الهاء	
٢٧	احسن بالواجد من وجده صبر يعيد النار في زنده
٢٩٤	إذا المرء لم يعتقد من المال نفسه تملكه المسال الذي هو مالكة
٢٨٠	إذا كنت قوت النفوس ثم هجرتها فلم تلبث النفس التي أنت قوتها
٣١٤	الصمت أجمل بالفتي من منطق في غير حينه
٣٠٣	ان مع اليوم فاعملن غداً فانظر بما ينقضي مجئ غده
٣٠٢	انقضت شرطي الملاهي اذ رمي الشيب مفرقي بالدواهي
٥٤	خلو بني الكفار عن سبيله فكل الخير في رسوله
٢٩٢	زعموا لي أن من ضرب السنة جدوداً بيضاء وصفراً حسنه
٢٦٥	فما روضة بالحزن طيبة الثري يمج الندي جثائها وعرارها
٢٩٤	فيحمدني و احمده و يعبدني واعبده

٢٦٦	قضي كل ذي دين فوفي وعزة ممطول معني غريمها
٣٠٧	كان عتابة من حسنتها دمية قس فتنت قسها
١٩٢	كلفتمونا حدود منطقتكم والشعر يغني عن صدقه كذبه
١٢٠	لا تغترر أنك من فارس في معدن الملك وديوانه
٣١١	لو رأي الناس نبياً سائلاً ما وصلوه
٢١٠	نليت بلي الأطلال إن لم أفق وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
٢٤٠	وفي كل شيء له آية تدل علي أنه عينه
٣١١	وللناس خوض في الكلام و ألسن واقربها من كل خير صدوقها
٣١٢	يا رب ذي نسب نكفنه حب الحياة وغره نشبه
حرف الواو	
٦٤	فلا ترانا الي حي نفاخرهم الا استقادوا فكانوا الراس يقطعوا
١٠٤	قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
٢٤١	ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا
٢٨٧	يا عجباً للناس لو فكروا أو حاسبوا أنفسهم ابصروا
حرف الياء	
٢٩٧	آخي كن علي ياس من الناس كلهم جميعاً وكن ما عشت لله راجياً
٣٩	اذا اعسرت لم يعلم رفيقي واستغني فيستغني صديقي
٩٠	اعمروا أن هلكت وكنت حياً فإني مكثرت لك في صلاتي
١٤٧	أعوزتني الرواة يا ابن سليم وآبي أن يقيم شعري لساني
٨٢	اقول اذا صليت في كل بيعة تباركت قد اكثرت باسمك داعيا
٩٢	إن قلبي بالثل عزار مع ظبي من الطباء الجوازي
٨٤	تذكرت ليلي و السنين الخوالي و ايام لا اعدي على الدهر عاديا
٨٢	رشدت وانعمت ابن عمرو وانما تجنبت تنورا من النار حاميا
٨٨	فأقسم بالذي حجت قريش وموقف ذي الحجيج على اللالي
١٣٤	فاقسمت لو اصبحت في قبضة الهوي اقصرت عن لومي واطنبت في عذري
٢١١	كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا
١١٢	قيصر خالي اذا عددت يوماً نسبي
٢٧٧	ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فهرس الاعلام

	م
١٩	١. ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفر
١٢٥	٢. ابراهيم الصابئ بن سنان بن ثابت الحراني ١٢٥
١١	٣. ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ابواسحاق ١١
١٠٣	٤. ابراهيم بن محمد بن علي العباسي الهاشمي ١٠٣
١٢٦	٥. ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون الصابئ الحراني ١٢٦
	٦. ابن ابي صفرة الامير ابو خالد الازدي
١٤٦	٧. ابن الاعرابي محمد بن زياد بن الاعرابي الهاشمي ١٤٦
١٠٤	٨. ابن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي ١٠٤
١٣٢	٩. ابن يحي بن سعد الانباري ابو يحي الكاتب ١٣٢
٢٥٠	١٠. ابن يونس ابو محمد التستري الصوفي
٢١٩	١١. ابو اسحق ابراهيم بن سعيد الجوهري
٣٠٠	١٢. ابو الحسن احمد بن الواحد بن ابي الحديد
٦	١٣. أبو الحسن المسعودي ، علي بن الحسين بن علي ،
٢٧٢	١٤. أبو الحسن بن المفلس السقطي
١٢	١٥. ابو الحسن علي بن ابي زيد بن محمد بن علي النحوي الفصحي
١٣٩	١٦. ابو الحسن علي بن احمد بن نوبخت
١١٤	١٧. ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي
٢١	١٨. ابو الحسن علي بن العباس بن جريح
٢٤٨	١٩. ابو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس الانصاري
٥٨	٢٠. ابو الصلت عبد الله بن ابي ربيعة
٥	٢١. ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
١٠	٢٢. ابو الفتوح عثمان بن جني الموصللي
٢٧٣	٢٣. أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد القواريري

٢١٨	ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن الصوفي	.٢٤
٢١٥	ابو النصر السراج عبد الله بن علي الطوسي	.٢٥
١٣٠	ابو ايوب المورياني سليمان بن ابي سليمان	.٢٦
٢٥٥	ابو بكر الانصاري الانسي	.٢٧
٢١٧	ابو بكر الشبلي البغدادي دلف بن جحدر	.٢٨
٢٥١	ابو بكر محمد بن احمد بن سهل ابن النابلسي	.٢٩
١٥١	ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي	.٣٠
٢٥	ابو تمام حبيب بن اوس بن الحارث بن قيس الطائي	.٣١
٦٣	ابو حرزة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري	.٣٢
١٥١	ابو حفص عمر بن عبد العزيز	.٣٣
١٠٨	ابو دلف القاسم بن عيسي العجلي	.٣٤
٩٤	ابو سعيد عبد الملك بن قريب البصري	.٣٥
٢١٦	ابو سعيد الخراز احمد بن عيسي البغدادي الخراز	.٣٦
١٣٠	ابو سلمة حفص بن سليمان الهمداني	.٣٧
٦٦	ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن ابي جمعة الخزاعي	.٣٨
٢٥١	ابو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس البلخي الواعظ	.٣٩
٥٤	ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي القيرواني	.٤٠
١٤٥	ابو عطاء السندي افلح بن يسار	.٤١
١٣٣	ابو عمرو حماد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي	.٤٢
٢١٦	ابو محمد الجريري الزاهد احمد بن محمد بن حسين	.٤٣
١٣٠	ابو محمد الحسن بن سهل	.٤٤
١٠٩	ابو محمد اسحق بن ابراهيم بن ميمون الموصللي	.٤٥
٢١٧	ابو محمد جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم البغدادي	.٤٦
٦٠	ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري	.٤٧
٢٥٢	ابو مدين شعيب بن حسين الاندلسي	.٤٨

٦	ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي	.٤٩
١١٤	ابو نخيلة	.٥٠
٢٢٤	ابو هاشم عثمان بن شريك الكوفي	.٥١
٢٥٠	ابو يزيد طيفور بن عيسي بن شروسان البسطامي	.٥٢
١٤٧	ابو يوسف يعقوب بن اسحق بن السكيت	.٥٣
٤١	ابوالحسن الاخفش سعيد بن مسعدة المعروف بالاخفش	.٥٤
١١٦	احمد بن ابي طاهر طيفور المروزي	.٥٥
٢٨٢	احمد بن حرب ابن فيروز النيسابوري	.٥٦
١١٧	احمد بن داوود ابو عبد الله احمد بن فرج بن حريز	.٥٧
٩	أحمد بن طلحة بن جعفر بن المتوكل ، ابو العباس المعتضد بالله	.٥٨
٢٥	احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون لاندلسي	.٥٩
١٠	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي	.٦٠
٢٧٧	احمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي	.٦١
٥	احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ، أبو عمر	.٦٢
١٢٦	احمد بن وحشية الكلداني	.٦٣
١٣٩	احمد بن يحيى بن جابر بن داوود البغدادي	.٦٤
٩	احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني	.٦٥
١٣١	احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي	.٦٦
٦٥	الاخطل غياث بن غوث بن الصلت	.٦٧
٢١٠	ارسطاليس	.٦٨
٧٧	ارسطو	.٦٩
٧٩	اسحق بن حنين	.٧٠
١٢١	الاسكندر الاكبر	.٧١
١١٠	اسماعيل بن جامع بن اسماعيل	.٧٢
٤٣	اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء	.٧٣

١٠٠	اسماعيل بن يسار النسائي	.٧٤
٨٦	الاعشي ميمون بن قيس	.٧٥
١١٧	الافشين	.٧٦
٧٥	افلاطون	.٧٧
١٢٧	افلوطين	.٧٨
٣٦	امروء القيس بن حجر بن الحارث الكندي	.٧٩
١٢٩	اوريجين	.٨٠
٤٥	البراء بن عازب ابن الحارث ابو عمارة	.٨١
١١١	بشار بن برد	.٨٢
٢١٧	بشر بن الحارث ابن عبد الرحمن بن عطاء	.٨٣
١٩	بوب الاسكندر الشاعر الانجليزي	.٨٤
١٢٨	تايوس فلافيوس كلمنس	.٨٥
١٢٥	ثابت بن سنان الصابي الحارثي ابو الحسن	.٨٦
١٢٥	ثابت بن قرة الصابي الحارثي	.٨٧
٦٣	ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ	.٨٨
١٣١	ثابت بن يحيى بن يسار الرازي ابو عباد	.٨٩
١٨٥	ثمارة بن الاشرس سعد ابن ابي وقاص	.٩٠
٢٢٤	جابر بن حيان	.٩١
١٢٣	جبرائيل بن بختيشوع الجنديسابوري	.٩٢
١٣٩	جبله بن جبله	.٩٣
١٢٧	جوستيان الاول	.٩٤
٨٩	حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي	.٩٥
١٢٢	الحارث بن كلدة الثقفي	.٩٦
٦٥	الحارث بن هشام	.٩٧
٢٠	حافظ بن ابراهيم فهمي المهندس الشهير بحافظ	.٩٨

٧٩	حبيش الاعسم	.٩٩
٦٣	الحتحات بن زيد بن علقمة بن جري بن سفيان بن مجاشع	.١٠٠
٤٩	حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي	.١٠١
١١	الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ابو علي قوام الدين نظام الملك	.١٠٢
٧٩	حنين بن اسحق	.١٠٣
٢٢٦	الحواري بن عبد الله بن ميمون	.١٠٤
٢٧٤	خالد بن عبد الله القسري	.١٠٥
١١٤	خزم بن خزيمة	.١٠٦
٢٢٤	خشيش بن اصرم بن الاسود النسائي	.١٠٧
٦	الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي اليعمدي	.١٠٨
٩٣	الخيزران	.١٠٩
١٠٦	داود بن علي ابن خلف	.١١٠
٢٦٦	رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية	.١١١
١٤٥	الربيع بن صبيح البصري	.١١٢
١١٣	رجاء بن حيوة ابن جرول	.١١٣
١٠٨	روح ابن حاتم ابن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة	.١١٤
٦٣	الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمي	.١١٥
٢١٩	الزبير بن بكار	.١١٦
٦٧	زهير بن ابي سلمى ربيعة المزني المضري	.١١٧
١٢٣	زياد بن عبيد الثقفي	.١١٨
٦٩	زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري	.١١٩
٨٠	زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزي	.١٢٠
١٣٨	سابور الاول او شابور او شهبور	.١٢١
٩٥	سالم بن عبد الله بن امير المؤمنين	.١٢٢
١٠٨	سعيد بن مسلم بن قتيبة	.١٢٣

٧٧	سقراط	.١٢٤
٥٧	سلمة بن الاكوع هو سلمة بن عمرو بن الاكوع	.١٢٥
٢٥٥	سلمة بن دينار ابو حازم المدني المخزومي	.١٢٦
١٠٩	سليط بن عبد الله بن عباس	.١٢٧
١٥٠	شارلمان	.١٢٨
٢٥٩	شرف الدين عمر بن علي مرشد الحموي المصري	.١٢٩
١٠٥	شيبان الخارجي او شيبان بن عبد العزيز ابو دلف	.١٣٠
٦	صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي	.١٣١
٢٠٥	عازر	.١٣٢
٦٦	عامر بن الملوح بن مزاحم	.١٣٣
٥٧	عامر بن سنان بن بشير الاسلامي المعروف بابن الاكوع	.١٣٤
٨٢	عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان	.١٣٥
٩٦	العباس بن الاحنف ابن اسود بن طلحة الحنفي	.١٣٦
٨٤	عباس بن مرداس السلمي	.١٣٧
١١٤	عبد الرحمن بن ابي بكر بن عثمان بن محمد السيوطي	.١٣٨
١٢	عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانصاري ابو البركات	.١٣٩
٤	عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون	.١٤٠
١٠٣	عبد الرحمن بن مسلم بن يسار الخراساني	.١٤١
٢٥٢	عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي	.١٤٢
٢٤٧	عبد الغني بن اسماعيل النقشبندي	.١٤٣
٩	عبد الله بن طاهر بن الحسين ابن الحسين بن مصعب	.١٤٤
١٤٣	عبد الله بن عامر بن كريز	.١٤٥
٦	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابو العباس	.١٤٦
١٩٤	عبد الله بن علي بن عباس	.١٤٧
٧	عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد	.١٤٨

٣٧	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	.١٤٩
٢٣٦	عبد الوهاب الشعراني	.١٥٠
٢٥٢	عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي	.١٥١
٦٢	عطار بن حاجب بن زرارة	.١٥٢
٤٦	علي الحسن بن رشيق	.١٥٣
٢٢٨	علي بن احمد	.١٥٤
٩٦	علي بن الجهم بن بدر بن سعود القرشي	.١٥٥
٩	علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخري	.١٥٦
٣٨	علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر	.١٥٧
٩٤	العلي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب زين العابدين الهاشمي	.١٥٨
١١٠	علي بن الخليل	.١٥٩
١٠٥	علي بن الكرمانى	.١٦٠
٧	علي بن محمد بن نصر بن منصور ابو الحسن ويقال البسامي	.١٦١
١٢٢	علي بن يوسف الشيباني	.١٦٢
٢٥٧	عمر ابن عبد الله بن زرارة ابو ذر الهمداني	.١٦٣
٦٦	عمر بن أبي ربيعة هو عمر بن عبد الله	.١٦٤
١٣٩	عمر بن الفرخان الطبري ابو حفص فلكي	.١٦٥
٦٣	عمرو بن الاثم سنان بن سمي بن سنان بن خالد التميمي	.١٦٦
١٣٣	عمرو بن مسعدة ابن سعد ابن صول	.١٦٧
٢١٩	الغوث بن مر بن اد بن طابخة	.١٦٨
٧٨	فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم	.١٦٩
٦٥	الفرزدق همام بن غالب	.١٧٠
٢٢٥	فرقد السبخي البصري	.١٧١
١٠٧	الفضل بن سهل السرخسي	.١٧٢
١١٤	الفضل بن يحيى	.١٧٣

١٢٧	فور فوريوس	.١٧٤
١٢٨	فيلون	.١٧٥
٩٤	القاسم بن محمد بن ابي بكر	.١٧٦
٤٤	قتادة ابن دعامة بن قتادة بن عزيز	.١٧٧
٥١	قتيلة بنت الحارث	.١٧٨
١٠٦	قحطبة بن شبيب الطائي	.١٧٩
٦٣	القرع بن حابس	.١٨٠
٨٢	قس بن ساعدة الايادي	.١٨١
٥٥	قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر	.١٨٢
٨٣	قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد	.١٨٣
٢٠٦	كافور الاخشيدي	.١٨٤
١٣٨	كسري الاول انو شروان	.١٨٥
٢٤٩	كعب بن ماتع الحميري اليماني	.١٨٦
٤٤	كعب بن مالك الانصاري	.١٨٧
٥٧	لبيد بن ربيعة العامري	.١٨٨
٧٩	متي بن يونس	.١٨٩
٤٤	مجاهد بن جبر الحجاج المكي	.١٩٠
١٢٦	محمد الخازن محمد بن الحسين الخراساني	.١٩١
٤٦	محمد بن ابي الخطاب ابو زيد القرشي	.١٩٢
١٤٥	محمد بن احمد بن عثمان بن قايمار الذهبي	.١٩٣
١٣٨	محمد بن اسحاق بن محمد النديم الوراق	.١٩٤
٢١٠	محمد بن الحسين بن محمد الكاتب	.١٩٥
٨٦	محمد بن السائب الكلبى	.١٩٦
١٤٤	محمد بن القاسم الثقفي	.١٩٧
١٢٦	محمد بن جابر بن سنان الحراني الاصل البتاني ابو عبد الله	.١٩٨

٣٩	محمد بن جرير الطبري ابن يزيد	.١٩٩
٢١٧	محمد بن جعفر الكتاني أبو بكر	.٢٠٠
٦١	محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري	.٢٠١
٦٠	محمد بن سيار بن خيار او ابن كوثران المدني	.٢٠٢
٢٧٩	محمد بن عبد الوهاب.	.٢٠٣
٥٩	محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية العتبي	.٢٠٤
٩٢	محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	.٢٠٥
٢٢٥	محمد بن علي بن عبدك الجرجاني	.٢٠٦
٣٧	محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري	.٢٠٧
٩	محمد بن يزيد عبد الاكبر الشمالي الازدي ابو العباس	.٢٠٨
١١٦	محمد بن يزيد	.٢٠٩
٢٤٨	محمد بن يعقوب الله الفيروزابادي	.٢١٠
١٢	محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري جار الله ابو القاسم	.٢١١
٩	محمود بن محمد بن الحسين ابن السندي بن شاهك	.٢١٢
٣٩	مصطفى صادق الرافعي	.٢١٣
١٨	معن بن أوس ونسبه هو معن بن أوس بن نصر	.٢١٤
١٠٨	معن بن زائدة	.٢١٥
٢٨٢	منصور ابن عمار بن كثير .	.٢١٦
١٠٤	المهلب بن ابي صفرة ظالم ابن سراق البصري	.٢١٧
١٢	موهوب بن أحمد بن الخضر بن الحسن ، ابو منصور ابن الجوالقي	.٢١٨
٣٨	نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني الحميري ابو سعيد	.٢١٩
١٠٢	نصر بن سيار	.٢٢٠
٥١	النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد	.٢٢١
٩٩	النعمان الاول	.٢٢٢
١١٧	نعيم بن حازم	.٢٢٣

٢٢٠	هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي	.٢٢٤
١٤٤	هشام بن عمرو التغلبي	.٢٢٥
١٢	هشام بن محمد ابي النضر بن السائب بن بشر الكلبي	.٢٢٦
٦٦	هو جميل بن معمر بن الحارث بن ظبيان	.٢٢٧
٢٠٢	وجون كندة او ثور بن عفير	.٢٢٨
٢٥٩	وعلي بن محمد ابن دقيق العيد	.٢٢٩
١٤٤	الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم	.٢٣٠
٥٥	الوليد بن القاسم الهمداني الخبذعي الكوفي	.٢٣١
٢٤	الوليد بن عبيد الطائي البحتري ابو عبادة	.٢٣٢
٢٠٣	ياقوت الحموي	.٢٣٣
١٣٦	يحي بن خالد البرمكي ابو علي الفارسي	.٢٣٤
١١	يحي بن علي بن محمد الشيباني التبريزي	.٢٣٥
٧٩	يحيي بن عدي ابو زكريا	.٢٣٦
٥٤	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر	.٢٣٧

المصادر والمراجع

١. اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري لمحمد مصطفى هداره ، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر بدون تاريخ
٢. الاجابة لايراد ما استدركته عائشة علي الصحابة : لابي عبد الله بدر الدين الزركشي (تحقيق سعيد الافغاني -دمشق ١٩٣٩م)
٣. أحياء علوم الدين للغزالي لابي حامد الغزالي دار الحديث القاهرة سنة ١٩٩٤م
٤. اخبار الحلاج لمانسيون وكراوس طبعة باريس ١٩٣٦هـ
٥. ادب الدعوة الاسلامية د. مصطفى محمود
٦. ادب الدنيا و الدين - الامام الماوردي دار المجتمع الطبعة الاولى ١٩٩٠م
٧. الادب الديني للمحاسني
٨. ادب الكاتب محمد بن عبد الله (تحقيق محمد محي عبد الحميد التجارية ١٣٧٧هـ)
٩. عيون الاخبار لابي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري طبعة القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ
١٠. الاقتصاد في الاعتقاد - حجة الاسلام الغزالي - مكتبة حجازي القاهرة الطبعة الاولى بدون تاريخ
١١. الاستيعاب في معرفة الاصحاب ابو عمر يوسف بن عبد البرالنمري م. التجارية سنة ١٣٥٨هـ
١٢. اسد الغابة الغابة في معرفة الصحابة عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري م. الشعب بمصر ١٩٧٧م
١٣. اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين تاليف عبد الباقي بن عبد الحميد اليماني تحقيق دكتور عبد المجيد دياب مركز الملك فيصل الطبعة الاولى ١٩٨٤
١٤. الإصابة في تمييز الصحابة احمد بن علي الكناني العسقلاني ابن حجر م. التجارية ١٣٥٨هـ
١٥. الاعلام لخير الدين الزركلي طبعة اولي سنة ١٣٤٧هـ
١٦. اعلام النساء في عالم العرب والاسلام تاليف عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة بيروت ط. عام ١٩٨٤م
١٧. الاعلام بوفيات الاعلام للذهبي مخطوطة لمحمد بن احمد الذهبي مصورة الظاهرية دمشق برقم ٤٥٤٧
١٨. اعيان الشيعة اغا برزك ، محسن امين دمشق ١٩٣٥م
١٩. الاغانى - ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني - دار الثقافة بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة ١٩٧٥ م

٢٠. أمالي المرتضي علي بن الحسين بن محمد الموسوي ت. ابو الفضل محمد ابراهيم دار
الكتاب العربي بيروت
٢١. امراء البيان لمحمد بن علي بن عبد الرازق كردعلي دمشق ١٩٣٧م
٢٢. انباه الرواة علي انباه النحاة للقفطي طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٠م
٢٣. انساب الاشراف احمد بن يحيى المعروف بالبلازري تحقيق د. محمد حميد الله دار المعارف
٢٤. ايضاح المكنون في الذيل علي كشف الظنون لاسماعيل بن محمد الباباني البغدادي استانبول
١٩٤٥-١٩٤٧م
٢٥. البداية والنهاية لابي الفداء الحافظ ابن كثير بيروت دار الفكر ١٩٩٨م
٢٦. البدر الطالع بمحاسن القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت
٢٧. بغية الوعاة للسيوطي تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم الطبعة الاولى مطبعة الحلبي
١٩٦٤م
٢٨. البيان في شرح الديوان ، العكري من المقدمة في الديوان
٢٩. البيان و التبيين - عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق فوزي عطوي - دار صعب بيروت
بدون تاريخ
٣٠. تاريخ دمشق ابن عساكر تحقيق محي الدين العموري دار الفكر ١٩٨٥
٣١. تاريخ الأدب العربي د/ عمر فروخ
٣٢. تاريخ اداب العرب - مصطفى صادق الرافعي - المكتبة العصرية بيروت الطبعة الاولى سنة
٢٠٠٠م
٣٣. تاريخ الاسلام السياسي والاثقافي والاجتماعي ، د . حسن ابراهيم حسن ، دار الجيل بيروت
٣٤. تاريخ الاسلام محمد بن احمد بن عثمان للذهبي مكتبة المقدسي تحقيق بشار عواد القاهرة
١٩٧٧م
٣٥. تاريخ الامم الاسلامية محمد خضري بك المكتبة التجارية مصر
٣٦. تاريخ الامم والملوك للطبري تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٨م
٣٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي مطبعة السعادة سنة ١٢٣٤٩هـ
٣٨. تاريخ الحكماء للقفطي مكتبة المثني بغداد مؤسسة الخارجي مصر
٣٩. تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري ابو جعفر الطبعة الاولى بيروت دار الكتب العلمية
٤٠. تاريخ الفلسفة في الاسلام لدي بورترجمة ابيريده ، طبعة القاهرة ١٩٥٤
٤١. التاريخ الكبير لمحمد بن اسماعيل البخاري تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني دار المعارف
العثمانية الهند ١٣٨٠هـ

٤٢. تاريخ الكوفة .
٤٣. تاريخ الوزراء الحثياري
٤٤. تاريخ ليحي بن معين رواية عباس الدوري ت . احمد محمد نور سيف مكة المكرمة ١٩٩٧م
٤٥. التاريخ لخليفة بن خياط ت. اكرم العمري دمشق ١٩٧٧
٤٦. تاريخ مدينة دمشق لابن القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (بن عساكر) ت. عمر غرامة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٥م
٤٧. تاريخ عجائب الاثار في التراجم وال اخبار عبد الرحمن بن حسن الجبرتي القاهرة ١٣٢٢هـ
٤٨. تذكرة الحفاظ لشمس الدين ابي عبد الله الذهبي ت. عبد الرحمن المعلمي اليماني حيدر اباد ١٣٧٧هـ
٤٩. تذكرة النحاة
٥٠. تراث الانسانية
٥١. تزيين الاسواق بتفضيل اشواق العشاق للشيوخ داوود الانطاكي دار المكشوف طبعة اولي ١٩١٧م
٥٢. التصوف الثورة الروحية في الاسلام د. ابوالعلاء عفيفي طبعة الاسكندرية ١٩٦٣م
٥٣. التعرف لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد بن اسحق البخاري الكلاباذي نشر وتصحيح ارثر جون آريدي طبعة القاهرة ١٩٣٣م
٥٤. تفسير القرآن العظيم لابن كثير دار احياء التراث العربي بيروت
٥٥. تفسير القرطبي
٥٦. تكملة الصلة ، محمد بن عبد الله لقضاعي (لابن الابار) القاهرة ١٩٥٥-١٩٥٦م
٥٧. تهافت الفلاسفة للامام الغزالي طبعة بويج بيروت لبنان بدون تاريخ
٥٨. تهذيب الاسماء واللغات للامام زكريا محي الدين بن شرف النووي عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه - شركة العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنبرية دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٥٩. تهذيب التهذيب احمد بن علي بن حجر العسقلاني حيدر اباد ١٣٢٥هـ
٦٠. تهذيب الكمال ليوسف بن عبد الرحمن المزي درا المامون دمشق ومطبوعة مؤسسة الرسالة
٦١. التهذيب لابن عساكر
٦٢. التوجيه الأدبي - طه حسين
٦٣. التوحيد و العقيدة .
٦٤. التفكير الفلسفي في الاسلام لسليمان دنيا دار الخانجي مصر الطبعة الاولي ١٩٦٧م
٦٥. التوقيف علي مهمات التعاريف لمحمد بن عبد الرؤوف الميناوي ، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٠هـ

٦٦. جامع كرامات الاولياء النبھاني
٦٧. الجرح والتعديل ابو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي حيدر اباد دائرة المعارف العثمانية
١٩٥٢م
٦٨. جمهرة اشعار العرب محمد بن بن ابي الخطاب ط. بولاق ١٣٠٨ھ
٦٩. جمهرة انساب العرب ابن حزم الاندلسي القاهرة دار المعارف
٧٠. جمهرة خطب العرب لاحمد زكي صفوت مطبعة الحلبي الطبعة الثانية ١٣٨١ھ
٧١. جواهر الادب في ادبيات وانشا لغة العرب لاحمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي الازھري
دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٧٢. جواهر البلاغة في المعاني والبدیع لاحمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي الازھري
٧٣. حركات الشيعة المتطرفين واثريهم في الحياة الاجتماعية لمدن العراق ابان العهد العباسي
الاول دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٧م
٧٤. حسن المحاضرة عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ت. محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة
١٣٧٨ھ
٧٥. الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي لمحمد النبال
٧٦. الحلاج شهيد التصوف الاسلامي طه عبد الباقي سرور طبعة القاهرة ١٩٦١م
٧٧. حلية الاولياء و طبقات الاصفياء - ابو نعيم الاصفهاني - دار الكتاب العربي بيروت الطبعة
الثالثة سنة ١٩٨٠ م
٧٨. الحور العين لنشوان الحميري
٧٩. حياة الصحابة محمد يوسف للكاندهلوي دار الفكر بيروت الطبعة الاولى ١٣٩٤ھ
٨٠. خزانة الادب لعبد القادر بن عمر البغدادي بيروت دار صادر
٨١. دارة المعارف الاسلامية
٨٢. دراسات في الادب الاسلامي للدكتور سامي العاني بغداد ١٣٩٥ھ
٨٣. دراسات في الأدب الإسلامي لمحمد خلف الله، م. لجنة الترجمة والتأليف والنشر القاهرة
١٩٦٦م
٨٤. دراسات في التصوف الاسلامي محمد جلال شرف ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٤م
٨٥. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة بن حجر العسقلاني مطبعة المدني القاهرة
٨٦. دلائل الاعجاز القراني لعبد القاهر الجرجاني مطبعة المنار سنة ١٣٦٧ھ
٨٧. دمية القصر وعصرة اهل العصر علي بن الحسين الباخري ت. محمد التونجي حلب
١٣٤٩ھ
٨٨. ديوان ابي الطيب المتنبي شرح العكبري دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ

- ٨٩.ديوان بشار بن برد نشر وشرح محمد الطاهر بن عاشور طباعة لجنة التأليف والترجمة تونس ١٩٥٧م
- ٩٠.ديوان الحلاج لماسنيون المجلة الاسيوية عدديناير - مارس ١٩٣١
- ٩١.ديوان حسان بن ثابت تحقيق دكتور وليد عرفات سلسلة اماناء جب التذكارية لندن ١٩٧١م
- ٩٢.ديوان عبد الله بن رواحة جمع وتحقيق د. حسن محمد باجورة دار التراث لقااهرة سنة ١٣٩٢هـ
- ٩٣.ديوان كعب بن زهير دار الشعب بدون تاريخ
- ٩٤.ديوان كعب بن مالك تحقيق دكتور سامي العاني بغداد بدون تاريخ
- ٩٥.ديوان لبيد بن ربيعة تحقيق دكتور احسان عباس الكويت بدون تاريخ
- ٩٦.ديوان الحقائق ومجمع الرقائق للشيخ عبد الغني النابلسي طباعة دار الفكر بدون تاريخ
- ٩٧.ديوان امرئ القيس دار صادر بيروت بدون تاريخ
- ٩٨.ديوان حسان بن ثابت الانصاري دار بيروت للطباعة و النشر بدون تاريخ
- ٩٩.ذيل طبقات الحفاظ . علي بن ناصر الحسيني دمشق ١٣٤٧
- ١٠٠.رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء
- ١٠١.الرسالة الجامعة: تحقيق مصطفى غالب منشورات دار صادر بيروت
- ١٠٢.الرسالةفي علم التصوف لابي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري طبعة اقلاهرة بولاق ١٢٨٤هـ
- ١٠٣.الرسول والشعر يوسف العظمة مجلة مركز البحث العلمي العدد الثاني
- ١٠٤.روضة المحبين ونزهة المشتاقين جمع وتعليق احمد عبيد مطبعة السعادة مصر ١٩٥٦م
- ١٠٥.رياض الصالحين للامام ابي زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق حسان عبد المنان المكتبة الاسلامية عمان الاردن الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ
- ١٠٦.زهر الآداب وثمر الالباب ابراهيم بن علي الحصري القريواني القااهرة ١٩٥٣م
- ١٠٧.سنن ابن ماجه ابو عبد الله محمد بن يزيد القيرواني دار احياء التراث العربي ١٩٧٥م
- ١٠٨.سنن ابي داوود ابن الاشعث السجستاني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت
- ١٠٩.سنن الترمذي ابو عيسى محمد بن عيسى السلمي تحقيق احمد شاکر دار الكتب العلمية بيروت
- ١١٠.سنن الدارمي ابو محمد بن عبد الله السمرقندي بيروت دار احياء السنة ١٩٩٠م
- ١١١.سير اعلام النبلاء لابي عبد الله الذهبي مؤسسة لارسالة بيروت ١٣١٤ محمد شعيب الارناؤوط

١١٢. السيرة الحلبية ، علي برهان الدين الحلبي طبعة المكتبة الاسلامية بيرون بدون تاريخ
١١٣. السيرة النبوية - ابن هشام لابي عيد الملك بن هشام المعافري تحقيق وتخريج جمال ثابت ، محمد محمود ، سيد ابراهيم ، دار الحديث القاهرة ط. ١٩٨٨ م
١١٤. شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي المكتب التجاري بدون تاريخ
١١٥. شرح ابن الانباري لقصيدة البردة تحقيق الدكتور محمود حسن زيني ٠
١١٦. شرح التبريزي للحماسة
١١٧. شرح المقامات الحريري احمد بن عبد المؤمن الشريش بالقاهرة ١٣٠٠ هـ
١١٨. شرح ترجمان الاشواق
١١٩. شرح شواهد المغني تاليف الامام جلال الدين عبد الرحم السيوطي منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان
١٢٠. شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه .د، يحي الجبوري بغداد ١٣٧٣ هـ
١٢١. الشعر والشعراء لابن قتيبة طبع دار الثقافة بيروت ١٩٦٤ م
١٢٢. شهيدة العشق الإلهي - رابعة العدوية - لعبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة الكصرية بدون تاريخ
١٢٣. صبح الاعشي في صناعة الانشا ابو العباس احمد بن علي القلقشندي الاميرية تراثا ١٣٨٣ هـ
١٢٤. صحيح البخاري المطبعة الاميرية طبعة سنة ١٣٩٢ هـ
١٢٥. صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان الفارسي تحقيق شعيب الارناؤوط الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ
١٢٦. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري بيروت دار الاحياء التراث العربي تحقيق محمد فؤاد
١٢٧. الصحيفة السجادة لعلي بن الحسين زين العابدين
١٢٨. صفة الصفوة عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي فاخوير وقلعجي بيروت ١٩٧٩ م
١٢٩. الصلة خلف بن عبد الملك ابن بشكوال القاهرة ١٩٦٦ م
١٣٠. الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لمحمد بن عبد الرحمن للسخاوي القاهرة ١٣٥٣-١٣٥٥ هـ
١٣١. طبقات المفسرين للحافظ الدارودي مكتبة وهبة طبعة اولي سنة ١٣٩٢ هـ
١٣٢. طبقات الاولياء لعمر بن الملقن تحقيق نور الدين شريية القاهرة ١٩٧٣ م
١٣٣. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي طبعة اولي المطبعة الحسينية بدون تاريخ
١٣٤. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ت، محمود شاعر القاهرة ١٩٧٤ م
١٣٥. طبقات الشعراء لابن المعتز طبع دار المعارف ص ٢٠٩ في وصف محمد الامين.

١٣٦. لوائح الانوار في طبقات السادة الاخيار عبد الوهاب بن محمد الشعراني القاهرة ١٣٥٥هـ
١٣٧. طبقات الصوفية ، محمد بن الحسين السلمي ت. نورالدين شريبة القاهرة ١٩٦٣م
١٣٨. طبقات القراء في معرفة القراء الكبار للذهبي ت . محمد سيد جاد الحق القاهرة ١٩٦٧م
١٣٩. طبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت ١٩٨٠
١٤٠. طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (تحقيق الشيخ محمود محمد شاكر الطبعة الثانية ١٩٧٤مك
١٤١. الطبقات لخليفة بن الخياط ت. اكرم العمري دار طيبة الرياض وت . سهيل زكار وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٦م
١٤٢. ظهر الاسلام - احمد امين - دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ
١٤٣. العبر و ديوان المبتدأ والخبر احمد بن محمد بن خلدون بيروت ١٩٧٨م
١٤٤. العبر في خبر من غير محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ت. د. صلاح الدين المنجد الكويت ١٩٦٠-١٩٦٩م
١٤٥. العقد الفريد - احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة ١٩٨٢م
١٤٦. علم العروض و القوافي - د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية بدون تاريخ
١٤٧. العمدة في محاسن الشعر وادابه ونفده لابن رشيق القيرواني ت. محمد محي الدين عبد الرحمن عبد الحميد بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٩٧٢م
١٤٨. عوارف المعارف الامام السهروردي دار المعرفة بيروت لبنان دون تاريخ
١٤٩. عيون الانباء في طبقات الاطباء لابي اصبيعة مكتبة بيروت سنة ١٩٦٢م
١٥٠. عيون التواريخ للابن شاعر الكتبي مخطوطة مصورة الاحمدية حلب برقم ١٢٣٨
١٥١. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري تحقيق براجشتراسر طبعة السعادة سنة ١٩٣٢
١٥٢. الغيث المنسجم شرح لامية العجم خليل بن ابيك الصفدي بيروت ١٩٧٤م
١٥٣. الفتوحات المكية - محي الدين ابن عربي
١٥٤. فجر الاسلام احمد امين دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الخانسة
١٥٥. فهرست ابن النديم بيروت دار المعرفة ١٩٧٨م
١٥٦. فوات الوفيات لمحمد بن شاعر الكتبي تحقيق محمدا محي الدين مكتبة النهضة المصرية
١٥٧. القصيدة في مديح زريق الطوسي
١٥٨. قوت القلوب في معاملة المحبوب للشيوخ ابي طالب محمد بن علي المكي دارالفكر الطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ
١٥٩. الكامل لابن الاثير طبعة بيروت سنة ١٩٦٦م

١٦٠. الكامل للميرد طبعة ١٣٢٣هـ
١٦١. كتاب العين - الخليل بن احمد الفراهيدي - دار الهلال بيروت لبنان
١٦٢. كتاب المعارف عبد الله بن مسلم بين قنينة ت .د. ثروت عكاشة القاهرة ١٩٦٩م
١٦٣. كتاب بغداد
١٦٤. كتاب الصلة بين التشيع والصوفية لكامل مصطفى الشبيبي ط بغداد ١٩٦٣
١٦٥. كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون حاجي خليفة طبعة سنة ١٩٤٧م الاستانة
١٦٦. اللباب في تهذيب الانساب للامام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي
السمعاني تقديم وتعليق عبد عمر البارودي دار الفكر بيروت
١٦٧. اللزوميات - فيلسوف الشعراء بو العلاء المعري - دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة
سنة ٢٠٠١ م
١٦٨. لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور دار صادر بيروت ، ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م
١٦٩. اللمع في تاريخ التصوف الاسلامي ابو النصر السراج الطوسي تحقيق كامل مصطفى
الهنداوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة ٢٠٠١ م
١٧٠. مذاهب الاسلاميين - د/ عبد الرحمن بدوي - دار العلم للملايين بيروت الطبعة الاولى
سنة ١٩٨٣ م
١٧١. المزهرفي علوم اللغة وانواعها جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق فؤاد عل
يمنصور دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٩٩٨م
١٧٢. مجالس ثعلب دار المعارف القاهرة
١٧٣. مجموعة الرسائل
١٧٤. المجموعة الكاملة لجورجي زيدان
١٧٥. محاضرات الادباء الراغب الاصفهاني
١٧٦. المحمدون من الشعراء لعلي بن يوسف القفطي تحقيق حسن معمرى منشورات دار اليمامة
السعودية ١٩٧٠م
١٧٧. مختار الصحاح لامام محمد بن ابي بكر الرازي ترتيب محمود خاطر الناشر دار الحديث
القاهرة
١٧٨. المختار في شعر بشار
١٧٩. مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي مطبعة النهضة مصر سنة ١٣٧٥هـ
١٨٠. المرشد السليم في المنطق الحديث و القديم - عوض الله جاد حجازي - دار الطباعة
المحمدية القاهرة سنة ١٩٦٤ م

١٨١. مروج الذهب و معادن الجواهر - ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي-دار الادنلس
بيروت لبنان الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٢م
١٨٢. المستدرك علي الصحيحن للحاكم النيسابوري (٣٢١-١٤٠٥هـ) دار الكتب العلمية ،
بيروت ١٩٩٠ تحقيق محمد عبد القادر عطا
١٨٣. المستقصى في امثال العرب لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، طاهر احمد الزاوي -
محمد الصناحي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٧م
١٨٤. المستطرف في كل فن مستظرف ،محمد بن احمد الايشيبي القاهرة ١٢٧٢هـ
١٨٥. مسند الامام احمد بن حنبل مصر مؤسسة قرطبة
١٨٦. مسند سليمان بن داوود الطيالسي ترتيب احمد عبد الرحمن البنا القاهرة ١٣٧٢هـ
١٨٧. معالم الفلسفة الاسلامية - محمد جواد مغنية - دار مكتبة الهلال بيروت
١٨٨. معتصر المختصر
١٨٩. معجم الادباء لياقوت الحموي طبعة سنة ١٩٣٨م ١٩٥٧م دار المامون
١٩٠. معجم البلدان - الياقوت الحموي سنة ١٩٥٧م بيروت
١٩١. المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبة ط بيروت
١٩٢. مفتاح السعادة لطاش كبري زاده تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور دار الكتب
الحدیثة القاهرة
١٩٣. المقبول عن المواقف للنفري
١٩٤. مقدمة ابن خلدون تحقيق رضوان ابراهيم طبعة اولي سنة ١٩٦٠ مطبعة الحلبي
١٩٥. مقدمة ديوان زهير بن ابي سلمي المرصفي
١٩٦. الفصل في الملل و الاهواء و النحل ابن حزم الظاهري مكتبة صبيح القاهرة
١٩٧. كنز العمال لعلاء الدين المعروف بالمنقي مكتبة التراث الاسلامي حلب ١٣٩١هـ
١٩٨. الموسوعة العربية الميسرة
١٩٩. الموسوعة الفلسفية ، مجموعة من العلماء السوفيت ، سمير كرم ، ط بيروت ١٩٨١
٢٠٠. موسوعة النظم و الحضارة الاسلامية المجمعتمع الاسلامي - د/ احمد شلبي - مكتبة
النهضة المصرية القاهرة الطبعة السابعة سنة ١٩٨٦م 21w
٢٠١. الموشح في ماخذ العلماء علي الشعراء محمد بن عمران المرزباني طبعة المكتبة السلفية
بمصر سنة ١٣٤٣هـ
٢٠٢. نتائج الافكار القدسية
٢٠٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي طبعة اولي دار الكتب المصرية
سنة ١٩٢٩م

٢٠٤. نزهة الالباء في تراجم الادباء عبد الرحمن بن محمد الانباري ت. ابراهيم السامرائي بغداد
١٩٥٩م
٢٠٥. نظرية الاتصال عند الصوفية
٢٠٦. نفح الطيب من غصن الندلس الرطيب للمقري التلمساني رسالة بن زيدون لوالدة بنت
المستكفي
٢٠٧. هداية العارفين للبغدادي الطبعة الاولى - استانبول ١٩٥٥م
٢٠٨. همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي طبعة دار المعرفة ببيروت بدزن تاريخ
٢٠٩. الوافي بالوفيات خليل بن ابيك الصفدي جمعية المستشرقين الالمانية بيروت ١٩٦٢-
١٩٨٣م
٢١٠. الورقة لابي عبد الله محمد بن داوود تحقيق الدكتور عبد الوهاب وعبد الستار احمد فراج
دار المعارف بمصر طبعة ثاية بدون تاريخ
٢١١. الوزراء والكتاب للجيهنكشياري
٢١٢. وفيات الأعيان لابن خلكان طبعة اولي مكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٤٨
٢١٣. يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر عبد الملك بن محمد للثعالبي دمشق ١٣٠٣هـ
٢١٤. اليواقيت و الجواهر للامام الشعراني

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
١	الاهداء
ب	كلمة الشكر
ج	المقدمة
١	الفصل الأول تاريخ الادب
٢	المبحث الاول مفهوم الادب
٣	المطلب الاول تعريف كلمة ادب
١١	المطلب الثاني علوم الادب
١٤	المطلب الثالث المؤثرات العامة في الادب
١٨	المطلب الرابع الميادين الادبية
٢٩	المبحث الثاني تاريخ الادب
٣٠	المطلب الاول الادب قبل الاسلام
٣٢	المطلب الثاني الادب في الاسم
	المبحث الأول مفهوم الأدب
٧٣	الفصل الثاني الفلسفة و أثرها في الادب العربي
٧٤	المبحث الاول :ظهور الفلسفة
٧٥	المطلب الاول تعريف كلمة فلسفة
٧٧	المطلب الثاني تاريخ الفلسفة
٨٠	المطلب الثالث العرب قبل دخول الفلسفة عليهم
٩٠	المبحث الثاني: الفلسفة في العصر العباسي
٩١	المطلب الاول صورة المجتمع العباسي
٩٩	المطلب الثاني تاتر المجتمع العباسي بالمجتمعات الاخرى
١٥٢	المبحث الثالث: المدارس الفلسفية في العصر العباسي

١٥٣	المطلب الاول مدرسة اخوان الصفاء
١٦٨	المطلب الثاني مدرسة الغزالي في الفلسفة
١٨٣	المطلب الثالث المعتزلة
١٨٨	المبحث الرابع: اثر الفلسفة على الادب في العصر العباسي
١٨٩	المطلب الاول اثر الفلسفة على الادب في العصر العباسي
١٩٢	المطلب الثاني اشهر الادباء الفلاسفة
٢١٤	الفصل الثالث اثر التصوف على الادب العربي في العصر العباسي
٢١٤	المبحث الاول ظهور التصوف
٢١٥	المطلب الاول معنى التصوف
٢١٩	المطلب الثاني تاريخ التصوف
٢٢٧	المبحث الثاني تأثر الفكر الصوفي بالنظريات الفلسفية
٢٢٨	المطلب الاول: اشهر النظريات الفلسفية في الفكر الصوفي
٢٣٢	المطلب الثاني: اشهر المتصوفة الفلاسفة في العصر العباسي
٢٥٤	المبحث الثالث اثر التصوف على الادب في العصر العباسي
٢٥٥	المطلب الاول أثر التصوف على الادب
٢٦٥	المطلب الثاني الشعر الصوفي
٢٩٨	المطلب الثالث اشهر الشعراء المتصوفة في العصر العباسي
٣١٨	الخاتمة
٣٢١	فهرس الايات القرآنية
٣٢٣	الاحاديث النبوية
٣٢٤	الابيات الشعرية
٣٣٤	الاعلام
٣٤٤	المصادر والمراجع
٣٥٥	فهرس الموضوعات